



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء الرابع

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء الرابع

تتمة التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*

39- ذكر نسب أبي العتاهية و أخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فإنه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيهه بها، و أنها اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، و هي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اسمه و لقبه و كنيته و نشأته:

أبو العتاهية لقب غلب عليه. و اسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة. و كنيته أبو إسحاق. و أمّه أمّ زيد بنت زياد المجاربيّ مولى بني زهرة؛ و في ذلك يقول أبو قابوس التّصرانيّ و قد بلغه أنّ أبا العتاهية فضّل عليه العتّابيّ: قل للمكّبيّ نفسه # متخيّرا بعتاهيه

و المرسل الكلم القبيد # ح وعته أذن و اعيه

إن كنت سرّا سوّتني # أو كان ذاك علانيه

فعليك لعنة ذي الجلا # ل و أمّ زيد زانيه

مناحيه الشعرية:

و منشؤه بالكوفة. و كان في أوّل أمره يتخنّث و يحمل زاملة المختّين، ثم كان يبيع الفخّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه و تقدّم. و يقال: أطبع الناس بشار/و السيّد[1] و أبو العتاهية. و ما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرتهم. و كان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك. و أكثر شعره في الزهد و الأمثال. و كان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، و يحتجّون بأنّ شعره إنما هو في ذكر الموت و الفناء دون ذكر النّشور و المعاد. و له أوزان طريفة[2] قالها مما لم يتقدّمه الأوائل فيها. و كان أبخل الناس مع يساره و كثرة ما جمعه من الأموال.

سبب كنيته:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال: قال المهديّ يوما لأبي العتاهية: أنت إنسان متحذلق[3] معنّه[4]. فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون [1]يعني السيد الحميريّ؛ و اسمه

إسماعيل بن محمد أبو هاشم، و قد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج 7 ص 229-278 من هذه الطبعة) .

[2] كذا في ء، م. و في سائر النسخ: «ظريفة» بالطاء المعجمة.

[3] المتحذلق: المتكيس المتظرف.

[4] يقال: رجل معته، إذا كان مجنونا مضطربا في خلقه. و قد ذكر صاحب «اللسان» (في مادة عنه) هذا الخبر فقال: «و أبو العتاهية

اسمه و كنيته، و سارت له في الناس. قال: و يقال/للرجل المتحذلق: عتاهية، كما يقال للرجل الطويل: شناحية[1]. و يقال: أبو عتاهية، بإسقاط الألف و اللام.

/قال محمد بن يحيى و أخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كني بابي العتاهية أن كان[2] يحب الشهرة و المجون و التعنه. و بلده الكوفة و بلد آبائه، و بها مولده و منشؤه و باديته.

يقول ابنه إنها من عنزة:

قال محمد بن سلام: و كان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة، و أن جدّهم كيسان كان من أهل عين[3] التمر، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدّهم هذا يتيما صغيرا يكفله قرابة له من عنزة، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها، فوجه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه و بحضرتة عبّاد بن رفاعة العنزّي بن أسد بن ربيعة بن نزار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كيسان، فذكر له أنه من عنزة. فلما سمعه عبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، و قد كان خالصا له، فوهبه له؛ فأعتقه، فتولى عنزة[4].

استعداؤه مندل بن علي و أخاه علي سبه بأنه نبطي:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجّاج الجلائنيّ الكوفيّ قال حدّثني أبو دؤيل مصعب بن دؤيل الجلائني، قال: لم أر قط مندل بن عليّ العنزّيّ و أخاه حيّان بن عليّ غضبا من شيء قط إلا يوما واحدا، دخل عليهما أبو العتاهية و هو مضمخ بالدماء. فقالا له: وبحك! ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنت أخونا و ابن عمّنا و مولانا. فقال: إنّ فلانا الجزار قتلني و ضربني و زعم أنّي نبطيّ[5]، فإن كنت نبطيّا هربت على وجهي/و إلا فقوموا فخذوا لي بحقي. فقام معه مندل بن عليّ و ما تعلق نعله[6] غضبا؛ و قال له: و الله لو كان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه؛ و مرّ معه حافيا حتى أخذ له بحقه.

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر[7] بن معاوية عن جبارة بن المغلس[8] الحمانيّ قال: أبو العتاهية مولى

عطاء بن محجن العنزّي.

-الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، و قيل: لو كان الأمر كذلك ل قيل له أبو عتاهية بغير تعريف؛ إنما هو لقب لا كنية، و كنيته أبو إسحاق. و لقب بذلك لأن المهديّ قال له: أراك متخلطا متعتها. و كان قد تعته بجارية للمهديّ... و قيل: لقب بذلك لأنه كان طويلا مضطربا، و قيل: لأنه يرمي بالزندقة» .

[1]كذا في نسخة الشنقيطي، و هو الموافق لما «معاجم اللغة» . و في أكثر الأصول: «شناجية» بالجيم المعجمة، و هو تصحيف.

[2]في أ، ح، ء: «إذ كان» .

[3]عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة، غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه.

[4]تولى عنزة: اتخذهم أولياء له.

[5]النبطيّ: منسوب إلى النبط، و هم جبل ينزلون البطائح بين العراقيين.

[6]ما تعلق نعله: ما لبسها.

[7]في ح: «عن محمد بن معاوية» .

[8]كذا في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» و «أنساب السمعاني» و «شرح القاموس» مادة غلس. و في أ، ح، ء: «جنادة بن المغلس» ، و في ب، س: «جنادة بن الأفلس» و كلاهما تحريف.

أبي العتاهية و صنعة أهله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو عون أحمد بن المنجّم أخبرني خيار الكاتب قال: كان أبو العتاهية و إبراهيم الموصليّ من أهل المذار[1] جميعا، و كان أبو العتاهية و أهله يعملون الجرار الخضر، فقدموا إلى بغداد ثم افترقا؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد، و نزل أبو العتاهية الحيرة. و ذكر عن الرّياشيّ أنه قال مثل ذلك، و أن أبا العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة، و من قبل أمّه لبني زهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، و كانت أمّه مولاة لهم، يقال لها أمّ زيد.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مهرويه؛ قال قال الخليل بن أسد: كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن و يقول: أبو إسحاق الخزّاف. و كان أبوه حجّاما من أهل ورجة[2]؛ و لذلك يقول أبو العتاهية: ألا إنّما التّقوى هو العزّ و الكرم # و حبكّ للدنيا هو الفقر و العدم

و ليس على عبد تقويّ نقيصة # إذا صحّ التّقوى و إن حاك أو حجم

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: /جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء، ففخر عليه الكنانيّ و استطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية: دعني من ذكر أب و جدّ # و نسب يعليك سور المجد

ما الفخر إلا في التّقوى و الرّهد # و طاعة تعطى جنان الخلد

لا بدّ من ورد لأهل الورد # إمّا إلى ضحل[3] و إمّا عدّ[4]

آراءه الدينية:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال:

كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد، و أنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء، ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما، و أنّ العالم حديث العين و الصّناعة لا محدث له إلا الله. و كان يزعم أنّ الله سيردّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تفنى الأعيان جميعا. و كان يذهب إلى أنّ المعارف واقعة بقدر الفكر/و الاستدلال [1]كذا في أ، بالذال المعجمة. و المذار في ميسان بين واسط و البصرة، و هي قصة ميسان بينها و بين

البصرة مقدار أربعة أيام. و في سائر النسخ: «المزار» بالزاي المعجمة؛ و لم نعثر عليه في أسماء البلدان.

[2] كذا في جميع الأصول التي بأيدينا، و لم نعثر عليه في «معجم البلدان» ، و الذي في «اللسان» (مادة ودج) و «معجم ما استعجم» (ج 2 ص 622) أن «ودج» اسم موضع.

[3] الضحل: الماء القليل على الأرض لا عمق له.

[4] العدّ: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين.

و البحث طباعا. و كان يقول بالوعيد و بتحريم المكاسب، و يتشيع بمذهب الزيدية[1]البتريّة المبتدعة، لا يتنقص أحدا و لا يرى مع ذلك الخروج على السلطان. و كان مجبرا[2].

مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون:

قال الصّوليّ: فحدّثني يموت بن المزّرع قال حدّثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون -و كان كثيرا ما يعارضه بقوله في الإجماع-: أسألك عن مسألة. فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته و يأمره بإجابتي! فقال له: أجيء إذا سألك. فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خير و شرّ فهو من الله، و أنت تأبى ذلك، فمن حرّك يدي هذه؟ و جعل أبو العتاهية يحركها. فقال له ثمامة:

حرّكها من أمّه زانية. فقال: شتمني و الله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامة: ناقض الماصّ بظر أمه و الله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون و قال له: أ لم أقل لك أن تشتغل بشعرك و تدع ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا معن، أ ما أغناك الجواب عن السّفه؟! فقلت: إنّ من أتمّ الكلام ما قطع الحجة، و عاقب على الإساءة، و شفى من الغيظ، و انتصر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى و حدّثني عون بن محمد الكنديّ قال:

سمعت العباس بن رستم يقول: كان أبو العتاهية مذبذبا في مذهبه: يعتقد شيئا، فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إيّاه و أخذ غيره.

اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنثين فأجابه:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدّنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرّيحانيّ قال حدّثني أبو الشمقمق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين، فقلت له[3]: أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك و شعرك و قدرك؟! فقال له: أريد أن أتعلّم كيادهم، و أتحمّظ كلامهم.

حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحمامة:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بشر بن المعتمر قال يوما لأبي العتاهية: بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى و الفقراء للسبيل، أ كذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردت بذلك؟ قال: أردت أن أضع من نفسي حسبا رفعتني الدنيا، و أضع منها ليسقط عنها الكبر، و أكتسب بما فعلته الثواب، و كنت أحجم اليتامى و الفقراء خاصّة. فقال له بشر: /دعني من تذكلك نفسك بالحجامة؛ فإنه ليس بحجّة لك أن تؤدّبها و تصلحها بما لعلك تفسد به أمر غيرك؛ أحبّ أن تخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدّم؟ قال [1]الزيدية؛ فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة و لا تجيز الإمامة في غيرهم. و البترية: طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتري، توقفوا في أمر عثمان أ هو مؤمن أم كافر، و فضلوا عليا على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم (انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف في كتاب «الملل و النحل» للشهرستاني طبع أوروبا ص 115-121) .

[2]مجبرا: يقول بالجبر، و هو عند أهل الكلام إسناد إفعال إلى الله سبحانه إيجادا و تأثيرا. و يقول الجبرية إنه لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة و لا كاسبة، فهو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها.

[3]كذا في جميع الأصول. و لعله: «فقال له» .

لا. قال: هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرج على قدر طبعه، مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضرر المحجوم؟ قال لا. قال: فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى و المساكين!

أراد حمدوية صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رستم قال: كان حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففرغ من ذلك و قعد حجّاما.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو دعامة عليّ بن يزيد: أخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نسك، و أنه جلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك. فقال: أ لم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟ فقيل له بلى. فقال: أ ما في بيع الجرار من الدلّ ما يكفيه و يستغنى به عن الحجامة!

سئل عن خلق القرآن فأجاب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني شيخ من مشايخنا قال حدثني أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قال:

قلت لأبي العتاهية: القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: أ سألتني عن الله أم عن غير الله؟ قلت: عن غير الله، فأمسك. و أعدت عليه فأجابني هذا الجواب، حتى فعل ذلك مرارا. فقلت له: ما لك لا تجيبني؟ قال: قد أجبك و لكنك حمار.

أوصافه و صناعته:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا قال حدثني محمد بن موسى قال:

كان أبو العتاهية قضييفا [1]، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة [2] جعدة، و هيئة حسنة و لباقة و حصافة، و كان له عبيد من السودان، و لأخيه زيد أيضا عبيد منهم يعملون الخزف في أثون [3] لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء القوه على أجير لهم يقال له أبو عباد/اليزيدي من أهل طاق [4] الجرار بالكوفة، فيبيعه على يديه و يردّ فضله إليهم. و قيل: بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو؛ و سئل عن ذلك فقال: أنا جرّار القوافي، و أخي جرّار التجارة.

قال محمد بن موسى: و حدّثني عبد الله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال:

أنا رأيت أبا العتاهية و هو جرّار يأتيه الأحداث و المتأدّبون فينشدّهم أشعاره، فيأخذون ما تكسّر من الخزف فيكتبونها فيها.

كان يشم أبا قابوس و يفضل عليه العتابيّ فهجاه:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمد الكنديّ قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال:

[1] كذا في ء، أ، م، و القضيف: الدقيق العظم القليل اللحم. و في ب، س: «نظيفا». و في ح: «قصيفا» بالصاد المهملة. و الظاهر أنها مصحفة عن «قضيفا» .

[2] الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن. و الجعدة: التي فيها التواء و تقبض.

[3] الأتون (بتشديد التاء) : الموقد، و العامة تخففه.

[4] في ب، س: «طارق الجرار» و هو تحريف.

لَمَّا هَاجَى أَبُو قَابُوسُ النَّصْرَانِيَّ كَلْثُومَ بْنِ عَمْرٍو الْعَنْبِيَّ، جَعَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ يَشْتُمُ أَبَا قَابُوسَ وَيَضَعُ مِنْهُ؛ وَ يَفْضَلُ الْعَنْبِيَّ عَلَيْهِ؛ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ فِيهِ: قُلْ لِلْمَكْنِيِّ نَفْسَهُ # مَتَخَيَّرَا بَعْتَاهِيَةَ

و المرسل الكلم القبيد # ح وعته أذن واعي

إن كنت سراً سؤتني # أو كان ذاك علانيه

فعليك لعنة ذي الجلا # ل و أم زيد زانيه

-يعني أم أبي العتاهية، وهي أم زيد بنت زياد-ف قيل له: أ تشتم مسلما؟ فقال: لم أشتمه، و إنما قلت: فعليك لعنة ذي الجلا # ل و من عنينا زانيه

هجاه والبة بن الحباب:

قال: و فيه يقول والبة بن الحباب و كان/يهاجيه:

كان فينا يكنى أبا إسحاق # و بها الركب سار في الآفاق

فتكنى معتوهنا[1]بعته # يا لها كنية أتت باتفاق

خلق الله لحية لك لا تد # فك معقودة بداء الحلاق[2]

حصته مع النوشجاني:

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا النوشجاني قال: أتاني البواب يوما فقال لي: أبو إسحاق الخراف بالباب؛ فقلت: أئذن له، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قنوموز[3]؛ فقال: قد صرت تقتل العلماء بالموز، قتلت أبا عبيدة بالموز، و تريد أن تقتلني به! لا والله لا أذوقه. قال: فحدثني عروة بن يوسف الثقفي قال: رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النوشجاني في شق محمل مسجى، إلا أنه حي، و عند رأسه قنوموز و عند رجليه قنوموز آخر، يذهب به إلى أهله. فقال النوشجاني و غيره: لَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ قَلْنَا: مَا سَبَبَ عِلَّتِكَ؟ قَالَ: هَذَا النُّوشْجَانِيُّ جَاءَنِي بِمُوزٍ كَأَنَّهُ أَيُّورُ الْمَسَاكِينِ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ، فَكَانَ سَبَبَ عِلَّتِي. قَالَ: وَ مَاتَ فِي تِلْكَ الْعَلَّةِ.

رأي مصعب بن عبد الله في شعره:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعر الناس. فقلت له: بأي شيء استحق ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلفت بآمال # طوال أي آمال

[1] كذا في أكثر النسخ و «ديوانه» طبع بيروت. و في ب، س: «معتوتها» .

[2] الحلاق: صفة سوء. و قد ورد هذا البيت في هامش «ديوانه» (ص 343) هكذا: خلق الله لحيه لك لا تند # فك معقودة لدى الحلاق

[3] القنو: الكباسة، و هي كالعنقود من العنب.

و أقبلت على الدّنيا # ملحًا أيّ إقبال
/أبا هذا تجهّز لـ # فراق الأهل و المال
فلا بدّ من الموت # على حال من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام سهل حقّ لا حشو فيه و لا نقصان، يعرفه العاقل و يقرّ به الجاهل.

استحسن الأصمعيّ بعض شعره:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال: سمعت الأصمعيّ يستحسن قول أبي العتاهية: أنت ما استغنيت عن صا # حبك الدهر أخوه

فإذا احتجت إليه # ساعة مجّك فوه

أنشد سلّم الخاسر من شعره و قال: هو أشعر الجنّ و الإنس:
حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي إملاء قال حدّثني عمّي الفضل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشّهرزوريّ [1] قال: أتيت سلما الخاسر فقلت له: أنشدني لنفسك. قال: لا، و لكن أنشدك لأشعر الجنّ و الإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله:

صوت

سكن يبقى له سكن # ما بهذا يؤذن الرّمن
نحن في دار يخبرنا # ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح # لامرئ فيها و لا حزن
في سبيل الله أنفسنا # كلّنا بالموت مرتهن
كلّ نفس عند ميّتها # حظّها من مالها الكفن
إنّ مال المرء ليس له # منه إلّا ذكره الحسن

/فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه، قال حدّثني حمدون بن زيد قال حدّثني رجاء [2] بن مسلمة قال: قلت لسلّم الخاسر: من أشعر الناس؟ فقال: إن شئت أخبرتك بأشعر الجنّ و الإنس. فقلت: إنما أسألك عن [1] الشّهرزوريّ: نسبة إلى شهرزور، و هي كورة واسعة في الجبال بين إربل و همذان.

[2] في ح: «رجاء بن سلمة» .

الإنس، فإن زدني الجنّ فقد أحسنت. فقال: أشعرهم الذي يقول:

سكن يبقى له سكن # ما بهذا يؤذن الرّمن

قال: و الشعر لأبي العتاهية.

مدح جعفر بن يحيى شعره بحضرة الفراء فوافقه:

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زياد الفراء قال: دخلت على جعفر بن يحيى فقال لي: يا أبا زكريّا، ما تقول فيما أقول؟ فقلت: و ما تقول أصلحك الله؟ قال: أزعم أنّ أبا العتاهية أشعر أهل هذا العصر. فقلت: هو و الله أشعرهم عندي.

مدح داود بن زيد و عبد الله بن عبد العزيز شعره:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النضر الواسطيّ الصّرير قال حدّثني محمد بن شيرويه [1] الأنماطيّ قال: قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر: من أشعر أهل زمانه؟ قال: أبو نواس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعر الإنس و الجنّ.

/أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال قال الرّبير بن بكّار: أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمريّ: أشعر النَّاس أبو العتاهية حيث يقول: ما ضرّ من جعل التراب مهاده # ألاّ ينام على الحرير إذا قنع

صدق و الله و أحسن.

مهارته في الشعر و حديثه عن نفسه في ذلك:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال حدّثني المعلّي بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردته قطّ إلاّ مثل لي، فأقول ما أريد و أترك ما لا أريد.

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني روح بن الفرج الحرمازيّ قال: جلست إلى أبي العتاهية فسمعتة يقول: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت.

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو عكرمة قال:

قال محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي: هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. و له أوزان لا تدخل في العروض.

نظم شعرا للرشيد و هو مريض فابله الفضل و قرّ به الرشيد:
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا العنزّيّ. قال حدّثنا أبو بكرمة قال:
[1] في أ، ء: «خروية» بالخاء المعجمة. و في ب، ح، س: «سرويه». و لعل
الجميع محرف عما أثبتناه.

حمّ الرشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لو علم الناس كيف أنت لهم # ماتوا إذا ما أجمعهم
/خليفة الله أنت ترجح بال # تأس إذا ما وزنت أنت و هم
قد علم الناس أنّ وجهك يس # تغني[1] إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يسامره و يحدثه إلى أن برئ[2]، و وصل إليه بذلك السبب مال جليل.

إعجاب ابن الأعرابيّ به و إفحامه من تنقص شعره:

قال: و حدثت أنّ ابن الأعرابيّ حدّث بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمستحق لما قلت. قال: و لم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ-و كان أحدّ الناس-: الضعيف و الله عقلك لا شعر أبي العتاهية، أ لأبي العتاهية تقول: إنّه ضعيف الشعر! فو الله ما رأيت شاعرا قط أطيع و لا أقدر/على بيت منه، و ما أحسب مذهبه إلا ضربا من السحر، ثم أنشد له: قطعت منك حائل الآمال # و حططت عن ظهر المطي رحالي

و وجدت برد اليأس بين جوانحي # فأرحت من حلّ و من ترحال

يا أيها البطر الذي هو من غد # في قبره متمرّق الأوصال

حذف المنى عنه[3] المشمّر في الهدى # و أرى منك طويلة الأذيال

حيل ابن آدم في الأمور كثيرة # و الموت يقطع حيلة المحتال

قست السؤال فكان أعظم قيمة # من كلّ عارفة جرت بسؤال

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا # فابذله للمتكرّم المفضل

/و إذا خشيت تعذّرا في بلدة # فاشدد يدك بعاجل التّرحال

و اصبر على غير الزّمان فإّما # فرج الشّدائد مثل حلّ عقال

ثم قال للرجل: هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك! إنني لم أردد عليك ما قلت، و لكنّ الزهد مذهب أبي العتاهية، و شعره في المديح ليس كشعره في الزهد.

فقال: أ فليس الذي يقول في المديح:

[1] كذا في جميع النسخ و «الديوان» ، و هي رواية جيدة و فيها

المطابقة بين العدم و الغنى. و مع هذا فمن المحتمل أن يكون «يستسقي»

؛ قال أبو طالب: و أبيض يستسقي الغمام بوجهه # ثمال اليتامى عصمة
للأرامل

[2]أهل العالية يقولون: برأت من المرض أبرأ برءا و بروءا. و أهل
الحجاز يقولون: برأت من المرض برءا بالفتح. و سائر العرب يقولون: برئت
من المرض. و برؤ برءا من باب قرب لغة. (انظر «اللسان» مادة برأ و
«المصباح المنير») .

[3]في ب، س، ح: «عند» و هو تحريف. -

و هارون ماء المزن يشفى به الصّدى [1] # إذا ما الصّدي بالزّيق غصّت حناجره

و أوسط بيت في قريش لبيته # و أوّل عزّ في قريش و آخره

و زحف له تحكي البروق سيوفه # و تحكي الرعود القاصفات حوافره

إذا حميت شمس الثّهار تضاحكت # إلى الشّمس فيه بيضه [2] و مغافره

إذا نكب الإسلام يوما بنكبة # فهارون من بين البريّة ثأثره

و من ذا يفوت الموت و الموت مدرك # كذا لم يفوت هارون صدّ ينافره

قال: فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له: القول كما قلت،
و ما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين، و كتبهما عنه.

قال أبو نواس لست أشعر الناس و هو حي:

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ
المنجّم قال حدّثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عبّاد قال: حضرت
أبا نواس في مجلس و أنشد شعرا. فقال له من حضر في المجلس: أنت
أشعر الناس. قال: أمّا و الشيخ حيّ فلا. (يعني أبا العتاهية).

أنشد لثمامة شعره في ذم البخاري فاعترض على بخاري فأجابه:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني
الحسين بن أبي السّريّ قال: / قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه # تملكه المال الذي هو مالكة

ألا إنّما مالي الذي أنا منفق # و ليس لي المال الذي أنا تاركة

إذا كنت ذا مال فبادر به الذي # يحقّ و إلاّ استهلكته مهالكه

فقلت له: من أين قضيت بهذا؟ فقال: من قول رسول الله صلّى الله
عليه و سلّم: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو
تصدّقت فأمضيت». فقلت له: أتؤمن بأنّ هذا قول رسول الله صلّى الله
عليه و سلّم و أنه الحقّ؟ قال نعم. قلت: فلم تحبس عندك سبعا/ و عشرين
بدره [3] في دارك، و لا تأكل منها و لا تشرب و لا تزكّي و لا تقدّمها ذخرا
ليوم فقرك و فافتك؟ فقال: يا أبا معن، و الله إنّ ما قلت لهو الحقّ، و لكنّي
أخاف الفقر و الحاجة إلى الناس. فقلت: و بم تزيد حال من افتقر على
حالك و أنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم إلا
من عيد إلى عيد؟! فترك جواب كلامي كله، ثم قال لي: و الله لقد اشتريت

في يوم عاشوراء لحما و توابعه و ما يتبعه بخمسة دراهم. فلما [1]الصدى:
العطش.

[2]البيض (بفتح الباء) : جمع بيضة و هي الخوذة تصنع من الحديد
ليتقي بها في الحرب. و المغافر: جمع مغفر، و هو زرد ينسج من الدروع
على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، و قيل فيه غير ذلك.
[3]البدره: عشرة آلاف درهم.

قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه و معاتبته، فأمسكت عنه و علمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام.

بخله، و نوادر مختلفة في ذلك:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ: حدّثني ثمامة قال: دخلت يوما إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزا بلا شيء. فقلت: كأنك رأيتَه يأكل خبزا وحده؛ قال: لا! و لكنّي رأيتَه يتأدّم بلا شيء. فقلت: و كيف ذلك؟ فقال: رأيت قدّامه خبزا يابساً من رقاق فطير و قدحا فيه لبن حليب، فكان يأخذ/القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن و يخرجها و لم تتعلّق منه بقليل و لا كثير؛ فقلت له: كأنك اشتهيت أن تتأدّم بلا شيء، و ما رأيت أحدا قبلك تأدّم بلا شيء.

قال الجاحظ: و زعم لي بعض أصحابنا قال: دخلت على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات، و قد دعا عيّاشا صاحب الجسر و تهيّأ له بطعام، و قال لغلامه: إذا وضعت قدّامهم الغداء فقدّم إليّ ثريدة [1] بخلّ و زيت. فدخلت عليه، و إذا هو يأكل منها أكل متكّمش [2] غير منكر لشيء. فدعاني فمددت يدي معه، فإذا بثريدة بخلّ و بزر بدلا من الرّيت. فقلت له: أ تدري ما تأكل؟ قال: نعم ثريدة بخلّ و بزر. فقلت: و ما دعاك إلى هذا؟ قال: غلط الغلام بين دبة [3] الزيت و دبة البزر؛ فلمّا جاءني كرهت التجرّب و قلت: دهن كدهن، فأكلت و ما أنكرت شيئا.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطية الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخزيميّ، و كان جار أبي العتاهية، قال: كان لأبي العتاهية جار يلتقط التّوى ضعيف سيّئ الحال متجمّل [4] عليه ثياب فكان يمرّ بأبي العتاهية طرفي النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللهم أغنه عمّا هو بسبيله، شيخ ضعيف سيّئ الحال عليه ثياب متجمّل، اللهم أغنه، اصنع له، بارك فيه. فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة. و والله [5] إن تصدّق عليه بدرهم و لا دانق قط، و ما زاد على الدعاء شيئا. فقلت له يوما: يا أبا إسحاق إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ و تزعم أنه فقير مقلّ، فلم لا تصدّق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعناد الصّدقة، و الصّدقة آخر [6] كسب العبد، و إنّ في الدعاء لخييراً كثيراً.

/قال محمد بن عيسى الخزيميّ هذا: و كان لأبي العتاهية خادم أسود طويل كأنه محراك أتون، و كان يجري عليه في كل يوم رغيفين. فجاءني

الخدم يومًا فقال لي: و اللّٰه ما أشيع. فقلت: و كيف ذاك؟ قال: لأنّي ما أفتر من الكدّ و هو يجري عليّ رغيفين بغير إدام. فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدني رغيفًا فتؤجر! فوعدته بذلك. فلما جلست معه مرّ بنا الخادم فكرهت إعلامه أنّه شكّا إليّ ذلك، فقلت له: يا أبا إسحاق، كم تجري على هذا الخادم في كلّ [1] في ب، س: «ثردة» و الثردة (بالضم) : الاسم من ثرد الخبز أي فته ثم بله بمرق.

[2] تكمش الرجل: أسرع.

[3] الدبة: الوعاء للبزر و الزيت.

[4] المتجمل: الفقير الذي لم يظهر على نفسه المسكنة و الذل.

[5] في أ، ح، ء: «لا و اللّٰه» .

[6] أي أرذله و أدنؤه. و يجوز مد الألف.

يوم؟ قال/رغيفين. فقلت له: لا يكفيانه. قال: من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، و كلٌّ من أعطى نفسه شهوتها هلك، و هذا خادم يدخل إلى حرمي و بناتي، فإن لم أعوِّده القناعة و الاقتصاد أهلكني و أهلك عيالي و مالي. فمات الخادم بعد ذلك فكفنه في إزار و فراش له خلق. فقلت له: سبحان الله! خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق، تكفنه في خلق، و إنما يكفيك له كفن بدينار! فقال: إنه يصير إلى البلى، و الحيّ أولى بالجديد من الميت.

فقلت له: يرحمك الله أبا إسحاق! فلقد عوِّدته الاقتصاد حيًّا و ميتًا.

قال محمد بن عيسى هذا: وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين [1]الظرفاء و جماعة من جيرانه حوله، فسأله من بين الجيران؛ فقال: صنع الله لك! فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية، فأعاد عليه ثالثة فرِدَّ عليه مثل ذلك، فغضب و قال له: أ لست القائل: كلُّ حيٍّ عند ميتته # حظُّه من ماله الكفن

ثم قال: فبالله عليك أ تريد أن تعدّ مالك كله لثمن كفنك؟ قال لا. قال: فبالله كم قدّرت لكفنك؟ قال: خمسة دنانير. قال: فهي إذا حظُّك من مالك/كله. قال نعم. قال: فتصدّق عليّ من غير حظِّك بدرهم واحد. قال: لو تصدّقت عليك لكان حظي. قال: فأعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير و ضيعة [2]قيراط، و ادفع إليّ قيراطاً واحداً، و إلا فواحدة أخرى [3]. قال: و ما هي؟ قال: القبور تحفر بثلاثة دراهم، فأعطني درهما و أقيم لك كفيلاً بأبي أحفر لك قبرك به متى متّ، و تريح درهمين لم يكونا في حسابك، فإن لم أحتفر رددته عليّ و رثتك أو رده كفيلي عليهم. فخرج أبو العتاهية و قال: أعزب لعنك الله و غضب عليك! فضحك جميع من حضر. و مرّ السائل يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا و أمثاله حرّمت الصدقة. فقلنا له: و من حرّمها و متى حرّمت! فما رأينا أحدا ادّعى أنّ الصدقة حرّمت قبله و لا بعده.

قال محمد بن عيسى هذا: و قلت لأبي العتاهية: أ تزكّي مالك؟ فقال: و الله ما أنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي. فقلت: سبحان الله! إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء و المساكين. فقال: لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم.

سئل عن أحكم شعره فأجاب:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الزبير بن بكار قال: قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية: أيّ شعر قلته أحكم؟ قال قولي: علمت يا مجاشع بن مسعدة # أنّ الشّباب و الفراغ و الجدّه

مفسدة للمرء أيّ مفسدة

عاب عمرو بن مسعدة على عدم قضاء حاجته بعد موت أخيه:
أخبرني عيسى قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزيرة قال:
[1]العيار: الكثير الطواف و الذي يتردّد بلا عمل.
[2]الوضيعة: الحطيطة.
[3]في ب، س: «فواحدا آخر قال و ما ذلك» .

كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة صديقا لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلها و يخلص موذته، فمات، و عرضت لأبي العتاهية حاجة إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العتاهية: غنيت عن العهد القديم غنيتا # و ضيعت ودًا بيننا و نسينا

و من عجب الأيام أن مات مألفي # و من كنت تغشاني به و بقيتا

/فقال عمرو: استطال أبو إسحاق أعمارنا و توعّدنا، ما بعد هذا خير، ثم قضى حاجته.

فارق أبا غزية في المدينة و أنشده شعرا:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا أبو غزيرة قال: كان أبو العتاهية إذا قدم من [1]المدينة يجلس إليّ؛ فأراد مرّة الخروج من المدينة فودّعني ثم قال: إن نعش نجتمع و إلا فما أشد # غل من مات عن جميع الأنام

طالبه غلام من التجار بمال فقال فيه شعرا أخجله:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العذريّ قال: كان لبعض التجار من أهل باب الطاق [2]على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه. فمرّ به يوما، فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه حسن الوجه: أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه مالنا [3]عنده؛ فأدركه على رأس الجسر، /فأخذ بعنان حماره و وقفه [4]. فقال له: ما حاجتك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لأخذ ماله عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ و كان كلّ من مرّ فرأى الغلام متعلّقا به و وقف ينظر، حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس و حفلهم، ثم أنشأ يقول: و الله ربك إني # لأجلّ وجهك عن فعالك

لو كان فعلك مثل وجـ # هك كنت مكنتيا بذلك

فخجل الغلام و أرسل عنان الحمار، و رجع إلى صاحبه، و قال: بعثتني إلى شيطان جمع عليّ الناس و قال فيّ الشعر حتى أخجلني فهربت منه.

حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال فيه شعرا:

أخبرني أحمد بن العباس قال حدّثنا العنزّي قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التيميّ: حدّثني إبراهيم بن حكيم قال: [1]كذا في جميع النسخ. و السياق يقتضي حذف «من» كما هو ظاهر.

[2]باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقيّ تعرف بطاق
أسماء.

[3]في س، ب: «ما كان عنده» .

[4]حكى عن بعضهم أنه قال: ما يمسك باليد يقال فيه: أوقفت
(بالألف) ، و ما لا يمسك باليد يقال فيه: وقفت (بغير ألف) . و الفصيح
وقفت بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك: ما أوقفك هاهنا؟ و أنت تريد:
أيّ شأن حملك على الوقوف. (انظر «المصباح المنير» مادة وقف) .

كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لود كان بينه و بين أخيه مجاشع. فاستأذن عليه يوما فحجب عنه، فلزم منزله. فاستبطاه عمرو؛ فكتب إليه: إِنَّ الكسل يمنعني من لقائك؛ و كتب في أسفل رقعته: كسلني اليأس منك عنك فما # أرفع طرفي إليك من كسل

إني إذا لم يكن أخي ثقة # قطعت منه حبال الأمل

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد التّحويّ قال: استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه؛ فكتب إليه: / مالك قد حلت عن إخائك و اسد # تبدلت يا عمرو شيمة كدره

إني إذا الباب تاه حاجبه # لم يك عندي في هجره نظره

لستم ترجّون للحساب و لا # يوم تكون السماء منفطره

لكن لدنيا كالظلم بهجتها # سريعة الانقضاء منشمره

قد كان وجهي لديك معرفة # فالיום أضى حرفا من التّكره

قصيدته في هجو عبد الله بن معن و ما كان بينهما:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثنا أبو بكر عكرمة قال: كان الرّشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية: أخت بني شيبان مرّت بنا # ممشوطة كورا [1] على بغل

/و أوّل هذه الأبيات:

يا صاحبي رحلي لا تكثرا # في شتم عبد الله من عدل

سبحان من خصّ ابن معن بما # أرى به من قلّة العقل

قال ابن معن وجلا نفسه # على من الجلوة يا أهلي

أنا فتاة الحيّ من وائل # في الشّرف الشّامخ و التّبل

ما في بني شيبان أهل الحجا # جارية واحدة مثلي

ويلي و يا لهفي على أمرد # يلصق منّي القرط بالحجل [2]

صافحته يوما على خلوة # فقال دع كفي و خذ رحلي

أخت بني شيبان مرّت بنا # ممشوطة كورا على بغل

تكنى أبا الفضل و يا من رأى # جارية تكنى أبا الفضل

/قد نطقت في وجهها نقطة # مخافة العين من الكحل

[1]الكور: الرجل.

[2]الحجل (بفتح الحاء و كسرهما) : الخلخال.

إن زرتموها قال حجّابها # نحن عن الرّؤار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها # بعل و لا إذن على البعل
يا بنت معن الخير لا تجهلي # و أين إقصار عن الجهل
أتجلد الناس و أنت امرؤ # تجلد في الدّبر و في القبل
ما ينبغي للنّاس أن ينسبوا # من كان ذا جود إلى البخل
يبذل ما يمنع أهل الندى # هذا لعمرى منتهى البذل
ما قلت هذا فيك إلّا و قد # جفّت به الأفلام من قبلي

قال: فبعث إليه عبد الله بن معن، فأتي به؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه و قال له: قد جزيتك على قولك فيّ، فهل لك في الصّلح و معه مركب و عشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب؟ قال: بل الصّلح. قال: فأسمعي ما تقوله في الصّلح؛ فقال: ما لعدّالي و ما لي # أمروني بالصّلال

عدلوني في اغتفاري # لابن معن و احتمالي
إن يكن ما كان منه # فبجرمي و فعالي
أنا منه كنت أسوا # عشرة في كلّ حال
قل لمن يعجب من حسد # ن رجوعي و مقالي
ربّ وّد بعد صدّ # و هوى بعد تقالي [1]
قد رأينا ذا كثيرا # جاريا بين الرّجال
إنما كانت يميني # لطمت منّي شمالي

حب سعدى التي كان يحبها ابن معن ثم هجاها:

/حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال حدّثنا أبو سويد عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية و محمد بن سعد قال [2]: كان أبو العتاهية يهوى في/حدثته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن و جمال يقال لها سعدى؛ و كان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يهواها أيضا، و كانت مولاة لهم، ثم اتّهمها أبو العتاهية بالنّساء، فقال فيها: ألا يا زوات السّحق في الغرب و الشّرق # أفقن فإنّ النّيك أشقى من السّحق

أفقن فإنّ الخبز بالأدم يشتهي # و ليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق

[1]التقالي: التباغض.

[2] في جميع النسخ: «قال» بالإفراد.

أراكَن ترقعن الخروق بمثلها # و أيّ لبيب يرقع الخرق بالخرق

و هل يصلح المهراس[1] إلا بعوده # إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدَّقِّ

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال:
تهدّد عبد الله بن معن أبا العتاهية و خوّفه و نهاه أن يعرض لمولاته سعدى؛
فقال أبو العتاهية: ألا قل لابن معن ذا الـ # ذي في الودّ قد حالا

لقد بلّغت ما قال # فما باليت ما قالا

و لو كان من الأسد # لما صال و لا هالا

فصغ ما كنت حلّيت # به سيفك خلخالا

و ما تصنع بالسيف # إذا لم تك فتّالا

و لو مدّ إلى أذني # ه كفيّه لما نالا

قصير الطّول و الطّيل # [2] لا شبّ و لا طالا

أرى قومك أبطالا # و قد أصبحت بطّالا

ضربه عبد الله بن معن فهجاه:

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سليمان
المدائنيّ قال: احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أخذ في مكان
فضربه مائة سوط ضربا ليس بالمبرّح غيظا عليه، و إنما لم يعنف في ضربه
خوفا من كثرة من يعنى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوّه: جلدتني بكفّها # بنت
معن بن زائده

جلدتني فأوجعت # بأبي تلك جالده

و تراها مع الخصد # يّ على الباب قاعدة

تتكئى كنى الرجا # ل بعمد مكايده

جلدتني و بالغت # مائة غير واحده

اجلديني و اجلدي # إنّما أنت والده

و قال أيضا:

ضربتني بكفّها بنت معن # أوجعت كفّها و ما أوجعتني

و لعمرى لو لا أذى كفّها إذ # ضربتني بالسّوط ما تركتني

[1]المهراس: الهاون.

[2]الطيلة هنا: العمر.

توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه:

قال الصَّوْلِيُّ: حَدَّثَنَا عُون بن محمد و محمد بن موسى قالوا:

لَمَّا اتَّصَلَ هَجَاءُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ/بَعِيدِ اللَّهِ بن معن و كثر، غَضِبَ أَخُوهُ يَزِيدُ بن معن من ذلك و تَوَعَّدُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ؛ فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا: بَنَى مَعْنُ و يَهْدِمُهُ يَزِيدُ # كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ

فمعن كان للحسَّاد غمًّا # و هذا قد يسرُّ به الحسود

يزيد يزيد في منع و بخل # و ينقص في العطاء و لا يزيد

مصالحته أولاد معن:

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَبَلَةُ بن محمد قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: مَضَى بنو معن إلى مندل و حِيَّان ابني عَلِيِّ العنزيين الفقيهين- و هما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عنزة، و كانا من سادات أهل الكوفة-فقالوا لهما: نحن بيت واحد و أهل، و لا فرق بيننا، و قد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه. فأحضرنا أبا العتاهية، و لم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه و بين عبد الله و يزيد ابني معن، و ضمنا عنه خلوص النيَّة، و عنهما ألا يتبعاه بسوء، و كانا ممَّن لا يمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودَّة و الصِّفاء. فجعل الناس يعدلون أبا العتاهية على ما فرط منه، و لامه آخرون في صلحه لهما؛ فقال: ما لعذالي و ما لي # أمروني بالصلال

و قد كتبت متقدِّمة.

رثاؤه زائدة بن معن:

حَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن موسى قَالَ:

كان زائدة بن معن صديقا لأبي العتاهية و لم يعن إخوته عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يرثيه: حزنت لموت زائدة بن معن # حقيق أن يطول عليه حزني

فتى الفتیان زائدة المصقَّى # أبو العباس كان أخي و خندي

فتى قوم و أيّ فتى توارت # به الأكفان تحت ثرى و لبني [1]

ألا يا قبر زائدة بن معن # دعوتك كي تجيب فلم تجبني

سل الأيَّام عن أركان قومي # أصبن بهنّ ركنا بعد ركن

كان عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه:

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثنا الحسن بن عليِّ الرازيِّ القارئ قال حدَّثني أحمد بن أبي فنن قال: [1]اللبن (بكسر فسكون لغة في اللبن ككتف، و يقال فيه: اللبن بكسرتين مثل إبل) : المضروب من الطين مربعا للبناء.

كنا عند ابن الأعرابي، فذكروا قول ابن نوفل في عبد الملك بن عمير:
إذا ذات دل كلمته لحاجة # فهمم بأن يقضي تنحنح أو سعل

و أن عبد الملك قال: تركني و الله و إن السعلة لتعرض لي في الخلاء
فأذكر قوله فأهاب أن أسعل. قال: فقلت لابن الأعرابي: فهذا أبو العتاهية
قال في عبد الله بن معن بن زائدة: فصغ ما كنت حليت # به سيفك خلخالاً

و ما تصنع بالسيف # إذا لم تك فتالاً

فقال عبد الله بن معن: ما لبست سيفي قطّ فرأيت إنساناً يلمحني إلا
ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية في، فلذلك يتأملني فأخجل. فقال ابن
الأعرابي: اعجبوا لعبد يهجو مولاه. قال: و كان ابن الأعرابي مولى بني
شيبان.

ناظر مسلم بن الوليد في قول الشعر:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: /حدّثني علي بن مهديّ قال
حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال: اجتمع أبو العتاهية و مسلم بن الوليد
الأنصاريّ في بعض المجالس، فجرى بينهما كلام؛ فقال له مسلم: و الله لو
كنت أَرْضَى أن أقول مثل قولك: الحمد و النعمة لك # و الملك لا شريك لك

لبيك إن الملك لك

/لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، و لكنّي أقول: موف على مهج في
يوم ذي رهج [1] # كأته أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرّفق ما يعيا الرجال به # كالموت مستعجلاً يأتي على مهل

يكسو السيوف نفوس الناكثين به # و يجعل الهام تيجان القنا الدّبل

لله من هاشم في أرضه جبل # و أنت و ابنك ركننا ذلك الجبل

فقال له أبو العتاهية: قل مثل قولتي:

الحمد و النّعمة لك

أقل مثل قولك:

كأته أجل يسعى إلى أمل

تقارض هو و بشار الثناء على شعريهما:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق قال:

[1] في يوم ذي رهج: أي في يوم ذي غبار من الحرب. و في «ديوان مسلم»

(طبع مدينة ليدن ص 9) : موف على مهج و اليوم ذو رهج

قال بشار لأبي العتاهية: أنا و الله أستحسن اعتذارك من دمك حيث تقول: كم من صديق لي أسا # رقه البكاء من الحياء

فإذا تأمل لامني # فأقول ما بي من بكاء

لكن ذهبت لأرتدي # فطرفت عيني بالرداء

فقال له أبو العتاهية: لا و الله يا أبا معاذ، ما لذت إلا بمعناك و لا اجتنيت إلا من غرسك حيث تقول:

صوت

شكوت إلى الغواني ما ألقى # و قلت لهنّ ما يومي بعيد

فقلن بكيت قلت لهنّ كلاً # و قد يبكي من الشوق الجليد

و لكنّي أصاب سواد عيني # عويد قدى له طرف حديد

فقلن فما لدمعها سواء # أكلنا مقلتيك أصاب عود

لإبراهيم الموصليّ في هذه الأبيات لحن من التّقليل الأوّل بالوسطى مطلق.

شكا إليه محمد بن الفضل الهاشميّ جفاء السلطان فقال شعرا:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن هارون الأزرقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابن لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال: جاء أبو العتاهية إلى أبي فتح حدّثا ساعة، و جعل أبي يشكو إليه تخلف الصنعة [1] و جفاء السلطان. فقال لي أبو العتاهية: اكتب: كلّ على الدّنيا له حرص # و الحادثات أناتها غفص [2]

و كأنّ من واروه في جدث # لم يبد منه لناظر شخص

تبغي من الدنيا زيادتها # و زيادة الدنيا هي التّقص

ليد المنيّة في تلطّفها # عن دخر كلّ شفيقة فحص

حبسه الرشيد ثم عفا عنه و أجازة:

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ [3] عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مخارق/قال: لمّا تنسك [4] أبو العتاهية و لبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعرا في الغزل، فامتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصا،

و حلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا/في الغزل. فلمّا رفعت المقارع
عنه قال أبو العتاهية: كلّ [1] كذا في الأصول. و لعلها: «الصنعة» .

[2] الغفص: الختل.

[3] في جميع النسخ: «الشامي» و هو تحريف.

[4] في ح: «تقرأ» و معناه: تنسك. -

مملوك له حرّ و امرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله. فكان الرشيد تحرّج مما فعله، فأمر أن يحبس في دار و يوسّع عليه، و لا يمنع من دخول من يريد إليه. قال مخارق: و كانت الحال بينه و بين إبراهيم الموصلي لطيفة، فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرّف خيره. فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهرا[1] و دواة، فيكتب إليّ ما يريد، و أكلمه. فمكث هكذا سنة. و اتفق أنّ إبراهيم الموصلي صنع صوته:

صوت

أعرفت دار الحيّ بالحجر # فشدوربان فقنّه العمر[2]

و هجرتنا و ألفت رسم بلى # و الرسم كان أحقّ بالهجر

-لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى. و فيه لإسحاق رمل بالوسطى-قال مخارق: فقال لي إبراهيم: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت. فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه، فغنيته إياه. فكتب إليّ بعد أن غنيته: هذا اليوم تنقضي فيه يميني، فأحبّ أن تقيم عندي إلى الليل؛ فأقمت عنده نهاري كله، حتى إذا أذن الناس المغرب كلمني، فقال: يا مخارق. قلت: لبيك. قال: قل لصاحبك: يا ابن الزانية! أما و الله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غدا! قال مخارق: فكنيت أوّل من أفطر على كلامه؛ فقلت: دعني من هذا، هل قلت شيئاً للتخلص من هذا الموضوع؟ فقال: نعم، قد قلت في امرأتي شعرا. قلت: هاته؛ فأنشدني:

صوت

من لقلب متيم مشتاق # شقه شوقه و طول الفراق

طال شوقي إلى قعيدة بيتي # ليت شعري فهل لنا من تلاقي

هي حظّي قد اقتصرت عليها # من ذوات العقود و الأطواق

جمع الله عاجلا بك شملي # عن قريب و فكّني من وثاقي

قال: فكتبتها و صرت بها إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لحنًا، و دخل بها على الرشيد؛ فكان أوّل صوت غناه إياه في ذلك المجلس؛ و سأله: لمن الشعر و الغناء؟ فقال إبراهيم: أمّا الغناء فلي، و أمّا الشعر فلاسيرك أبي العتاهية.

فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم قد كان ذلك. فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصا، فأمر له بستين ألف درهم و

خلع عليه و أطلقه.

غضب عليه الرشيد و ترصّاه له الفضل:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا الحسين بن أبي السّريّ قال: قال لي الفضل بن العباس: وجد الرشيد و هو بالرّقة على/أبي العتاهية و هو بمدينة السّلام، فكان أبو العتاهية [1]لعله يريد بالظهر هنا الريش الذي يظهر من ريش الطائر و جمعه ظهار كعرق و عراق. و يظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام.

[2]القنة: ذروة الجبل و أعلاه. و الغمر: جبل بحذاء توّز. و توز: من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة. أما «شدوربان» فلم نهتد إليه.

يرجو أن يتكلّم الفضل بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية: أ جفوتني فيمن جفاني # و جعلت شأنك غير شأني

و لطلما أمّنتني # ممّا أرى كلّ الأمان

حتّى إذا انقلب الرّما # ن عليّ صرت مع الزمان

فكلّم الفضل فيه الرشيد فرضي عنه. و أرسل إليه الفضل يأمره بالشخوص. و يذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه؛ فشخص إليه. فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه: /

قد دعوانه نائيا فوجدنا # ه على نأيه قريبا سميعا

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى.

كان يزيد بن منصور يحبه و يقربه فرثاه عند صوته:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال: كان يزيد بن منصور خال المهديّ يتعصب لأبي العتاهية؛ لأنه كان يمدح اليمانية أحوال المهديّ في شعره؛ فمن ذلك قوله:

صوت

سقيت الغيث يا قصر السّلام # فنعّم محلّة الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نورا # و حقّك بالملائكة الكرام

سأشكر نعمة المهديّ حتّى # تدور عليّ دائرة الحمام

له بيتان بيت تبّعني # و بيت حلّ بالبلد الحرام

قال: و كان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدّعي أنه مولى لليمن و ينتفي من عنزة؛ فلمّا مات يزيد رجع إلى ولاءه الأوّل. فحدّثني الفضل بن العباس قال: قلت له: أ لم تكن تزعم أنّ ولاءك لليمن؟ قال: ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن، و ما في واحد ممّن انتميت إليه خير، و لكنّ الحقّ أحقّ أن يتبع. و كان ادّعى ولاء اللّخميّين. قال: و كان يزيد بن منصور من أكرم النّاس و أحفظهم لحرمة، و أرعاهم لعهد، و كان بارًا بأبي العتاهية، كثيرا فضله عليه؛ و كان أبو العتاهية منه في منعة و حصن حصين مع كثرة ما يدفعه إليه و يمنعه من المكاره. فلمّا مات قال أبو العتاهية يرثيه: /

أنعى يزيد بن منصور إلى البشر # أنعى يزيد لأهل البدو و الحضرة

يا ساكن الحفرة المهجور ساكنها # بعد المقاصر و الأبواب و الحجر
وجدت فقدك في مالي و في نشبي # وجدت فقدك في شعري و في بشري[1]
فلمست أدري جزاك الله صالحة # أ منظري اليوم أسوأ فيك أم خبري
[1] في «ديوانه» : «شعري (بكسر الشين) و في نثري» .

استحسن شعره بشار و قد اجتمعا عند المهدي:

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدّثني أبي قال: حدّثت أنّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً، فأذن لهم و فيهم بشار و أشجع، و كان أشجع يأخذ عن بشار /و يعظّمه، و غير هذين، و كان في القوم أبو العتاهية. قال أشجع: فلمّا سمع بشار كلامه قال: يا أخا سليم، أ هذا ذلك الكوفيّ الملقّب؟ قلت نعم. قال: لا جزى الله خيراً من جمعنا معه. ثم قال له المهديّ: أنشد؛ فقال: ويحك! أو يبدأ فيستنشد أيضا قبلنا؟! فقلت: قد ترى. فأنشد: ألا ما لسيدتي ما لها # أدلاً فأحمل إدلالها

و إلاّ ففيم تجنّت و ما # جنيت سقى الله أطلالها

ألا إنّ جارية للإما # م قد أسكن الحبّ سربالها

مشيت بين حور قصار الخطا # تجاذب في المشي أكفالها

و قد أتعب الله نفسي بها # و أتعب باللوم عدّالها

قال أشجع: فقال لي بشار: ويحك يا أخا سليم! ما أدري من أيّ أمره أعجب: أ من ضعف شعره، أم من تشبيهه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله: أتته الخلافة منقادة # إليه تجرّ أذيالها

و لم تك تصلح إلاّ له # و لم يك يصلح إلاّ لها

/و لو رامها أحد غيره # لزلزلت الأرض زلزالها

و لو لم تطعه بنات القلوب [1] # لما قبل الله أعمالها

و إنّ الخليفة من بغض لا # إليه ليغض من قالها

قال أشجع: فقال لي بشار و قد اهترّ طربا: ويحك يا أخا سليم! أ ترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا لما يأتي به هذا الكوفيّ؟

شنع عليه منصور بن عمار و رماه بالزندقة:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني العباس بن ميمون قال حدّثني رجاء بن سلمة قال: سمعت أبا العتاهية يقول: قرأت البارحة (**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**) ، ثم قلت قصيدة أحسن منها. قال: و قد قيل: إنّ منصور بن عمّار شنع عليه بهذا.

قال يحيى بن عليّ حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أبو عمر القرشيّ قال: لمّا قصّ منصور بن عمّار على الناس مجلس البعوضة [2] قال أبو العتاهية: إنّما سرق منصور هذا الكلام من [1] بنات القلوب: النيات.

[2] يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها و صفتها و ما أودعه الله فيها من الأسرار، فأطلق المكان- وهو المجلس- و أراد ما

رجل كوفيّ. فبلغ قوله منصورا فقال: أبو العتاهية زنديق، أ ما ترونه لا يذكر في شعره الجنة و لا النار، و إنما يذكر الموت فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه: يا واعظ الناس قد أصبحت متّهما # إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

كالملبس الثوب من عري و عورته # للناس بادية ما إن يواربها
/ فأعظم الإثم بعد الشُّرك نعلمه # في كلِّ نفس عماها عن مساوئها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها # منهم و لا تبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلاّ أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره و قال: يغفر الله لك أبا السريّ ما كنت رميتني به.

وشى به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره و تركه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النسائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه، فرأته ليلة يقنت، فروت عنه أنه يكلم القمر، و اتّصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة، / فصار إلى منزلها و بات و أشرف على أبي العتاهية و رآه يصلي، و لم يزل يرقبه حتى قنت و انصرف إلى مضجعه، و انصرف حمدويه خاسئا.

قال شعرا يدل على توحيدِه ليتناقله الناس:

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد التوشجانيّ قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعم الناس أنّي زنديق، و الله ما ديني إلى التوحيد. فقلنا له: فقل شيئا تتحدّث به عنك؛ فقال: ألاّ إنّنا كلنا بئد # و أيّ بني آدم خالد

و بدوهم كان من ربّهم # و كلّ إلى ربّه عائد

فيا عجا كيف يعصى الإل # ه أم كيف يجده الجاحد

و في كلّ شيء له آية # تدلّ على أنه واحد

أرجوزته المشهورة و قوّة شعرها:

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال:

تذاكروا يوما شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سمّاها «ذات الأمثال» ؛ فأخذ بعض من حضر

ينشدها حتى أتى على قوله: يا للشباب المرح التّصابي # روائح الجنّة في
الشّباب

() يقع فيه. و هذا المجاز كثير الاستعمال. و قد تكلم الإمام الغزالي في
«الإحياء» في باب المحبة على البعوضة (راجع ج 4 ص 247 طبع المطبعة
الميمية بمصر سنة 1306 هـ) و تكلم عليها الدميري أيضا في «حياة
الحيوان» (راجع ج 1 ص 159-166 طبع بولاق) .

فقال الجاحظ للمنشد: قف، ثم قال: انظروا إلى قوله:

روائح الجنّة في الشّباب

فإنّ له معنى كمعنى الطّرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، و تعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل و إدامة التفكير. و خير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه. و هذه الأرجوزة من بدائع أبي العنّاهية، و يقال: إن [له] [1] فيها أربعة آلاف مثل. منها قوله: حسبك ممّا تبتغيه القوت # ما أكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا # من اتقى الله رجا و خافا
هي المقادير فلمني أو فذر # إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر
لكلّ ما يؤذي و إن قلّ ألم # ما أطول اللّيل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله # و خير ذخر المرء حسن فعله
إنّ الفساد ضدّه الصّلاح # و ربّ جدّ جرّه المزاج
من جعل الثّمام عينا هلكا # مبلغك الشّرّ كباغيه لكا
إنّ الشّباب و الفراغ و الجده # مفسدة للمرء أيّ مفسدة
/ يغنيك عن كلّ قبيح تركه # يرتهن الرأي الأصيل شكّه
ما عيش من آفته بقاؤه # نعّص عيشا كلّ فئاؤه [2]
يا ربّ من أسخطنا بجهده # قد سرّنا الله بغير حمده
ما تطلع الشمس و لا تغيب # إلّا لأمر شأنه عجيب
لكلّ شيء معدن و جوهر # و أوسط و أصغر و أكبر
/ من لك بالمحض و كلّ ممتزج # وساوس في الصّدر منه تعتلج
و كلّ شيء لاحق بجوهره # أصغره متّصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى # ممزوجة الصّفو بألوان القذى
الخير و الشّرّ بها أزواج # لذا نتاج و لذا نتاج
من لك بالمحض و ليس محض # يخبث بعض و يطيب بعض
لكلّ إنسان طبيعتان # خير و شرّ و هما ضدّان
إنّك لو تستنشق الشّحيجا # وجدته أنتن شيء ريحا
و الخير و الشّرّ إذا ما عدّا # بينهما بون بعيد جدّا

[1] الزيادة عن أ، م.

[2] في «ديوانه» ص 348: «... عيشا طيبا فناؤه» .

عجبت حتى غمّني السكوت # صرت كأني حائر مبهوت
 كذا قضى الله فكيف أصنع # الصمت إن ضاق الكلام أوسع

و هي طويلة جدًّا، و إنما ذكرت هذا القدر منها حسب ما استاق الكلام من صفتها.

برمه بالناس و ذمهم في شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن روح بن الفرّج قال: شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه؛ فقال: انقش عليه: لعنة الله على الناس؛ و أنشد: /

برمت بالناس و أخلاقهم # فصرت أستأنس بالوحده
 ما أكثر الناس لعمري و ما # أقلهم في حاصل العده

مدح عمر بن العلاء فأجاره و فضله على الشعراء:

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك: أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهديّ كان ممّدحاً، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعض الشعراء و قال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! و أيّ شيء مقدار شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل و قال له: و الله إنّ الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه، و يتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشبّب بخمسين بيتاً، ثم يمدحنا ببعضها، و هذا كأنّ المعاني تجمع له، مدحني فقصر التشبيب، و قال: إني أمنت من الزمان و ريبه # لمّا علقت من الأمير حبّالا

لو يستطيع الناس من إجلاله # لحدوا له حرّ الوجوه نعالا

صوت

إنّ المطايا تشتكك لأثها # قطعت إليك سباسباً [1] و رمالا
 فإذا وردن بنا و رذن مخّفة [2] # و إذا رجعن بنا رجعن ثقالا

أخذ هذا المعنى من قول نصيب:

فعاوجوا فأتنوا بالذي أنت أهله # و لو سكتوا أثنت عليك الحقائق

رأى العتّابي فيه:

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن عون قال حدّثني محمد بن النضر كاتب غسان بن عبد الله قال: /أخرجت رسولاً إلى عبد الله بن طاهر و هو يريد مصر، فنزلت على العتّابي، و كان لي صديقا، فقال: أنشدني لشاعر

العراق-يعني أبا نواس، و كان قد مات-فأنشدته/ما كنت أحفظ من ملحه، و قلت له: ظننتك تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردت أبا العتاهية لقلت لك: أنشدني لأشعر الناس، و لم أقتصر على العراق.

[1]سباسب: جمع سبب، و هو الأرض القفر البعيدة.

[2]مخفة: قليلة الحمل. و في «ديوانه» (طبع بيروت) : «خائفًا» .

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سعدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون، و لو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح [1]: «يا صاحب المسح تتبع المسح؟» [2]. فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، أ لم تسمعه يقول: يا صاحب المسح تتبع المسح

قد قال شعرا و هو لا يعلم. ثم قال الرجل: «تعال إن كنت تريد الرّيح» [2]. فقال أبو العتاهية: و قد أجاز المصراع بمصراع آخر و هو لا يعلم، قال له: تعال إن كنت تريد الرّبحا

وصف الأصمعيّ شعره:

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير [3] أبو طاهر الحلبيّ قال حدّثنا يزيد الهاشميّ عن السّديّ قال: / سمعت الأصمعيّ يقول: شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر و الذهب و التراب و الخزف و التّوى.

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهدي:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال: لمّا حبس المهديّ أبا العتاهية، تكلم فيه يزيد بن منصور الحميريّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية: ما قلت في فضله شيئا لأمدحه # إلا و فضل يزيد فوق ما قلت

ما زلت من ريب دهري خائفا وجلا # فقد كفاني بعد الله ما خفت

قدرته على ارتجال الشعر:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال: جاءني أبو العتاهية و أنا في الديوان فجلس إليّ. فقلت: يا أبا إسحاق، أ ما يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مستكرهة؟ قال لا. فقلت [له] [4]: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السّهلة. قال: فاعرض عليّ ما شئت من القوافي الصعبة.

فقلت: قل أبياتا على مثل البلاغ. فقال من ساعته:

- [1]المسح: كساء من شعر كتوب الرهبان.
- [2]في الأصول: «المسحا» و «الربحا» بالألف، و هو نثر لا داعي فيه لألف الإطلاق.
- [3]في أ، ء، م: «ابن بشر» .
- [4]زيادة عن ح.

أيّ عيش يكون أبلغ من عيد # ش كفاف قوت بقدر البلاغ[1]
 صاحب البغي ليس يسلم منه # و على نفسه بغى كلّ باغي
 ربّ ذي نعمة تعرّض منها # حائل بينه و بين المساع
 أبلغ الدهر في مواعظه بل # زاد فيهنّ لي على الإبلاغ
 غبنتني الأيام عقلي و مالي # و شبابي و صحّتي و فراغي

/أخبرنا يحيى إجازة قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو عليّ
 اليقطيني قال حدّثني أبو خارجة بن مسلم قال:

كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره
 قال مسلم بن الوليد: كنت مستخفاً بشعر أبي العتاهية، فلقيني يوماً
 فسألني أن أصير إليه، فصرت إليه فجاءني بلون واحد فأكلناه، /و أحضرتني
 تمرًا فأكلناه، و جلسنا نتحدّث، و أنشدته أشعاراً لي في الغزل، و سألته أن
 ينشدني؛ فأنشدني قوله: بالله يا قرّة العينين زوريني # قبل الممات و إلاّ
 فاستزيريني

إني لأعجب من حبّ يقرّيني # ممن يباعدي منه و يقصيني[2]
 أمّا الكثير فما أرجوه منك و لو # أطمعتني في قليل كان يقفيني

ثم أنشدني أيضاً:

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنّه # على حرّه في صدر صاحبه حلو

صوت

أخلّاي بي شجو و ليس بكم شجو # و كلّ امرئ عن شجو صاحبه خلو
 و ما من محبّ نال ممن يحبه # هوى صادقاً إلاّ سيدخله زهو
 بليت و كان المرح بدء بليّتي # فأحببت حقاً و البلاء له بدو
 و علّقت من يزهو[3] علميّ تجبّراً # و إني في كلّ الخصال له كفو
 رأيت الهوى جمر الغضى غير أنّه # على كل حال عند صاحبه حلو

[1]البلاغ هنا: الكفاية.

[2]كذا في أ، ع، م. و في سائر النسخ: «و يعصيني» .

[3]يزهو: يترفع و يتكبر. و الفصيح: «يزهى» بالبناء للمجهول.

-الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، و له فيه أيضا خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و لعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه. و لعريب فيه خفيف ثقيل من كتاب ابن المعتزّ-قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

صوت

خليليّ ما لي لا تزال مضرتي # تكون على الأقدار حتما من الحتم
 يصاب فؤادي حين أرمي و رميتي # تعود إلى نحري و يسلم من أرمي
 صبرت و لا و الله ما بي جلادة # على الصبر لكثي صبرت على رغمي
 ألا في سبيل الله جسمي و قوّتي # ألا مسعد حتى أنوح على جسمي
 تعدّ عظامي واحدا بعد واحد # بمنحي[1] من العذال عظما على عظم
 كفاك بحقّ الله ما قد ظلمتني # فهذا مقام المستجير من الظلم

-الغناء لسياط في هذه الأبيات، و إيقاعه من خفيف الثّقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق-قال مسلم: فقلت له: لا و الله يا أبا إسحاق ما يبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشّعْر ما فاته من الدنيا! فقال: يا بن أخي، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإنّ الشّعْر أيضا من بعض مصايد الدنيا.

وفد مع الشعراء على الرشيد و مدحه فلم يجز غيره:
 أخبرنا يحيى إجازة قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال: اجتمعت الشعراء على باب الرشيد، فأذن لهم فدخلوا و أنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية: يا من تبغّي[2] زمنا صالحا # صلاح هارون صلاح الزمن

/كلّ لسان هو في ملكه # بالشكر في إحسانه مرتين

قال: فاهتزّ[3] له الرشيد، و قال له: أحسنت و الله! و ما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره.

قال شعرا في المشمر فرس الرشيد فأجازه:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عمران الصّبّيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال: أجرى هارون الرشيد الخيل، فجاءه فرس يقال له المشمّر سابقا، و كان الرشيد معجبا بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال: [1] في ب، س: «نحني» بتقديم الحاء على النون. و هو تحريف.

[2] تبغي: تطلب.

[3] في ب، س: «فأدهش له» .

جاء المشمّر و الأفراس يقدمها # هونا على رسله [1] و ما انبها
و خلّف الريح حسرى [2] و هي جاهدة # و مرّ يختطف الأبصار و النظرا
فأجزل صلته، و ما جسر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً.

رثاؤه صديقه علي بن ثابت:

أخبرني يحيى إجازة قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عقبة بن جعفر
قال: كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية و بينهما مجاوبات كثيرة في
الزهد و الحكمة، فتوقّي عليّ بن ثابت قبله، فقال يرثيه: مؤنس كان لي هلك
و السبيل التي سلك

يا عليّ بن ثابت # غفر الله لي و لك

كلّ حيّ مملّك # سوف يفنى و ما ملك

قال الفضل [3]: و حضر أبو العتاهية عليّ بن ثابت و هو يجود بنفسه،
فلم يزل ملتزمه حتى فاض [4]؛ فلما شدّ لحياه بكى طويلاً، ثم أنشد يقول:
يا شريك في الخير قرّبك اللّ # ه فنعم الشريك في الخير كنتا

قد لعمرى حكيت لي غصص المو # ت فحرّكتني لها و سكنتا

/قال: و لمّا دفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحزّ بكاء، و يرّدّ هذه
الآيات: ألا من لي بأنسك يا أخيّا # و من لي أن أثبّك ما لديّا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر # كذاك خطوبه نشزا و طيّا

فلو نشرت قواك لي المنايا # شكوت إليك ما صنعت إليّا

بكيّتك يا عليّ بدمع عيني # فما أغنى البكاء عليك [5] شيئاً

و كانت في حياتك لي عطات # و أنت اليوم أوعظ منك حيّا

اشتمال مرثيته في علي بن ثابت على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر:

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلّها أبو
العتاهية من كلام الفلاسفة لمّا حضروا تابوت الإسكندر، و قد أخرج الإسكندر
ليدفن: قال بعضهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم، و هو اليوم أوعظ منه
[1] على رسله: على تؤدته و هيئته، و مثله الهون (بالفتح) .

[2] حسرى: كالة معيبة.

[3] في ب، س: «أبو الفضل» و هو تحريف.

[4] في م: «فاظ» و كلاهما بمعنى مات.

[5] في أ، م، ء: «على» .

أمس. و قال آخر: سكنت حركة الملك في لذاته، و قد حرّكنا اليوم في سكونه جزعا لفقده. و هذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

سأله جعفر بن الحسين عن أشعر الناس فأنشده من شعره:
أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلبيّ قال: لقينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، من/أشعر الناس؟ قال: الذي يقول: الله أنجح ما طلبت به # و البرّ خير حقيبة الرّجل[1]

فقلت: أنشدني شيئا من شعرك؛ فأنشدني:

يا صاحب الرّوح ذي الأنفاس في البدن[2] # بين النهار و بين الليل مرتين

لقلّما يتخطّاك اختلافهما # حتى يفرق بين الرّوح و البدن

/لتجذبني[3] يد الدّنيا بقوّتها # إلى المنايا و إن نازعتها رسني

لله دنيا أناس دائبين لها # قد ارتعوا في رياض الغيّ و الفتن[4]

كسائمات رتاع[5] تبتغي سمنا # و حتفها لو درت في ذلك السّم

قال: فكتبتها، ثم قلت له: أنشدني شيئا من شعرك في الغزل؛ فقال: يا ابن أخي، إنّ الغزل يسرع إلى مثلك.

فقلت له: أرجو عصمة الله جل و عزّ. فأنشدني:

كأثها من حسنها درّة # أخرجها اليمّ إلى الساحل

كأن في فيها و في طرفها # سواحرا أقبلن من بابل

لم يبق منّي حبّها ما خلا # حشاشة في بدن ناحل

يا من رأى قبلي قتيلا بكى # من شدّة الوجد على القاتل

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قول صاحبنا جميل:

خيليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

فقال: هو ذاك يا بن أخي و تبسّم.

شعره في التحسر على الشباب:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: [1] في ب، ء: «الرجل» بالجيم المعجمة.

[2] كذا في «ديوانه» . و في جميع الأصول: «و الأنفاس و البدن» .

[3] كذا في «الديوان» . و في الأصول: «لتجذب به الدنيا...» .

[4] ورد هذا البيت في «الديوان» هكذا:

لله دَرّ أناسٍ عمرت بهم # حتى رعوا في رياض الغيِّ و الفتن

[5] رتاع: جمع راتعة. و في «الديوان» : «رواع» جمع راعية، و هما

بمعنى.. -

دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بوع الأمين محمد بسنة، فإذا شيخ عليه جماعة و هو ينشد: /

لهفي على ورق الشباب # و غصونه الخضر الرطاب
 ذهب الشباب و بان عن # ي غير منتظر الإياب
 فلأبكين على الشبا # ب و طيب أيام التصابي
 و لأبكين من البلى # و لأبكين من الخصاب
 إني لآمل أن أخ # لد و المنية في طلابي

قال: فجعل ينشدها و إن دموعه لتسيل على خديه. فلما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها. و سألت عن الشيخ ف قيل لي: هو أبو العتاهية.

كان ابن الأعرابي يعيب شعره:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو العباس محمد بن أحمد قال: كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية و يثله، فأنشدته:

كم من سفيه غاطني سفها # فشفيت نفسي منه بالحلم
 و كفيت نفسي ظلم عاديتي # و منحت صفو موذي سلمي [1]
 و لقد رزقت لظالمي غلظا # و رحمته إذ لج في ظلمي

أحب شعره إليه:

/أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن أحمد الأزدي قال: قال لي أبو العتاهية: لم أقل شيئاً قط أحب إلي من هذين البيتين [في] [2] معناهما: ليت شعري فإني لست أدري # أي يوم يكون آخر عمري

و بأي البلاد يقبض روعي # و بأي البقاع [3] يحفر قبوري

راهن في أول أمره جماعة على قول الشعر فغلبهم:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن عبد الجبار الفزاري قال: اجتاز أبو العتاهية في أول أمره و على ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة و يبيع منه، فمرّ بفتيان جلوس [1] سلمي: مسالمي؛ يقال: فلان سلم لفلان، و حرب له، إذا كان بينهما سلام أو حرب.

[2] التكملة عن نسخة أ.

[3] في ب، س: «البلاد» .

يتذكرون الشعر و يتناشدونه، فسلم و وضع القفص عن ظهره، ثم قال: يا فتيان أراكم تذكرون الشعر، فأقول شيئاً منه فتجيزونه، فإن فعلتم فلکم عشرة دراهم، و إن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزئوا منه و سخروا به و قالوا نعم. قال: لا بدّ أن يشتري بأحد القمارين[1] رطب يؤكل فإنه قمار[1] حاصل، و جعل رهنه تحت يد أحدهم، ففعلوا. فقال: أجزوا: ساكني الأحداث أنتم

و جعل بينه و بينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس و لم يجيزوا البيت، غرّموا الخطر[2]؛ و جعل يهزأ بهم و تمّمه:

مثلنا بالأمس كنتم # ليت شعري ما صنعتم

أ ربحتم أم خسرتم

و هي قصيدة طويلة في شعره.

هجاه أبو حبش و ذم شعره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثم العنزيّ قال: لَمَّا حبس الرشيذ أبا العتاهية و حلف ألا يطلقه أو يقول شعراً، قال لي أبو حبش: أسمع بأعجب من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يسمع منهم، و يقول هذا المختّ المفكك تلك الأشعار بالشفاعة! ثم أنشدني: /

أبا إسحاق راجعت الجماعه # و عدت إلى القوافي و الصّناعه

و كنت كجامح[3] في الغيّ عاص # و أنت اليوم ذو سمع و طاعه

فجرّ الخرّ مما كنت تكسى # ودع عنك التّفشّف و البشاعه

و شبّب بالتي تهوى و خبر # بأثك ميّت في كلّ ساعه

كسدنا ما نراد و إن أجدنا # و أنت تقول شعرك بالشفّاعه

خرج مع المهدي في الصيد و قد أمره بهجوه فقال شعرا:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خيثم العنزيّ، و كان صديقاً لأبي العتاهية، قال حدّثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهديّ معه إلى الصّيد، فوقعنا منه على شيء كثير، فتفرّق أصحابه في طلبه و أخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا[4]، و عرض لنا واد جرّار و تغيّمت السماء و بدأت تمطر فتحيّرنا، و أشرفنا على الوادي فإذا فيه [1] في ب، س، ح: «القمرين... قمر» .

[2]الخطر هنا: الرهان.

[3]في الأصول: «كجامع» و لا يستقيم بها الكلام، فأثرنا ما أثبتناه.

[4]في ب، س: «فلم يلتفتوا» .

مَلَّاحٌ يَعْبُرُ النَّاسَ، فَلَجَأْنَا إِلَيْهِ فَسَأَلْنَا عَنْ الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ يَضَعُّفُ رَأْيَنَا وَ يَعْجِزُنَا فِي بَدَلْنَا أَنْفُسَنَا فِي ذَلِكَ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ حَتَّى أَبْعَدَنَا، / ثُمَّ أَدْخَلْنَا كَوْخًا لَهُ. وَ كَادَ الْمَهْدِيُّ يَمُوتُ بَرْدًا؛ فَقَالَ لَهُ: أَغْطِيكَ بِجَبَّتِي هَذِهِ الصَّوْفُ؟ فَقَالَ نَعَمْ؛ فَغَطَّاهُ بِهَا، فَتَمَاسَكَ قَلِيلًا وَ نَامَ. فَافْتَقَدَهُ غُلْمَانُهُ وَ تَبِعُوا أَثَرَهُ حَتَّى جَاءُوا. فَلَمَّا رَأَى الْمَلَّاحُ كَثْرَتَهُمْ عَلِمَ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ فَهَرَبَ، وَ تَبَادَرَ الْغُلْمَانُ فَنَحَّوْا الْجَبَّةَ عَنْهُ وَ أَلْقَوْا عَلَيْهِ الْخُرَّ وَ الْوَشِيَّ. فَلَمَّا انْتَبَهَ قَالَ لِي: وَيْحَكَ! مَا فَعَلَ الْمَلَّاحُ؟ فَقَدْ وَ اللَّهِ وَجِبَ حَقُّهُ عَلَيْنَا. فَقُلْتُ: هَرَبَ وَ اللَّهِ خَوْفًا مِنْ قَبِيحٍ مَا خَاطَبْنَا بِهِ. قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ! وَ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَغْنِيَهُ، وَ بِأَيِّ شَيْءٍ خَاطَبْنَا! نَحْنُ وَ اللَّهِ مُسْتَحَقُّونَ لِأَقْبِحِ مِمَّا خَاطَبْنَا بِهِ! بِحَيَاتِي عَلَيْكَ إِلَّا مَا هَجَوْتَنِي. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ تَطِيبُ نَفْسِي بِأَنْ أَهْجُوكَ! قَالَ: وَ اللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ! فَإِنِّي ضَعِيفُ الرَّأْيِ مَغْرَمٌ بِالصَّيْدِ. فَقُلْتُ: يَا لَابِسِ الْوَشِيَّ عَلَى ثَوْبِهِ # مَا أَقْبِحَ الْأَشْيَبُ فِي الرَّاحِ

فقال: زدني بحياتي؛ فقلت:

لو شئت أيضا جلت في خامة [1] # و في وشاحين و أوضاح [2]

فقال: وبلك! هذا معنى سوء يروبه عنك الناس، و أنا استأهل. زدني شيئاً آخر. فقلت: أخاف أن تغضب.

قال: لا و الله. فقلت:

كم من عظيم القدر في نفسه # قد نام في جبة ملاح

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله! و قمنا و ركبنا و انصرفنا.

وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا: وقعت رقعة فيها بيتا شعر في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، و هو صديقي، و ليست المخاطبة لي و لكثها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها و قال: ما أعرف هذه العلامة. فبلغ المأمون خبرها فقال: هذه إلي و أنا أعرف العلامة. و البيتان:

صوت

ما على ذا كذا افترقنا بسندا [3] # ن و ما هكذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهتدة اليد # ض على غدرهم و تنسى الوفاء

- قال: فبعث إليه المأمون بمال.
في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رمل من رواية ابن المعتزّ.
[1]الخام: ثوب من القطن لم يغسل.
[2]الأوضح: حلّي من فضة أو هي الخلاخيل.
[3]سندان: مدينة ملاصقة للسند.

استبطاً عادة ابن يقطين فقال شعرا فعجلها له:

قال: و كان عليّ بن يقطين صديقا لأبي العتاهية، و كان يبزّه في كل سنة ببزّ واسع، فأبطأ عليه بالبزّ في سنة من السنين، و كان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسرّ به و يرفع مجلسه و لا يزيده على ذلك. فلقية ذات يوم و هو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده: حتّى متى ليت شعري يا بن يقطين # أثني عليك بما لا منك توليني

إنّ السّلام و إنّ البشر من رجل # في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني

هذا زمان ألحّ الناس فيه على # تبه الملوك و أخلاق المساكين

/أ ما علمت جزاك الله صالحة # و زادك الله فضلا يا بن يقطين

أني أريدك للدنيا و عاجلها # و لا أريدك يوم الدين للدين

فقال عليّ بن يقطين: لست و الله أبرح و لا تبرح من موضعنا هذا إلا راضيا، و أمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحمل من وقته و عليّ واقف إلى أن تسلّمه.

نظم شعرا في الحبس فلما سمعه الرشيد بكى و أطلقه:

و أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية و حبسه، و كلّ به صاحب خبر يكتب إليه بكل ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه ينشد: أما و الله إنّ الظلم لوم # و ما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديّان يوم الدين نمضي # و عند الله تجتمع الخصوم

قال: فبكى الرشيد، و أمر بإحضار أبي العتاهية و إطلاقه، و أمر له بألفي دينار.

رماه منصور بن عمار بالزندقة و شنع عليه فاحتقره العمامة:

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لمّا قال أبي في عتبة [1]:

كأنّ عتابة من حسنها # دمية قسنّ فتنت قسّها

يا ربّ لو أنسيتها بما # في جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة، و قال: يتهاون بالجنة و يتبدل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون! و شنع عليه أيضا بقوله: إنّ المليك رآك أح # سن خلقه و رأى جمالك

[1] هي عتبة جارية المهدي، و قد اشتهر بمحبته لها و أكثر من تشبيهه فيها.

فحذا بقدره نفسه # حور الجنان على مثالك

و قال: أ يصوّر الحور على مثال امرأة آدمية و الله لا يحتاج إلى مثال! و أوقع له هذا على السنة العامة؛ فلقى منهم بلاء.

سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجاب:

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سلمة الباذغيسيّ قال: /قلت لأبي العتاهية: في أيّ شعر أنت أشعر؟ قال: قولني:

الناس في غفلاتهم # و رحا المنيّة تطحن

أنشد المأمون شعره في الموت فوصله:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القرشيّ قال حدّثني المعلى بن أيّوب قال: دخلت على المأمون يوما و هو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة [1]، فقلت للحسن بن أبي سعيد-قال: و هو ابن خالة المعلى بن أيّوب. و كان الحسن كاتب المأمون على العامة:- من هذا؟ فقال: أ ما تعرفه؟ فقلت: لو عرفته ما سألتك عنه. فقال: هذا أبو العتاهية. فسمعت المأمون يقول له: أنشدني أحسن ما قلت في الموت؛ فأنشده: أنساك محياك المماتا # فطلبت في الدنيا الثباتا

أوثقت بالدنيا و أن # ت ترى جماعتها شتاتا

/و عزمتم منكم على الحيا # ة و طولها عزمنا بتاتا

يا من رأى أبويه في # من قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عبرة # أم خلت أن لك انفلاتا

و من الذي طلب الثقل # ت من منيته ففاتا

كلّ تصبّحه المند # يّة أو تبيّته بياتا

قال: فلمّا نهض تبعته فقبضت عليه في الصّحن أو في الدّهليز، فكتبته عنها.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الجاحظ عن ثمامة قال: /دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده:

ما أحسن الدنيا و إقبالها # إذا أطلع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها # عرّض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون: ما أجود البيت الأوّل! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضنّ [1] اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلتأ بالرأس.

بها، و إنما يوجب السماحة بها الأجر، و الضربُ بها الوزر. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل، و أهل النقص أولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلمَّا كان بعد أيام عاد فأنشده: كم غافل أودى به الموت # لم يأخذ الأهبة للفوت

من لم تزل نعمته قبله # زال[1] عن النعمة بالموت

فقال له: أحسنت! الآن طيبت المعنى؛ و أمر له بعشرين ألف درهم.

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال شعرا فأعجلها له:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني ابن سنان[2] العجلي عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يحج في كل سنة، فإذا قدم أهدى إلى المأمون بردا و مطرفا و نعلا سوداء و مساويك أراك، فبيعت إليه بعشرين ألف درهم. [و كان][3] يوصل الهدية من جهته منجابه مولى المأمون و يجيئه بالمال. فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يثبه و لا بعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية: /

خبروني أن من ضرب السنه # جددا بيضا و صفرا حسنه

أحدثت لكنتي لم أرها # مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم، و قال: أغفلناه حتى ذكرنا.

كان الهادي واجدا عليه فلما تولى استعطفه:

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عروة بن يوسف الثقفي قال: لما ولي الهادي الخلافة كان واجدا على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون و انقطاعه إليه و تركه موسى، و كان أيضا قد أمر أن يخرج معه إلى الرّي فابى ذلك؛ فخافه و قال يستعطفه: أ لا شافع عند الخليفة يشفع # فيدفع عنا شر ما يتوقع

و إني على عظم الرجاء لخائف # كأن على رأسي الأستة تشرع

/يرؤعني موسى على غير عثرة # و ما لي أرى[4] موسى من العفو أوسع

و ما آمن يمسي و يصبح عائذا # بعفو أمير المؤمنين يرؤع

[1] كذا في «ديوانه». و في الأصول: «تذعر النعمة بالموت» .

[2] في أ، ع، م: «أبو سنان». و لم نقف على ما يرجح إحداهما.

[3] هذه الكلمة ساقطة من ب، س، ح.

[4] كذا في جميع النسخ و «الديوان» . و لعله: «لدى موسى» .

مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعرا في ابن عقال فعجلها له:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عليّ بن الصّباح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي عليّ الهادي فأنشده: يا أمين الله ما لي # لست أدري اليوم ما لي

لم أنل منك الذي قد # نال غيري من نوال
تبدل الحقّ و تعطي # عن يمين و شمال
و أنا البائس لا تند # ظر في رقّة حالي

/قال: فأمر المعلّى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يعطيها. ذلك أنّ الهادي امتحنني في شيء من الشعر، و كان مهيبا، فكنت أخافه فلم يطعني طبعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجت.

فلما منعني المعلّى صرت إلى أبي الوليد أحمد بن عقال، و كان يجالس الهادي، فقلت له: أبلغ سلمت أبا الوليد سلامي # عني أمير المؤمنين إمامي

و إذا فرغت من السّلام فقل له # قد كان ما شاهدت من إفحامي
و إذا حصرت [1] فليس ذاك بمبطل # ما قد مضى من حرمتي و ذمامي
و لطالما وفدت إليك مدائحي # مخطوطة فليأت [2] كلّ ملام
أيام لي لسن و رقّة جدّة # و المرء قد يبلى مع الأيام

قال: فاستخرج [3] لي الدراهم و أنفذها إليّ.

كان الهادي واجدا عليه فلما تولى استعطفه و مدحه فأجازه:

حدّثني الصّوليّ و محمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العنزّيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: ولد للهادي ولد في أوّل يوم وليّ الخلافة؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده: أكثر موسى غيظ حسّاده # و زبّ الأَرْض بأولاده

و جاءنا من صلبه سيّد # أصيد في تقطيع أجداده
فاكتست الأَرْض به بهجة # و استبشر الملك بميلاده
و ابتسم المنبر عن فرحة # علت بها ذرّوة أعواده /
كأنني بعد قليل به # بين مواليه و قوّاده

في محفل تخفق راياته # قد طبّق الأرض بأجناده

قال: فأمر له موسى بألف دينار و طيب كثير، و كان ساخطا عليه
فرضي عنه.

[1]الحصر: العيِّ في المنطق.

[2]في أ، ء، م: «فلنأب» .

[3]كذا في ح، و في سائر الأصول: «فاستخرج إليّ» .

حضر غضب المهدي على أبي عبيد الله وترضاه عنه بشعر

فرضي عنه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدّثني علي بن مهدي قال حدّثني علي بن يزيد الخزرجي الشاعر عن يحيى بن الربيع قال: دخل أبو عبيد الله على المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه، ثم أمر به فجرّ برجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلاً. فلما سكن أنشده /أبو العتاهية: أرى الدنيا لمن هي في يديه # عذاباً كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر[1] # و تكرم كل من هانت عليه

إذا استغيت عن شيء فدعه # و خذ ما أنت محتاج إليه

فتبسّم المهدي و قال لأبي العتاهية: أحسنت! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحداً أشدّ إكراماً للدنيا و لا أصون لها و لا أشخّ عليها من هذا الذي جرّ برجله الساعة. و لقد دخلت إلى أمير المؤمنين و دخل هو و هو أعزّ الناس، فما برحت حتى رأيت أذلّ الناس، و لو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله و لم تتفاوت. فتبسّم المهدي و دعا بأبي عبيد الله فرضي عنه. فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية.

مدح شعرا له بإسحاق بن حفص:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حفص قال: /أنشدني هارون بن مخلد الرازي لأبي العتاهية:

ما إن يطيب لذي الرعاية[2] لا # أيام لا لعب و لا لهو

إذ كان يطرب[3] في مسرّته # فيموت من أجزائه جزو

فقلت: ما أحسنهما! فقال: أ هكذا تقول! والله لهما روحانيان يطيران بين السماء و الأرض.

فضله ابن منذر على جميع المحدثين:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازني قال: لقيت ابن منذر بمكة، فقلت له: من أشعر أهل الإسلام؟ فقال: أ ترى من إذا شئت هزل، و إذا شئت جدّ؟ قلت: من؟ قال: مثل جرير حين يقول في النسيب: إنّ الذين غدّوا بلبك غادروا # وشلا بعينك ما يزال معينا

غِيَّضَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَ قَلَنَ لِي # مَا ذَا لَقِيَتْ مِنَ الْهَوَىٰ وَ لَقِينَا

[1]الصغر: الضيم و الذل.

[2]في س، ب: «الوعاية» بالواو و هو تحريف.

[3]في «ديوانه» (ص 298) : «يسرف» .

ثم قال حين جدّ:

إنّ الذي حرم المكارم تغلبا # جعل التّبوءة و الخلافة فينا
مضر أبي و أبو الملوك فهل لكم # يا آل تغلب من أب كأينا
هذا ابن عمّي في دمشق خليفة # لو شئت ساقكم إليّ قطينا[1]

و من المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كمّه. فقلت: من؟
قال: أبو العتاهية. قلت: في ما ذا؟ قال: قوله: /

اللّه بيني و بين مولاتي # أبدت لي الصّدّ و الملالات
لا تغفر الذنب إن أسأت و لا # تقبل عذري و لا موأتاتي
منحتها مهجتي و خالصتي # فكان هجرانها مكافاتي
أقلقني حبّها و صيرني # أحوثة في جميع جاراتي

ثم قال حين جدّ:

و مهمه[2] قد قطعت طامسه[3] # قفر على الهول و الحمامة /
بحرّة[4] جسرة عذافرة # خوصاء عيرانة علنداء
تبادر الشمس كلّما طلعت # بالسّير تبغي بذاك مرضاتي
يا ناق خبيّ بنا و لا تعدي # نفسك مما ترين راحت
حتّى تناخي بنا إلى ملك # توجّه اللّه بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه # تاج جلال و تاج إخبارات[5]
يقول للريح كلّما عصفت # هل لك يا ريح في مباراتي
من مثل من عمّه الرسول و من # أخواله أكرم الخنولات

عير إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضا عن عبادة معشوقته:
أخبرني وكيع قال: قال الزبير بن بكار حدّثني أبو غزيرة، و كان قاضيا
على المدينة، قال: كان إسحاق بن عزيز يتعشّق عبادة جارية المهليّة، و
كانت المهليّة منقطعة إلى الخيزران. فركب إسحاق يوما و معه عبد الله بن
مصعب يريدان المهديّ، فلحقيا عبادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبادة، و
حرّك دابّته حتى سبقها فنظر إليها، /فجعل [1]القطين هنا: الخدم و الأتباع.

[2]المهمه: المفازة البعيدة.

[3]الطامس هنا: البعيد.

[4]الحره من الإبل: العتيقة الأصيلة. و الجسرة: العظيمة من الإبل و غيرها. و العذافرة: العظيمة الشديدة من الإبل. و الخوصاء: وصف من الخوص و هو ضيق العين و صغرها و غئورها. و العيرانة من الإبل: التي تشبه بالعر في سرعتها و نشاطها. و العلنداء: الناقة الضخمة الطويلة.

[5]الإخبات: الخشية و الخضوع.

عبد الله بن مصعب يتعجب من فعله. و مضيا فدخلا على المهديّ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق و ما فعل. فقال: أنا اشتريها لك يا إسحاق. و دخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت، فأعطاهها بعبادة خمسين ألف درهم. فقالت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريدها لنفسك فيها فداك الله، و هي لك. فقال: إنما أريدها لإسحاق بن عزيز. فبكت و قالت: أ تؤثر عليّ إسحاق بن عزيز و هي يدي و رجلي و لساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يبكيك؟ و الله لا وصل إليها ابن عزيز أبدا، صار يتعشق جوارِي الناس! فخرج المهديّ فأخبر ابن عزيز بما جرى، و قال له: الخمسون ألف درهم لك مكانها، و أمر له بها، فأخذها عن عبادة. فقال أبو العتاهية يعيره بذلك: من صدق الحب لأحابه # فإن حبّ ابن عزيز غرور

أنساه عبادة ذات الهوى # و أذهب الحبّ الذي في الضمير

خمسون ألفا كلّها راجح # حسنا لها في كل كيس صرير

و قال أبو العتاهية في ذلك أيضا:

حبّك للمال لا كحبك عبّا # دة يا فاضح المحبينا

لو كنت أصفيتها الوداد كما # قلت لما بعثها بخمسينا

طال وجع عينه فقال شعرا:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني جبلة بن محمد قال حدّثني أبي قال: رأيت أبا العتاهية بعد ما تخلص من حبس المهديّ و هو يلزم طبيبا على بابنا ليكحل عينه. فقيل له: قد طال وجع عينك؛ فأنشأ يقول:

صوت

أيا ويح نفسي ويحها ثم ويحها # أ ما من خلاص من شباك الحبائل

أيا ويح عيني قد أضرت بها البكا # فلم يغن عنها طبّ ما في المكاحل

/في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحن من الثقل الأول.

كان الهادي واجدا عليه لاتصاله بهارون فلما ولي الخلافة مدحه فأجرل صلته:

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

كان الهادي واجدا على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهديّ، فلمّا ولي موسى الخلافة، قال أبو العتاهية يمدحه:

صوت

يضطرب الخوف و الرجاء إذا # حرك موسى القضيبي أو فكر
ما أبين الفصل في معيب ما # أورد من رأيه و ما أصدر

-في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأوّل في
نهاية الجودة، و ما بان به فضله في الصنّاعة-: فكم ترى عزّ عند ذلك من #
معشر قوم و ذلّ من معشر

يثمر من مسّه القضيّب و لو # يمسه غيره لما أثمر
من مثل موسى و مثل والده الـ # مهديّ أو جدّه أبي جعفر

قال: فرضي عنه. فلما دخل عليه أنشده:

لهفي على الزمن القصير # بين الخورنق و السّدير
إذ نحن في غرف الجنا # ن نعوم في بحرّ السّرور
في فتية ملكوا عنا # ن الدهر أمثال الصّقور
/ما منهم إلّا الجسو # ر على الهوى غير الحصور
يتعاورون مدامة # صهباء من حلب العصير
عذراء ربّاه شعا # ع الشمس في حرّ الهجير
لم تدن من نار و لم # يعلق بها وضر القدور
و مقرطق يمشي أما # م القوم كالرّشأ الغرير
بزجاجة تستخرج الـ # سرّ الدّفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الـ # درّي في كفّ المدير
تدع الكريم و ليس يد # ري ما قبيل من دبير[1]
و مخصّرات[2] زررنا # بعد الهدو من الخدور
ربّنا[3] روادفهنّ يد # بسن الخواتم في الخصور
عزّ الوجوه محجّبا # ت قاصرات الطّرف حور
متنعمات في التّعيد # م مضمّخات بالعبير
برفلن في حلل المحا # سن و المجاسد[4] و الحرير
ما إن يرين الشمس # إلّا الفرط[5] من خلل السّتور

[1] القبيل: ما وليك. و الدبير: ما خالفك. يقولون: لا يعرف قبيله من
دبيره، و لا يدري قبيلًا من دبير، أي لا يعرف شيئًا.

[2] مخصّرات: دقيقات الخصور.

[3] ربا هنا: ممتلئة.

[4]المجاسد: جمع مجسد، و هو القميص الذي يلي البدن.

[5]كذا في أكثر الأصول. و الفرط: الحين؛ يقال: لا ألقاه إلا في الفرط، أي في الأيام مرة. و في ب، س: «القرط» بالقاف، و هو تصحيف. -

و إلى أمين الله مهـ # ر بنا من الدهر العثور
 و إليه أتعبنا المطا # يا بالزواج و بالبكور /
 صعر الخدود كأثما # جنح أجنحة النّسور /
 متسرّبات بالظّلا # م على السّهولة و الوعور
 حتّى وصلن بنا إلى # ربّ المدائن و القصور
 ما زال قبل فطامه # في سنّ مكتهل كبير

-قال: قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس- فأجزل صلته. و عاد إلى أفضل ما كان له عليه.

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكرانيّ عن أبي حاتم قال: قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه، فكان أوّل ما أنشدهم: أ لم تر ريب الدهر في كلّ ساعة # له عارض[1] فيه المنيّة تلمع

أيا باني الدّنيا لغيرك تبتني # و يا جامع الدنيا لغيرك تجمع
 أرى المرء وتّابا على كل فرصة # و للمرء يوما لا محالة مصرع
 تبارك من لا يملك الملك غيره # متى تنقضي حاجات من ليس يشيع
 و أيّ امرئ في غاية ليس نفسه # إلى غاية أخرى سواها تطلّع

قال: و كان أصحابنا يقولون: لو أنّ طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس.

تمثل الفضل بشعر له حين انحطت مرتبته في دار المأمون:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجزريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال: كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسن بيتين لك و أصدقهما! قال: و ما هما؟ قال: قولك: /

ما التّاس إلا للكثير المال أو # لمسلّط ما دام في سلطانه
 فإذا الزمان رماهما بليّة # كان الثّقات هناك من أعوانه

يعني: من أعوان الزمان. قال: و إنما تمثّل الفضل بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون و تقدّم غيره. و كان المأمون أمر

بذلك لتحريره [2] مع أخيه.

كان ملازماً للرشيد فلما تنسك حبسه و لما استعطفه أطلقه:
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال:
[1] العارض: الأصل فيه السحاب المعترض في الأفق.
[2] لعل أصل الكلام «لتحريره نفسه مع أخيه» فسقطت من الناسخ أو
حذفها المؤلف للعلم بها.

قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر و لا حضر إلا في طريق الحج، و كان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز و المعاون. فلما قدم الرشيد الرقة، لبس أبي الصوف و تزهد و ترك حضور المنادمة و القول في الغزل، و أمر الرشيد بحبسه فحبس؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أنا اليوم لي و الحمد لله أشهر # يروح عليّ همّ منكم و يبكر
تذكر أمين الله حفي و حرمتي # و ما كنت توليني لعلك [1] تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي # و وجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرّة # إليّ بها في سالف الدهر تنظر

/قال: فلما قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لا بأس عليك. فكتب إليه:

صوت

أرقت و طار عن عيني النعاس # و نام السامرون و لم يواسوا
أمين الله أمنك خير أمن # عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكلّ برّ # و أنت به تسوس كما تساس
كأنّ الخلق ركّب فيه روح # له جسد و أنت عليه رأس
أمين الله إنّ الحبس بأس # و قد أرسلت [2]: ليس عليك باس

-عنى في هذه الأبيات إبراهيم، و لحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و فيه أيضا ثقيل أول عن الهشاميّ-قال: و كتب إليه أيضا في الحبس [3]: و كلفتني ما حلت بيني و بينه # و قلت سأبغي ما تريد و ما تهوى

فلو كان لي قلبان كلفت واحدا # هواك و كلفت الخليّ لما يهوى

قال: فأمر بإطلاقه.

حدّثني عمي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني ثابت بن الزبير بن حبيب قال حدّثني ابن أخت أبي خالد الحربيّ قال: قال لي الرشيد: احبس أبا العتاهية و ضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبسته في بيت خمسة

أشبار في مثلها؛ فصاح: الموت، أخرجوني، فأنا أقول كلّ ما شئتم. فقلت:
قل. فقال: حتى أتنفس.

فأخرجته و أعطيته دواة و قرطاسا؛ فقال أبياته التي أوّلها:

[1] كذا في «الديوان» (ص 326) و أشير في هامشه إلى رواية أخرى
هي: «كذلك يذكر» . و في جميع النسخ: «لذلك يذكر» .

[2] في «الديوان» : «و قد وقعت» .

[3] في أ، ء، م: «من الحبس» .

صوت

من لعبد أذله موله # ما له شافع إليه سواه

بشتكي ما به إليه و يخشا # ه و يرجوه مثل ما يخشاه

قال: فدفعتها إلى مسرور الخادم فأوصلها، و تقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنى فيها، و أمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر. فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

صوت

يا عتب سيّدي أ ما لك دين # حتى متى قلبي لديك رهين

و أنا الدلول لكلّ ما حملتني # و أنا الشقيّ البائس المسكين

و أنا الغداة لكلّ باك مسعد # و لكلّ صبّ صاحب و خدين

لا بأس إنّ لذاك عندي راحة # للصبّ أن يلقى الحزين حزين

يا عتب أين أفرّ منك أميرتي # و عليّ حصن من هواك حصين

-لإبراهيم في هذه الأبيات هزج عن الهشاميّ- فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم.

و لأبي العتاهية في الرشيد لماً حبسه أشعار كثيرة، منها قوله: يا رشيد الأمر أرشدني إلى # وجه نجحي لاعدمت الرّشدا

/لا أراك الله سوءاً أبدا # ما رأيت مثلك عين أحدا

أعن[1]الخائف و ارحم صوته # رافعا نحوك يدعوك يدا

و إبلاني من دعاوى أمل # كلّما قلت تداني بعدا

كم أمّني بعد بعد غد # ينفد العمر و لم ألق غدا

هجا القاسم بن الرشيد فضربه و حبسه و لما اشتكى إلى زبيدة بره الرشيد و أجازته:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال: مرّ القاسم بن الرشيد في موكب عظيم و كان من أتيه الناس، و أبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزل قائماً حتى جاز، فأجازه و لم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية: يتيه ابن آدم من جهله # كأنّ رحا الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فأخبر به القاسم؛ فبعث إلى أبي
العتاهية و ضربه مائة مقرعة[2]، و قال له: يا [1]كذا في جميع النسخ و
«الديوان» . و لعله: «آمن الخائف» .

[2]المقرعة: السوط.

ابن الفاعلة! أتعرض بي في مثل ذلك الموضع! وحبسه في داره. فدرس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر، و كانت توجب [1] له [حقه] [2]، هذه الأبيات: حتى متى ذو التيه في تيهه # أصلحه الله و عافاه

يتيه أهل التيه من جهلهم # و هم يموتون و إن تاهوا

من طلب العز ليقى به # فإن عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله من خلقه # من ليس يرجوه و يخشاه

و كتب إليها بحالة و ضيق حبسه، و كانت مائلة إليه، فرثت [3] له و أخبرت الرشيد بأمره و كلمته فيه؛ فأحضره و كساه و وصله، و لم يرض عن القاسم حتى برّ أب العتاهية و أدناه و اعتذر إليه.

مدح الرشيد و الفضل فأجازاه:

و نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال: بعث الرشيد بالحرشيّ [4] إلى ناحية الموصل، فجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواربه، فاستعظم الناس ذلك و تحدّثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية و قد أخذه شبه الجنون، فقلت له: مالك و يحك؟! فقال لي: سبحان الله! أ يدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، و لا تتعلق كفي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده: الله هوّن عندك الدن # يا و بعّضها إليك

فأبيت إلا أن تص # عز كل شيء في يدك

ما هانت الدنيا على # أحدكما هانت عليك

فقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين، ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح. فقال: يا فضل، أعطه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده: إذا ما كنت متّخذا خليلا # فمثل الفضل فأتخذ الخليلا

يرى الشكر القليل له عظيما # و يعطي من مواهبه الجزيل /

أراني حيثما يّمت طرفي # وجدت على مكارمه دليلا

فقال له الفضل: و الله لو لا أنّ أساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها، و لكن ساوصلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، و زاد له خمسة آلاف درهم من عنده.

[1] كذا في حـ و هو المناسب؛ يقال: أوجب لفلان حقه إذا راعاه، و في سائر النسخ: «توجه له» و ليس لها معنى.

[2] زيادة يقتضيها السياق.

[3] كذا في ب، س. و في سائر النسخ: «فرثت له» .

[4] في الأصول: «المجرشي» . و لم نجد هذا الاسم. و لعله محرف عما أثبتناه، و هو سعيد الحرشي الذي كان معاصرا للرشيد و كان يقوم له بأعمال هامة.

سمع علي بن عيسى شعره و هو طفل فأعجب به:
 أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المبرّد قال حدّثني عبد
 الصمد بن المعدّل قال: سمعت الأمير علي بن عيسى بن جعفر يقول: كنت
 صبياً في دار الرشيد، فرأيت شيخاً ينشد و الناس حوله: ليس للإنسان إلا ما
 رزق # أستعين الله بالله أثق

علق الهمّ بقلبي كلّهُ # و إذا ما علق الهمّ علق

بأبي من كان لي من قلبه # مرّة ودّ قليل فسرق

يا بني [1] الإسلام فيكم ملك # جامع الإسلام عنه يفترق

لندی هارون فيكم و له # فيكم صوب هطول و ورق

لم يزل هارون خيراً كلّهُ # قتل الشّرّ به يوم خلق

فقلت لبعض الهاشميين: أما ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل؟
 فقال: يا بني، إنّ الأعناق لتقطع دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا
 العتاهية، و الذي سأله إبراهيم بن المهديّ.

استعطف الرشيد و هو محبوس فأطلقه:

حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد
 القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لبس أبو العتاهية كساء صوف
 و درّاعة صوف، و ألى على نفسه ألا يقول شعراً في الغزل، و أمر الرشيد
 بحبسه و التضييق عليه؛ فقال:

صوت

يا بن عمّ النبي سمعا و طاعه # قد خلعنا الكساء و الدّراعه

و رجعنا إلى الصّناعة لَمّا # كان سخط الإمام ترك الصّناعة

و قال أيضا:

أ ما رحمتني يوم ولّت فأسرعت # و قد تركتني واقفا أتلقّت

أقلّب طرفي كي أراها فلا أرى # و أحلب عيني دّرّها و أصوّت

فلم يزل الرشيد متوانياً في إخراجهِ إلى أن قال:

أما و الله إنّ الظلم لوم # و ما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديّان يوم الدّين نمضي # و عند الله تجتمع الخصوم

[1] ورد هذا البيت في «ديوانه» (ص 314) و كذا فيما سيأتي (ص 74)
من هذا الجزء هكذا: يا بني العباس فيكم ملك # شعب الإحسان عنه تفترق

لأمر ما تصرّفت الليالي # و أمر ما تولّيت [1] التّجوم
تموت غدا و أنت قريبر عين # من الغفلات في لجج تعوم
تنام و لم تنم عنك المنايا # تنبّه للمنيّة يا نؤوم
سل الأيّام عن أُمم تقصّت # ستخبرك المعالم و الرّسوم
تروم الخلد في دار المنايا # و كم قد رام غيرك ما تروم
/ألا يا أيّها الملك المرجى # عليه نواهض الدنيا تحوم
أقلني زلّة لم أجر منها # إلى لوم و ما مثلي ملوم
و خلّصني تخلّص يوم بعث # إذا للناس برّزت [2] الجحيم
فرقّ له و أمر بإطلاقه.

حديثه عن شعره و رأى أبي نواس فيه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال: أتيت أبا العتاهية فقلت له: إني رجل أقول الشعر في الرّهد، و لي فيه أشعار كثيرة، و هو مذهب أستحسّنه؛ لأنني أرجو ألاّ أثم فيه، و سمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحبّ أن تنشدني من جيّد ما قلت؛ فقال: اعلم أنّ ما قلته رديء. قلت: و كيف؟ قال: لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدّمين أو مثل شعر بشّار و ابن هرمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري، و لا سيما الأشعار التي في الرّهد؛ فإن الرّهد ليس من مذاهب الملوك و لا من مذاهب رواة الشعر و لا طلاب الغريب، و هو مذهب أشغف الناس به الرّهاد و أصحاب الحديث و الفقهاء و أصحاب الرّياء و العامّة، و أعجب الأشياء إليهم ما فهموه. فقلت: صدقت. ثم أنشدني قصيدته: لدوا للموت و ابنوا للخراب # فكلكم يصير إلى تباب [3]

ألا يا موت لم أر منك بدّا # أتيت و ما تحيف و ما تحابي

كأثك قد هجمت على مشيبي # كما هجم المشيب على شبابي

قال: فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا؛ فقال: و الله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتا آخر.

فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها: /

طول التّعاشر بين التّاس مملول # ما لابن آدم إن فثّشت معقول

يا راعي الشاء[4] لا تغفل رعايتها # فانت عن كل ما استرعت مسئول

[1] توليت النجوم (بالبناء للمفعول) : أي تولاه الله، فتطلع ثم تغيب بتأثير قدرته. و لا يصح بناء الفعل للفاعل إلا مع ضرورة قبيحة و هي عدم حذف لام الفعل مع تاء التانيث و قلبها ياء.

[2] في أ: «سعرت» ، و في هامشها كما في الأصل.

[3] التباب: الهلاك.

[4] في أ، ء، م: «يا راعي الناس» . و في «الديوان» : «يا راعي النفس» .

إني لفي منزل ما زلت أعمره # على يقين بأنني عنه منقول
 و ليس من موضع يأتيه ذو نفس # إلا و للموت سيف فيه مسلول
 لم يشغل الموت عتًا مذ أعد لنا # و كلنا عنه باللذات مشغول
 و من يمت فهو مقطوع و مجتنب # و الحي ما عاش مغشي و موصول
 كل ما بدا لك فالآكال فانية # و كل ذي أكل لا بدّ مأكول

قال: ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه، فصرت إلى أبي نواس فأخبرته؛ فتغيّر لونه و قال: لم خبرته بما قلت! قد و الله أجاد! و لم يقل فيه سوءاً.

كان أبو نواس يجله و يعظمه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البجليين قال: كنت مع أبي نواس قريباً من دور بني نبخت [1] بنهر طابقي [2] و عنده جماعة، فجعل يمرّ به القوّاد و الكتاب و بنو هاشم فيسلمون عليه و هو متكئ ممدود الرجل لا يتحرّك لأحد منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رجله و وثب و قام إلى شيخ/قد أقبل على حمار له، فاعتنق أبا نواس و وقف أبو نواس يحادثه، فلم يزل واقفاً معه يراوح بين رجله يرفع رجلا و يضع أخرى، ثم مضى الشيخ و رجع إلينا أبو نواس و هو يتأوّه. فقال له بعض من حضر: و الله لأنت أشعر منه. فقال: و الله ما رأيته قط إلا ظننت أنه سماء و أنا أرض.

رأي بشار فيه:

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السريّ بن الصّبّاح مولى ثوبان بن عليّ قال: كنت عند بشار فقلت له: من أشعر أهل زماننا؟ فقال: مخنث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية).

عزى المهدي في وفاة ابنته فأجازه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجم إجازة: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخزرجيّ الشاعر قال حدّثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال: ماتت بنت المهديّ فحزن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام و الشراب، فقلت أبياتا أعزّيه بها؛ فوافيته و قد سلا و ضحك و أكل و هو يقول: لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه، و لئن سلونا عن فقداننا ليسلون عتًا من يفقدنا، و ما يأتي الليل و النهار على شيء إلا

أبلياه. فلمّا سمعت هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أ تَأْذَن لي أن أنشدك؟
قال هات؛ فأنشدته: ما للجديدين لا يبلى اختلافهما # و كلُّ غصٍّ جديد فيهما
بالي

[1] كذا في ح. و قد وردت محرفة في سائر النسخ.

[2] نهر طابق: محلّه كانت ببغداد من الجانب الغربيّ.

يا من سلا عن حبيب بعد ميته # كم بعد موتك أيضا عنك من سالي

كأن كل نعيم أنت ذائقه # من لذة العيش يحكي لمعة الآل

لا تلعبن بك الدنيا و أنت ترى # ما شئت من عبر فيها و أمثال

ما حيلة الموت إلا كلّ صالحة # أولا فما حيلة فيه لمحتال

فقال لي: أحسنت ويحك! و أصبت ما في نفسي و وعظت و أوجزت! ثم
أمر لي لكل بيت بألف درهم.

حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال: لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قل شعرا في الغزل؛ فقال: لا أقول شعرا بعد موسى أبدا، فحبسه. و أمر إبراهيم الموصلي أن يغني؛ فقال: لا أغني بعد موسى أبدا، و كان محسنا إليهما، فحبسه. فلما شخص إلى الرقة حفر لهما حفيرة واسعة و قطع بينهما بحائط، و قال: كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعر أنت و يغني هذا. فصبرا على ذلك برهة. و كان الرشيد يشرب ذات يوم و جعفر بن يحيى معه، فغنت جارية صوتا فاستحسنها و طربا عليه طربا شديدا، و كان بيتا واحدا. فقال الرشيد: ما كان أحوجه إلى بيت ثان ليطول الغناء فيه فنستمع مدة طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبته. قال: من أين؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيلحقه به لقدرته على الشعر و سرعته. قال: هو أنكد من ذلك، لا يجينا و هو محبوس و نحن في نعيم و طرب. قال: بلى! فاكتب إليه حتى تعلم صحة ما قلت لك. فكتب إليه بالقصة و قال: ألحق لنا بالبيت بيتا ثانيا [1]. فكتب إليه أبو العتاهية: شغل المسكين عن تلك المحن # فارق الروح و أخلى من بدن /

و لقد كلفت أمرا عجا # أسأل الثفريح [2] من بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد: قد عرفت أنك لا يفعل. قال: فتخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعر؛ فقد حلفت. فأقام أياما لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نلاج الخلفاء! هلم أقل شعرا و تغنّ فيه. فقال أبو العتاهية: /

بأبي من كان في قلبي له # مرّة حبّ قليل فسرق [3]

يا بني العباس فيكم ملك # شعب الإحسان منه تفرق

إنما هارون خير كله # مات كل الشّر مذ يوم خلق

و غنّي فيه إبراهيم. فدعا بهما الرشيد؛ فأنشده أبو العتاهية و غناه إبراهيم، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم و مائة ثوب.

حدّثني الصّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع، فقال فيه: [1] في ح: «آخر» .

[2] كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «التفريح» بالجيم.

[3] تقدّم هذا الشعر في ص 68 من هذا الجزء مع اختلاف في الرواية.

غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل إليها أياما، ثم ندم فقال:
صدّ عني إذ رأي مفتتن # و أطال الصّدّ لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي # إنّ هذا من أعاجيب الزّمن

و قال لجعفر بن يحيى: اطلب لي من يزيد على هذين البيتين. فقال
له: ليس غير أبي العتاهية. فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر
بإطلاقه و صلته. فقال: الآن طاب القول؛ ثم قال: عزّة الحبّ أرتة[1]ذلتني
في هواه و له وجه حسن

و لهذا صرت مملوكا له # و لهذا شاع ما بي و علن

فقال: أحسنت و الله و أصبت ما في نفسي! و أضعف صلته.

شعره في ذم الناس:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني عليّ بن مهديّ
قال حدّثني الهيثم بن عثمان قال حدّثني شبيب بن منصور قال: /كنت في
الموقف واقفا على باب الرشيد، فإذا رجل بشع الهيئة على بغل قد جاء
فوقف، و جعل الناس يسلمون عليه و يسائلونه و يضاحكونه، ثم وقف في
الموقف، فأقبل الناس يشكون أحوالهم: فواحد يقول: كنت منقطعا إلى
فلان فلم يصنع بي خيرا، و يقول آخر: أمّلت فلانا فخاب أملي و فعل بي، و
يشكو آخر من حاله؛ فقال الرجل: فتّشت ذي الدنيا فليس بها # أحد أراه
لآخر حامد

حتّى كأنّ الناس كلّهم # قد أفرغوا في قالب واحد

فسألت عنه فقيل: هو أبو العتاهية.

هجا سلما الخاسر بالحرص:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهروبه قال حدّثني أحمد بن
خلاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال: أنشد المأمون بيت أبي العتاهية
يخاطب سلما الخاسر:

تعالى الله يا سلّم بن عمرو # أدلّ الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: إنّ الحرص لمفسد للدين و المروءة، و الله ما عرفت
من رجل قطّ حرصا و لا/شرها فرأيت فيه مصطنعا. فبلغ ذلك سلما فقال:
ويلي على المختث الجرّار الزنديق! جمع الأموال و كنزها و عبأ البدور[2]في
بيته ثم تزهد مراعاة و نفاقا، فأخذ يهتف بي إذا تصدّيت للطلب.

[1] في أ، ء، م: «أرادت» .

[2] البدور: جمع بكرة، و هي كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم.

اقتص منه الجمار لخاله مسلم فاعتذر له:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب و محمد بن عمران الصّيرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العتكيّ قال حدّثني العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: /كنا عند قثم بن جعفر بن سلمان و عنده أبو العتاهية ينشد في الزهد، فقال قثم: يا عباس، اطلب الساعة الجمار حيث كان، و لك عندي سبق[1]. فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير؛ فقام معي حتّى أتى قثم؛ فجلس في ناحية مجلسه و أبو العتاهية ينشده؛ فأنشأ الجمار يقول: ما أقبح التّزهيد من واعظ # يزهد الناس و لا يزهد

لو كان في تزهيده صادقا # أضحى و أمسى بيته المسجد

يخاف أن تنفد أرزاقه # و الرزق عند الله لا ينفد

و الرزق مقسوم على من ترى # يناله الأبيض و الأسود

قال: فالتفت أبو العتاهية إليه فقال: من هذا؟ قالوا: [هذا][2]الجمّاز و هو ابن أخت سلّم الحاسر، اقتصّ لخاله منك. فأقبل عليه و قال: يا بن أخي، إني لم أذهب حيث ظننت و لا ظنّ خالك، و لا أردت أن أهتف به؛ و إنما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه، فالله يغفر لكما، ثم قام.

غناه مخارق بشعره:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خلف الشّمريّ عن أبيه قال: كنت عند مخارق، فجاء أبو العتاهية في يوم الجمعة فقال: لي حاجة و أريد الصلاة؛ فقال مخارق: لا أبرح حتّى تعود. قال: فرجع و طرح ثيابه، و هي صوف، و غسل وجهه، ثم قال له: غنّني:

صوت

قال لي أحمد و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبه حقّا

فتنقّست ثم قلت نعم حبّ # ا جرى في العروق عرقا فعرقا

فجذب مخارق دواة كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غنّاه؛ فاستعاده ثلاث مرّات فأعاده عليه، ثم قام و هو يقول: لا يسمع و الله هذا الغناء أحد فيفلح. و هذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويه عنه.

و حَدَّثَنَا [به] [3] أَيْضًا فِي كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى عَنْ ابْنِ مَهْرُوبِهِ
عَنْ ابْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الصَّبَّيِّ قَالَ
حَدَّثَنَا مَخَارِقُ قَالَ: [1] أَصْلُ السَّبْقِ (بِالتَّحْرِيكِ) الْخَطَرُ يَوْضَعُ بَيْنَ أَهْلِ
السَّبَاقِ، وَهُوَ مَا يَتْرَاهُنُونَ عَلَيْهِ.

[2] زِيَادَةٌ عَنْ ح.

[3] هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ب، س. -

لقيني أبو العتاهية فقال: بلغني أنك خرّجت قولي:

قال لي أحمد و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبه حقا

فقلت نعم. فقال: غثّه. فملت معه إلى خراب، فيه قوم فقراء سگان، فغثّيته إياه؛ فقال: أحسنت و الله! منذ ابتدأت حتى سكتت؛ ثم قال لي: أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب!

شعره في تبخيل الناس:

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

قال مخارق: لقيت أبا العتاهية على الجسر، / فقلت له: يا أبا إسحاق، أ تنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم؟ فضحك و قال لي: ها هنا؟ قلت نعم. فأنشدني: إن كنت متّخذا خليلا # فتنقّ و انتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا # في الودّ فايع به بديلا

و لربّما سئل البخيد # ل الشيء لا يسوى فتिला

/ فيقول لا أجد السبب # ل إليه يكره أن ينيل

فلذاك لا جعل الإل # ه له إلى خير سيلا

فاضرب بطرفك حيث شئت # ت فلن ترى إلاّ بخيلا

فقلت له: أفرطت يا أبا إسحاق! فقال: فديتك! فأكذبني بجواد واحد. فأحبت موافقته، فالتفتّ يمينا و شمالا ثم قلت: ما أجد. فقبل بين عيني و قال: فديتك يا بني! لقد رفقت حتى كدت تسرف.

كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن مخارق قال:

كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي: يا بني، حدّثني؛ فإن أفاظك تطرب كما يطرب غناؤك.

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدّثني أبو هفان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال: كان أحمد بن يوسف صديقا لأبي العتاهية، فلما خدم المأمون و خصّ به، رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب إليه: أبا جعفر إن الشريف يشينه # تتايهه على الأخلاء بالوفر

أ لم تر أنّ الفقر يرجى له الغنى # و أنّ الغنى يخشى عليه من الفقر

فإن نلت تيتها بالذي نهلت من غنى # فإنَّ غناي في التجمّل و الصبر
قال: فبعث إليه بألفي درهم، و كتب إليه يعتذر مما أنكره.

طلب إليه أن يجيز شعرا فأجازه على البديهة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المعبديّ قال: /قلت لأبي العتاهية: أجز لي قول الشاعر:

و كان المال يأتينا فكنا # نبذره و ليس لنا عقول

فلما أن تولّى المال عنا # عقلنا حين ليس لنا فضول

قال: فقال أبو العتاهية على المكان:

فقصّر ما ترى بالصبر حقًا # فكلّ إن صبرت له مزيل

قال لابنه: أنت ثقيل الظل:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني الحسن بن الفضل الزعفرانيّ قال: حدّثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه و قد غضب عليه: اذهب فإنك ثقيل الظلّ جامد الهواء.

أهدى إلى الفضل نعلا فأهداها للخليفة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجهم التّميريّ قال: حضرت الفضل بن الربيع متنجّزا جائزتي و فرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي، فإذا عون حاجبه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يسلم عليك و قد قدم من مكة؛ فقال: أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج إليه عون /فقال: إته على الرّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج من كمّه نعلا عليها شراك فقال: قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جعلت فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ما هذه؟ فقال[1]: نعل و على شراكها مكتوب كتاب. فقال: يا حبيب، اقرأ ما عليها فقرأته فإذا هو: نعل بعثت بها ليلبسها # قرم[2] بها يمشي إلى المجد

لو كان يصلح أن أشركها[3] # خدّي جعلت شراكها خدّي

/فقال لحاجبه عون: احملها معنا، فحملها. فلمّا دخل على الأمين قال له: يا عبّاسي، ما هذه التّعل؟ فقال: أهداها إليّ أبو العتاهية و كتب عليها بيتين، و كان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها. فقال: و ما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد و الله! و ما سبقه إلى هذا المعنى أحد، هبوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجت و الله في بدرة و هو راكب على حماره، فقبضها و انصرف.

- [1] في الأصول: «قال: فدخلت بها؛ فقال: ما هذه؟ فقلت» .
- [2] القرم (بالفتح) هنا: السيد العظيم. و لتلبسها قدم بها تمشي» .
- [3] أشركها: أجعل لها شراكا. و الشراك: سير النعل على ظهر القدم.

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا إسماعيل [1] بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمرو بن [2] صاحب الطعام و كان جار أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفة، سمعت بشرا المرّيسيّ يقول له: يا أبا إسحاق، لا تصلّ خلف فلان جارك و إمام مسجدكم؛ فإنه مشبّه [3]. قال: كلا! إنّه قرأ بنا البارحة في الصلّاة: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**؛ و إذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**

شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه فكتب إليه شعرا:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدّثني أبو شيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال: كتب بكر بن المعتمر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القيد و غمّ الحبس؛ فكتب إليه أبو العتاهية: /

هي الأيّام و العبر # و أمر الله ينتظر

أ تيأس أن ترى فرجا # فأين الله و القدر

ذمّه الخيلاء و شعره في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال: كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي و هو متكئ عليّ ينظر إلى الناس يذهبون و يجيئون، فقال: أ ما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم، و هذا يتكلم بصلف! ثم قال لي: مرّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار و هو يخطر، فقال: يا بني، لو خفّضت بعض هذه الخيلاء أ لم يكن أحسن بك من هذه الشّهرة التي قد شهرت بها نفسك؟! فقال له الفتى: أ و ما تعرف من أنا! فقال له: بلي! و الله أعرفك معرفة جيدة، أوّلك نطفة مذرة [4]، و آخرك جيفة قذرة، و أنت بين ذينك حامل عذرة. قال: فأرخی الفتى أذنيه و كفّ عما كان يفعل و طأطأ رأسه و مشى مسترسلا. ثم أنشدني أبو العتاهية: أيا وaha لذكر اللّ # ه يا وaha له وaha

لقد طيّب ذكر اللّ # ه بالتسيح أفواها

[1] في أ، ع، م: «ابن إسماعيل بن عبد الله» .

[2] في ع، م: «عمرو بن صاحب الطعام» .

[3]المشبه: الذي يرى رأي المشبهة، و هم فرقة من الشيعة يقولون: إن معبودهم صورة ذات أعضاء و أبعاد إما روحانية و إما جسمانية، و يجوز عليه الانتقال و النزول و الصعود و الاستقرار و التمكن. و قد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة و المصافحة، و أن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا و الآخرة إذا بلغوا في الرياضة و الاجتهاد إلى حدّ الإخلاص و الاتحاد المحض.

(انظر كتاب «الملل و النحل» للشهرستانيّ طبع أوروبا ص 75) .

[4]مذرة: قذرة.

فيا أنتن من حشٍ [1] # على حشٍ إذا تاها

أرى قوما يتيهون # حشوشا [2] رزقوا جاها

مدح إسماعيل بن محمد شعره و استنشده إياه:

حدّثني اليزيديّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال.

قلت لأبي العتاهية و قد جاءنا: /يا أبا إسحاق، شعرك كلّه حسن عجيب،
و لقد مرّت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جدًّا؛ و ذلك أنها مقلوبة أيضا،
فأواخرها كأنها رأسها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتابا و الله لقد كان
حسنا أرفع ما يكون شعرا. قال: و ما هي؟ قلت: المرء في تأخير مدّته #
كالثوب يخلق بعبد جدّته

و حياته نفس يعدّ له # و وفاته استكمال عدّته

و مصيره من بعد مدّته # لبلّى [3] و ذا من بعد وحدته

من مات مال ذوو موّدته # عنه و حالوا عن موّدته

أرف الرحيل و نحن في لعب # ما نستعدّ له بعدّته

و لقلّما تبقى الخطوب على # أشر الشّباب و حرّ وقده

عجبا لمنتبه يضيّع ما # يحتاج فيه ليوم رقدته

شبه أبو نواس شعرا له بشعره:

قال اليزيديّ: قال عمّي و حدّثني الحسين بن الضّحّاك قال: كنت مع
أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يا بني النقص و الغير # و بني الضعف و الخور

فلمّا فرغ منها قال لي: يا أبا عليّ، و الله لكأنها من كلام صاحبك (يعني
أبا العتاهية) .

سأل أعرابيا عن معاشه ثم قال شعرا:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حذيفة بن محمد الطائيّ قال
حدّثني أبو دلف القاسم بن عيسى العجليّ قال: /حججت فرأيت أبا العتاهية
واقفا على أعرابيّ في ظلّ ميل [4] و عليه شملة [5] إذا غطى بها رأسه بدت
[1] الحش (بتثليث أوّله) : النخل المجتمع، و يكنى به عن بيت الخلاء لأنّه كان
من عاداتهم التغوّط في البساتين، و الجمع: حشوش.

و في «ديوان أبي العتاهية»: «... من زبل على زبل...» .

[2] في «الديوان» : «بهما» .

[3] في ب، س و «ديوانه» ص 56 طبع بيروت هكذا: «بليا» . و في سائر الأصول هكذا: «باليا» . و قد رجحنا ما أثبتناه.

[4] الميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض و أشرافها.

[5] الشملة: كساء مخمل دون القطيفة.

رجلاه، و إذا غطّى رجليه بدا رأسه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له: يا هذا، لو لا أن الله أقنع بعض العباد بشترّ البلاد، ما وسع خير البلاد جميع العباد. فقال له: فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحاجّ، تمرّون بنا فننال من فضولكم، و تنصرفون فيكون ذلك. فقال [له] [1]: إنما نمّر و ننصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا و الله لا أدري ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نحسب أكثر مما نرزق من حيث نحسب. فولى أبو العتاهية و هو يقول: ألا يا طالب الدّنيا # دع الدنيا لشانيكا

و ما تصنع بالدنيا # و ظلّ الميل يكفিকা

شتمه سلّم لما سمع هجوه فيه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال: لما قال أبو العتاهية:

تعالى الله يا سلّم بن عمر # أذلّ الحرص أعناق الرجال

قال [2] سلّم: ويلي على ابن الفاعلة! كنز البدور و يزعم أنّي حريص و أنا في ثوبيّ هذين!

كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بشعره:

أخبرني محمد بن مزيد و الحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثني عمرو بن أدعج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمريّ و سمعته يتمثل كثيرا من شعر أبي العتاهية: أشهد أنّي سمعته ينشد لنفسه: /

مرّت اليوم شاطره # بضّة الجسم ساخره

إنّ دنيا هي التي # مرّت اليوم سافره

سرقوا نصف اسمها # فهي دنيا و آخره

فقال عبد الله بن عبد العزيز: وكله الله إلى آخرتها. قال: و ما سمع بعد ذلك يتمثل بيت [3] من شعره.

قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عيينة المهلبيّ، و كان يشبّب بدنيا في شعره، فإما أن يكون الخبر غلطاً، و إما أن يكون الرجل أنشدها العمريّ لأبي العتاهية و هو لا يعلم أنّها ليست له.

موازنة بينه و بين أبي نواس:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال لي الحرمازيّ: شهدت أبا العتاهية و أبا نواس في مجلس، و كان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابا عند البديهة، و كان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر؛ فإذا تعاطيا جميعا السرعة فضله أبو العتاهية، و إذا توقّفا و تمهّلا فضله أبو نواس.

[1]زيادة عن حـ.

[2]في الأصول: «فقال» .

[3]في الأصول: «و ما سمع بعد ذلك بيت يتمثل به...» .

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه فجاهره بالعداوة:

أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عليل العنزي قال حدّثنا أبو أنس كثير بن محمد الحزامي قال حدّثني الزبير بن بكار [عن] [1] معروف العاملي قال: قال أبو العتاهية: كنت منقطعا إلى صالح المسكين، و هو ابن أبي جعفر المنصور، فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم، و كان لي ودودا [2] و صديقا، فجئته يوما، و كان لي في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيري، فنظرت إليه قد قصّر بي عنها، و عاودته ثانية فكانت حاله تلك، و رأيت نظره إليّ ثقيلًا، فنهضت و قلت: /

أراني صالح بغضا # فأظهرت له بغضا

و لا و الله لا ينق # ض إلا زدته نقضا

و إلا زدته مقنا # و إلا زدته رفضا

ألا يا مفسد الودّ # و قد كان له محضا

تغضبت من الريح # فما أطلب أن ترضى

لئن كان لك المال الـ # مصفى إن لي عرضا

قال أبو العتاهية: فنمي الكلام إلى صالح فنأدى بالعداوة؛ فقلت فيه: مددت لمعرض حبلا طويلا # كأطول ما يكون من الحبال

حبال بالصّريمة ليس تفتى # موصّلة على عدد الرمال

فلا تنظر إليّ و لا تردني # و لا تقرب حبالك من حبالي

فليت الرّدم [3] من يأجوج بيني # و بينك مئبنا أخرى الليلي

فكرش [4] إن أردت لنا كلاما # و نقطع قحف [5] رأسك بالقذال [6]

استنشده مساور شعرا في جنازة فأبى:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن سليمان التّوفليّ قال: قال مساور السّباق، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن مساور السّباق قال: شهدت جنازة في أيّام الحاجّ وقت خروج الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن [7] المقتول بفحّ [8]، فرأيت رجلا قد حضر الجنازة معنا و قد قال لآخر: هذا/الرجل الذي/صفته كذا و كذا أبو العتاهية.

[1] زيادة يقتضيها السياق. و في حـ: «الزبير بن معروف العاملي» .

[2] في حـ، ب: «ودّا» . و الود (مثلث الواو) : الكثير الود، كالودود.

[3]الردم: سدّ يأجوج و مأجوج.

[4]كّرّش الرجل: قطب وجهه.

[5]القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة. و قيل لا يسمى قحفا حتى ينفلق من الجمجمة فيبين.

[6]كذا في ح. و القذال: جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا إلى الأذن. و في سائر الأصول: «بالقتال» بالتاء المثناة من فوق.

[7]في طبعة بولاق: الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين.

[8]فخ: واد بمكة، و هو فيما قيل: وادي الزاهر.

فالتفت إليه فقلت له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فقلت له: أنشدني شيئاً من شعرك؛ فقال لي: ما أحملك! نحن على سفر و على شفير قبر، و في أيام العشر، و ببلدكم هذا تستنشدني الشعر! ثم أدبر عني ثم عاد إليّ فقال: و أخرى أزيدكها، لا و الله ما رأيت في بني آدم قط أسمع منك وجهاً! قال النوفليّ في خبره: و صدق أبو العتاهية، كان مساور هذا مقبّحاً طويل الوجه كأنه ينظر في سيف.

حجبه حاجب يحيى بن خاقان فقال شعرا فاسترضاه فأبى:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد و لحظة قالاً حدّثنا ميمون بن هارون قال: قدم أبو العتاهية يوماً منزل يحيى بن خاقان، فلما قام بادر له الحاجب فانصرف. و أتاه يوماً آخر فصادفه حين نزل، فسلم عليه و دخل إلى منزله و لم يأذن له؛ فأخذ قرطاساً و كتب إليه: أراك تراع حين ترى خيالي # فما هذا يروعك من خيالي

لعلك خائف منّي سؤال # ألا فلك الأمان من السؤال

كفيتك إنّ حالك لم تمل بي # لأطلب مثلها بدلا بحالي

و إنّ اليسر مثل العسر عندي # بأيّهما منيت فلا أبالي

فلما قرأ الرّقعة أمر الحاجب بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، و لم يلتقيا بعد ذلك.

كان بينه و بين أبي الشمقمق شرّاً:

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال: /اجتمع أبو نواس و أبو الشّمقمق في بيت ابن أذين، و كان بين أبي العتاهية و بين أبي الشّمقمق شرّاً، فخبّئوه من أبي العتاهية في بيت. و دخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث [1]، فظنّ أنّه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت [2] هذه الجارية؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قل فيها ما حضر؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه و قال: مددت كفيّ نحوكم سائلاً # ما ذا تردّون على السائل

فلم يلبث أبو الشّمقمق حتى ناداه من البيت:

نردّ في ككّك ذا فيشة # يشفي جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية: شمقمق و الله! و قام مغضباً.

استنشد ابن أبي أمية شعره و مدحه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني سليمان بن عبّاد قال حدّثنا سليمان بن مناذر قال: كنّا عند جعفر بن يحيى و أبو العتاهية حاضر في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني الله فداك! [1] فيه تأنيث: فيه لين و تخنّث.

[2] استطرفت: استحدثت. و في الأصول: «متى استطرفتها» بالمعجمة.

معكم شاعر يعرف بابن أبي أمية أحب أن أسمعه ينشد؛ فقال له جعفر: هو أقرب الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد، و كان إلى جانبه، و سأله أن ينشده، فكأته حصر ثم أنشده:

صوت

ربّ وعد منك لا أنساه لي # أوجب الشكر و إن لم تفعل
أقطع الدهر بوعد حسن # و أجلي غمرة ما تنجلي
كلّما أمّلت وعدا صالحا # عرض المكروه دون الأمل
/و أرى الأيام لا تدني الذي # أرتجي منك و تدني أجلي

/-في هذه الأبيات لأبي حبشة رمل-قال: فأقبل أبو العتاهية يرّد البيت الأخير و يقبل رأس ابن أبي أمية و يبكي، و قال: وددت و الله أنه لي بكثير من شعري.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما «لله» ، و الأخرى «بالله» ؛ فخطب منصور بن المهدي «لله» فلم يزوجه، و قال: إنما طلبها لأنّها بنت أبي العتاهية، و كأني بها قد ملها، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل، و ما كنت لأزوجه إلا بائع خزف و جرار، و لكّني أختاره لها موسرا.

كان له ابن شاعر:

و كان لأبي العتاهية ابن يقال له محمد و كان شاعرا، و هو القائل: قد أفلح السّالم الصّموت # كلام راعي الكلام قوت

ما كلّ نطف له جواب # جواب ما يكره السّكوت

يا عجا لامرئ ظلوم # مستيقن أنه يموت

سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثنا زكريّا بن الحسين[1] عن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال: قلت لأبي العتاهية: أنشدني من شعرك ما تستحسن، فأنشدني: ما أسرع الأيام في الشّهر # و أسرع الأشهر في العمر

[1]في ح: «الحسن» .

صوت

ليس لمن ليست له حيلة # موجودة خير من الصبر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا # واجر مع الدهر كما يجري
من سابق الدهر كبا كبوة # لم يستقلها آخر الدهر

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيل و ثقيل أوّل.

لما جفاه الفضل وصله ابن الحسن بن سهل:

قال عبد الله بن الحسن: و سمعت أبا العتاهية يحدث قال: ما زال
الفضل بن الربيع من أميل الناس إليّ، فلمّا رجع من خراسان بعد موت
الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدته: أفنيت عمرك إدارا و إقبالا #
تبغي البنين و تبغي الأهل و المالا

الموت هول فكن ما شئت ملتصبا # من هوله حيلة إن كنت محتالا

أ لم تر الملك الأمسيّ حين مضى # هل نال حيّ من الدنيا كما نالا

أفناه من لم يزل يفني القرون فقد # أضحى و أصبح عنه الملك قد زالا

كم من ملوك مضى رب الزمان بهم # فأصبحوا عبرا فينا و أمثالا

فاستحسنها و قال: أنت تعرف شغلي، فعد إليّ في وقت فراغي اقعد
معك و آنس بك. فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه فصرت إليه؛
فبينما هو مقبل عليّ يستنشدني و يسألني فأحدّثه، إذ أنشدته: ولى الشباب
فما له من حيلة # و كسا ذؤابتي المشيب حمارا

أين البرامكة الذين عهدتهم # بالأمس أعظم أهلها أخطارا

/فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونه و رأيت الكراهية في وجهه، فما
رأيت منه خيرا بعد ذلك.

قال: و كان أبو العتاهية يحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل؛ فقال
له: لئن كان ذلك ضرّك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا؛ فأمر له
بعشرة آلاف درهم و عشرة أثواب و أجرى له كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم،
فلم يزل يقبلها دائرة إلى أن مات.

عائب مجاشع بن مسعدة فردّ عليه من شعره:

قال عبد الله بن الحسن بن سهل: و سمعت عمرو بن مسعدة يقول:
قال لي أخي مجاشع: بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رقعة من أبي العتاهية

فيها: /

خليل لي أكاثمه # أراني لا ألائمه

خليل لا تهبّ الرّيد # ح إلهبّ لائمه

كذا من نال سلطانا # و من كثرت دراهمه

قال: فبعثت إليه فأتاني، فقلت له: أ ما رعيت حقًا و لا ذماما و لا
مودّة! فقال لي: ما قلت سوءا. قلت: فما

حملك على هذا؟ قال: أغيب عنك عشرة أيام فلا تسأل عني و لا تبعث إليّ رسولاً! فقلت: يا أبا إسحاق، أنسيت قولك: يابى المعلق بالمنى # إلا رواحا و ادلاجاً

ارفق فعمرك عود ذي # أود رأيت به اعوجاجا

من عاج من شيء إلى # شيء أصاب له معاجا

فقال: حسبك! أوسعنتي عذرا.

عاب شعر ابن منذر لاستعماله الغريب، فخلج:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عمران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن منذر[1]: شعرك مهجّن لا يلحق بالفحول، و أنت خارج عن طبقة المحدثين. فإن كنت تشبّهت بالعجاج و رؤية فما لحقتهما و لا أنت/في طريقهما، و إن كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئاً.

أخبرني عن قولك:

و من عاداك لاقى المرمريسا[2]

أخبرني عن المرمريس ما هو؟ قال: فخلج ابن منذر و ما راجعه حرفاً. قال: و كان بينهما تناغر[3].

عرف عبيد الله بن إسحاق بمكة و سأله أن يجيز شعره:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المهديّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال: وجد المأمون عليّ في شيء، فاستأذنته في الحجّ فأذن لي، فقدمت البصرة و عبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ[4] عليها و إليه أمر الحجّ، فزاملته إلى مكة. فبينما نحن في الطّواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعبيد الله: جعلت فداك! أ تحبّ أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: و الله إني لأحبّ أن أراه و أعاشره. قلت: فافرع من طوافك و اخرج، ففعل. فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجل من أهل البصرة شاعر أديب ظريف؟ [1] في شرح «القاموس» مادة «نذر» ما نصه: و «ابن منذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف. قال الجوهريّ: هو محمد بن منذر شاعر بصري، فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر؛ لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر، و من ضمه صرفه» اهـ. و قد ورد في «معجم البلدان» لياقوت

(ج 4 ص 644 طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم ليس غير؛ قال: «ذكر المبرد أن محمد بن منذر الشاعر كان إذا قيل ابن منذر بفتح الميم يغضب ويقول: أ منذر الكبرى أم منذر الصغرى، و هما كورتان من كور الأهواز، إنما هو منذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو منذر، مثل ضارب فهو مضارب». و قد ورد في «المشتمه في أسماء الرجال» للذهبي (ص 457 طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا.

[2] المرمريس: الداهية.

[3] التناغر: التناكر. و في ح: «تباعد» .

[4] كذا في ح، ء. و في سائر النسخ: «الهاشمي» و هو تحريف. -

قال: و كيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئت به إلى عبيد الله، و كان لا يعرفه، فتحدّثنا ساعة، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تجيزهما؟ فقال له عبيد الله: إنه لا رفت و لا فسوق و لا جدال في الحجّ. فقال له: لا نرفت و لا نفسق و لا نجادل. فقال: هات إذا. فقال أبو العتاهية: /

إنّ المنون غدوّها و رواحها # في الناس دائبة تجيل قداها

يا ساكر الدنيا لقد أوطنتها # و لتزحجّ و إن كرهت نزاحها

/ فأطرق عبيد الله ينظر إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه فقال:

خذ لا أبا لك للمنيّة عدّة # و احتل لنفسك إن أردت صلاحها

لا تغترر فكأنّني بعقاب رد # ب الموت قد نشرت عليك جناحها

قال: ثم سمعت الناس ينحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها، و ليس له إلاّ البيتان الأوّلان.

قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله، و أخبرني محمد بن خلف و كيع قال حدّثنا هارون بن مخارق قال حدّثني إبراهيم بن دسكرة، و أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: قال أبو العتاهية: حبسني [1] الرشيد لما تركت قول الشعر، فأدخلت السجن و أغلق الباب عليّ، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال، و إذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد، فجعلت أنظر إليه ساعة، ثم تمثّل:

صوت

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفتة # و أسلمني حسن العزاء إلى الصبر

و صيرني ياسي من الناس راجيا # لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له: أعد، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلك أبا العتاهية! ما أسوأ أدبك و أقلّ عقلك! دخلت عليّ الحبس فما سلّمت تسليم المسلم على المسلم، و لا سألت مسألة الحرّ للحرّ، و لا توجّعت توجّع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين/من الشعر الذي لا فضل فيك غيره، لم تصبر عن استعادتهما، و لم تقدّم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك في طلبهما! فقلت: يا أخي إني دهشت لهذه الحال، فلا تعذّلي و اعذّرني متفضّلا بذلك.

فقال: أنا و الله أولى بالدهش و الحيرة منك؛ لأنك حبست في أن تقول شعرا به ارتفعت و بلغت، فإذا قلت أمّنت، و أنا مأخوذ بأن أدلّ على ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم ليقتل أو أقتل دونه، و و الله لا أدلّ عليه أبدا، و الساعة يدعى بي فأقتل، فأينا أحقّ بالدهش؟ فقلت له: أنت و الله أولى، سلّمك الله و كفاك، و لو علمت أنّ هذه حالك ما سألتك.

قال: فلا نخل عليك إذا، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما. قال: فسألته من هو؟ فقال: أنا خاصّ داعية عيسى بن زيد و ابنه أحمد. و لم نلبث أن سمعنا صوت الأفعال، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرّه، و لبس ثوبا نظيفا كان [1] في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 1 ص 102) : «أمر المهدي بحبسي...» .

عنده، و دخل الحرس و الجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا، و قدّم قبلي إلى الرشد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تسألني عنه و اصنع ما أنت صانع، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه. و أمر بضرب عنقه فضرب. ثم قال لي: أظنك قد ارتعت يا إسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تسيل منه النفوس. فقال: ردّوه إلى محبسه فرددت، و انتحلت هذين البيتين و زدت فيهما: إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما # تكزّهت منه طال عتبي على الدهر

/الزرزور غلام المارقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل. و فيهما لعريب خفيف ثقيل.

كان خلفا في شعره له منه الجيد و الرديء:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجية بن عبد الواحد قال: /قال لي أبو العباس الخزيميّ:

كان أبو العتاهية خلفا في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي: لهفي على الزمن القصير # بين الخورنق و السدير إذ قال:

أيا ذوي الوخامة # أكثرتم الملامة

فليس لي على ذا # صبر و لا قلامه

نعم عشقت موقا # هل قامت القيامة

لأركبّ فيمن # هويته الصّرامه

عرض شعرا له على سلّم الخاسر فذمه فأجاب:

و نسخت من كتابه [1]: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجمّاز قال: قال سلّم الخاسر: صار إليّ أبو العتاهية فقال: جئتك زائرا؛ فقلت: مقبول منك و مشكور أنت عليه، فأقم.

فقال: إنّ هذا مما يشتدّ عليّ. قلت: و لم يشتدّ عليك ما يسهل على أهل الأدب؟ فقال: لمعرفتي بضيق صدرك.

فقلت له و أنا أضحك و أعجب من مكابرتة: «رمتني بدائها [2] و انسلّت». فقال: دعني من هذا و اسمع منّي أبياتا.

فقلت: هات؛ فأنشدني:

نَعَّص الموت كلَّ لِدَّة عيش # يا لقومي للموت ما أوحاه[3]

عجا أنَّه إذا مات ميت # صدَّ عنه حبيبه و جفاه

حيثما وجَّه امرؤ ليفوت الـ # موت فالموت واقف بحذاه

[1] يريد كتاب هارون بن علي الوارد في الصفحة السابقة.

[2] هذا مثل يضرب لمن يعيِّر آخر غيبا هو فيه.

[3] ما أوحاه: ما أسرعه.

إِثْمًا الشَّيْب لابن آدم ناع # قام في عارضيه ثم نعاه
 /من تمئى المنى فأغرق فيها # مات من قبل أن ينال مناه
 ما أذلّ المقلّ في أعين النّا # س لإقلاله و ما أقماه [1]
 إنما تنظر العيون من النا # س إلى من ترجوه أو تخشاه

ثم قال لي: كيف رأيتهما؟ فقلت له: لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها
 سوقية. فقال: والله ما يرعبني فيها إلا الذي زهدك فيها.

مر به حميد الطوسي متكبرا فقال شعرا:

و نسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطية
 عن محمد بن عيسى الحربيّ قال: كنت جالسا مع أبي العتاهية، إذ مرّ بنا
 حميد الطوسيّ في موكبه و بين يديه الفرسان و الرّجاله، و كان يقرب أبي
 العتاهية سواديّ [2] على أتان، فضربوا وجه الأتان و نحوه عن الطريق، و
 حميد واضع طرفه على معرفة فرسه و الناس ينظرون إليه يعجبون منه و
 هو لا يلتفت تيتها؛ فقال أبو العتاهية: للموت أبناء بهم # ما شئت من صلف و
 تيه

و كأثني بالموت قد # دارت رحاه على بنيه

/قال: فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية:

ما أذلّ المقلّ في أعين النا # س لإقلاله و ما أقماه
 إنما تنظر العيون من النا # س إلى من ترجوه أو تخشاه

اعترض عليه في بخله فأجاب:

قال عليّ بن مهديّ و حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال:

قيل لأبي العتاهية: مالك تبخل بما رزقك الله؟ قال: و الله ما بخلت بما
 رزقني الله قط. قيل له: و كيف ذاك و في بيتك من المال ما لا يحصى؟ قال:
 ليس ذلك رزقي، و لو كان رزقي لأنفقته.

طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه حتى استرضاه فمدحه:

قال عليّ بن مهديّ و حدّثني محمد بن جعفر الشهرزوريّ قال حدّثني
 رجاء مولى صالح الشهرزوريّ قال: كان أبو العتاهية صديقا لصالح
 الشهرزوريّ و أنس الناس به، فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له؛
 فقال له صالح: لست أكلمه في أشباه هذا، و لكن حمّلتني ما شئت في

مالي. فانصرف عنه أبو العتاهية و أقام أياً ما لا يأتيه؛ فكتب إليه أبو العتاهية:
أقلل زيارتك الصديق و لا تطل # إتيانه فتلجّ في هجرانه
[1] ما أقماه: ما أذله.

[2]السواديّ: القرويّ، من سواد البلدة و هو ما حولها من القرى، أو هو
الرجل من عامة الناس.

إِنَّ الصديق يَلجُ في غشيانه # لصديقه فيملُّ من غشيانه
 حتَّى تراه بعد طول مسرَّة # بمكانه متبرِّما بمكانه
 و أقلُّ ما يلفى الفتى ثقلا على # إخوانه ما كفَّ عن إخوانه
 و إذا توانى عن صيانة نفسه # رجل تنقص و استخفَّ بشانه

فلمَّا قرأ الأبيات قال: سبحان الله! أتهجرني لمنعي إِيَّاكَ شيئاً تعلم أنِّي
 ما ابتذلت نفسي له قط، و تنسى مودَّتِي و أخوَّتِي، و من دون ما بيني و
 بينك ما أوجب عليك أن تعذرني! فكتب إليه: أهل التَّخْلُق لو يدوم تخلق #
 لسكنت ظلَّ جناح من يتخلق

ما الناس في الإمساك إلا واحد # فبأيهم إن حصلوا[1] أتعلَّق
 هذا زمان قد تعود أهله # تيه الملوك و فعل من يتصدَّق[2]

فلمَّا أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى و حدَّثه بالحديث؛
 فقال له: لا و الله ما على الأرض أبغض إليَّ من إسداء عارفة إلى أبي
 العتاهية؛ لأنه ممن ليس/يظهر عليه أثر صنعة، و قد قضيت حاجته لك؛
 فرجع و أرسلني إليه بقضاء حاجته[3]. فقال أبو العتاهية: جزى الله عني
 صالحا بوفائه # و أضعف أضعافا له في جزائه

بلوت رجالا بعده في إخائهم # فما ازددت إلا رغبة في إخائه
 صديق إذا ما جئت أبغيه حاجة # رجعت بما أبغي و وجهي بمائه

أخبرني الصَّوْلِيَّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال حدَّثني أحمد بن
 حرب قال: أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحا هذا في تأخيره
 قضاء حاجته:

صوت

أ عينيَّ جودا و ابكيا و دِّ صالح # و هيجا عليه معولات التَّوَّاح
 فما زال سلطانا أخ لي أوّده # فيقطعني جرما[4] قطيعة صالح

/الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى
 البنصر.

أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويه شعره:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
 جدّه قال: كان الرشيد معجبا بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوما و في يده

رقعتان على نسخة واحدة، فبعث بإحدهما [1] حصلوا: خبروا و ميزوا.

[2] يتصدّق هنا: يسأل.

[3] أي رجع الفضل و أرسلني إلى أبي العتاهية بقضاء حاجته.

[4] في ء: «جزما» . و في سائر النسخ: «حزما» بالحاء المهملة. و يظهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

إلى مؤدّب لولده و قال: ليرؤهم ما فيها، و دفع الأخرى إليّ و قال: غرّ في هذه الأبيات. ففتحها فإذا فيها:

صوت

قل لمن ضنّ بوّده # و كوى القلب بصدّه

ما ابتلى الله فؤادي # بك إلا شؤم جدّه

/أيّها السارق عقلي # لا تصنّ برّدّه

ما أرى حبك إلا # بالغا بي فوق حدّه

تمثل المعتصم عند موته بشعر له:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأمويّ العتبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيات: لِمَا أحسنّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب و الله أبوك يا هارون! لله درّ أبي العتاهية حيث يقول: الموت بين الخلق مشترك # لا سوقة يبقى و لا ملك

ما ضرّ أصحاب القليل و ما # أغنى عن الأملاك ما ملكوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره و قال لم يشركه فيها غيره:
أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ و عمّي الحسن و الكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي أبو تمام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد، و لا قدر على مثلها متقدّم و لا متأخّر، و هو قوله: الناس في غفلاتهم # و رحى المنية تطحن

و قوله لأحمد بن يوسف:

ألم تر أنّ الفقر يرجى له الغنى # و أنّ الغنى يخشى عليه من الفقر

و قوله في موسى الهادي:

و لِمَا استقلّوا بأثقالهم # و قد أزمعوا للذي أزمعوا

قرنت التفاتي بأثارهم # و أتبعتم مقلّة تدمع

و قوله:

هب الدنيا تصير إليك عفوا # أليس مصير ذاك إلى زوال

عزّاه صديقا له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن سعيد المهديّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال:

مات شيخ لنا ببغداد، فلما دفنناه أقبل الناس على أخيه يعزونه، فجاء أبو العتاهية إليه و به جزع شديد، فعزاه ثم أنشده: لا تأمن الدهر و البس # لكل حين لباسا

ليدفننا أناس # كما دفننا أناسا

/قال: فانصرف الناس، و ما حفظوا غير قول أبي العتاهية.

أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب و ذمه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه: قال: كنت في مجلس خزيمة [1]، فجرى حديث ما يسفك من الدماء، فقال: و الله ما لنا عند الله عذر و لا حجة إلا رجاء عفوهِ و مغفرته. و لو لا عزّ السلطان و كراهة الذلّة، و أن أصير بعد الرئاسة سوقة و تابعا بعد ما كنت متبوعا، ما كان في الأرض أزهّد و لا أعبد منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوب: أراك امرأ ترجو من الله عفوهِ # و أنت على ما لا يحبّ مقيم

تدلّ على التقوى و أنت مقصّر # أيا من يداوي الناس و هو سقيم

و إنّ امرأ لم يلهه اليوم عن غد # تخوّف ما يأتي به لحكيم

و إنّ امرأ لم يجعل البرّ كنزه # و إنّ كانت الدنيا له لعيدم

/فغضب خزيمة و قال: و الله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البرّ فيرغب فيه حرّ. فقيل له: و كيف ذاك؟ فقال: لأنّه من الذين يكتنون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله.

مدح يزيد بن مزيد فوصله:

و نسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال قال لي الفضل بن العباس: قال لي أبو العتاهية: دخلت على يزيد بن مزيد، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها: و ما ذاك إلا أنّي واثق بما # لديك و أنّي عالم بوفائكا

كأنك في صدري إذا جئت زائرا # تقدّر فيه حاجتي بابتدائك

و إنّ أمير المؤمنين و غيره # ليعلم في الهجاء فضل غنائكا

كأنك عند الكرّ في الحرب إنّما # تفرّ من السّلم الذي من ورائكا

فما آفة الأملاك غيرك في الوعى # و لا آفة الأموال غير حبايكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، و دابة بسرجهما و لجامها..

[1] هو خزيمه بن خازم أحد قوَاد الرشيد.

وعظ راهب رجلا عبدا بشعره:

و أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق و عمّي الحسن بن محمد و حبيب بن نصر المهلبى قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال: مرّ عابد براهب في صومعة؛ فقال له: عطني. فقال: أعطك و عليك نزل القرآن، و نيّكم محمد صلى الله عليه و سلم قريب العهد بكم [1]؟ قلت نعم. قال: فأتعظ بيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول: تجرّد من الدنيا فإنك إنّما # وقعت إلى الدنيا و أنت مجرّد

فضله العتابي على أبي نواس:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جميل قال: /قدم العتابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثوبة بن يونس، و كتّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذكر الشعراء؛ فقال: لكم يا أهل العراق شاعر منوّه الكنية، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نواس؛ فانتهرهم و نفص يده و قال: ليس ذلك، حتى طال الكلام. فقلت: لعلك تريد أبا العتاهية. فقال: /نعم! ذاك أشعر الأولين و الآخرين في وقته.

لام أبا نواس في استماع الغناء:

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكنديّ قال: جلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس و يلومه في استماع الغناء و مجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس: أ تراني يا عتاهي # تاركاً تلك الملاهي

أ تراني مفسداً بالنّ # سك عند القوم جاهي

قال: فوثب أبو العتاهية و قال: لا بارك الله عليك! و جعل أبو نواس يضحك.

بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم:

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة و ذكره بها؛ فبعث إليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي: إنّ المنيّة أمهلتك عتاهي # و الموت لا يسهو و قلبك ساهي

يا ويح ذي السنّ الضعيف أماله # عن غيّه قبل الممات تناهي

وَكَلَّتْ بِالدُّنْيَا تَبَكِّيَهَا وَتَدُ # دَبْهَا وَأَنْتَ عَنِ الْقِيَامَةِ لَاهِي

وَ الْعَيْشِ حَلْوٍ وَ الْمُنُونِ مَرِيرَةٍ # وَ الدَّارِ دَارِ تَفَاخُرٍ وَ تَبَاهِي

[1] فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ: «وَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَرِيبِ
الْعَهْدِ بِكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَى آلِهِ». وَ يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا تَكَرَّرَ مِنَ
النِّسَاخِ.

/فاختر[1]

لنفسك دونها سبلا و لا # تتحامقن لها فإنك لاهي
لا يعجبك أن يقال مفوه # حسن البلاغة أو عريض الجاه
أصلح جهولا من سريرتك التي # تخلو بها و اربها مقام الله
إني رأيتك مظهرا لزهادة # تحتاج منك لها إلى أشباه

كان عبد الله بن العباس بن الفضل مشغوبا بالغنا في شعره:
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الصولي
قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: رأيت الرشيد
مشغوبا بالغناء في شعر أبي العتاهية:

صوت

أحمد قال لي و لم يدر ما بي # أ تحب الغداة عتبه حقا
فتفست ثم قلت نعم حب # با جرى في العروق عرقا فعرقا
لو تجسبن يا عتية قلبي # لوجدت الفؤاد قرحا تفقا
قد لعمرى ملّ الطيب و ملّ # الأهل مني مما أقاسي و ألقى
ليتنى من فاسترحت فإني # أبدا ما حيت منها ملقى[2]

و لا سيما من مخارق، و كان يغني فيه رملا لإبراهيم أخذه عنه. و فيه
لحن لفريدة رمل. هكذا قال الصولي: «فريدة» بالياء، و غيره يقول:
«فرندة» بالنون.

**أمره الرشيد أن يقول شعرا يغني فيه الملاحون فلما سمعه
بكى:**

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا محمد بن صالح
العدوي قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين
في الرّلات[3] إذا ركبها، و كان يتأدى بفساد كلامهم و لحنهم، فقال: قولوا
لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه. /ف قيل له: ليس أحد
أقدر على/هذا من أبي العتاهية، و هو في الحبس. قال: فوجه إلي الرشيد:
قل شعرا حتى أسمعه منهم، و لم يأمر بإطلاقي؛ فغاضني ذلك فقلت: و الله
لأقولن شعرا يحزنه و لا يسر به، فعملت شعرا و دفعته إلي من حفظه
الملاحين. فلما ركب الحراقه[4] سمعه، و هو: خانك الطرف الطموح # أيها
القلب الجموح

[1] في حـ: «فاحتل» .

[2] الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه.

[3] لم نجد هذا الاسم في «كتب اللغة» التي بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا. و ظاهر أن المراد به نوع من السفن.

[4] الحرّاقه: ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. و كان منها أنواع تستعمل للنزهة و الرياضة و التنقل عند الخلفاء و الملوك و الأمراء في أوّل العصر العباسي (مثل الذهبية عندنا) و هي المرادة هنا.

لدواعي الخير و الشئ # ر دنو و نزوح
 هل لمطلوب بذنب # توبة منه نصوح
 كيف إصلاح قلوب # إتما هن قروح
 أحسن الله بنا # أن الخطايا لا تفوح
 فإذا المستور متا # بين ثوبيه نصوح[1]
 كم رأينا من عزيز # طويت عنه الكشوح
 صاح منه برحيل # صائح الدهر الصدوح
 موت بعض الناس في الأر # ض على قوم فتوح
 سيصير المرء يوما # جسدا ما فيه روح
 بين عيني كل حي # علم الموت يلوح
 كلنا في غفلة و ال # موت يغدو و يروح
 لبنى الدنيا من الدن # يا غبوق[2] و صبوح
 رحن في الوشى و أصبح # ن عليهن المسوح /
 كل نطاح من الده # ر له يوم نطوح
 نج على نفسك يا مسد # كين إن كنت تنوح
 لتموتن و إن عم # رت ما عمّر نوح

قال: فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي و ينتحب، و كان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة، و أشدهم عسفا في وقت الغضب و الغلظة. فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه، أوما إلى الملاحين أن يسكتوا.

هجا منجبا الذي كان موكلا بحبسه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن[3] بن رجاء قال: لما حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه إلى منجاب، فكان يعنف به؛ فقال أبو العتاهية: منجاب مات بدائه # فاعجل له بدوائه
 إنّ الإمام أعلّه # ظلما بحدّ شقائه
 لا تعنفن[4] سياقه # ما كلّ ذاك برائه[5]

[1] في «الديوان»: «فضوح» بالفاء.

[2] الغبوق: ما شرب أو أكل آخر النهار، و يقابله الصبوح و هو ما أكل أو شرب أوّل النهار.

[3] في الأصول: «الحسين» و هو تحريف.

[4] أعنف الشيء: أخذه بشدّة.

[5] يريد: «برأيه» .

ما شمت هذا في مخا # يل بارقات سمائه

مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا العنزي قال حدّثني أحمد بن معاوية القرشي قال: لمّا عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، و المأمون، و المؤمن، قال/أبو العتاهية: رحلت عن الرّبع المحيل قعودي # إلى ذي زحوف[1]جمّة و جنود

و راع يراعي اللّيل في حفظ أمة # يدافع عنها الشرّ غير رقود

بألوية جبريل يقدم أهلها # و رايات نصر حوله و بنود

/تجافى عن الدّنيا و أيقن أنّها # مفارقة ليست بدار خلود

و شدّ عرا الإسلام منه بفتية # ثلاثة أملاك ولاة عهود

هم خير أولاد، لهم خير والد # له خير آباء مضت و جدود

بنو المصطفى هارون حول سريره # فخير قيام حوله و قعود

تقلّب ألحاظ المهابة بينهم # عيون طباء في قلوب أسود

جدودهم[2]شمس أنت في أهلة # تبدّت لراء في نجوم سعود

قال: فوصله الرشيد بصلة ما وصل بمثلها[3]شاعرا قطّ.

ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد فاستعفى هو، فكتب من

شعره في مجلسه و على باب مدينته:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ إجازة قال حدّثني الرّياشيّ قال: قدم رسول لملك الرّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية و أنشده شيئاً من شعره، و كان يحسن العربيّة، فمضى إلى ملك الرّوم و ذكره له؛ فكتب ملك الرّوم إليه، و ردّ رسوله يسأل الرشيد أن يوجّه بأبي العتاهية و يأخذ فيه رهائن من أراد، و ألحّ في ذلك. فكلم الرشيد أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه و أباه. و اتّصل بالرشيد أنّ ملك الرّوم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه و باب مدينته، و هما:

صوت

ما اختلف اللّيل و النّهار و لا # دارت نجوم السماء في الفلك

إلّا لنقل السّلطان عن ملك # قد انقضى ملكه إلى ملك

[1]الزحوف: جمع زحف و هو الجيش.

[2] كذا في «الديوان» . و في الأصول: «خدودهم» بالخاء.
[3] في الأصول: «ما وصل مثلها» .

انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد فكتب له شعرا معتذرا و مادحا:

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الربيع بن محمد الخثلي الوراق قال أخبرني ابن أبي العتاهية: /أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس، لزم بيته و قطع الناس؛ فذكره الرشيد فعرف خبره، فقال: قولوا له: صرت زير نساء و جلس[1]بيت؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

برمت بالناس و أخلاقهم # فصرت أستأنس بالوحده

ما أكثر الناس لعمرى و ما # أقلهم في منتهى العده

ثم قال: لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها، و هي:

صوت

عاد لي من ذكرها نصب # فدموع العين تنسكب

و كذاك الحب صاحبه # يعتربه الهم و الوصب

/خير من يرجى و من يهب # ملك دانت له العرب

و حقيق أن يدان له # من أبوه للنبي أب

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعرا فبكى:

حدثنا الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيد لأبي: عطني؛ فقال له: أخافك. فقال له: أنت آمن. فأنشده: لا تأمن الموت في طرف و لا نفس # إذا تسرت بالأبواب و الحرس

و اعلم بأن سهام الموت قاصدة # لكل مدرع مئا و مئرس

ترجو النجاة و لم تسلك طريقها # إن السفينة لا تجري على اليبس

قال: فبكى الرشيد حتى بل كمه.

تناظر ابن أبي فنن و ابن خاقان فيه و في أبي نواس، ثم حكما ابن الضحاك فضله:

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال:

قال لي أحمد بن أبي فنن: تناظرت أنا و الفتاح بن خاقان في منزله: أيما[الرجلين] أشعر: أبو نواس أم أبو العتاهية. فقال الفتاح: أبو نواس، و

قلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وضعت أشعار العرب كلّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها، و ليس بيننا خلاف في أنّ له في كلّ قصيدة جيّدا و وسطا و ضعيفا، فإذا جمع جيّده كان أكثر من جيّد كلّ مجوّد. [ثم] قلت له: بمن ترضى؟ قال: بالحسين بن الضحّاك. فما انقطع كلامنا حتّى دخل الحسين بن [1] جلس بيت: ملازمه لا يبرحه، و هو مما يذم به الرجل. -

الضخَّاكُ؛ فقلت: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضَّل أحدهما أبا نواسٍ و فضَّل الآخر أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أمُّ من فضَّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانية؛ فوجل الفتح حتى تبين ذلك فيه، ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى افترقنا.

اجتمع مع مخارق فما زال يغنيه و هو يشرب و يبكي ثم كسر الأنية و ترهد:

و قد حدَّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديِّ فيما تقدّم، فقال: حدَّثني هارون بن مخارق قال حدَّثني أبي قال: جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمت على أن أتزوّد منك يوما تهبه لي، فمتى تنشط؟ فقلت: متى شئت.

فقال: أخاف أن تقطع بي. فقلت: والله لا فعلت و إن طلبني الخليفة. فقال: يكون ذلك في غد. فقلت: أفعل.

فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميد [1] و خل و بقل [2] و ملح و جدي مشويّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها و غسلنا أيدينا، و جاءونا بفاكهة و ريحان و ألوان/من الأنبذة، فقال: اختر ما يصلح لك منها؛ فاخترت و شربت؛ و صبّ قدحا ثم قال: غنّني في قولي: أحمد قال لي و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبه حقا

فغنّيته، فشرب قدحا و هو يبكي أحزّ بكاء. ثم قال: غنّني في قولي:

ليس لمن ليست له حيلة # موجودة خير من الصبر

فغنّيته و هو يبكي و ينشج [3]، ثم شرب قدحا آخر ثم قال: غنّني، فديتك، في قولي: خليلي ما لي لا تزال مضرتي # تكون مع الأقدار ختما من الحتم

فغنّيته إياه. و ما زال يقترح عليّ كلّ صوت غنّني به في شعره فأغنّيه و يشرب و يبكي حتى صار العتمة. فقال: أحبّ أن تصبر حتى ترى ما أصنع فجلست. فأمر ابنه و غلامه فكسرا كلّ ما بين أيدينا من النبيذ/و آله و الملاهي، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النبيذ و آله، فأخرج جميعه، فما زال يكسره و يصبّ النبيذ و هو يبكي حتى لم يبق من ذلك شيء، ثم نزع

ثيابه و اغتسل، ثم لبس ثيابا بيضا من صوفي، ثم عانقني و بكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبي و فرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده؛ و جعل يبكي، و قال: هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر أهل الدنيا؛ فظننت أنها بعض حماقاته، فانصرفت، و ما لقيته زمانا. ثم تشوّقت[4] فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قوصرتين[5] و ثقب إحداهما و أدخل رأسه و يديه فيها و أقامها مقام القميص، و ثقب الأخرى[6] و أخرج رجله منها و أقامها مقام السراويل. فلما رأته نسيت كل ما كان عندي من الغمّ عليه و الوحشة [1]السميد: الدقيق الأبيض و هو لباب الدقيق.

[2]كذا في الأصول. و يحتمل أيضا أن يكون «نقل» إذ هو المناسب للمقام.

[3]نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

[4]في «معاجم اللغة» التي بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف. فلعل ما هاهنا من باب الحذف و الإيصال، و الأصل: «تشوّقت إليه» .

[5]القوصرة (بتشديد الراء و تخفيفها) : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

[6]في الأصول: «أخرى» .

لعشرته، /و ضحكت و الله ضحكا ما ضحكت مثله قطّ. فقال: من أيّ شيء تضحك؟ فقلت: أسخن [1]الله عينك! هذا أيّ شيء هو؟ من بلغك عنه أنّه فعل مثل هذا من الأنبياء و الزّهّاد و الصحابة و المجانين، انزع عنك هذا يا سخين العين! فكأنه استحيا منّي. ثم بلغني أنّه جلس حجّاما، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أراه. ثم مرض، فبلغني أنه اشتهى أن أغثيه، فأتيته عائدا، فخرج إليّ رسوله يقول: إن دخلت إليّ جدّدت لي حزنا و تآقت نفسي من سماعك إليّ ما قد غلبتها عليه، و أنا أستودعك الله و أعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

تمنى عند موته أن يحيى مخارق فيغنيه في شعره:

حدّثني جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يحيى مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغثيني.

سيعرض عن ذكرى و تنسى موّدي # و يحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عني من الدّهر مدّتي [2] # فإنّ غناء الباكيات قليل

و أخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح [بن]النطّاح قال: قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذكر مثل الأوّل.

و أخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بشرا قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطية قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه: إلهي [3] لا تعدّبني فإنّي # مقرّ بالذي قد كان منّي

فما لي حيلة إلاّ رجائي # لعفوك إن عفوت و حسن ظنيّ

و كم من زلة لي في الخطايا # و أنت عليّ ذو فضل و منّ

إذا فكّرت في ندمي عليها # عضضت أناملتي و قرعت سنّي

اجنّ بزهرة الدّنيا جنونا # و أقطع طول عمري بالتمنيّ

و لو أنّي صدقت الزّهد عنها # قلبت لأهلها ظهر المجنّ

يظنّ الناس بي خيرا وإني # لشرّ الخلق إن لم تعف عنيّ

[1]أسخن الله عينه: أبكاه و أحزنه.

[2]كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان «و ديوانه» طبع بيروت (ص 221) . و مدته: أجله. و في الأصول: «ليلة» .

[3]ورد هذا الشعر في «ديوانه» (ص 263) باختلاف يسير في الرواية عما هنا.

أمر بنته في علته التي مات فيها أن تندبه بشعر له:

/أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني أحمد بن حمزة الصّبيعي قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رقيّة في علته التي مات فيها: قومي يا بنّية فاندبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبته بقوله: لعب البلى بمعالمي و رسومي # و قبرت حيّا تحت ردم همومي

لزم البلى جسّمي فأوهن قوّتي # إن البلى لموكل بلزومي

تاريخ وفاته و مدفنه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مخارق المغني قال: توفي أبو العتاهية، و إبراهيم الموصليّ، و أبو عمرو الشّيباني عبد السلام[1] في يوم واحد في خلافة المأمون، و ذلك في سنة ثلاث عشرة و مائتين.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال: مات أبو العتاهية، و راشد الخنّاق، و هشيمة الخمّارة في يوم واحد سنة تسع و مائتين.

و ذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقدي: أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة و مائتين، و دفن حيال قنطرة الزيّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد.

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشّيباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنّ أباه توفي سنة عشر و مائتين.

الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال: أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره:

[1] كذا في أكثر الأصول. و ظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبي عمرو الشّيباني، و هو غير صحيح؛ فإن أبا عمرو الشّيباني الذي توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو العتاهية اسمه إسحاق بن مرار (وزان كتاب) و هو من رمادة الكوفة، و نزل إلى بغداد و جاور شيبان للتأدب فيها فنسب إليها، و كان من الأئمة الأعلام في اللغة و الشعر. و في ٤: «و عبد السلام» بزيادة

واو العطف، و هو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر في وفيات هذه السنة. و قد بحثنا في كتب التاريخ و التراجم عن توفوا في سنة 213 فلم نعثر فيهم على من تسمى بعبد السلام. و في نسخة أ: «أبو عمرو الشيباني... السلام». و الظاهر أن البياض في «أ» و كلمة «عبد» في باقي الأصول أصله «بمدينة». و مدينة السلام هي بغداد. و يؤيد هذا ما ورد في «وفيات الأعيان» في ترجمة أبي عمرو الشيباني من قوله: «... مات إسحاق بن مزار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية و إبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة و مائتين ببغداد» .

أذن حيّ تسمّعي # اسمعي ثمّ عي و عي
 أنا رهن بمضجعي # فاحذري مثل مصرعي
 عشت[1] تسعين حجّة # أسلمتني لمضجعي
 كم ترى الحيّ ثابتا # في ديار التزعزع
 ليس زاد سوى التّقى # فخذني منه أو دعي

رثاه ابنه بشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: لمّا مات
 أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال: /

يا أبي ضمّك الثرى # و طوى الموت أجمعك
 ليتني يوم متّ صر # ت إلى حفرة معك
 رحم الله مصرعك # برّد الله مضجعك

أنكر ابنه أنه أوصى أن يكتب شعر على قبره:

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال:

قال محمد بن أبي العتاهية: لقيني محمد بن أبي محمد
 البيزديّ [2] فقال: أنشدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تكتب على قبره؛
 فأنشأت أقول له: كذبت على أخ لك في مماته # و كم كذب فشا لك في
 حياته

/و أكذب ما تكون على صديق # كذبت عليه حيّا في مماته

فخجل و انصرف. قال: و النّاس يقولون: إنّه أوصى أن يكتب على قبره
 شعر له، و كان ابنه ينكر ذلك.

و ذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ
 الأبيات العينيّة التي أولها: أذن حيّ تسمّعي
 على حجر عند قبر أبي العتاهية.

و لم أذكر هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عتبة، و هي من أعظم
 أخباره؛ لأنّها طويلة، و فيها أغان كثيرة، و قد طالت أخباره هاهنا فأفردتها.

[1] في «الديوان» بدل هذا البيت و الذي يليه بيت واحد، و هو: عشت
 تسعين حجة # في ديار التزعزع

[2] في الأصول: «الزبيدي» . و التصويب عن كتاب «الأنساب»
للسمعاني.

40-أخبار فريدة

أخبار فريدة الكبرى و نشأتها و مصيرها:

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان محستانٍ لهما صنعة تسميان بفريدة. فأما إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مولدة نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الربيع، فعلمت الغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة. فلما قتل جعفر بن يحيى و نكبوا هربت، و طلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلما قتل خرجت، فتزوجها الهيثم بن مسلم [1] فولدت له ابنه عبد الله، ثم مات عنها، فتزوجها السندي بن الحرشي [2] و ماتت عنده. و لها صنعة جيدة، منها في شعر الوليد بن يزيد:

بعض الشعر الذي لها فيه صنعة:

صوت

ويح سلمى لو تراني # لعناها ما عناني
واقفا في الدار أبكي # عاشقا حور الغواني

و لحنها فيه خفيف رمل.

و من صنعتها:

صوت

ألا أيها الركب ألا هبوا # نسائلكم هل يقتل الرجل الحب [3]
ألا رب ركب قد وقفت مطيهم # عليك و لو لا أنت لم يقف الركب

لحنها فيه ثاني ثقيل. و فيه لابن جامع خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عدي عن بيت نصفه بدوي و

الآخر حضري ثم ذكره:

فحدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثني العمري قال حدّثني الهيثم بن عدي قال: [1] كذا في ب، س. و في سائر النسخ: «سلم» .

[2] كذا في «الطبري» (ص 680 و 734 و 855 و 856 من القسم الثالث) و هو أحد رجالات الرشيد و المأمون. و في الأصول: «الجرشي» بالجيم.

[3] الرواية المشهورة لهذين البيتين: ألا أيها النّوام وبحكم هبوا #
نسائلكم هل قتل الرجل الحب

ألا رب ركب قد دفعت و جيفهم # إليك و لو لا أنت لم يوجف الركب

قال صالح بن حسن يوما: ما نصف بيت كآته أعرابي في شملة، و النصف الآخر كآته مخنث مفكك؟ قلت: لا أدري. فقال: قد أجلتك حولا. فقلت: لو أجلتني عشرة أحوال ما عرفته. فقال: أوه! أف لك! قد كنت أحسبك أجود ذهنا مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال: قول جميل.

ألا أيها الركب التيام ألا هبوا

هذا كلام أعرابي، ثم قال:

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

كآته و الله من مخنثي العقيق.

أخبار فريدة وهي المحسنة دون فريدة الكبرى:

و أما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أشك في أن اللحن المختار لها؛ لأن إسحاق اختار هذه المائة الصوت للوائح، فاختار فيها لمثيم لحن، و لأبي دلف لحن، و لسليم بن سلام لحن، و لرياض جارية أبي حماد لحن. و كانت فريدة أثيرة عند الوائح و حظية لديه جدا، فاختار لها هذا الصوت، لمكانها من الوائح، و لأنها ليست دون من اختار له من نظرائها.

قدّمت هي و شارية في الطيب و إحكام الغناء:

أخبرني الصوليّ قال/حدّثنا الحسين بن يحيى عن ربيق: أنها اجتمعت هي و خشف الواضحية يوما، فتذاكرتا أحسن ما سمعته من المغنيات؛ فقالت ربيق: شارية أحسنهنّ غناء و مثيم، و قالت خشف: عريب و فريدة؛ ثم اجتمعنا على تساويهنّ، و تقديم مثيم في الصنعة، و عريب في الغزارة و الكثرة، و شارية و فريدة في الطيب و إحكام الغناء.

أهداها ابن بانه للوائح:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال: كانت فريدة جارية الوائح لعمر بن بانه، و هو أهداها إلى الوائح، و كانت من الموصوفات المحسنات، و ربّيت عند عمرو بن بانه مع صاحبة لها اسمها «خلّ»، و كانت حسنة الوجه، حسنة الغناء، حادّة الفطنة و الفهم.

سألت ابن بانه عن صاحبة لها بالإشارة:

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانه قال: غيّت الوائح: قلت حلّا [1] فاقبلي معذرتي # ما كذا يجزي محب من أحب

فقال لي: تقدّم إلى السّتّارة فألقه على فريدة، فألقيته عليها؛ فقالت:
هو حلٌّ [2] أو خلٌّ كيف هو؟ فعلمت أنها سألتني عن صاحبها في خفاء من
الوائق.

[1] كذا في ترجمة عمر بن أبي ربيعة الواردة في هذا الكتاب (ج 1 ص
134 من هذه الطبعة) . و في الأصول هنا: «خلا» بالخاء المعجمة.
[2] في الأصول: «خلى» بالخاء المعجمة و الياء في آخره.

تزوُّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت:

و لما تزوَّجها المتوكل أرادها على الغناء، فأبت أن تغني وفاء للوائق، فأقام على رأسها خادما و أمره أن يضرب رأسها أبدا أو تغني؛ فاندفعت و غنت: فلا تبعد[1] فكل فتى سيأتي # عليه الموت يطرق أو يغادي

نقل ابن بُسْحُرِّ قصة لها مع الواثق و غيرته من جعفر المتوكل:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني علي بن يحيى المنجم قال حدَّثني محمد بن الحارث بن بُسْحُرِّ قال: كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرت ركبت إلى الدار؛ فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده، و إن لم ينشط انصرفت. و كان رسمنا ألا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته. فأني لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رسل الخليفة قد هجموا علي و قالوا لي: احضر. فقلت: أ لخير؟ قالوا: خير. فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قط، و لعلكم غلطتم. فقالوا: الله المستعان، لا تطل/و بادر؛ فقد أمرنا ألا ندعك تستقرّ على الأرض. فداخني فزع شديد؛ و خفت أن يكون ساع قد سعى بي، أو بليّة قد حدثت في رأي الخليفة علي؛ فتقدّمت بما أردت و ركبت حتى وافيت الدار؛ فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل، فمنعت، و أخذ بيدي الخدم فأدخلوني و عدلوا بي إلى ممّرات[2] لا أعرفها، فزاد ذلك في جزعي و غمي. ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصّحن، ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه و حيطانه ملبسة بمثل ذلك، و إذا الواثق في صدره على سرير مرصّع بالجواهر و عليه ثياب منسوجة بالذهب، و إلى جانبه فريدة جارته، عليها مثل ثيابه و في حجرها عود. فلما رأني قال: جوّدت[3] و الله يا محمد إيلنا. فقبّلت الأرض ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيرا! قال: خيرا، أ ما ترانا[4]! طلبت و الله ثالثا يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك، فبحياتي بادر فكل شيئا و بادر إيلنا. فقلت: قد و الله يا سيدي أكلت و شربت أيضا. قال: فاجلس فجلست، و قال: هاتوا لمحمد رطلا في قدح، فأحضرت ذلك، و اندفعت فريدة تغني: /

أهابك إجلالا و ما بك قدرة # علي و لكن ملء عين حبيها

و ما هجرتك النفس يا ليل أنّها # قلتك و لا أن قلّ منك نصيبها[5]

فجاءت و الله بالسّحر، و جعل الواثق يجاذبها، و في خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت، و أغني أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد. فإننا لكذلك إذ رفع/رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من

أعلى السرير إلى الأرض و تفتت عودها و مرّت تعدو و تصيح، و بقيت أنا
كالمنزوع الروح؛ و لم أشك في أنّ عينه [1] لا تبعد: لا تهلك.

[2] في جميع الأصول: «مبرات» بالباء، و هو تحريف.

[3] جودت هنا: أسرع. قال في «اللسان»: «يقال: جود في عدوه
تجويدا» .

[4] في ب، س: «خيرا ما ترى أنا طلبت...» .

[5] ورد هذا البيت في شرح «ديوان حماسة» أبي تمام (ص 598 طبع
أوروبا) هكذا: و ما هجرتك النفس أنك عندها # قليل و لكن قل منك نصيبها

وقعت عليّ [1] و قد نظرت إليها و نظرت إليّ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيراً و أطرقت أتوقع ضرب العنق. فأني لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبت. فقال: ويحك! رأيت أغرب مما تهياً علينا! فقلت: يا سيدي، الساعة و الله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله! فما كان السبب؟ أ لذنّب؟ قال: لا و الله! و لكن فكرت أن جعفرًا يقعد هذا المقعد و يقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر و خامرني ما أخرجني إلى ما رأيت. فسري عني و قلت: بل يقتل الله جعفرًا، و يحيا أمير المؤمنين أبداً، و قبلت الأرض و قلت: يا سيدي الله الله! ارحمها و مر بردها. فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت و في يدها عودها و عليها غير الثياب التي كانت عليها. فلما رآها جذبها و عانقها، فبكت و جعل هو يبكي، و اندفعت أنا في البكاء. فقالت: ما ذنبي يا مولاي و يا سيدي؟ و بأيّ شيء استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي و هو يبكي و هي تبكي. فقالت: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربت عنقي الساعة و أرحتني من الفكر في هذا، و أرحت قلبك من الهمّ بي، و جعلت تبكي و يبكي، ثم مسحاً أعينهما و رجعت إلى مكانها؛ و أوما إلى خدم و قوف بشيء لا أعرفه، فمضوا و أحضروا أكياساً فيها عين [2] و ورق، و رزماً فيها ثياب كثيرة، و جاء خادم بدرج ففتحه و أخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه، فألبسها إياه، و أحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي و خمسة تخوت فيها ثياب، و عدنا إلى أمرنا و إلى أحسن مما كنا؛ فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرّقنا.

قصتها مع المتوكل بعد الواثق:

و ضرب الدهر ضربه [3] و تقلد المتوكل. فو الله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليّ رسل الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت و صرت إلى الدار، فأدخلت و الله الحجرة بعينها، و إذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه و إلى جانبه فريدة. فلما رأني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك! فقلت لها: يا سبحان الله! أ تخالفين سيّدك و سيّدنا و سيد البشر! بحياته غني! فعرفت و الله ثم اندفعت تغني: مقيم بالمجازة [4] من قنوني [5] # و أهلك بالأجيفر [6] فالتماد [7]

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتي # عليه الموت يطرق أو بغادي

ثم ضربت بالعود الأرض، ثم رمت بنفسها عن السرير و مَّرت تعدو و هي تصيح وا سيِّداه! فقال لي: ويحك! ما هذا؟ فقلت: لا أدري و الله يا سيِّدي. فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى/ أن أنصرف أنا و تحضر هذه و معها غيرها؛ فإنَّ الأمر يؤول إلي ما يريد أمير المؤمنين. قال: فانصرف في حفظ الله! فانصرفت و لم أدر ما كانت القصة.

[1] في الأصول: «وقعت إليّ» ، على أنه يجوز أن يكون التحريف في الفعل و أن أصله: «وقعت إليّ» .

[2] العين: الذهب المضروب و هو الدنانير. و الورق: الدراهم المضروبة من الفضة.

[3] يقال: ضرب الدهر ضربانه و من ضربانه، و ضرب الدهر ضربه و من ضربه أي مرّ من مروره و ذهب بعضه.

[4] المجازة: منزل من منازل طريق مكة بين ماوية و ينسوعة.

[5] قنوني: واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة.

[6] الأجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس. و قال الأصمعيّ: هو لبني أسد.

[7] الثماد: موضع في ديار بني تميم قرب المرّوت.

مدح محمد بن عبد الملك غناءها:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت فريدة تغني:

أخلّاي بي شجو و ليس بكم شجو # و كلّ امرئ مما بصاحبه خلو
أذاب الهوى لحمي و جسمي و مفصلي # فلم يبق إلاّ الرّوح و الجسد التّضو

فما سمعت قبله و لا بعده غناء أحسن منه.

/الشعر لأبي العتاهية، و الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، و له أيضا فيه خفيف ثقيل بالسبابة و البنصر عن ابن المكيّ. و فيه لعمر بن بانه رمل بالوسطى من مجموع أغانيه. و فيه لعريب خفيف ثقيل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتزّ و عليّ بن يحيى. و تمام هذه الأبيات: و ما من محبّ نال ممن يحبّه # هوى صادقاً إلاّ سيدخله زهو

-و فيها كلّها غناء مفترق الألحان في أبياته [1]-:

بليت و كان المرح بدء بليّتي # فأحببت جهلا و البلايا لها بدو
و علّقت من يزهو عليّ تجبّرا # و إنّني في كلّ الخصال له كفو

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

باتت همومي تسري طوارقها # أكفّ عيني و الدمع سابقها

لما أتاه من اليقين و لم # تكنّ تراه يلمّ طارقها

الشعر لأميّة بن أبي الصّلت، و الغناء للهدليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى. و فيه لابن محرز لحنان: هزج و ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش. و ذكر يونس: أنّ فيه لابن محرز لحن واحد مجتّسا.

[1]وردت هذه الجملة في الأصول هكذا: «و فيها كلها غناء مفترق في أبياته الألحان». و كان ينبغي أن تكون هذه الجملة عقب الأبيات.

41- ذكر أمية بن أبي الصلت و نسبه و خبره

نسبه من قبل أبويه:

و اسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة[1] بن قسي، و هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن. هكذا يقول من نسبهم إلى قيس[2]، و قد شرح ذلك في خبر طريح[3]. و أم أمية بن أبي الصلت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف. و كان أبو الصلت شاعرا، و هو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن: ليطلب الثار أمثال ابن ذي يزن # إذ صار في البحر للأعداء أحوالا[4]

و قد كتب خبر ذلك في موضعه.

أولاد أمية:

و كان له أربعة بنين: عمرو و ربيعة و وهب و القاسم. و كان القاسم شاعرا، و هو الذي يقول-أنشدنيه الأخفش و غيره عن ثعلب، و ذكر الزبير أنها لأمية:-

صوت

قوم إذا نزل الغريب[5] بدارهم # ردّوه ربّ صواهل و قيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم # لتلمّس العلات بالعيدان

يمدح عبد الله بن جدعان بها، و أولها: قومي ثقيف إن سألت و أسرتي # و بهم أذافع ركن من عاداني

غناه الغريض، و لحنه ثقيل أوّل بالنصر. و لابن محرز فيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهشامي جميعا.

[1] في كتاب «الشعر و الشعراء»: «غيرة». و غيرة (وزان عنبة): اسم قبيلة أيضا.

[2] يريد قيس عيلان و هو الجد الأعلى لهوازن؛ لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.

[3] ستأتي أخبار طريح في هذا الجزء (ص 302).

[4] في «الشعر و الشعراء»:

لن يطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن # ليج في البحر للأعداء أحوالا

و في «شعراء النصرانية»:

في البحر خيم للأعداء أحوالا

و في «سيرة ابن هشام» :

في البحر ريم للأعداء أحوالا

[5] في «الشعر و الشعراء» : «الحريب» بالحاء المهملة، و هو الذي
سلب ماله. -

/و كان ربيعة ابنه شاعرا، و هو الذي يقول:

و إن يك حيا [1] من إباد فإنا # و قيسا سواء ما بقينا و ما بقوا

و نحن خيار الناس طرا بطانة # لقيس و هم خير لنا إن هم بقوا [2]

كان يستعمل في شعره كلمات غريبة

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: كان أمية بن أبي الصلت قد قرأ كتاب الله عز و جل الأول، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله: قمر و ساهور يسل و يغمد [3]

و كان يسمي الله عز و جل في شعره السلطيط، فقال: و السلطيط [4] فوق الأرض مقتدر

و سمّاه في موضع آخر التغرور فقال [5]: «و أيده التغرور». و قال ابن قتيبة: و علماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة.

هو أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: /قال أبو عبيدة: اتفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف، و أنّ أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال:

قال يحيى بن محمد: قال الكميت: أمية أشعر الناس، قال كما قلنا و لم نقل كما قال.

[1] كذا في الأصول.

[2] كذا في الأصول. و فيه الإبطاء و هو تكرار القافية لفظا و معنى، و هو عيب.

[3] هذا عجز بيت و صدره:

لا نقص فيه غير أن خبيته

و الساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف.

[4] هكذا في الأصول. و هذه الصيغة لا يتزن بها الشطر. و قد ورد البيت كاملا في «اللسان» (مادة سلط) هكذا: إن الأنام رعايا الله كلهم # هو السلطيط فوق الأرض مستطر

قال ابن جنى: هو القاهر، من السّلاطة. قال: و يروى السّليط (بكسر السين) و كلاهما شاذ. قال صاحب «التّهذيب»: سليط جاء في شعر أمية بمعنى المسلط، قال: و لا أدري ما حقيقته. و ورد في «الشعر و الشعراء»: «السليط». و في «القاموس»: «و السليط» بالكسر: المسلط، ثم قال شارحه: «هكذا في سائر أصول «القاموس»، و الصواب السّليط كما في «العباب»، و قد وجد هكذا أيضا في بعض النسخ على الهامش، و هو صحيح. و يروى السليط بفتح السين و بكسرها... و بكل هذا يروى شعر أمية... إلخ» .

[5] عبارة ابن قتيبة في «الشعر و الشعراء»: «و أبدت الثغوراء، يريد الثغر. و هذه أشياء منكرة، و علماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة» .

تعبد و التمس الدين و طمع في النبوة:

قال الزبير و حدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب و قرأها، و لبس المسوح تعبداً، و كان ممن ذكر إبراهيم و إسماعيل و الحنيفة، و حرّم الخمر و شكّ في الأوثان، و كان [1] محققاً، و التمس الدّين و طمع في النبوة؛ لأنه قرأ في الكتب أنّ نبياً يبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه [2]. قال: فلما بعث النبيّ صلى الله عليه و سلّم قيل له: هذا الذي كنت تستريث [3] و تقول فيه؛ فحسده عدوّ الله و قال: إنّما كنت أرجو أن أكونه؛ فأنزل الله فيه عزّ و جلّ: **(وَ أُتِلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)** . قال: و هو الذي يقول: كلّ دين يوم القيامة عند الله إلاّ دين الحنيفة زور

كان يحرض قريشا بعد بدر:

قال الزبير و حدّثني يحيى بن محمد قال: كان أمية يحرض قريشا بعد وقعة بدر، و كان يرثي من قتل من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله: ما ذا ببدر و العقد # قل من مرازية ججاج [4]

/ و قال: و هي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه و سلّم عن رواياتها. و يقال: إن أمية قدم على أهل مكة «باسمك اللهم»؛ فجعلوها في أوّل كتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

أسف الحجاج على ضياع شعره:

قال الزبير و حدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال:

قال الحجاج على المنبر: ذهب قوم يعرفون شعر أمية، / و كذلك اندراس الكلام.

كان يتحسس أخبار نبيّ العرب فلما أخبر ببعثته تكذّر:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن عمر بن أبي بكر المؤمليّ [5] و غيره قال: كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدّين و يطمع في النبوة، فخرج إلى الشام فمرّ بكنيسة، و كان معه جماعة من العرب و قريش، فقال أمية: إنّ لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسة و أبطأ، ثم خرج إليهم كاسفا متغيّر اللون، فرمى بنفسه، و أقاموا حتى سرّي عنه، ثم مضوا فقصوا حوائجهم ثم رجعوا. فلما صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، و دخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى؛ فقال أبو سفيان بن حرب: قد [1] في ح: «و صام محققاً» .

[2] في جميع الأصول: «أن يكون هو» .

[3] تستريث: تستبطئ.

[4] العنقل: كثيب رمل ببدر. و مرازية: جمع مرزبان، و هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، و هو معرب و أصله فارسي. و حجاج: جمع حجاج، و هو السيد المسارع في المكارم.

[5] كذا ورد هذا الاسم هنا في أكثر الأصول، و هو الموافق لما في «الطبري» (ص 1116 قسم أول طبعة أوروبا) و أشير بهامشه إلى أن في بعض النسخ: «الموصلي» . و في م، ء هنا و في جميع الأصول فيما يأتي (ص 125) : «عمرو بن أبي بكر الموصلي» .

شقيقت على رفقائك. فقال: خلّوني؛ فإنّي أرتاد على نفسي [1] للمعادي، إنّ هاهنا راهبا عالما أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السّلام ستّ رجعات، و قد مضت منها خمس و بقيت واحدة، و أنا أطمع في النبوة و أخاف أن تخطئني، فأصابني ما رأيت. فلمّا رجعت ثانية أتيته فقال: قد كانت الرجعة، و قد بعث نبيّ من العرب؛ فيئست من النبوة، فأصابني ما رأيت؛ إذا فاتني ما كنت أطمع فيه.

أخبره شيخ راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ:

قال: و قال الزّهرّيّ: خرج أميّة في سفر فنزلوا منزلا، فأمّ أميّة وجهها و صعد في كتيب، فرفعت له كنيسة فأنتهى إليها، فإذا شيخ جالس، فقال لأميّة حين رآه: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتك ربيّك [2]؟ قال: من شقيّ الأيسر.

قال: فأيّ الثياب أحبّ إليك [3] أن يلقاك فيها؟ قال: السواد. قال: كدت تكون نبيّ العرب و لست به، هذا خاطر من الجنّ و ليس بملك، و إنّ نبيّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقه الأيمن، و أحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض.

حديثه مع أبي بكر:

قال الزّهرّيّ: و أتى أميّة أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عمي الخبر، فهل أحسست شيئا؟ قال: لا و الله! قال: قد وجدته يخرج العام.

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

سمعت خالد بن يزيد يقول: إنّ أميّة و أبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام؛ ثم ذكر نحوه، و زاد فيه:

فخرج من عند الراهب و هو ثقيل. فقال له أبو سفيان: إنّ بك لشرا، فما قصّتك؟ قال: خير، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنّه؟ فذكر سنّا. و قال: أخبرني عن ماله فذكر مالا. فقال له: وضعته. فقال أبو سفيان. بل رفعته. فقال له: إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ و لا ذي مال. قال: و كان الراهب أشيب، و أخبره أنّ الأمر لرجل من قريش.

زعم أنه فهم ثغاء شاة:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثت عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المنقريّ قال:

كان أمية جالسا معه قوم، فمرّت بهم غنم فتغت [4]منها شاة؛ فقال للقوم: هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا لا. قال: إنّها قالت لسختها: مري لا يجيء الذئب/فيأكلك كما أكل أختك عام أوّل في هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخبرني عن هذه الشاة التي تغت أ لها سخلة؟ فقال: نعم، هذه سختها. قال: أ كانت لها عام أوّل سخلة؟ قال: نعم، و أكلها الذئب في هذا الموضع.

[1] في حـ: «لنفسى لمعادي» .

[2] رئيّ (بفتح الراء و قد تكسر) : جنيّ كانت العرب تزعم أنه يرى مصاحبه كهانة وطبا و يلقى على لسانه شعرا.

[3] لعله: «أحب إليه» . و انظر الخبر في ص 126.

[4] تغت الشاة: صاحت و صوّتت.

قال الأصمعي: كل شعره في بحث الآخرة:

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد عن الأصمعي قال: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.

جاءه طائران و هو نائم فشق احدهما عن قلبه:

قال الزبير حدثني عمر [1] ابن أبي بكر المؤملي قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال: كان أمية نائماً فجاء طائران/فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أوعى؟ قال نعم. قال: زكا؟ قال: أبي [2].

خرج مع ركب إلى الشام فعرضت لهم جنية فاسترشد راهبا للوقاية منها:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن دأب قال: خرج ركب من ثقيف إلى الشام، و فيهم أمية بن أبي الصلت، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشوا بعشاء، إذ أقبلت عطاية [3] حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت؛ و كفتوا [4] سفرتهم ثم قاموا يرحلون ممسين؛ فطلعت عليهم/عجوز من وراء كتيب مقابل لهم تتوكأ على عصا، فقالت: ما منعكم أن تطعموا رجيمة [5] الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية؟ قالوا: و من أنت؟ قالت: أنا أم العوام، إمت [6] منذ أعوام؛ أما و رب العباد، لتفترقن في البلاد؛ و ضربت بعصاها الأرض ثم قالت: بطئي إياهم، و نقرى ركبهم؛ فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطاناً ما يملك منها شيء، حتى افترقت في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد و لم نكد [7]. فلما أنخناها لترحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها الأول؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغد [8] عشية. فلما أنخناها لترحلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين و نفرت الإبل. فقلنا لأمية: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فقالت: اذهبوا أنتم في طلب الإبل و دعوني. فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه و هبط منه إلى واد، فإذا فيه كنيسة و قناديل، و إذا رجل مضطجع معترض على بابها، و إذا رجل أبيض الرأس و اللحية؛ فلما رأى أمية قال: إئتك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى. قال فبأي الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد. قال: هذا خطيب الجن؛ كدت و الله أن تكونه و

لم تفعل؛ إنّ [1] في الأصول: «عمرو بن أبي بكر الموصلي» . و انظر الحاشية رقم 1 في الصفحة 123.

[2] ورد هذا الخبر في «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي (ص 67 طبع أوروبا) مع زيادة في العبارة و اختلاف في بعض الكلمات. و سعيده المؤلف بتفصيل أوفى في ص 127.

[3] العظاية: دوية ملساء تشبه سام أبرص و تسمى شحمة الأرض و شحمة الرمل، و هي أنواع كثيرة و كلها منقطة بالسواد، و من طبعها أنها تمشي مشيا سريعا ثم تقف.

[4] كذا في أ، ء، م. و كفت الشيء: ضم بعضه إلى بعض. و في سائر الأصول: «و كفوا» . و السفارة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره.

[5] في ح: «رحيمة» بالحاء المهملة.

[6] آمت المرأة (من باب ضرب) : فقدت زوجها.

[7] في الأصول: «تكد» بالتاء المثناة من فوق.

[8] في الأصول: «إلى الغد» .

صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، و يأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدثه حديث العجوز؛ فقال: صدقت، و ليست بصادقة! هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام، و إنا لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت. فقال أمية: و ما الحيلة؟ فقال: جمّعوا ظهركم [1]، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سيع من فوق و سيع من/أسفل، باسمك اللهم؛ فلن تضركم. فرجع أمية إليهم و قد جمعوا الظهر.

فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرهم. فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت: قد عرفت صاحبكم، و لبيصن أعلاه، و ليسودن أسفله؛ فأصبح أمية و قد برص في عذاربه و اسود أسفله. فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة «باسمك اللهم» في كتبهم.

خبر الطائرين اللذين شق أحدهما صدره و محاورتهما:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزهري قال: دخل يوما أمية بن أبي الصلت على أخته و هي تهين [2] أدما لها، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت. قال [3]: فانشق جانب من السقف في البيت، و إذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره و وقف الآخر مكانه، فشق الواقع/صدره فأخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فرد قلبه في موضعه فنهض؛ فأتبعهما أمية طرفه فقال: لبيكما لبيكما # ها أنا ذا لديكما

لا بريء فأعذر، و لا ذو عشيرة فانتصر. فرجع الطائر فوق على صدره فشقه، ثم أخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، و نهض؛ فأتبعهما بصره و قال: لبيكما لبيكما # ها أنا ذا لديكما

/لا مال يغنيني، و لا عشيرة تحميني. فرجع الطائر فوق على صدره فشقه، ثم أخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، و نهض؛ فأتبعهما بصره و قال: لبيكما لبيكما # ها أنا ذا لديكما

محفوف بالنعيم، محوط من الريب. قال: فرجع الطائر فوق على صدره فشقه و أخرج قلبه فشقه؛ فقال الأعلى: أوعى؟ فقال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: و نهض، فأتبعهما بصره و قال: لبيكما لبيكما # ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جمًا # و أيّ عبد لك لا أَلْمًا [4]

[1]الظهر: الركاب التي تحمل عليها الأثقال في السفر، لحملها إياها على ظهورها.

[2]في حـ: «تهناً». و في «اللسان» (مادة خلق) : «قالت فدخل عليّ و أنا أخلق أديما لي». و الخلق: التقدير؛ يقال: خلق الأديم يخلقه خلقا، إذا قدره قبل القطع و قاسه ليقطع منه مزادة أو قرية أو خفا.

[3]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «قالت» أي أخته.

[4]ألم: باشر اللمم أي صغار الذنوب.

قالت أخته: ثم انطبق السقف و جلس أمية يمسح صدره. فقلت: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، و لكنني أجد حراً في صدري. ثم أنشأ يقول: ليتني كنت قبل ما قد بدا لي # في قنان[1]الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينك و احذر # غولة الدهر إن للدهر غولا

تصديق النبي له في شعره:

حدّثني محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صدّق أمية في قوله:

رجل و ثور تحت رجل يمينه # و التسر للأخرى و ليث مرصد[2]

/فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم. «صدق» [3].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني حماد بن عبد الرحمن بن الفضل الحرّاني قال حدّثنا أبو يوسف- و ليس بالقاضي- عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم بمثل هذا.

أنشد النبي بعض شعره فقال: «إن كاد أمية ليسلم» :

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المهلب قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أنشد[4]النبي صلى الله عليه و سلم قول أمية: الحمد لله ممسانا و مصبحنا # بالخير صبّحنا ربّي و مسّانا

ربّ الحنيفة لم تنفد خزائنها # مملوءة طّبّق الآفاق سلطانا

أ لا نبيّ لنا ممّا فيخبرنا # ما بعد غابتنا من رأس محيانا

بيننا يربّيننا أبأؤنا هلكوا # و بينما نقتني الأولاد أفنانا

و قد علمنا لو أنّ العلم ينفعنا # أن سوف يلحق أحرانا بأولانا

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «إن كاد أمية ليسلم» .

شعر له في عتاب ابنه و توبيخه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر، /و حدّثنا خالد بن عمارة: [1]القنان: أعالي الجبال، واحدها قنة.

[2] قال الجاحظ في كتاب «الحيوان» (ج 6 ص 68) طبع مصر: «و قد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال، و منهم من هو في صورة الطيران، و منهم من هو في صورة النسور، و يدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه و سلم لأمية بن أبي الصلت...» و أورد هذا البيت.

[3] هذه الكلمة تتطلب أن يكون الكلام قبلها هكذا: و أنشد رسول الله صلى الله عليه و سلم قول أمية كذا فقال صلى الله عليه و سلم: «صدق»

[4] في س: «استنشدني» ، في ب: «أنشدني» .

/أن أمية عتب على ابن له فأنشأ يقول:

غذوتك مولودا و منتك [1] يافعا # تغلّ بما أجني [2] عليك و تنهل
 إذا ليلة نابتك بالشكو [3] لم أبت # لشكواك إلا ساهرا أتململ
 كأني أنا المطروق دونك بالذي # طرقت به دوني فعيني تهمل
 تخاف الردى نفسي عليك و إني # لأعلم أن الموت حتم مؤجل
 فلما بلغت السنّ و الغاية التي # إليها مدى ما كنت فيك أوّمل
 جعلت جزائي غلظة و فظاظة # كأنت أنت المنعم المتفصل

محاورة بين أبي بكر الهذليّ و عكرمة في شعر له:

قال الزبير قال أبو عمرو الشيبانيّ قال أبو بكر الهذليّ قال [4]: قلت
 لعكرمة: ما رأيت من يبلغنا عن النبيّ صلى الله عليه و سلم أنه قال لأمية:
 «أمن شعره و كفر قلبه»؛ فقال: هو حقّ، و ما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت
 له: أنكرنا قوله: و الشمس تطلع كلّ آخر ليلة # حمراء مطلع لونها متورّد

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها [5] # إلا معدّبة و إلا تجلد

فما شأن الشمس تجلد؟ قال: و الذي نفسي بيده ما طلعت قطّ حتّى
 ينخسها سبعون ألف ملك يقولون لها: اطلعي؛ فتقول: أطلع على قوم
 يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطان حين [6] تستقبل الضياء يريد أن
 يصدّها عن الطلوع فتطلع على قرنيه، فيحرقه الله تحتها. و ما غربت قطّ إلا
 خرّت لله ساجدة، فيأتيها شيطان/يريد أن يصدّها عن السجود، فتغرب على
 قرنيه فيحرقه الله تحتها؛ و ذلك قول النبيّ صلى الله عليه و سلم: «تطلع
 بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان» .

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية:

حدّثني أحمد بن محمد بن [7] الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا
 سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر [8] يقول: اختلف ابن
 عبّاس و عمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابن عباس: أ لا أغنيك؟ قال
 بلى! فأنشده: [1] في شرح «ديوان الحماسة» للتبريزي (ص 354) طبع
 أوروبا: «و علتك» .

[2] أجني عليك: أكسب. و يجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنيا و
 جناية. (عن «شرح الحماسة» للتبريزي) . و فيه رواية أخرى: «بما أدنى
 إليك» .

[3] كذا في «شرح ديوان الحماسة» . و في الأصول: «آبتك بالشجو» .

[4] كذا ورد في جميع النسخ لفظ «قال» ، و لا لروم له.

[5] الرسل هنا: الرفق و التؤدة.

[6] في ب: «حتى يستقبل» .

[7] كذا في ح. و في سائر الأصول: «أحمد بن محمد الجعد» . و هو

من شيوخ أبي الفرج الدين يروي عنهم كثيرا في هذا الكتاب.

[8] اسمه عثمان بن حاضر الحميري؛ و يقال: الأزدي أبو حاضر القاص.

و قال عبد الرزاق: عثمان بن أبي حاضر (انظر «تهذيب التهذيب» في اسم عثمان) .

و الشمس تغرب كلَّ آخر ليلة # في عين ذي خلب [1] و تأط حرم

أحاديثه و أحواله في مرض موته:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا عمّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزبير قال: لمّا مرض أمّية مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منّي، و أنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقّ، و لكن الشكّ يداخني في محمد. قال: و لمّا دنت وفاته أغمي عليه قليلا ثم أفاق و هو يقول: لبّيكما لبّيكما # ها أنا ذا لديكما

/لا مال يفديني، و لا عشيرة تنجيني. ثم أغمي عليه أيضا بعد ساعة حتى ظنّ ممن حضره من أهله أنّه قد قضى، ثم أفاق و هو يقول: لبّيكما لبّيكما # ها أنا ذا لديكما

لا بريء فأعذر، و لا قويّ فأنتصر. ثم إنّه بقي يحدث من حضره ساعة، ثم أغمي عليه مثل المرّتين الأوليين حتى ينسوا من حياته، و أفاق و هو يقول: لبّيكما لبّيكما # ها أنا ذا لديكما

محفوف بالنعيم،

إن تغفر اللهمّ تغفر جمّا # و أيّ عبد لك لا المّا

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهّتي؛ و حدّثهم قليلا حتّى ينس القوم/من مرضه، و أنشأ يقول: كلّ عيش و إن تناول دهرًا # منتهى أمره إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي # في رعوس الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك [2] و احذر # غولة الدّهر إنّ للدّهر غولا

ثم قضى نحبّه، و لم يؤمن بالنبيّ صلّى الله عليه و سلّم. و قد قيل في وفاة أمّية غير هذا.

لما بعث النبي هرب بابنتيه إلى اليمن ثم مات بالطائف:

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت في خبر أمّية بن أبي الصّلت، حين بعث النبيّ صلّى الله عليه و سلّم، أنه أخذ بنتيه و هرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد [1]الخلب: أيابن بلغة حمير. و التّأط: الطين الحمأة (أي الأسود)، و قيل: الطين حمأة كان أو غير حمأة. و الحرمد: الأسود مل الطين. و رواية هذا الشعر في «اللسان» مادة (تأط): : لمع المشارق و المغرب يتغي # أسباب أمر عن حكيم مرشد

فأتى مغيب الشمس عند مآبها # في عين ذي خلب و ثأط حرمذ

و قد أورده صاحب «اللسان» لأمية، ثم قال: و أورد الأزهري هذا البيت مستشهدا به على الثأطة الحمأة، و كذلك أورده ابن بَرِّي و قال: إنه لتبّع يصف ذا القرنين.

[2] كذا في س. و في سائر الأصول: «عينك» .

إلى الطائف؛ فبينما هو يشرب مع/إخوان له في قصر غيلان[1] بالطائف، و قد أودع ابنته اليمن و رجع إلى بلاد الطائف، إذ سقط غراب على شرفة في القصر فنعب نعبة؛ فقال أمية: بفيك الكتكت!- و هو التراب-فقال أصحابه: ما يقول؟قال: يقول إنك إذا شربت الكأس التي[2] بيدك مت، فقلت: بفيك الكتكت. ثم نعب نعبة أخرى، فقال أمية نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟قال: زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر، فيستثير عظما فيتلعه فيشجي به فيموت، فقلت نحو ذلك. فوقع الغراب على المزبلة، فأثار العظم فشجي به فمات؛ فانكسر أمية، و وضع الكأس من يده، و تغير لونه. فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا و كان باطلا!فألحوا عليه حتى شرب الكأس، فمال في شق و أغمي عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بريء فأعذر، و لا قويّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه.

صوت من المائة المختارة

تبلت[3]فؤادك في المنام خريدة # تشفي[4]الصّجيع ببارد بسّام

كالمسك تخلطه بماء سحابة # أو عاتق[5]كدم الدّيح مدام

عروضه من الكامل. الشعر لحسان بن ثابت، و الغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. و ذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحنا لعزة الميلاء. و ليس موسى بكثير الصنعة و لا مشهور، و لا ممن خدم الخلفاء.

[1]هو غيلان بن سلمة بن معتب، و كان وفد على كسرى و حاوره فأعجب به و اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها و كساه و بعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف؛ فكان أوّل قصر بنى بها. (راجع «الأغاني» ج 12 ص 48، 49 طبع بلاق) .

[2]في جميع الأصول: «الذي» .

[3]تبلت فؤادك: أسقمته. و الخريدة: الحية.

[4]في «ديوان» حسان: «تسقى» و على هذه الرواية تكون الباء في «ببارد» زائدة.

[5]العاتق هنا: الخمر القديمة التي حبست زمنا حتى عتقت و جادت، و قيل: هي التي لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التي قد أدركت و لما تنزّوج.

42- أخبار حسان بن ثابت و نسبه

نسبه من قبل أبويه و كنيته:

هو حسان[1] بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدّي بن عمرو بن مالك بن النّجار، و اسمه[2] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة، و هو العنقاء بن عمرو؛ و إنما سمّي العنقاء لطول عنقه. و عمرو هو مزبقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد، و هو ذري[3]- و قيل: ذراء ممدود-بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال مصعب الزبيريّ فيما أخبرنا[به]الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمّه قال: بنو عدّي بن عمرو بن مالك[بن]النّجار يسمّون بني معالة. و معالة أمّه[4]، و هي امرأة من القين و إليها كانوا ينسبون. و أمّ حسان بن ثابت بن المنذر، الفريعة بنت خالد بن قيس[5] بن لوزان/بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. و قيل: إنّ اسم النّجار تيمّ اللات؛ و في ذلك يقول حسان بن ثابت:

و أمّ ضرار تنشُد النَّاسَ والها # أما لابن تيم الله ما ذا أضلّت

/يعني ضرار بن عبد المطلب، و كان ضلّ فنشده أمّه. و إنما سمّاه رسول الله صلى الله عليه و سلّم تيم الله؛ لأنّ الأنصار كانت تنسب إليه، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللات.

و يكنى[6]حسان بن ثابت أبا الوليد. و هو فحل من فحول الشعراء. و قد قيل: إنّ أشعر أهل المدر[7]. و كان أحد المعمرين من المخضرمين، عمّر مائة و عشرين سنة؛ ستين في الجاهليّة و ستين في الإسلام.

[1]هذا الاسم إن جعلته فعّالا من الحسن أجريته، و إن جعلته فعّالان من الحس (بالفتح) و هو القتل أو الحس بالشيء لم تجره. قال ابن سيده: و قد ذكرنا أنه من الحسّ أو الحسن، و قال: ذكر بعض النحويين أنه فعّال من الحسن، و ليس بشيء. (انظر «اللسان» مادة حسن) .

[2]كذا في «أسد الغابة» في ترجمة حسان. و في سائر الأصول: «و هم تيم الله». و بنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة.

[3]نقل صاحب «شرح القاموس» مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادي أن اسمه «درء» بكسر فسكون و آخره همزة، و عن أبي القاسم الوزير أنه دراء ككتاب.

[4] كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «أمة» .

[5] في «تهذيب التهذيب» طبع الهند: «الفريرة بنت خالد بن حبيش» .
و في «أسد الغابة» طبع بلاق: «الفريرة بنت خالد بن خنيس» . و في
«خزانة الأدب» للبغدادي (ج 1 ص 111 طبع بلاق) : «الفريرة بنت خنس» .

[6] و يكنى أيضا أبا الحسام، كما في «خزانة الأدب» للبغدادي و «أسد
الغابة» ، لمنازلته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لتقطيعه أعراض
المشركين.

و يكنى أيضا أبا عبد الرحمن. و يلقب بذي الأكلة (بالضم) كما في
«القاموس» مادة أكل.

[7] المدر (بالتحريك) : العدن و الحضر. و في ء، أ، م: «المدن» .

عاش حسان مائة و عشرين سنة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: عاش ثابت بن المنذر مائة و خمسين[1] سنة، و عاش حسان مائة و عشرين سنة. و مما يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن حسين[2] عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال: إنّي لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، إذا يهوديّ يثرب يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود! فلما اجتمعوا إليه قالوا: وملك! مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ و لم يؤمن به. فهذا يدلّ على مدّة عمره في الجاهليّة؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد النبيّ صلى الله عليه و سلم، و له يومئذ ثمان سنين، و النبيّ صلى الله عليه و سلم بعث و له أربعون سنة، و أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، فقدم المدينة و لحسان يومئذ، على ما ذكره، ستون سنة أو إحدى و ستون سنة، و حينئذ أسلم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكار عن الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزناد قال: عمّر حسان بن ثابت عشرين و مائة سنة: ستين في الجاهليّة، و ستين في الإسلام.

قال أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال: رأيت حسان بن ثابت و له ناصية قد سدّها بين عينيه.

كان يخضب شاربه و عنفقه بالحناء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ عن أبيه قال: كان حسان بن ثابت يخضب شاربه و عنفقه[3] بالحناء، و لا يخضب سائر لحيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبت، لم تفعل هذا؟ قال: لأكون كأبي أسد و الغ في دم.

فضل الشعراء بثلاث:

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، و شاعر النبيّ صلى الله عليه و سلم في النبوّة، و شاعر اليمن كلها في الإسلام.

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر:

قال أبو عبيدة: و أجمعت[4]العرب على أنّ حسان أشعر أهل المدر. أخبرنا بذلك أيضا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال: [1]. في «أسد الغابة» و «تهذيب التهذيب» و «النجوم الزاهرة»: أن عمر حسان مائة و عشرون سنة، و كذلك عاش أبوه ثابت و جدّه المنذر و أبو جدّه حرام، و لا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد و عاش كل منهم مائة و عشرين سنة غيرهم.

[2]. في ح: «محمد بن الحسن» .

[3]. العنفة: شعرات بين الشفة السفلى و الذقن.

[4]. كذا في «أسد الغابة» . و في جميع الأصول: «اجتمعت» .

/اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيف؛ و على أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت.

سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا عَفَّانُ/ قال حَدَّثَنَا عبد الواحد بن زياد قال حَدَّثَنَا معمر عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب قال.

جاء حسان إلى نفر فيهم أبو هريرة، فقال: أنشدك الله: أسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «أجب عني» ثم قال:

«اللهم أيده بروح القدس»؟ قال أبو هريرة: اللهم نعم.

كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش:

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا وهب بن جرير قال حَدَّثَنَا أبي قال سمعت محمد بن سيرين، قال أبو زيد و حَدَّثَنَا هودبة بن خليفة قال حَدَّثَنَا عوف عن محمد بن سيرين قال:

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة [1] رهط من قريش: عبد الله بن الزُّبيري، و أبو سفيان بن الحارث بن عبيد المطلب، و عمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: اهج عنا القوم الذين قد هجونا.

فقال عليّ رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلت. فقال رجل: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: «ليس هناك» أو «ليس عنده ذلك»؛ ثم قال للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله-صلى الله عليه و سلم-بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم؟». فقال حسان بن ثابت: أنا لها، و أخذ بطرف لسانه و قال:

و الله ما يسرني به مقول [2] بين بصرى و صنعاء. فقال: «كيف/ تهجوهم و أنا منهم»؟ فقال: إني أسلك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و عبد الله بن رواحة. فكان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع و الأيام و المآثر و يعيرانهم بالمثالب، و كان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان و كعب، و أهون

القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا و فقهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة.

استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهميّ قال حدّثنا أبو يونس القشيريّ و هو حاتم[3] بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماك بن حرب قال:

قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، و أخرج لسانا له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزداد[4]، ائذن لي فيه. فقال: «اذهب إلى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم و أيامهم و أحسابهم ثم [1]. زاد في «أسد الغابة» رابعا هو ضرار بن الخطاب.

[2]. المقول: «اللسان» .

[3]. كذا في «طبقات ابن سعد» (ج 7 قسم 2 ص 31 طبع أوروبا) و «تهذيب التهذيب» (ج 2 ص 130 طبع الهند) و «الخلاصة» طبع مصر؛ و هو مولى بني قشير، و اسم أبيه مسلم، و أبو صغيرة أبو أمه، و هو يروي عن عمرو بن دينار و سماك بن حرب. (انظر «الأنساب» للسمعاني) . و قد ورد هذا الاسم مضطربا في جميع الأصول.

[4]. المزداد: جمع مزادة، و هي التي يحمل فيها الماء، و هي ما فئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة.

اهجهم و جبريل معك» . قال أبو زيد قال ابن وهب و حدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السدّي عن البراء بن عازب و عن سماك بن حرب-فأنا أشك: أ هو عن أحدهما أم عنهما جميعا-قال أبو زيد: و حدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي [1] صغيرة عن سماك بن حرب/بنحوه، و زاد فيه: فأخرج لسانه أسود، فوضعه على طرف أرنبته، و قال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد؛ فقال: «يا حسان و كيف و هو منّي و أنا [2] منه» ؟ قال: و الله لأسلته منك كما يسئل الشعر من العجين! قال: «يا حسان فأت أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك» . فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ فقال: كيف عن فلانة و اذكر فلانة. فقال: هجوت [3] محمدا فأجبت عنه # و عند الله في ذاك الجزاء

/فإنّ أبي و والده و عرضي # لعرض محمد منكم وقاء

أ تهجوه و لست له بكف ء # فشركما لخيركما الفداء

لما بلغ قريشا شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال [4] حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الرّناد قال: لما أنشدت قريش شعر حسان قالت: إنّ هذا الشّتم ما غاب عنه ابن [5] أبي قحافة.

قال الزبير: و حدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب [6] ابن إسحاق بن مجّمع عن رجل من بني العجلان قال: /لما بلغ أهل مكة شعر حسان و لم يكونوا علموا أنّه قوله، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا.

أسمعه ابن الزبيري و ضرار من هجوهما و فرا فاستعدى عمر

فردّهما فأنشدهما مما قال فيهما:

قال الزبير: و حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد [7] ابن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: [1]. كذا في «طبقات ابن سعد» (ج 7 قسم 2 ص 31 طبع أوربا) و «تهذيب التهذيب» (ج 2 ص 130 طبع الهند) و «الخلاصة» طبع مصر و هو مولى بني قشير، و اسم أبيه مسلم، و أبو صغيره أبو أمه و هو يروي عن عمرو بن دينار و سماك بن حرب. (انظر «الأنساب» للسمعاني) و قد ورد هذا الاسم مضطربا في جميع الأصول.

[2]. يريد ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

[3]. وردت هذه الأبيات في «السيرة» لابن هشام (ص 830 طبع أوروبا) ضمن قصيدة مطلعها: عفت ذات الأصابع فالجواء # إلى عذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب «الأغاني» بذكر البيت الثالث بعد الأوّل و بزيادة بيتين بعده هما: هجوت مباركا برّا حفيا # أمين الله شيمته الوفاء

أ من يهجو رسول الله منكم # و يمدحه و ينصره سواء

و يليهما البيت «فإن أبي إلخ» . و انظر هذا الشعر أيضا في «صحيح مسلم» (ج 2 ص 260-261 طبع بولاق) .

[4]. كذا في ح. و في سائر الأصول: «أخبرني الحسن بن علي قال قال...» بتكرير كلمة «قال» .

[5]. هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

[6]. لم نعثر على هذا الاسم في «كتب التراجم» التي بين أيدينا و الذي بها هو: «يعقوب بن مجمع» أو «يعقوب بن إسحاق بن زيد» كما في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» . و في «لسان الميزان» (ج 6 ص 302) : «يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن مجمع» و لعله هذا.

[7]. لم نعثر على خالد هذا في «كتب التراجم» ، و ليس في ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالدا، و قد أحصاهم ابن سعد-

نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار و مشركي قريش، و قال: في ذلك شتم الحي [1] بالميت، و تجديد الضغائن، و قد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام. فقدم المدينة عبد الله بن الزبير السهمي و ضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي، فنزلا على أبي أحمد بن جحش، و قال له: نحب أن ترسل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك، فننشده و ينشدنا مما قلنا له و قال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذان أخواك ابن الزبير و ضرار قد جاءا أن يسمعك و تسمعهما ما قال لك و قلت لهما. فقال ابن الزبير و ضرار: نعم يا أبا الوليد، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام و لا يحتمل شعرنا، و قد أحببنا أن نسمعك و تسمعنا.

فقال حسّان: أ فتيدان أم أبدا؟ قال: ابدا نحن. قال: ابتدئا؛ فأنشدها حتى فار فصار كالمرجل غضبا، ثم استويا على راحتيهما يريدان مكة؛ فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقصّ عليه قصّتهما و قصّته. فقال له عمر:

لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله، و أرسل من يردهما، و قال له عمر: لو لم تدركما إلا بمكة فارددهما عليّ.

و خرجا فلمّا كانا بالزّوجاء [2] رجع ضرار إلى صاحبه بكره، فقال له يا ابن الزبير: أنا أعرف عمر و ذبّه عن الإسلام و أهله، / و أعرف حسّان و قلة صبره على ما فعلنا به، و كأني به قد جاء و شكّا إليه ما فعلنا، فأرسل في آثارنا و قال لرسوله: إن لم تلحقهما إلا بمكة فارددهما عليّ؛ فابح بنا ترك العناء و أقم بنا مكاننا؛ فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الزّوجاء أسهل منه من أبعد منها، و إن أخطأ ظنّي فذلك الذي نحبّ و نحن من وراء المضيّ. فقال ابن الزبير: نعم ما رأيت. قال: فأقاما بالزّوجاء، فما كان إلا كمرّ الطائر حتى وافاهما رسول عمر فردهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، و عمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال لحسّان: أنشدتهما مما قلت لهما؛ فأنشدتهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف. فقال له عمر: أفرغت؟ قال نعم. فقال له: أنشداك في الخلاء و أنشدتهما في الملا. و قال لهما عمر: إن شئتما فأقيما، و إن شئتما فانصرفا. و قال لمن حضره: إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين و المشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم و بتّ القبيح فيما بينكم، فأما إذ أبوا فاكتبوه/ و احتفظوا به. فدوّنوا ذلك عندهم. قال خلاد [3] بن محمد: فأدركته و الله و إنّ الأنصار لتجدّده عندها إذا خافت بلاه.

شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث:

أخبرنا أحمد[4] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عّقان بن مسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال: سمعت أبا إسحاق قال في قصة حسّان و أبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدّمنا ذكره، و زاد فيه: فقال حسّان فيه:

و إنّ سنام المجد من آل هاشم # بنو بنت[5] مخزوم، و والدك العبد

-في «الطبقات» (ج 5 ص 58-59 طبع أوروبا) . على أن السند كله مضطرب و لم نوفق لتحقيقه.

[1]. في «أسد الغابة»: «و قال في ذلك شتم الحيّ و الميت إلخ» .

[2]. الروحاء: موضع بين مكة و المدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة.

[3]. لم نجد هذا الاسم في «كتب التراجم» التي بين أيدينا. و قد تقدم في سند هذا الخبر رجلان كل منهما يسمى خالد بن محمد، فلعله أحدهما.

[4]. في الأصول: «محمد بن عبد العزيز» و ظاهر جدّ أنّه أحمد بن عبد العزيز الجوهري الذي يروي عن عمر بن شبة، و يروي عنه كثيرا أبو الفرج.

[5]. بنت مخزوم: يريد بها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، و هي أم عبد الله (أبي النبي صلى الله عليه و سلم) و الزبير و أبي طالب أبناء عبد المطلب. و والدك العبد: يريد به الحارث بن عبد المطلب و هو أبو أبي سفيان.

/

و من ولدت أبناء زهرة[1]منكم # كرام و لم يلحق عجائزك المجد
و إنّ امرأ كانت سمّية[2]أمّه # و سمراء[3]مغلوب إذا بلغ الجهد
و أنت هجين[4]نيط في آل هاشم # كما نيط خلف الرّاكب القدر الفرد

فقال العباس: و ما لي و ما لحسان! يعني في ذكره نتيلة[5]، فقال
فيها:

و لست كعباس و لا كابن أمّه[6] # و لكن هجين ليس يورى له زند

أعانه جبريل في مديح النبي:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا القعبيّ قال حدّثنا
مروان بن معاوية قال حدّثنا إياس السلميّ عن ابن بريدة قال:
أعان جبريل عليه السّلام حسان بن ثابت في مديح النبيّ صلّى الله
عليه و سلم بسبعين بيتا.

مدحه النبي و مدح كعبا و عبد الله بن رواحة:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا
سعيد بن عامر قال حدّثني جويرية بن أسماء قال:
/بلغني أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال: «أمرت عبد الله بن
رواحة فقال و أحسن، و أمرت كعب بن مالك فقال و أحسن، و أمرت
حسان بن ثابت فشقى و اشتقى» .

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن
وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن
عثمان و يعلى بن شدّاد بن أوس عن عائشة قالت:
سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول لحسان بن ثابت
الشاعر: «إنّ روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز و جل و عن
رسول الله» صلى الله عليه و سلم.

[1]. يريد في هذا البيت مدح آمنة أم النبيّ صلّى الله عليه و سلّم و
هالة أم حمزة و صفية، و كلتاهما زهرية؛ إذ هما ابنتا وهب بن عبد مناف بن
زهرة. و قوله:

«و لم يلحق عجائزك المجد» يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار؛
إذ كانت أم أبي سفيان نفسه أم ولد و أم أبيه كذلك أم ولد.

و رواية «الديوان» في هذا البيت (ص 91 طبع ليدن) :

و ما ولدت أفناء زهرة منكم # كريما و لم يقرب عجائزك المجد

[2]. كذا في «الديوان» . و سمية هي أم الحارث بن عبد المطلب، و
أبوها موهب غلام لبني عبد مناف. و في الأصول: «ثيلة» بالثاء المثناة و هو
تحريف. (انظر «شرح النووي» على «صحيح مسلم» ج 5 ص 200 طبق
بلاق) .

[3]. سمراء: هي أم أبي سفيان المهجؤ.

[4]. الهجين: من أبوه عربيّ و أمه ليست بعربية. و نيظ في آل هاشم:
نسب إليهم و ليس منهم. يريد أنه ليس من خالصهم.

[5]. كذا في «المعارف» لابن قتيبة و «شرح القاموس» (مادة نتل) ،
و هي نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العباس و ضرار ابني عبد
المطلب، و هي إحدى نساء بني النمر بن قاسط. و في الأصول «ثيلة»
بالثاء المثناة و هو تصحيف.

[6]. يريد ضرار بن عبد المطلب.

استنشده النبي و جعل يصغي إليه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هوزة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة و هو في سفر: «أين حسّان بن ثابت؟ فقال حسّان: لِيَيْك يا رسول الله و سعديك. قال:

«أحد» ، فجعل ينشد و يصغي إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و يستمع، فما زال يستمع إليه و هو سائق راحلته حتّى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتّى فرغ من نشيده. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لهذا أشدّ عليهم من وقع التبل» .

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول فردّ عليه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريح قال أخبرنا زياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب:

أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت و هو ينشد في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد [1]أنشدت فيه من هو خير منك؛ فانطلق عمر.

/أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطيالسي قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهري عن سعيد بن المسيّب:

أنّ عمر مرّ على حسان و هو ينشد في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر مثله و زاد فيه: و علمت أنّه يريد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا/عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مسلم بن يسار:

أنّ عمر مرّ بحسّان و هو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذ بأذنه و قال: أرغاء كرغاء البعير! فقال حسّان: دعنا عنك يا عمر! فوالله لتعلم أنّي كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا يغيّر عليّ! فصدّقه عمر.

مدح الزبير بن العوام للومه قوما لم يحسنوا الاستماع له:

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ و الحرميّ بن أبي العلاء و عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي و جماعة غيرهم قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزّية محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت:

مرّ الزبير بن العوّام بمجلس من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و حسّان بن ثابت ينشدهم من شعره و هم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير فقال: ما لي أراكم غير أذنين لهما تسمعون من شعر ابن الفريعة! فلقد كان يعرض لرسول الله صلّى الله عليه و سلّم فيحسن استماعه و يجزل عليه ثوابه، و لا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقام على عهد النبيّ و هديه # حواربه [2] و القول بالفعل يعدل

/أقام على منهاجه و طريقه # يوالي وليّ الحقّ و الحقّ أعدل

هو الفارس المشهور و البطل الذي # يصول إذا ما كان يوم محجّل

[1]. رواية «صحيح مسلم» (ج 2 ص 259 طبع بلاق) : «قد كنت أنشد فيه من هو خير منك» .

[2]. حواريّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم الزبير بن العوّام، لقوله عليه الصلاة و السلام: «إن لكل نبي حواريا و إن حواريّ الزبير» . و في رواية: «الزبير ابن عمّتي و حواريّ من أمّتي» أي خاصّتي من أصحابي و ناصرّي.

إذا

كشفت عن ساقها الحرب حشَّها[1] # بأبيض سباق إلى الموت يرقل[2]
 و إنّ امرأ كانت صفة أمّه # و من أسد في بيتها لمرقل[3]
 له من رسول الله قري قريبة # و من نصره الإسلام نصر مؤتل
 فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه # عن المصطفى و الله يعطي فيجزل
 فما مثله فيهم و لا كان قبله # و ليس يكون الدّهر ما يذبل[4]
 ثناؤك خير من فعال معاشر # و فعلك يا ابن الهاشميّة أفضل

تقدم هو و كعب و ابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختره النبيّ دونهما:

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشعبيّ قال: لما كان عام الأحزاب[5] و ردّهم الله بغیظهم لم ينالوا خيرا، قال النبيّ صلى الله عليه و سلم: «مِن يحمي أعراض المسلمين» ؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، و قال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، و قال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: «نعم اهجهم أنت فأنت سيعينك عليهم روح القدس» .

سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه:

أخبرني أحمد بن عبد[6]الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبیر قال: / كُنا عند ابن عبّاس فجاء حسيان، فقالوا: قد جاء اللّعين. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم بلسانه و يده.

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حديج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبیر قال: جاء رجل إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللّعين حسيان من الشام. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بلسانه و نفسه.

[1]. حش الحرب: أسعرها و هيجهها.

[2]. الإرقال: ضرب من السير السريع؛ قال النابغة:

إذا استنزلوا للطعن عنهنّ أرقلوا # إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

[3]. المرقل: المعظم المسوّد.

[4]. يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.

[5]. الأحزاب: قريش و غطفان و بنو قريظة تألبوا على حرب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

[6]. كذا في جميع الأصول. و الذي يروي عن عمر بن شبة كثيرا في كتاب «الأغاني» هو أحمد بن عبد العزيز الجوهري؛ فلعله هذا.

قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا/عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو و شريح بن التّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

لما قدم وفد بني تميم ووضِع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسان منبرا وأجلسه عليه، و قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيُؤَيِّدَ حَسَانَ بَرُوحِ الْقُدْسِ مَا كَافَحَ [1] عَنْ نَبِيِّهِ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصرا. و أتينا به على تمامه ها هنا؛ لأنّ ذلك حسن فيه:

أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا محمد بن الضّحّاك عن أبيه قال:

قدم على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد بني تميم و هم سبعون أو ثمانون رجلا، فيهم الأقرع بن حابس، و الزّبيرقان بن بدر، و عطارد بن حاجب، و قيس بن عاصم، و عمرو بن الأهتم، و انطلق معهم عيينة بن حصن، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحجرات، فنادوا بصوت عال جاف: اخرج إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لنفاخرك، و قد جئنا بشاعرنا و خطيبنا. فخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/فجلس. فقام الأقرع بن حابس فقال: و الله إنّ مدحي لزين، و إنّ ذمّي لشين. فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذلك الله». فقالوا: إنّنا أكرم العرب. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: ائذن لشاعرنا و خطيبنا. فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس و جلس معه الناس، فقام عطارد بن حاجب فقال:

الحمد لله الذي له الفضل علينا و هو أهله، الذي جعلنا ملوكا و جعلنا أعزّ أهل المشرق [2]، و آتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثلنا؛ ألسنا برءوس النّاس و ذوي فضلهم! فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، و لو نشاء لأكثرنا، و لكنّا نستحي من الإكثار فيما خوّلنا الله و أعطانا. أقول هذا، فأتوا بقول أفضل من قولنا، أو أمر أبين من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال: الحمد لله الذي السموات و الأرض خلقه، قضى فيهنّ أمره و وسع كرسيّه علمه [3]، و لم يقض شيئا إلا

من فضله و قدرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا أكرمهم حسبا و أصدقهم حديثا و أحسنهم رأيا، فأنزل عليه كتابا، و ائتمنه على خلقه، و كان خيرة الله من العالمين. ثم دعا[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الإيمان، فأجابه من قومه و ذوي رحمه المهاجرون أكرم الناس أنسابا، و أصبح الناس وجوها، و أفضل الناس فعلا. ثم كان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه و سلم من العرب و استجاب له نحن معشر الأنصار؛ /فنحن أنصار الله و وزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا و يقولوا: لا إله إلا الله. فمن آمن بالله و رسوله منع مئا ماله و دمه، و من كفر بالله و رسوله جاهدناه في الله، و كان جهاده يسيرا. أقول قولي هذا، و أستغفر الله للمؤمنين و المؤمنات.

فقام الربرقان فقال:

[1]في حـ: «ما نافح» بالحاء المهملة، و هما بمعنى واحد.

[2]في الطبري (ص 1711 من القسم الأول طبع أوروبا) : «و جعلنا أعز أهل المشرق و أكثره عددا و أيسره عدة... إلخ» .

[3]كذا في «سيرة ابن هشام» (ص 935 طبع أوروبا) و الطبري. و في الأصول: «و وسع كرسيه و علمه» بواو العطف. و قد وردت هاتان الخطبتان في «السيرة» و الطبري باختلاف يسير عما هنا.

[4]في «سيرة ابن هشام» و الطبري: «ثم دعا الناس إلى... إلخ» .

نحن[1]الملوك فلا حيّ يقاربنا # منّا الملوك و فينا يؤخذ الرّيع[2]
 تلك المكارم حزناتها مقارعة # إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
 كم قد نشدنا من الأحياء كلّهم # عند التّهاب و فضل العزّ يتّبع
 /و ننحر الكوم[3]عبطا[4]في منازلنا # للنازلين إذا ما استطعموا شعبوا
 و نحن نطعم عند المحل ما أكلوا # من العبيط إذا لم يظهر القزع[5]
 و نصر الناس تأتينا سراّتهم # من كلّ أوب فتمضي ثم تتّبع
 فأرسل رسول الله صلّى الله عليه و سلّم إلى حسان بن ثابت فجاء،
 فأمره أن يجيبه.

فقال حسان:

إنّ الذوائب[6]من فهر و إخوتهم # قد بينوا سنّة للنّاس تتّبع
 /يرضى بها كلّ من كانت سريرته # تقوى الإله و بالأمر الذي شرعوا
 قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم # أو حاولوا التّفّع في أشياعهم نفعوا
 سجيّة تلك منهم غير محدثة # إنّ الخلائق فاعلم شرّها البدع
 لا يرقع[7]النّاس ما أوهت أكفّهم # عند الدّفاع[8]و لا يوهون ما رقعوا
 إن كان في الناس سبّاقون بعدهم # فكلّ سبق لأدنى سبقهم تبع
 أعفّة ذكرت في الوحي عقّتهم # لا يطمعون و لا يزري بهم طمع[9]

[1]ورد هذا الشعر في «ديوان» حسان و «سيرة ابن هشام» (ص 935 طبع أوربا) و «الطبري» (قسم 1 ص 1712 طبع أوربا) باختلاف عما هنا.

[2]كان من عادة العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا و غنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، و ذلك الربع يسمى المربع. و رواية البيت في «السيرة» و «الطبري»: نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا # منا الملوك و فينا تنصب البيع

[3]الكوم: جمع أكوم و هو البعير الضخم السنام، و الأنثى كوما.

[4]عبط الذبيحة عبطا: نحرها من غير داء و لا كسر و هي سميّة فتية. و يقال للناقة: عبيطة، و الجمع عبط (بضمّتين) و قد تسكن عينه.

[5]ورد هذا البيت في «نهاية ابن الأثير» و «اللسان» (مادة سدف) هكذا: و نطعم الناس عند القحط كلهم # من السديف إذا لم يؤنس القزع

و السديف: شحم السنام. و القزع: السحاب، أي نطعم الشخم في المحل. و في الأصول: «الفرع» بالفاء و الراء، و هو تصحيف.

[6]ورد هذا الشعر أيضا في «السير» (ص 936 طبع أوربا) و «الطبري» (قسم 1 ص 1714 طبع أوروبا) و «الديوان» باختلاف يسير عما هنا.

[7]كذا في أ، ء، و «ديوانه» (ص 23 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «يرفع» بالفاء.

[8]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «الرقاع» .

[9]في «الديوان» :

لا يطبعون و لا يردبهم الطمع

و لا يضنون عن جار بفضلهم # و لا يمسههم من مطمع طبع[1]
يسمون للحرب تبدو و هي كالحة # إذا الزعانف[2] من أظفارها خشعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوهم # و إن أصيبوا فلا خور و لا جزع
كأنهم في الوغى و الموت مكتنع[3] # أسود ببيشة[4] في أرساغها فدع[5]
خذ منهم ما أتى[6] عفوا و إن منعوا # فلا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم-فاترك عداوتهم- # سماً يخاض[7] عليه الصاب و السِّلَع
أكرم بقوم رسول الله قاندهم # إذا تفرقت الأهواء و الشيع
/أهدى لهم مدحي قلب يؤازره # فيما أراد لسان حائك صنع
فإنهم[8] أفضل الأحياء كلهم # إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا[9]

فقام عطارد[10] بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا # إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأثا فروع الناس في كل موطن # و أن ليس في أرض الحجاز كدارم[11]

فقام حسان بن ثابت فقال:

منعنا رسول الله من غضب له # على أنف راض[12] من معدّ و راغم

[1]ورد هذا البيت في أ، ء. و ذكر محرّفا في م، و سقط في سائر النسخ.

[2]الزعانف: أرذال الناس.

[3]المكتنع: الداني القريب.

[4]ببيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، على خمس مراحل من مكة، و في وادي ببيشة موضع مشجر كثير الأسد. و في «السيرة»: «أسد بحلية...». و حلية: مأسدة بناحية اليمن.

[5]الغدع: اعوجاج في الرسغ.

[6]كذا في «ديوانه» و السيرة. و في الأصول: «... ما أتوا عفوا... إلخ».

[7]يخاض: يخلط. و الصاب و السِّلَع: ضربان من الشجر مرّان.

[8]هذه رواية السيرة و «الديوان». و في الأصول: «و إنهم» بالواو.

[9] كذا في «ديوانه» طبع أوروبا «و سيرة ابن هشام» و الطبري. و معناه: مزحوا، و هو أنسب للمقام، لمقابلته لقوله: «إن جدّ بالناس إلخ». قال أبو ذؤيب يصف حمرا: فلبثنا حيناً يعتلجن بروضة # فيجدّ حيناً في العلاج و يشمع

و في الأصول و «ديوانه» طبع مصر: «سمعوا» بالسين المهملة.

[10] الذي في «سيرة ابن هشام» (ص 937 طبع أوروبا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر.

[11] دارم: أبو حيّ من تميم.

[12] في الأصول: «على رغم أنف». و رواية «الديوان» و «سيرة ابن هشام»: نصرنا و آوينا النبيّ محمدا # على أنف راض من معدّ و راغم و رواية الطبري:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا # على كل باغ من معدّ و راغم

هل المجد إلا السؤدد العود[1] والندى # و جاه الملوك و احتمال العظام

إسلام وفد تميم و إكرام النبي لهم:

قال: فقال الأقرع بن حابس: و الله إن هذا الرجل لمؤتى[2] له! و الله لشاعره أشعر من شاعرنا، و لخطبيه أخطب[من خطيبنا][3]، و لأصواتهم أرفع من أصواتنا! أعطني يا محمد فأعطاه. فقال: زدني فزاده. فقال: اللهم إله سيد/العرب. فنزلت فيهم: **(إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)** . ثم إن القوم أسلموا، و أقاموا عند النبي صلى الله عليه و سلم يتعلمون القرآن، و يتفقهون في الدين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و كساهم، و قال: «أما بقي منكم أحد؟» ، و كان عمرو بن الأهتم في ركابهم، فقال قيس/بن عاصم، و هو من رهطه و كان مشاحيا له، لم يبق منا أحد إلا غلام حديث السن في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل ما أعطاهم.

مناقضة عمرو بن الأهتم و قيس بن عاصم:

فبلغ عمرا ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظللت مفترش الهلباء[4] تشتمني # عند الرسول فلم تصدق و لم تصب

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم # و الروم لا تملك البغضاء للعرب

فإن[5] سؤددا عود و سؤدداكم # مؤخر عند أصل العجب و الذنب

فقال له قيس:

لو لا دفاعي كنتم أعبدا # داركم الحيرة و السيلحون[6]

شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسول:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عمر بن علي بن مقدم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان التميمي عن حبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد و حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم، قالوا: /قال حسان[7]: ثابت للنبي صلى الله عليه و سلم: [1]العود: القديم.

[2]كذا في الطبري و «سيرة ابن هشام». و مؤتى له: مسهل و ميسر له. و في الأصول: «لمؤثر له» تحريف.

[3]التكملة عن «سيرة ابن هشام» و الطبري.

[4]الهلبياء: الاست.

[5]رواية هذا البيت في «سيرة ابن هشام» :

سدناكم سؤددا رهوا و سؤدداكم # باد نواجذه مقع على الذنب

و العجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

[6]السيلاحون: موضع قرب الحيرة، و قيل: هو بين الكوفة و القادسية.

[7]نسب هذا الشعر في «اللسان» (مادة فلل) إلى عبد الله بن رواحة يصف العزّي، و هي شجرة كانت تعبد، و ذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما في بعض الألفاظ عما هنا، و هما: شهدت و لم أكذب بأن محمدا # رسول الذي فوق السموات من عل-

صوت

شهدت بإذن الله أن محمدا # رسول الذي فوق السماوات من عل
و أن أحا[1]الأحفاف إذ يعدلونه # يقوم بدين الله فيهم فيعدل
و أن أبا يحيى[2] و يحيى كلاهما # له عمل في دينه متقبل
و أن الذي عادى اليهود ابن مريم # رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
و أن الذي بالجزع[3] من بطن نخلة # و من دونها فل[4] من الخير معزل

-غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل أول بالبنصر من رواية يونس و غيره- فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «أنا أشهد معك» .

أنكرت عليه عائشة شعرا له في مدحها:

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثني جرير عن الأعمش عن أبي الصّحى عن مسروق، و أخبرني بها أحمد بن عيسى العجليّ قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الصّحى عن مسروق قال: دخلت على عائشة و عندها حسان و هو يرثي بنتا[5] له، و هو يقول:

رزان[6] حصان ما تزوّ بريبة # و تصبح غرثى[7] من لحوم الغوافل

فقلت عائشة: لكن أنت لست كذلك. فقلت لها: أ يدخل عليك هذا و قد قال الله عزّ و جلّ: **(وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) !** فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره!

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها:

أخبرنا محمد بن خلف و كيع قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثني أبي -

و أن التي بالجزع من بطن نخلة # و من داتها فل من الخير معزل

ثم أعقبهما بالجملة التفسيرية الآتية: «أي خال من الخير. و يروى «و من دونها»، أي الصنم المنصوب حول العزي» .

[1] هو هود عليه السلام، و هو المشار إليه في قوله تعالى: **(وَ أذْكُرْ**
أَحَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ) . و الأحفاف هنا: واد بين عمان و أرض مهرة، أو هو رمل فيما بين عمان و حضرموت، أو رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن.

[2] يعني بأبي يحيى زكريا عليه السّلام.

[3]الجزع: قرية عن يمين الطائف و أخرى عن شماله. و رواية «الديوان» في هذا البيت: و أن التي بالسدّ من بطن نخلة # و من دانها فل من الخير معزل

[4]الفلّ: الذي لا خير عنده، كالأرض الفل و هي التي لا نبت فيها و لا خير. (انظر التعليقات التي على «ديوان حسان» المطبوع بأوروبا الذي أشرف على طبعه المستشرق الإنجليزي چيب) . و بطن نخلة: موضع بين مكة و الطائف.

[5]رجعنا إلى هذه القصيدة في «ديوانه» فلم نجد فيها شيئا من الرثاء، و كلها في مدح عائشة و الاعتذار عما رماها به هو و غيره من الإفك. (راجع «ديوانه» صفحة 162 من هذا الجزء) و هي غير القصيدة التي روى بها ابنته و إن كانت على قافيتها.

[6]رواية «الديوان»: «خسان رزان إلخ». و امرأة رزان إذا كانت ذات ثبات و وقار و عفاف و كانت رزينة في مجلسها. و امرأة حسان (بفتح الحاء) : عفيفة بينة الحصانة.

[7]الغرشى: الجائعة، أي إنها تصبح جائعة من لحوم الناس. و المراد أنها لا تغتابهم.

و مالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعا عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال: بينا نحن جلوس عند حسن بن ثابت، و حسن مضطجع مسند رجله إلى فارع[1] قد رفعهما عليّ، إذ قال: مه! ما رأيتم ما مرّ بكم الساعة؟ قال مالك: قلنا: لا و الله، و ما هو؟ فقال حسن: فاخّته[2] مرّت الساعة بيني و بين فارع فصدمتني، أو قال: فزحمتني. قال: قلنا: و ما هي؟ قال: /

ستأتيكم غدوا أحاديث جمّة # فأصغوا لها آذانكم و تسمّعوا

قال مالك بن أبي عامر: فصبحنا من الغد حديث صفين.

سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعرا فبعث إليه بمال:

أخبرنا وكيع قال حدّثنا الليث بن محمد عن الحنظليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جزء العنبري قال: بينا حسن بن ثابت بالخيف و هو مكفوف، إذ زفر زفرة ثم قال:

و كأنّ حافرها بكلّ خميلة[3] # صاع يكيل به شحيح معدم

عاري الأشاجع[4] من ثقيف أصله # عبد و يزعم أنّه من يقدم[5]

قال: و المغيرة بن شعبة جالس قريبا منه يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: من بعث بهذا؟ قال[6]: المغيرة بن شعبة سمع ما قلت. قال: وا سواتاه! و قبلها.

استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم فقال: أجرتني من شعر حسن، فلو مزج البحر بشعره لمزجه. قال: و كان السبب في ذلك- فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعيّ، و أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب- أنّ الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ابعث معي/ من يدعو إلى دينك و أنا له جار. فأرسل معه رجلا من الأنصار. ففقدت بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ، فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان عليه الصلاة و السلام لا يؤتّب أحدا في وجهه، فقال: «ادعوا لي حسن» ؛ فدعي له. فلمّا رأى الحارث أنشدته: يا حار من يغدر بدمّة جاره # منكم فإنّ محمدا لم يغدر

[1]فارع: اسم أطم، و هو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت.

[2] الفاختة: واحدة الفواخت، و هي ذوات الأطواق من الحمام؛ قيل لها ذلك لونها لأنه يشبه الفخت الذي هو ضوء القمر.

[3] الخميعة: الأرض السهلة التي تنبت، شبه نبتها بخمّل القطيفة.

[4] الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، و قيل: هي عروق ظاهر الكف، واحدها: أشجع.

[5] يقدم: أبو قبيلة، و هو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. و هو يحتمل أن يكون بضم الميم، فيكون علما منقولا عن جملة، نحو: نبئت أخوالي بني يزيد

و أن يكون بكسرهما، و بفتحها على أنه ممنوع من الصرف، فيكون فيه إقواء.

[6] كذا في جميع الأصول. و كان الأولى أن يكون «قيل» أو «قالوا» .

إن تغدروا فالغدر منكم شيمة # و الغدر ينبت في أصول السخبر[1]

فقال الجارث: اكففه عني يا محمد، و أودّي إليك دية الحفارة[2]؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم سبعين عشراء[3]، و كذلك دية الخفارة، و قال: يا محمد، أنا عائد بك من شرّه، فلو مزج البحر بشعره مزجه.

أنشد شعرا بلغ النبي فآلمه فضربه ابن المعطل و عوّضه النبي:
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شيبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطاء بن خالد قال:

كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أطمه فارع، و يجلس معه أصحاب له و يضع لهم بساطا يجلسون عليه؛ فقال يوما، و هو يرى كثرة من يأتي إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم من العرب فيسلمون:

/

أرى الجلابيب[4] قد عزّوا و قد كثروا # و ابن الفريفة أمسى بيضة[5]البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: «من لي بأصحاب البساط بفارع؟». فقال صفوان بن المعطل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ففرّوا و تبيّدوا، و أدرك حسّان داخلا بيته، فضربه و فلق أليته. قال: فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه و سلم عوّضه و أعطاه حائطا[6]، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاوية قصيرا، و هو الذي يقال له: «قصر الدارين». و قد قيل: إنّ صفوان بن المعطل إنّما ضرب حسّان لما قاله فيه و في عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه و سلم من الإفك[7]؛ لأن صفوان/هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به.

[1]السخبر: شجر إذا طال تدلت رءوسه و انحنت، و قيل: هو شجر من شجر الثمام له قصب مجتمعة و جرثومة. و في «اللسان» يقال:

ركب فلان السخبر إذا غدر، و ذكر البيت.

[2]الخفارة (مثلثة الخاء) : الذمام.

[3]العشراء من النوق: التي مضى على حملها عشرة أشهر، و قيل:

ثمانية.

[4] كذا في أكثر الأصول، و هو الموافق لما في «الطبري» (ص 1526 من القسم الأوّل) و «اللسان» مادة «بيض» و «التنبيه» : (ص 76 طبع دار الكتب المصرية) و «الأضداد في اللغة» (ص 118 طبع بيروت) . و قال البكري في «التنبيه» : «و كان المنافقون يسمون المهاجرين رضي الله عنهم الجلايب» . و في «اللسان» : «أراد بالجلابيب سفلة الناس و غثاءهم» . و في س و «تاج العروس شرح القاموس» (ج 5 ص 12) و «الديوان» : «الخلايبس» . و قال في «الشرح» : الخلايبس: الأخلاط من كل وجه» . (انظر «ديوانه» المطبوع في ليدن سنة 1910 ص 91) .

[5] العرب تقول للرجل: هو بيضة البلد، يمدحونه بذلك، و تقول للآخر: هو بيضة البلد، يذمونه بذلك. و الممدوح يراد به البيضة التي يحضنها الظليم و يقيها؛ لأن فيها فرخه. و المذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التي لا حافظ لها و لا يدري لها أب و هي تريكة الظليم. قال الرمّاني: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة و مكة و البصرة فيبيضة البلد مدح، و إذا نسب إلى البلاد التي أهلها أهل ضعة فيبيضة البلد ذم.

[6] الحائط: اليبستان. و في كتاب «التنبيه» للبكري: فأعطاه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عوضاً: بيرحاء (و هي قصر بني جديلة اليوم بالمدينة) ، و سيرين (أمة قبطية و هي أم عبد الرحمن بن حسان رضي الله عنهما) . و سيذكر المؤلف هذه الرواية في ص 162 من هذا الجزء.

[7] يعني أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذي تخرّصه قوم على عائشة رضي الله عنها، و كان ذلك عقب غزوة غزاها النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كان يستصحب فيها عائشة؛ فحدث أنه أمر بالرحيل، و كانت عائشة منطلقة لبعض شأنها، فأمر بهودجها فحمل على بعيره، و ظن القوم أنها فيها و لم تكن هناك. فلما رجعت عائشة إلى الهودج ألفت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و أصحابه قد ارتحلوا؛ فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل؛ فرجعها إلى المدينة؛ فأرجف بها أناس و رموها بالإفك، و كان منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه. -

/و أخبرنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن حميد قال حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت بالسيف لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله. و قد كان حسان قال شعرا يعرض بابن المعطل و بمن أسلم من العرب من مضر فقال: أمسى الجلابيب قد عزوا و قد كثروا # و ابن الفريضة أمسى بيضة البلد

قد نكلت أمه من كنت صاحبه # أو كان منتشبا في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أعدو فأخذه # من دبة فيه أعطوها و لا قود[1]

ما البحر حين تهبّ الرّيح شامية[2] # فيغطل[3] و يرمي العبر بالزّبد

يوما بأغلب منّي حين تبصرني # بالسيف أفري كفرى العارض[4] البرد

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه و قال:

تلقّ ذباب السّيف عني فأثني # غلام إذا هو جيت لست بشاعر

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه:

و حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا[ابن] حميد قال حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أنّ ثابت بن قيس بن الشّمس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان فجمع يديه على عنقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: أ لا أعجبك[5]! ضرب/حسان بالسيف! و الله ما أراه إلا قد قتله. فقال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه و سلم بشيء من هذا؟ قال: لا و الله. قال: لقد اجترأت! أطلق الرجل، فأطلقه. ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فدعا حسان و صفوان بن المعطل؛ فقال ابن المعطل: يا رسول الله، آذاني و هجاني فضربته. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لحسان: «يا حسان أ تعيب على قومي أن هداهم الله عزّ و جلّ للإسلام!» ، ثم قال: «أحسن يا حسان في الذي أصابك». قال: هي لك يا رسول الله.

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبة قال حدَّثني المدائني قال حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدَّثنا محمد بن إسحاق عن

أبيه عن إسحاق بن يسار[6] عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك، و زاد في الشعر الذي قاله [1]القيود: القصاص.

[2]في «ديوانه» ص 62: «شاملة» .

[3]كذا في «ديوانه» . و اغطال الشيء: ركب بعضه بعضا. و في حـ: «فيغضئل» بالغين و الضاد المعجمتين. و في سائر الأصول: «فيعضئل» بالعين المهملة و الضاد المعجمة، و كلاهما تحريف. و العبر: جانب النهر. و عبر الوادي: شاطئه و ناحيته.

[4]العارض: السحاب المعترض في الأفق. و سحاب برد (بكسر الراء) : فيه قرّ و برد.

[5]يقال: عجه بالشيء، إذا نبهه على التعجب منه.

[6]كذا في م و هو الموافق لما في «الطبري» (قسم أول ص 1525 طبع أوروبا) و هو الصواب؛ لأنه يعني محمد بن إسحاق بن يسار-

حسان زيادة، و وافقه عليها مصعب الزبيري، فيما أخبرنا به الحسن بن علي، قال قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب في القصة، فذكر أن فتية من المهاجرين و الأنصار تنازعوا على الماء و هم يسقون خيولهم، فغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر.

و ذكر الزهري، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد، قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبي صلى الله عليه و سلم بني المصطلق [1].

قال:

/و كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل يقال له: سنان [2]، و رجل من بني غفار يقال له: جهجاه [3]؛ فخرج جهجاه بفرس لرسول الله صلى الله عليه و سلم و فرس له يومئذ يسقيهما، فأوردتهما الماء، فوجد على الماء فتية من الأنصار، /فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: هذا ما جزونا به، أوبناهم ثم هم يقاتلوننا! و بلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه و بين الفتية الأنصار، فقال و هو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم في الإسلام- و هذا الشعر من رواية مصعب دون الزهري:-

أمسى الجلابيب [4] قد عزوا و قد كثروا # و ابن الفرعة أمسى بيضة البلد

يمشون بالقول سراً في مهادة # تهّدا لي كأني لست من أحد

قد تكلت أمه من كنت صاحبه # أو كان منتشبا في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أسمو فأقتله # من دية فيه أعطيتها و لا قود

ما البحر حين تهبّ الريح شامية # فيغطئ و يرمي العبر بالزبد

يوما بأغلب مني حين تبصرني # أفري من الغيظ فري العارض البرد

أما قريش فإني لست تاركهم # حتى ينيبوا من الغيات بالرشد

/و يتركوا اللات و العزى بمعزلة # و يسجدوا كلهم للواحد الصمد

و يشهدوا أن ما قال الرسول لهم # حقّ و يوفوا بعهد الله في سدود [5]

-صاحب «السيرة» . و قد اضطربت بقية الأصول في هذا السند؛ ففي س: «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن ابن يسار» . و في غيرها: «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن يسار» و كلاهما تحريف.

[1] بنو المصطلق: بطن من خزاعة. و المصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة؛ و سمي بالمصطلق لحسن صوته، و هو أول من غنى من خزاعة.

[2] كذا في «سيرة ابن هشام» (ص 726 طبع أوروبا) و «الطبري» (ص 1511 من القسم الأول طبع أوروبا). و في الأصول: «جعان» .

و قد ساق ابن هشام و الطبري هذه القصة هكذا: «فازدحم جهجاه و سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين؛ فغضب عبد الله بن أبي إلك» .

[3] هو جهجاه بن سعيد الغفاري، كما في الطبري «و المعارف» لابن قتيبة (ص 165). و في «سيرة ابن هشام» (ص 726 طبع أوروبا) :

«جهجاه بن مسعود» . و في «أسد الغابة» : «هو جهجاه بن قيس و قيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة» .

[4] انظر الحاشية رقم 1 ص 156 من هذا الجزء. و انظر هذا الشعر في «الديوان» و «سيرة ابن هشام» (ص 738 و فيما تقدم من هذا الجزء (ص 157) تجده مختلفا عما هنا في بعض ألفاظه.

[5] السدد: القصد.

أبلغ بني بآئي قد تركت لهم # من خير ما ترك الآباء للولد

الدَّارِ واسطة و النخل شارعة # و البيض يرفلن في القسبي [1] كالبرد

قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا حسان نفست [2] عليّ إسلام قومي» و أغضبه كلامه. فغدا صفوان بن المعطل السلمي على حسان فضربه بالسيف. و قال صفوان: تلقّ ذباب السيف عني فإنني # غلام إذا هو جيت لست بشاعر

فوثب قومه على صفوان فحبسوه، ثم جاءوا سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة [3] بن ثعلبة بن طريف [4] بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، و هو مقبل على ناضحه بين القريتين، فذكروا له ما فعل حسان و ما فعلوا؛ فقال: أ شاورتم في ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالوا لا. ففعد إلى الأرض. و قال: و انقطاع ظهراه! أ تأخذون بأيديكم و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ظهرانكم! و دعا بصفوان فأتي به، فكيساه و خلاه. فجاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كساك كساه الله». و قال حسان لأصحابه: احملوني إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه و سلم/أترضاه ففعلوا؛ فأعرض عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه و سلم، فانصرفوا به. ثم قال لهم: عودوا بي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه و سلم؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرتين كل ذلك يعرض فلا نبرمه [5] بك. فقال: احملوني إليه هذه المرّة وحدها، ففعلوا. فقال: يا رسول الله، بآبي أنت و أمي! احفظ قولي: هجوت محمدا فأجبت عنه # و عند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبى و والده و عرضي # لعرض محمد منكم و فاء

/فرضي عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و وهب له سيرين [6] أخت مارية أمّ ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيم. هذه رواية مصعب [7]. و أمّا الزّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا بلغه ضرب السلمي حسان قال لهم: «خذوه فإن هلك حسان فاقتلوه». فأخذوه فأسروه و أوثقوه؛ فبلغ ذلك سعد بن عبادة، فخرج في قومه إليهم فقال: أرسلوا الرجل، فأبوا عليه؛ فقال: أ عمدتم إلى قوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تؤذونهم و تشتمونهم و قد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرسلوا الرجل؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتال، ثم أرسلوه.

فخرج به سعد إلى أهله فكساه حلّة، ثم أرسله سعد إلى أهله. فبلغنا أنّ [1]القسى: ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر؛ نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبا من تّيس يقال لها القس (بفتح القاف و كسرهما) .

[2]نفس عليه الشيء: حسده عليه و لم يره أهلا له.

[3]كذا في ح، و هو الموافق لما في «القاموس» (مادة حزم) و «طبقات ابن سعد» (ج 5 قسم 2 ص 115) . و في سائر الأصول: «خزيمة» بالخاء المعجمة، و هو تصحيف.

[4]كذا في «الطبقات» . و في الأصول: «ظريف» بالطاء المعجمة.

[5]أبرمه هنا: أضجره و أمله.

[6]كذا في الأصول و «سيرة ابن هشام» (ص 739 طبع أوروبا) و «الطبري» (ص 1528، 1591، 1781 قسم أوّل) و «الإصابة» لابن حجر العسقلاني (ج 8 ص 118) و «التنبيه» للبكري (ص 76 طبع دار الكتب المصرية) ، و ضبطها الزرقاني أيضا في «شرح على المواهب» (ج 3 ص 325 طبع بولاق) بقوله: «سيرين بكسر السين المهملة و سكون المثناة التحتية و كسر الراء» . و في «تاريخ ابن الأثير» (ج 2 ص 152) و «معجم البلدان» لياقوت (ج 1 ص 784) : «شيرين بالشين المعجمة.

[7]في الأصول: «أبي مصعب» و هو تحريف.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد ليصلي فيه، فقال: «من كساك كساه الله من ثياب الجنة». فقال: كساني سعد بن عبادة.
و ذكر باقي الخبر نحوه.

شعره في مدح عائشة و الاعتذار عما رماها به:

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا بَيْرِحَاءَ [1]، وَ هِيَ قَصْرُ بَنِي حَدِيلَةَ [2] الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ، كَانَتْ مَالًا لِأَبِي طَلْحَةَ [3] ابْنِ سَهْلٍ تَصَدَّقَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُ حَسَّانٌ فِي ضَرْبَتِهِ، وَ أَعْطَاهُ سِيرِينَ (أُمَّةٌ قَبْطِيَّةٌ) فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانٍ. قَالَ: وَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ، فَإِذَا هُوَ حَصُورٌ (لَا يَأْتِي النِّسَاءَ)؛ قَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتَبَةَ: فَقَالَ حَسَّانٌ يَعْتَذِرُ مِنَ الَّذِي قَالَ فِي عَائِشَةَ: حِصَانُ رِزَانَ مَا تَزُنُّ بِرَبِيبَةٍ # وَ تَصْبِحُ غَرَثِي مِنْ لِحُومِ الْغَوَافِلِ

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم # فلا رفعت سوطي إلي أناملتي

و كيف و ودي من قديم و نصرتي # لآل رسول الله زين المحافل

فإن الذي قد قيل ليس بلائط [4] # و لكنّه [5] قول امرئ بي ما حل [6]

هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل:

قال الزبير و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الصَّخَّالِ: أَنَّ رَجُلًا هَجَا حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ بِمَا فَعَلَ بِهِ ابْنُ الْمَعْطَلِ فَقَالَ: وَ إِنَّ ابْنَ الْمَعْطَلِ مِنْ سَلِيمٍ # أَذَلُّ قِيَادِ رَأْسِكَ بِالْخَطَامِ [7]

[1] في «النهاية» لابن الأثير (مادة برح): «هذه اللفظة كثيرا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون: بيرحاء بفتح الباء و كسرهما و بفتح الراء و ضمها و المدّ فيهما و بفتحهما و القصر، و هي اسم مال و موضع بالمدينة». .

[2] كذا في «اللسان» (مادة حدل) و «معجم البلدان» لياقوت (ج 1 ص 784 طبع أوروبا)، و «تاريخ ابن الأثير» ج 2 ص 152 طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ص 739 طبع أوروبا). و قد جاء في «اللسان»: «حديلة بضم الحاء و فتح الدال، هي محلة بالمدينة نسبت إلى بني حديلة بطن من الأنصار». و في الأصول و كتاب «التنبيه» للبكري (ص 76): «جديلة» بالجيم المعجمة، و هو تصحيف.

[3] كذا في «اللسان» (مادة برح) و «معجم البلدان» (ج 1 ص 784 طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام». و في الأصول: «لطلحة» بدون «أبي» و هو تحريف.

[4] كتب في ح بين السطور بخط رفيع فوق هذه الكلمة تفسيراً لها: «لائق». و في «اللسان» (مادة ليط) : «... أبو زيد: يقال: ما يليط به النعيم و لا يليق به، معناه واحد» .

[5] رواية «الديوان» :

بك الدهر بل سعى امرئ بك عاجل

[6] محل به إلى السلطان محلاً و محالاً: كاده بسعاية إليه.

[7] الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير.

سبه أناس فدافعت عنه عائشة:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه: أنّها طافت مع عائشة و معها أمّ حكيم و عاتكة: (امرأتان من بني مخزوم). قالت:

فابتدرنا حسّان نشتمه و هو يطوف؛ فقالت: ابن الفريعة تسبين! قلن: قد قال فيك فبرّأك الله. قالت: فأين قوله:

هجوت محمدا فأجبت عنه # و عند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي و والده و عرضي # لعرض محمد منكم وقاء

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفیان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمّه بنحو ذلك، و زاد فيه: إني لأرجو أن يدخله الله الجنّة بقوله.

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفیان بن عيينة و سلّم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمّه قالت:

كنت أطوف مع عائشة/بالبیت، فذكرت حسّان فسببته؛ فقالت: بئس ما قلت! أ تسببينه و هو الذي يقول:

فإنّ أبي و والده و عرضي # لعرض محمد منكم وقاء

/فقلت: أ ليس ممن لعن الله في الدنيا و الآخرة بما قال فيك؟ قالت: لم يقل شيئا، و لكنه الذي يقول:

حصان رزان ما تزوّ برية # و تصيح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد جاء عنّي قلته # فلا رفعت سوطي إليّ أناملني

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

كنت قاعدا عند عائشة، فمرّ بجنّازة حسّان بن ثابت فنلت منه؛ فقالت: مهلا! فقلت: أ ليس الذي يقول! قالت: فكيف يقوله:

فإنّ أبي و والده و عرضي # لعرض محمد منكم وقاء

أخبره بلسانه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب[1] عن محمد بن سيرين: أنّ حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه و قال: يا رسول الله، ما يسرّني أن لي به مقولا[2] بين صنعاء و بصرى[3]، ثم قال:

[1] يريد أيوب بن أبي تميمة السخثياني، كما في «الخلاصة» للخزرجي.

[2] كذا في ب، ح. و المغول: سيف دقيق له حد ماض. و في «الديوان» (ص 2) : «لساني صارم... إلخ» . و في سائر الأصول:

«لساني مقول» .

[3] بصرى. اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق و هي قصة كورة حوران، و بصرى بغداد و هي إحدى قراها قرب عكبراء.

لساني مغول لا عيب فيه # و بحري ما تكذره الدلاء

عن مناصرة أمية بنت عبد مناف يوم الخندق:

أخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال:

/كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارغ (حصن حسان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق. قالت: و كان حسان معنا فيه و النساء و الصبيان. قالت: فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، و قد حاربت بنو قريظة و قطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنّا، و رسول الله و المسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذ أتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يطيف بالحصن، و إني و الله ما آمنه أن يدلّ عليّ عوراتنا من وراءنا من يهود، و قد شغل عنّا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك و لم أر عنده شيئاً احتجرت [1] ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربتة بالعمود حتى قتلتها، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت:

يا حسان، انزل إليه فاسلبه؛ فإنّه لم يمنعي من سلبه إلاّ أنّه رجل. قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب.

حديث ابن الزبير عن يوم الخندق و في حديثه ما يبين حين حسان:

و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

كان ابن الزبير يحدث أنه كان في فارغ (أطم حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق و معهم عمر بن أبي سلمة. قال ابن الزبير: و معنا حسان بن ثابت ضارباً وتدا في آخر الأطم، فإذا حمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف؛ و إذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتّى كأنه يقاتل قرناً، يتشبه بهم كأنه يري أنّه مجاهد حين حين. و إني لأظلم ابن أبي سلمة/ و هو أكبر مني بسنتين فأقول له: تحملني على عنقك حتّى أنظر، فإنّي أحملك إذا نزلت.

قال: فإذا حملني ثم سألتني أن يركب قلت له: هذه المرّة أيضا. قال: و إني لأنظر إلى أبي معلما بصفرة، فأخبرتها أبي بعد؛ فقال: [أين كنت [2] حينئذ؟ فقلت: على عنق ابن أبي سلمة يحملني.

فقال: [أما و الذي نفسي بيده إنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم لي أبويه [3].

قال ابن الزبير: و جاء يهودي يرتقي إلى الحصن. فقالت صفيّة له: أعطني السيف، فأعطاه. فلما ارتقى اليهودي ضربته حتى قتلتها، ثم اجتزت [4] رأسه فأعطته حسان و قالت: طوّح به؛ فإنّ الرجل أقوى و أشدّ رمية من المرأة. تريد أن ترعب به أصحابه.

[1] يقال: احتجز بردائه، إذا شدّه على وسطه.

[2] هذه العبارة موجودة في س و ساقطة من سائر الأصول.

[3] يعني أن النبي صلوات الله عليه كان يقول له: فداك أبي و أمي.

[4] كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «اجتزت» بالجيم المعجمة. و ما اخترناه أصوب في هذا المقام؛ لأن الحز قطع العنق و نحوه، و الجز للشعر و الحشيش و نحوهما.

كان حسان مقطوع الأكل:

قال الزبير: وحدثني عمي عن الواقدي قال: كان أكل [1] حسان قد قطع فلم يكن يضرب بيده.

أنشد النبي شعرا في شجاعته فضحك:

قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسان بن ثابت أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد غدوت أمام القوم منتظما # بصارم مثل لون الملح قطاع

يحفز [2] عني نجاد السيف سابقة [3] # فضفاضة [4] مثل لون التهي بالقاع

/قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فظن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جنبه.

قال النابغة: إنه شاعر و الخنساء بكاءة:

قال الزبير وحدثني محمد بن الحسن قال: قال حسان بن ثابت: جئت نابغة بني ذبيان، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده، فأنشدته؛ فقال: إنك لشاعر، وإن أخت بني سليم لبكاءة.

سمعه الحطيئة ينشد فسأله وهو لا يعرفه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه:

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال أخبرني غير واحد من مشايخي [5] أن الحطيئة وقف على حسان بن ثابت و حسان ينشد من شعره؛ فقال له حسان وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي؟ قال الحطيئة: لا أرى به بأسا. فغضب حسان و قال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي! ما كنيته؟ قال: أبو مليكة. قال: ما كنت قط أهون علي منك حين كنيته بامرأة، فما اسمك؟ قال: الحطيئة فقال حسان: امض بسلام.

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل فاشترى كل الخمر و أراقها:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقني [6] قال حدثنا عبد الله بن [1] الأكل: عرق في وسط الذراع؛ قال ابن سيده: يقال له عرق النسا في الفخذ، و في الظهر الأبهري، و يسمى: عرق الحياة و نهر البدن.

[2] يحفز: يدفع.

[3]يقال: درع سابعة، إذا كانت طويلة تامة.

[4]فضفاضة: واسعة. و النهي: الغدير. و في «الديوان» (ص 66 طبع أوروبا) ورد هذا الشطر هكذا: تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع و فسرته في (ص 95) بقوله: «شبه الدرع في بياضها و اطرادها بالغدير» .

[5]في الأصول: «من مشايخه» .

[6]الزرقبيّ: نسبة إلى بني زريق، بطن من الأنصار، و هم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الخزرجي. (راجع «أنساب السمعاني») .

شبيب قال حدّثني الزبير، و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزبير قال حدّثني بعض القرشيين قال: دخل حسّان بن ثابت في الجاهليّة بيت خمار بالشّام و معه أعشى بكر بن وائل، فاشترى خمرًا و شربا، فنام حسّان ثم انتبه، فسمع الأعشى يقول للخمار: كره الشيخ/الغرم. فتركه حسّان حتّى نام، ثم اشترى خمر الخمار كلّها. ثم سكبها في البيت حتّى سالت تحت الأعشى؛ فعلم أنّه سمع كلامه فاعتذر إليه؛ فقال حسّان: و لسنا بشرب فوقهم ظلّ برده # يعدّون للخمار تيسا و مفصدا[1]

و لكننا شرب كرام إذا انتشوا # أهانوا الصّريح[2] و السّديف المسرهدا

كأنهم ماتوا زمان[3] حلّيمة # فإن تأتهم تحمد ندامتهم[4] عدا

و إن جنتهم ألفت حول بيوتهم # من المسك و الجادي[5] فتيتا مبدّدا

ترى حول أثناء الرّابي[6] ساقطا # نعلا و فسّوبا[7] و ربطا[8] منصدّدا

و ذا نمرق[9] يسعى و ملصق حدّه # بدياجة تكفافها قد تقدّدا

[1] كذا في أكثر من خمس نسخ مختلفة من «ديوانه». و المفصد: آلة الفصد. يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس و يأكلون دمه. و في الأصول: «و مقصدا» بالقاف و هو تصحيف. و في أكثر نسخ «الديوان»: «للحانوت» بدل «للخمار» .

[2] رواية «الديوان»: :

ملوك و أبناء الملوك إذا انتشوا # أهانوا الصبوح و السّديف المسرهدا

و الصريح: اللبن ذهب رغوته. و السّديف: لحم السنام، و قيل شحمه. و المسرهد: السمين من الأسنمة.

[3] في «ديوانه»: :

و تحسبهم ماتوا زمين حلّيمة

يقول: تراهم من سكرهم كأنهم موتى. و زمان حلّيمة، يشير به إلى أحد أيام العرب المعروفة، و هو يوم التقى المنذر الأكبر و الحارث الأكبر الغساني. و العرب تضرب به المثل في كل أمر متعالم مشهور، و للشريف النابه الذكر، فتقول: «ما يوم حلّيمة بسر». و حلّيمة هذه هي بنت الحارث بن أبي شمر. و سبب إضافة اليوم إليها أنها أخرجت طيبا في مكن فطبت به جيش أبيها الذي وّجه به إلى المنذر. قال النابغة يصف سيوفا: تورثن من أزمان يوم حلّيمة # إلى اليوم قد جرّبن كل التجارب

(انظر: «لسان العرب» مادة حلم و «نهاية الأرب» ج 3 ص 51 طبع دار الكتب المصرية) .

[4]ندامتهم: منادمتهم و مجالستهم.

[5]الجادِيّ: الزعفران.

[6]الزرابي: الطنافس. و في «الصحاح» : النمارق، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاي و سكون الراء) . و قد ورد هذا البيت و في «اللسان» مادّة قسب و بعض نسخ «الديوان» هكذا: ترى فوق أذنان الروابي سواقطا # نعالا و قسوبا و ربطا معضدا

[7]كذا في «ديوانه» و «لسان العرب» . و القسوب: خفاف لا واحد له. و في الأصول: «قسيا» .

[8]الربط: جمع ربطة، و هي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة و لم تكن لفقين، أو هي كل ثوب لين رقيق.

[9]النمرق و النمرقة: و سادة صغيرة يتكأ عليها، و ما يفترشه الراكب فوق الرحل، و هو المراد هنا. و في بعض نسخ «الديوان» : و ذو نطف يسعى ملصق خده

و النطف: القرط. و التكفاف، لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التي هي الشل. و تقدد: تقطع و بلي.

تعييره الحارث بن هشام بفراره عن أخيه و ردّ الحارث عليه:
و هذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدر يفخر بها و يعيّر الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام. و فيها يقول:

صوت

إن كنت كاذبة الذي حدّثني # فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم # و نجا برأس طمّرة [1] و لجام

-عناه يحيى المكيّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى. و لعزّة الميلاء فيه خفيف رمل بالبنصر. و فيه خفيف ثقيل بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ- فأجاب الحارث بن هشام، و هو مشرك يومئذ، فقال:

صوت

اللّه [2] يعلم ما تركت قتالهم # حتّى رموا فرسي بأشقر [3] مزبد

و علمت أنّي إن أقاتل واحدا # أقتل و لا يضرر عدوّي مشهدي

ففررت منهم و الأحبة فيهم # طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

عنى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، و قيل: بل هو لفليح.

تمثل رتبيل بشعر حسان فأنشده الأشعث ردّ الحارث فأعجب به:
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثني سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال: /لمّا صار ابن الأشعث إلى رتبيل [4]، تمثّل رتبيل بقول حسان بن ثابت في الحارث بن هشام: ترك الأحبة أن يقاتل دونهم # و نجا برأس طمّرة و لجام

فقال له ابن الأشعث: أ و ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام؟ قال: و ما هو؟ فقال قال: اللّه يعلم ما تركت قتالهم # حتى رموا فرسي بأشقر مزبد

و علمت أنّي إن أقاتل واحدا # أقتل و لا يضرر عدوّي مشهدي

فصدت عنهم و الأحبة فيهم # طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فقال رتبيل: يا معشر العرب، حسّنتم كلّ شيء حتى حسّنتم الفرار.

[1] الطمّرة: الأنثى من الجياد، و هي المستفزة للوثب و العدو، و قيل: الطويلة القوائم الخفيفة.

[2] انظر هذه الأبيات في أشعار «الحماسة» و «سيرة ابن هشام» (ص 253 طبع أوروبا) .

[3] الأشقر منّ الدم: الذي صار علقا و لم يعله غبار. و زبده: البياض الذي يعلوه.

[4] رتبيل (و يقال فيه زنبيل كما في «الطبري» و «ابن الأثير») : صاحب الترك، كان بنوحي سجستان، و قد غزاه في سنة 79 هـ عبید الله بن أبي بكرة، و كان واليا بسجستان، و توغل في بلاده و أصاب منه غنائم و أموالا و هدم قلاعاً و حصونا. و غزاه في سنة 80 هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج، فدخل بلاده و أخذ منها الغنائم و استولى على الحصون. و كتب إلى الحجاج بذلك و يشير عليه ألا يتوغل في البلاد؛ فأبى الحجاج ذلك و كتب له ثلاثة كتب يأمره فيها بمحاربتة و التوغل في بلاده؛ و كان من جراء ذلك أن خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج و بايعه الناس، و كان من أمرهما ما كان مما تراه مفصلا في «كتب التاريخ» .

43- ذكر الخبر عن غزاة بدر

أخبار غزاة بدر:

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في «المغازي» قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مسلم الزّهريّ و عاصم بن عمر بن قتادة و عبد الله بن أبي بكر و يزيد بن رومان عن غزوة بدر و غيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس، كلّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر، قالوا:

ندب النبي المسلمين للغير و استنفار أبي سفيان لقريش:

لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ مَقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَ قَالَ: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا؛ فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَنْفَلِكُمُوهَا» [1]. فَانْتَدَبَ النَّاسَ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَ ثَقُلَ بَعْضُهُمْ؛ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْقَى حَرْبًا. وَ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ اسْتَقْدَمَ حِينَ دَنَا مِنَ الْحِجَازِ وَ جَعَلَ يَتَجَسَّسُ [2] الْأَخْبَارَ، وَ يَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مِنَ الرِّكْبَانِ، تَخَوُّفًا عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ، حَتَّى أَصَابَ خَبْرًا مِنْ بَعْضِ الرِّكْبَانِ أَنَّ مُحَمَّدًا اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَكَ وَ لِعَيْرِكَ، فَجَدَّ [3] عِنْدَ ذَلِكَ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغَفَارِيَّ فَبِعْتَهُ إِلَى مَكَّةَ وَ أَمْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَ يَخْبِرُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِي أَصْحَابِهِ؛ فَخَرَجَ ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب:

قال ابن إسحاق: و حدّثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس و يزيد بن رومان عن عروة بن الربير قال [4]:

و قد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم [مكة] [5] بثلاث [ليال] [5] رؤيا أفزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، و الله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضعتني و تخوّفت أن يدخل على قومك [منها] [5] شرّ أو مصيبة، فاکتم عني [6] ما أحدثك. قال لها: و ما رأيت؟ قالت: رأيت راكبا أقبل عليّ بغير له حتى [1] نفله النفل و نقله (بالتضعيف) و أنفله: أعطاه الغنيمة أو الهبة.

[2] في حـ «و السيرة»: «يتحسس» (بالحاء المهملة). و التجسس و التحسس كلاهما بمعنى واحد و هو تطلب الأخبار و البحث عنها.

[3] في «السيرة» (ص 428 طبع أوروبا): «فحذر» .

[4]الذي في «السيرة» : «عن عكرمة عن ابن عباس و يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا» . و عكرمة هذا هو عكرمة أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس و يروى عنه.

[5]الزيادة عن «سيرة ابن هشام» .

[6]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «عليّ» .

وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا/يا آل غدر[1] لمصارعكم في ثلاث؛ و أرى[2] الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد و الناس يتبعونه؛ فبينما هم حوله مثل به بغيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بغيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت[3]، فما بقي بيت من بيوت مكة و لا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: إن هذه لرؤيا، و أنت فاكتميتها و لا تذكرها لأحد. ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة، و كان له صديقا، فذكرها[له][4] و استكتمه إياها؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث[بمكة][4] حتى تحدثت به قريش. قال العباس: فغدوت أطوف بالبيت، و أبو جهل بن هشام و رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة. فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا؛ فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب[5]، متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قال: قلت: و ما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت: و ما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أ ما رضيتم أن تتنبا رجالكم حتى تتنبا نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها[6] قالت: انفروا في ثلاث؛ فسنتربص بكم هذه الثلاث؛ فإن يكن ما قالت حقا فسيكون، و إن تمض الثلاث و لم يكن من ذلك شيء نكتب كتابا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: /فو الله ما كان إليه مني كبير إلا أن جحدت ذلك و أنكرت أن تكون رأت شيئا. قال: ثم تفرقنا. فلما أمسينا[7] لم تبقى امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، و يتناول النسياء و أنت تسمع، و لم يكن عندك غير[8] الشيء مما سمعت؟ قلت: قد و الله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، و أيم الله لأتعرضن له؛ فإن عاد لأكفينك[9]. قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة و أنا حديد مغضب أراي[أبي][10] قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيت، فو الله إني لأمشي نحوه العرضنة[11] ليعود لبعض ما كان فأوقع به. و كان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشدد[12]. قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله! أ كل هذا فرقا أن أشاتمته! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري/و هو يصرخ ببطن الوادي[واقفا على بغيره قد جدع بغيره و حوّل رحله و شق قميصه و هو يقول][10]: يا معشر قريش اللطيمة[13][اللطيمة!] [10]أموالكم مع أبي

سفيان بن حرب قد عرض لها [1] غدر: كصرد، و أكثر ما يستعمل في النداء في الشتم؛ فيقال للمفرد يا غدر، و للجمع يا آل غدر. و قال ابن الأثير: غدر معدول عن غادر للمبالغة. و يقال للذكر: غدر، و الأنثى غدار (كقطام) ، و هما مختصان بالنداء في الغالب.

[2] في «السيرة» : «فأرى» .

[3] أرفضت: تفرقت.

[4] الزيادة عن «سيرة ابن هشام» .

[5] كذا في «السيرة» . و في الأصول: «يا بني عبد مناف» و لا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب.

[6] في «سيرة ابن هشام» : «أنه قال انفروا إلخ» و يكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذي رأته.

[7] في «السيرة» : «أمسيت» .

[8] مصدر قولك: غار الرجل على امرأته غيره و غيرها.

[9] كذا في «السيرة» . و في الأصول: «لأكفينكموه» و هو تحريف إذ الخطاب لجماعة الإناث.

[10] زيادة عن «السيرة» .

[11] يقال: فلان يمشي العرضنة و العرضنى أي في مشيته بغى من نشاطه. و في «السيرة لابن هشام» : «إني لأمشي نحوه أتعرضه» .

[12] يشتدّ: يعدو.

[13] اللطيمة: العير يحمل الطيب و بزّ التجار.

محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها! الغوث الغوث! قال: فشغلني عنه و شغله عني ما جاء من الأمر. قال: فتجهّز الناس سراعا، و قالوا: لا يظنّ محمد و أصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي [1]! كلا و الله ليعلمنّ غير ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارج و إمّا باعث مكانه رجلا.

خروج قريش و إرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه:

و أوعيت قريش فلم يتخلف من/أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، و كان ل [2] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، فأفلس [3] بها، فاستأجره بها علي أن يجزئ عنه بعته، فخرج عنه و تخلف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عبيدة و ابن الكلبي: أنّ أبا لهب قامر العاصي بن هشام في مائة من الإبل، فقمرة [4] أبو لهب، ثم عاد فقمرة أيضا، ثم عاد فقمرة أيضا الثالثة، فذهب بكلّ ما كان يملكه. فقال له العاصي: أرى القداح قد حالفتك يا ابن عبد المطلب، هلّمّ نجعلها على أيّنا يكون عبدا لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدحاها [5] فقمرة أبو لهب، فأسلمه قينا، و كان يأخذ منه ضريبة. فلما كان يوم بدر و أخذت قريش كلّ من لم يخرج بإخراج رجل مكانه أخرجه أبو لهب عنه و شرط له العتق؛ فخرج فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر.

وبخ ابن أبي معيط أمية بن خلف لإجماعه القعود فخرج:

قال محمد بن إسحاق: و حدّثني عبد الله بن أبي نجيح: أنّ أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، و كان شيخا [جليلا جسيما] [6] ثقيلًا، فجاءه عقبه بن أبي معيط و هو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها، فيها نار و مجمر [7]، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمر فأنت أنت/من النساء! قال: قبّحك الله و قبّح ما جئت به! ثم تجهّز و خرج مع الناس. فلما فرغوا من جهازهم و أجمعوا السير، ذكروا ما [كان] [8] بينهم و بين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب [9]، فقالوا: إنّنا نخشى أن يأتوا من خلفنا.

تخوّف قريش من كنانة و تأمين إبليس لهم:

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: لمّا أجمعت قريش المسير ذكرت [1] هو عمرو بن الحضرمي. و قد أورد ابن هشام في «السيرة» خبر هذه العير.

[2] كذا في هامش «تاريخ الطبري» (ص 1295 من القسم الأول) . و لظ الغررم بالحق: ما طل فله و منعه، و لظ حقه: حده. و فف حءفط طهفة: «لا تلطط فف الزكاة» أف لا تمنعها. و فف الأفول: «لاط» و هو ءحرف.

[3] فف «السفرة»: «أفلس» بدون الفاء.

[4] قمره: غلبه فف المقامرة.

[5] دحاهها: رماها. و الدحو: رمى اللاعب بالجر أو الجر و غيره. و ذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الجر الذي يريدون رمفه، ثم فتنحون عنها قفلا و يرمون بالأجار إليها؛ فأن وقعت الأجار فف الحفرة غلب صاحبها و إن لم تقع ففها غلب. و تسمى تلك الأجار المداحف، واحدها: مدحاة.

[6] الزفافة عن «السفرة» .

[7] المجر: العود ففبخر به.

[8] الزفافة عن «السفرة» .

[9] كذا فف «السفرة» . و فف الأفول: «كنانة بن الحارء» و هو ءحرف.

الذي بينها و بين بني[1] بكر بن عبد مناة، فكاد ذلك أن يثبّطهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجيّ، و كان من أشرف بني كنانة، فقال: إني جار لكم من أن تأتيكم كنانة[من خلفكم][2] بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعا.

خروج النبيّ و عدد جيشه و الطريق التي سلكها:

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم-فيما بلغني عن غير ابن إسحاق-لثلاث ليال خلون من شهر رمضان المعظم في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا من أصحابه. فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا. و كان المهجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا، و كان الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا، و كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه و سلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، و كان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.

/حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المقدم، قال أبو جعفر و حدّثني محمد بن إسحاق الأهوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال[3] كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين/جازوا معه النهر-و لم يجز معه إلاّ مؤمن-ثلاثمائة و بضعة عشر.

استشارة النبيّ لأصحابه و تأييد الأنصار له:

قال ابن إسحاق في حديثه عمّن روى عنه: و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في أصحابه، و جعل على الساقة[4] قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار، في ليال مضت من رمضان؛ فسار حتّى إذا كان قريبا من الصّفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنيّ حليف بني ساعدة و عدي بن أبي الزّعباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسّسان[5] له الخبر عن أبي سفيان بن حرب و غيره، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه و سلم و قدّمهما. فلما استقبل الصّفراء، و هي قرية بين جبلين، سأل عن جليلها ما اسماهما؟ ف قيل: يقال لأحدهما هذا مسلح، و للآخر هذا مخرئ؛ و سأل عن أهلها فقالوا: بنو الثار، و بنو حراق (بطنان من غفار)؛ فكرههما رسول الله صلى الله عليه و سلم و المرور بينهما، و تفاعلا[6] باسميهما و أسماء أهاليهما، فتركهما و الصّفراء يسارا، و سلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نزل، و أتاه[1] كانت الحرب التي بين قريش و بين بني بكر في ابن الحفص بن الأخيف أحد بني معيص بن عامر

بن لؤي، قتله بنو بكر بضجنان، و كان خرج يبتغي بها ضالة له، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، فثار للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله و خاض بطنه بسيفه، ثم أتى به الكعبة ليلا فعلقه بأستارها. فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقا بأستار الكعبة فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله. (انظر «السيرة» لابن هشام ج 1 ص 431 طبع أوروبا) .

[2]الزيادة عن «السيرة» .

[3]كذا في الأصول. و لعله: «قالا» .

[4]ساقه الجيش: مؤخرته.

[5]في ح: «يتحسان» . (انظر الحاشية رقم 2 ص 171 من هذا الجزء) .

[6]تفاءل هنا بمعنى تطير. و الفأل يكون فيما يحسن و يسوء، و الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. و في الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:

«لا عدوى و لا طيرة و يعجبني الفأل الصالح» . و الفأل الصالح: الكلمة الحسنة. و هذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحا و منه ما يكون غير صالح.

الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم؛ فاستشار النبي صلى الله عليه و سلم الناس و أخبرهم/عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك.

و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلمون[1]. فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك[2] الغماد-يعني مدينة الحبشة- لجالدنا معك حتى تبلغه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم خيرا و دعا له بخير.

حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال:

شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما في الأرض من كل شيء، كان رجلا فارسا، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا غضب احمازت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال، فقال: أبشر يا رسول الله، فو الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، و لكن و الذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك و من خلفك و عن يمينك و شمالك أو يفتح الله تبارك و تعالى.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق:

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أشيروا علي أيها الناس». و إنما يريد الأنصار؛ و ذلك أنهم كانوا عدد الناس، و أنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى نصير إلى دارنا، فإذا وصلت فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا و أبناءنا و نساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، و أن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له سعد بن معاذ: و الله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك يا رسول الله و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، و أعطيناك على ذلك عهدنا و موثيقنا على السمع و الطاعة، فامض بنا يا رسول الله لما أردت [فنحن معك][3]. فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت[4] بنا هذا البحر

و خضته لخصناه معك ما يتخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً. إنا لصبر عند الحرب، صدق [5] عند اللقاء، لعل الله تعالى أن يريك [ميتاً] [3] ما تقرّ به عينك؛ فسر بنا على بركة الله. فسر [6] رسول الله صلى الله عليه و سلم [يقول سعد] [3] و نشطه ذلك؛ ثم قال:

[1] أعلم نفسه: و سمها بسيماء الحرب كعلمها.

[2] برك الغماد (بفتح الباء و كسرها، و بكسر الغين و ضمها و قيل مثلث الغين) ، اختلف فيه فقيل: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، و قيل: موضع في أقصى أرض هجر، و قيل: بلد باليمن، و قيل غير ذلك. و ورد في «تاريخ الطبري» (ص 1300 من القسم الأول طبع أوروبا) ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج. و ورد أيضا في «معجم ما استعجم» للبكري (ص 148) ما نصه:

«... و في حديث هجرة النبي صلى الله عليه و سلم أنه لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا إلى الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة... إلخ» .

[3] زيادة عن «السيرة» .

[4] استعرض البحر: أتاه من جانبه عرضا.

[5] يقال: رجل صدق اللقاء و قوم صدق (بالضم) ، و مثاله فرس ورد و أفراس ورد. (انظر «اللسان» مادة صدق) .

[6] في الأصول: «فسار رسول الله صلى الله عليه و سلم و نشطه ذلك» . و ما أثبتناه عن «السيرة و الكشف» للزمخشري في تفسير سورة الأنفال.

«سيروا علي بركة الله و أبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين[1]، و الله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» .

نزول النبي قريبا من بدر و سؤاله شيئا عن قريش:

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذفران[2]، و سلك على ثنايا يقال لها/الأصافر[3]، ثم انحط منها على بلد يقال له الذبّة[4]، ثم ترك الحثان[5] بيمين، و هو كثيب عظيم كالجيل، ثم نزل قريبا من بدر، فركب هو و رجل من أصحابه-قال الطبري[6] قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن يحيى بن حبان-حدّثني وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش و عن محمد و أصحابه و ما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن[7] أنتما. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال: أو ذاك بذاك؟ فقال: «نعم» . قال الشيخ: فأته بلغني أنّ محمدا و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا؛ فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا و كذا (للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه و سلم) . و بلغني أنّ قريشا خرجوا يوم كذا و كذا؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا و كذا (للمكان الذي به قريش) . فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أم من ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أصحابه.

أرسل النبي نفرا من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخير:

فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، و الزبير بن العوّام، و سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر عليه-.

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش و معرفة أخبارهم منهما:

قال محمد بن إسحاق: حدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: فأصابوا راوية[8] لقريش فيها أسلم غلام [1]يشير إلى قوله تعالى في سورة الأنفال: **(وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)** . و الطائفتان هما العير و هم ركب أبي سفيان، و النفير و هم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

[2]ذفران: واد قرب وادي الصفراء.

[3]الأصافر: جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة؛ سميت بذلك لأنها هضبات صفر.

[4]الدبة: موضع قرب بدر.

[5]كذا في «السيرة و معجم البلدان» لياقوت. و في جميع الأصول: «ثم نزل الحيان» و هو تحريف.

[6]كذا في الطبري و «السيرة» . و في جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا: «قال الطبري: قال محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن إسحاق حدّثني محمد بن يحيى بن حبان... إلخ» . و محمد بن إسحاق المكرر هنا شخص واحد، و هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «السيرة» الذي ينقل عنه الطبري و الذي يروى عن محمد بن يحيى بن حبان. (راجع «تهذيب التهذيب» و «تراجم» من روى عنهم محمد بن إسحاق المطبوع بليدن) .

[7]كذا في «السيرة» و الطبري. و في الأصول: «من» .

[8]يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب. -

/بني الحجاج، و عريض[1]أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يصلي. فسألوهما فقالا[2]: نحن سقاء لقريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما و رجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما[3]قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. و ركع رسول الله صلى الله عليه و سلم و سجد سجدتين ثم سلّم، ثم قال: «إذا صدقكم ضربتموهما، فإذا كذباكم تركتموهما، صدقا و الله إتهما لقريش. أخبراني ابن قريش»؟قالا: هم وراء[هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى[4]-و]الكتيب: العنقل-فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كم القوم»؟قالا: لا ندري. قال: «كم ينحرون كل يوم»؟قالا: يوما تسعا و يوما عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «القوم ما بين التسعمائة[5] و الألف». ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه و سلم: «فمن فيهم من أشرف قريش»؟قالا: عتبة بن ربيعة، و شيبه بن ربيعة، و أبو البخترى بن هشام، و حكيم بن حزام، و نوفل بن خويلد، و الحارث بن عامر بن نوفل، و طعيمة بن عدي، و النضر بن الحارث، و زمعة[6]بن الأسود، و أبو جهل بن هشام، و أمية بن خلف، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و سهيل بن عمرو، و عمرو بن ود. فأقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم على الناس فقال: «هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ/كبدها» .

قدم أبو سفيان إلى بدر متجسسا ثم اتجه بالغير نحو الساحل:

قال ابن إسحاق[7]: و قد كان بسبس بن عمرو و عدي بن أبي الرغاء مضيا حتى نزلا بدرا فأنخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شتا[8]يستقيان فيه، و مجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي و بسبس جاريتين من جوارى الحاضر و هما تتلازمان[9]على الماء، و الملزومة تقول لصاحبتهما: إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما. و سيمع ذلك عدي و بسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبراه بما سمعا. و أقبل أبو سفيان قد[9]تقدّم العير حذرا حتى ورد الماء، فقال [1]كذا في «السيرة لابن هشام» (ج 1 ص 436) «و الطبري» (ص 1303 من القسم الأول. و في الأصول: «غريض بن يسار» بالغين المعجمة.

[2]كذا في الطبري و «السيرة». و في الأصول: «فقالوا» .

[3]أذلقه: أضعفه و أقلقه. و في حديث عائشة أنها كانت تصوم في السفر حتى أذلقها الصوم أي أجهدها و أذابها و أقلقها.

[4]التكملة عن الطبري و «السيرة» .

[5]الفصيح في العدد المضاف أن يعرف المضاف إليه، و جوز بعضهم تعريف الطرفين. أما تعريف الأوّل دون الثاني فغير صواب. و على هذا يحمل ما ورد من الأحاديث من هذا النوع على أنه مروى بالمعنى. على أن بعضهم خرجه بتقدير مضاف نكرة، فيقول في مثل ما هنا: «بين التسع تسع مائة» .

[6]ضبطه صاحب «المغني» في «أسماء رجال الحديث» المطبوع بهامش «تقريب التهذيب» (ص 101 طبع الهند) بالعبارة هكذا: «زمعة بزاي و ميم مفتوحتين و عين مهملة و أكثر الفقهاء و المحدثين يسكنون الميم، و الدسودة... إلخ» . و قال صاحب «القاموس» : و زمعة بالفتح و يحرك . و ضبطه الفيومي في «المصباح» بفتح الميم، ثم قال: «و المحدثون يقولون: زمعة بالسكون، و لم أظفر به في «كتب اللغة» . و في «شرح المواهب اللدنية» (ج 3 ص 271) قال: «زمعة بزاي فميم فعين مهملة مفتوحات» . و قال ابن الأثير: «و أكثر ما سمعنا أهل الحديث و الفقهاء يقولونه بسكون الميم. و قول «المصباح» : لم أظفر بالسكون في «كتب اللغة» قصور؛ فقد قدّمه «القاموس» ثم حكى الفتح؛ فظاهره أن السكون أكثر لغة» .

[7]في الأصول: «قالوا و قد كان بسبس إلخ» ، و التصويب عن «السيرة» .

[8]الشنن: القرية الخلق الصغيرة.

[9]يقال: لزم فلان غريمه، إذا تعلق به.

[10]كذا في صلب الطبري (ص 1305 قسم أوّل طبع أوروبا) . و في الأصول: «حين تقدم» . و في «سيرة ابن هشام» : «حتى تقدم» و كلتا الروايتين أشير إليها في هامش الطبري.

لمجدّي بن عمرو: هل أحسست أحدا؟ قال: ما رأيت أحدا أنكره، إلاّ أئبي رأيت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شرنّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سيفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتّه فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب! فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف [1]وجه غيره عن الطريق [فساحل بها] [2]و ترك بدرا يسارا، ثم انطلق حتّى أسرع.

رؤيا جهيم بن أبي الصلت:

و أقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة [3]رأى جهيم بن أبي الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إئبي رأيت فيما يرى النائم، و إئبي/لبين النائم و اليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس و معه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أبو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف، و فلان و فلان-فعدّد رجالا ممن قتل يومئذ من أشرف قريش-و رأيت ضرب في لبة [4]بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلاّ أصابه نضح من دمه. قال: فبلغت أبا جهل فقال: و هذا أيضا نبيّ آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا.

نصح أبو سفيان إلى قريش أن يرجعوا فأبى أبو جهل:

و لما رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز غيره، أرسل إلى قريش: إئكم إئما خرجتم لتمنعوا غيركم و رجالكم [5]و أموالكم فقد نجّها الله فارجعوا. فقال أبو جهل: و الله لا نرجع حتّى نرد بدرا-و كان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سوق كلّ عام-فنقيم عليه ثلاثا، و ننحر الجزر و نطعم الطعام و نسقي الخمر، و تعزف علينا القيان، و نسمع بنا العرب [بمسيرنا و جمعنا] [6]، فلا يزالون يهابوننا أبدا، فامضوا.

رجوع بني زهرة:

فقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفيّ، و كان حليفا لبني زهرة، و هم بالجحفة: يا بني زهرة قد نجّى الله لكم غيركم و خلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، و إئما نفرتم لتمنعوه و ماله، فاجعلوا بي جنبها [7]و ارجعوا؛ فإنّه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة لما يقول هذا (يعني أبا جهل)؛ فلم يشهدا زهرّي، و كان فيهم مطاعا. و لم يكن بقي من قريش بطن إلاّ نفر منهم ناس، إلاّ بني عديّ بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد.

فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد.

[1] في الطبري و «السيرة» : «فضرب» .

[2] زيادة عن «السيرة» . و ساحل بها: اتجه بها نحو الساحل.

[3] الجحفة (بالضم) : ميقات أهل الشام، و كانت قرية جامعة، على اثنين و ثمانين ميلا من مكة، و كانت تسمى مهية فنزل بها بنو عييل و هم إخوة عاد، و كان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل الجحاف فأجحفهم؛ فسميت الجحفة.

[4] اللبة: المنحر و موضع القلادة من الصدر كاللب.

[5] في «السيرة لابن هشام» : «رجالكم» بالجيم المعجمة.

[6] زيادة عن «السيرة» .

[7] كذا في «السيرة لابن هشام» (ج 1 ص 438) و «تاريخ الطبري» (ص 1307 من القسم الأول) . و في الأصول: «فاجعلوني جنبها» و هو تحريف.

اتهام قريش لبني هاشم:

و مضى القوم، و قد كان بين طالب بن أبي طالب- و كان في القوم- و بين بعض قريش محاورة؛ فقالوا: و الله لقد عرفنا يا بني هاشم- و إن خرجتم معنا- أن هواكم/[لمع][1]محمد؛ فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع. و أمّا ابن الكلبي فإنه قال فيما حدّثت عنه: شخص طالب بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين، أخرج كرها، فلم يوجد في الأسرى و لا في القتلى و لم يرجع إلى أهله، و كان شاعرا، و هو الذي يقول: /

يا ربّ إمّا يغزوّ طالب # في مقنب[2] من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب # و ليكن المغلوب غير الغالب

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي:

قال: و مضت قريش حتّى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل. و بطن الوادي، و هو ليليل[3]، بين بدر و بين العقنقل: الكتيب الذي خلفه قريش. و القليب بدر من العدو الدنيا من بطن يليل إلى المدينة. و بعث الله عزّ و جلّ السماء، و كان الوادي دهسا[4]، فأصاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم [و أصحابه منها][1] ما لبد لهم الأرض و لم يمنعهم المسير، و أصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلّم يبادرهم إلى الماء حتّى حاذى ماء من مياه بدر فنزل به.

أشار الحباب بن المنذر على النبيّ برأي فاتبعه:

قال ابن إسحاق: فحدّثني عشرة[5] رجال من بني سلمة ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أ رأيت هذا المنزل، أ منزل أنزلكه الله لنا/ أن نتقدّمه و لا نتأخّر عنه، أم هو الرأي و الحرب و المكيدة؟ قال: «بل هو الرأي و الحرب و المكيدة». فقال: يا رسول الله، إنّ هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتّى تأتي أدنى ماء من مياه القوم فتنزله، ثم تعوّر[6] ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضا فتملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب و لا يشربوا. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: «لقد أشرت بالرأي». فانهض رسول الله صلى الله عليه و سلّم و من معه من الناس حتّى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فعوّرت[7] و بنوا حوضا على القليب الذي نزل عليه فملئ، ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

[1] الزيادة عن «السيرة لابن هشام» (ج 1 ص 438 طبع أوروبا) .

[2] المقنب: جماعة الخيل و الفرسان، و قيل: هي دون المائة.

[3] يليل (بتكرير الياء المفتوحة) : اسم واد يدفع في بدر. و في «معجم ما استعجم» (في الكلام على رضوى) : «و وادي ينبع يليل يصب في غيقة» . و في الأصول: «تليل» بالتاء المثناة من فوق في أوله، و هو تصحيف.

[4] الدهس: هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا و ليس بتراب و لا طين كالدهاس، و قيل أيضا: الأرض السهلة يثقل فيها المشي.

[5] في «السيرة» : «قال ابن إسحاق: فحدّثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا إلخ» .

[6] كذا في الطبري و «السيرة» . و عوّر العين أو القليب: طمه و ردمه. و في الأصول: «تغوّر» بالعين المعجمة، و هو تصحيف.

[7] كذا في «السيرة» و الطبري. و في الأصول: «فغوّرت» بالعين المعجمة.

بناء عريش من جريد للنبي:

قال محمد بن إسحاق: فحدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، نبي لك عريشا من جريد فتكون فيه و نعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا؛ فإن نحن أعزنا الله و أظهرنا على عدونا كان ذلك [1] ما أحببنا، و إن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدّ حبا لك منهم، [و لو ظنوا] [2] أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك و يجاهدون معك].

فأثنى [عليه] [3] رسول الله صلى الله عليه و سلم خيرا، و دعا له بخير. ثم بني لرسول الله صلى الله عليه و سلم عريش فكان فيه.

إقبال قريش دعاء النبي عليها:

و قد ارتحلت قريش حين أصبحت و أقبلت. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم تصوّب [4] من العقنقل- و هو الكتيب الذي منه جاءوا- إلى الوادي قال: «اللهم هذي قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادك و تكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني . اللهم فأحنيهم [5] / الغداة». و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم و رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر: «إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا» .

عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش:

و قد كان خفاف [بن إيماء] [6] بن رخصة الغفاري، أو أبوه [7] أيما بن رخصة، بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنا له بجزائر أهداها لهم و قال لهم: إن أحببتم أن نمدّكم [8] بسلاح و رجال فعلنا. فأرسلوا [إليه] [6] مع ابنه: أن وصلتكم رحم! فقد قضيت الذي عليك. فلعمري لئن كتّا إئما نقاتل الناس فما بنا ضعف [عنهم] [6]، و لئن كتّا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة. فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله صلى الله عليه و سلم. / فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «دعوهم». فما شرب منهم رجل إلا قتل يومئذ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل، نجا على فرس له يقال له الوجيه، و أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه؛ فكان إذا اجتهد [في] [6] يمينه قال: و الذي نجاني من يوم بدر.

بعثت قريش عمير بن وهب متجسسا فأخبرهم بما رؤّوهم:
قال محمد بن إسحاق: و حدّثني أبي إسحاق بن يسار و غيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحيّ فقالوا: احزر[9] لنا أصحاب محمد؛ فاستجال بفرسه حول [1]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «ذلك مما» .

[2]زيادة عن «السيرة» و «تاريخ الطبري» .

[3]الزيادة عن «السيرة» (ج 1 ص 440 طبع أوروبا) .

[4]التصوّب: الانحدار من علو.

[5]الحين (بالفتح) : الهلاك. و حان الرجل: هلك. و أحانه الله: أهلكه.

[6]الزيادة عن «السيرة» و «تاريخ الطبري» .

[7]في الأصول: «أخوه» ، و التصويب عن «السيرة» و «تاريخ الطبري» . و إيماء بكسر الهمزة مع المدّ أو بفتحها مع القصر. و رخصة بالتحريك أو بالفتح، أو بالضم، أقوال فيه. (انظر «شرح القاموس» مادة رخص) .

[8]كذا في «السيرة» . و في الأصول و الطبري: «أمّكم» .

[9]الحزر: التخمين و التقدير.

العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه، و لكن أمهلوني حتى أنظر: أ للقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أمعن، فلم ير شيئا، فرجع فقال: لم أر شيئا، و لكن قد رأيت/يا معشر قريش الولايا[1] تحمل المنايا! نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع! قوم ليس لهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم. و الله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك! فروا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة و قال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش الليلة و سيدها و المطاع فيها، هل لك إلى أمر لا تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: و ما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس و تحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على ذلك شهيد، إنما هو حليفي فعلي عقله[3] و ما أصيب من ماله؛ فأت ابن الحنظليّة[4] فأبى لا أخشى أن يسحر الناس غيره (يعني أبا جهل بن هشام).

يقص حكيم بن حزام حديث بدر لمروان بن الحكم:

حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة[5] بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال:

بيننا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام. قال: أئذن له. فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحبا بك يا أبا خالد، أذن؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه و بين الوسادة، ثم استقبله مروان فقال: حدثنا حديث بدر. قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرا؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي/قال الله عز و جل؛ فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ما ذا؟ قال: قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم واحد: (ابن الحضرمي) و هو حليفك، فتحمل ديتة فيرجع الناس. قال: أنت و ذاك، و أنا أتحمل ديتة، فاذهب إلى ابن الحنظليّة (يعني أبا جهل) فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجتته فإذا هو في جماعة من بين يديه و من ورائه، فإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه و هو يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، و عقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أ ما

وجد رسولا غيرك؟ قلت: لا، و لم أكن لأكون رسولا لغيره. قال حكيم: فخرج مبادرا إلى عتبة و خرجت معه لئلا يفوتني من الخبر شيء، و عتبة يتكئ على إيماء بن رحضة الغفاري، و قد أهدى [1]الولايا: جمع ولية، و هي البرذعة أو ما تحتها.

[2]النواضح: جمع ناضح. و الناضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير و إن لم يحمل الماء.

[3]العقل: الدية.

[4]قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، و هي أسماء بنت مخزبة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

[5]كذا في الأصول بالغين المعجمة. و قد ذكر الطبري (قسم أول ص 1313) هذا القصة بهذا الإسناد، و فيه: «عمامة بن عمرو السهمي» بالعين المهملة. و في هامشه في الصفحة نفسها نقلا عن نسخة أخرى: «غمامة» بالغين المعجمة كما في الأصول. و في القسم الثالث من الطبري (ص 268): «عثامة بن عمرو السهمي». و في هامشه في الصفحة نفسها نقلا عن نسختين أخريين: «غمانة» بالغين و «عثامة» بالعين و التاء. و لم نعثر على هذا الاسم في «كتب التراجم» حتى نستطيع ترجيح أحد هذه الأسماء.

إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل و الشرّ في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرك [1]! فقال عتبة: فستعلم.

فسلّ أبو جهل سيفه/فضرب به متن فرسه؛ فقال إيماء بن رخصة: بئس المقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب.

رجع الحديث إلى ابن إسحاق:

نصح عتبة بن ربيعة قريشا بالرجوع فأبى أبو جهل:

ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا معشر قريش، والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، رجل قتل ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا و خلوا بين محمد و بين سائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، و إن كان غير ذلك ألفاكم [2] / و لم تعدموا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتّى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل [3] درعا له من جرابها [4] و هو يهينها؛ فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا و كذا (الذي قال)؛ فقال: انتفخ و الله سحره حين رأى محمداً وأصحابه. كلاً و الله! لا مرجع حتّى يحكم الله بيننا و بين محمد و أصحابه؛ و ما بعثت ما قال، و لكنه قد رأى أنّ محمداً و أصحابه أكلة [5] جزور، و فيهم ابنه قد تخوّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس و قد رأيت ثارك بعينك، فقم فانشد خفرتك [6] و مقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف [7] ثم صرخ: وا عمراه! وا عمراه! فحميت الحرب، و حقب [8] أمر الناس، و استوسقوا [9] على ما هم عليه من الشرّ، و أفسد على الناس الرّأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة. و لمّا بلغ عتبة قول أبي جهل: «انتفخ سحره» قال: سيعلم مصفّر الاست من انتفخ سحره: أنا أم هو! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته؛ فلمّا رأى ذلك اعتجر [10] على رأسه ببرد له.

أقسم الأسود بن عبد الأسد لبشرين من حوض المسلمين فقتل:

و قد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، و كان رجلاً شرساً سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتنّ دونه. فلمّا خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلمّا التقيا ضربه حمزة فآبان قدمه [1] يكنى بانتفاخ السحر عن مجاوزة القدر، و لكنه هنا كناية عن الجبن؛ و ذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره. و السحر: الرئة و ما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة.

[2] في حـ: «ألفاكم و لم تعرضوا منه لما تريدون» .

[3] نثل: أخرج.

[4] كذا في م، و هو الموافق لما في «السيرة» و الطبري. و في سائر الأصول: «عن جرابها» .

[5] يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم.

[6] كذا في «السيرة» و «تاريخ الطبري» . و الخفرة: الذمة و العهد. و في الأصول: «حقوقك» .

[7] كذا في م «و السيرة» و الطبري. و في «القاموس» : «و اكتشفت المرأة لزوجها: بالغت في التكشف له عند الجماع» . فلعله يريد أنه أشرف على شيء عال أو نحو ذلك حتى انكشف للناس ثم صرخ فيهم. و في سائر الأصول: «فاكتنف» ، و هو تحريف.

[8] حقب أمر الناس: فسد.

[9] استوسقوا: اجتمعوا.

[10] الاعتجار: لف العمامة على الرأس.

بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوق على ظهره/تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرّ يمينه، و أتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

طلب عتبة بن ربيعة و ابنه و أخوه المبارزة فندب لهم النبي من قتلهم:

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة و ابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا نصل[1] من الصّفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر، و هم: عوف[2] و معوذ ابنا الحارث، و أمّهما عفراء و رجل آخر يقال[3]: هو عبد الله بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثمّ نادي مناديتهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا عبيدة ابن الحارث، قم يا عليّ بن أبي طالب». فلما قاموا و دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، و قال حمزة: حمزة، و قال عليّ: عليّ. قالوا: نعم[4] أكفأ كرام. فبارز عبيدة بن الحارث، و كان أسنّ القوم، عتبة بن ربيعة؛ و بارز حمزة شيبه بن ربيعة؛ و بارز عليّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله. و[أمّا][5] عليّ فلم يمهل الوليد بن عتبة أن قتله. و اختلف عبيدة و عتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت[6] صاحبه؛ فكرّ حمزة و عليّ على عتبة بأسيا فهدّفا[7] عليه فقتلاه، و احتملا صاحبهما عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه و قد قطعت/رجله و محّه يسيل. فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أ لست شهيدا يا رسول الله؟ قال: «بلى». فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّا لعلم أنّي بما قال أحقّ منه حيث يقول: و نسلمه[8] حتى نصرّع حوله # و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

قال محمد بن إسحاق: و حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنّ عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفأ كرام، إنما نريد قومنا. ثمّ تزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض-و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم [أصحابه][9] ألاّ [1] كذا في «سيرة ابن هشام». و نصل: خرج. و في الأصول و الطبري: «فصل» بالفاء.

[2] كذا في م، و هو الموافق لما في «سيرة ابن هشام» (ص 443 طبع أوروبا) و «تاريخ الطبري» (ص 1210، 1212، 1317، 1322، 1336 من القسم الأوّل طبع أوروبا) و «طبقات ابن سعد». و في الأصول: «عود»

بالذال المعجمة في آخره، و هو قول لبعضهم في اسمه حكاة ابن عبد البر في «الاستيعاب» و ابن حجر في «الإصابة» .

[3] كذا في «السيرة» . و في الأصول و الطبري: «يقال له عبد الله بن رواحة» . و لا يخفى ما بين التعبيرين من خلاف.

[4] في ح، ب: «نحن» .

[5] زيادة عن م «و السيرة» و الطبري.

[6] أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح.

[7] دفف على الجريح: أجهز عليه.

[8] هذا البيت من قصيدة أبي طالب التي مطلعها: خليلي ما أذني لأول عاذل # بصغواء في حق و لا عند باطل

و قبل هذا البيت:

كذبتم و بيت الله نبزي محمدا # و لما نطاعن دونه و نناطل

و نبزي: نغلب و نقهر، و هو على تقدير النفي. و محمد نصب على نزع الخافض، أي لا نغلب عليه. و نسلمه (بالرفع) معطوف على نبزي أي لا نسلمه. و قد ورد هذا البيت في «اللسان» مادة (بزا) هكذا: كذبتم و حق الله يبزي محمد #

إلخ و معناه، كما في «اللسان» ، يقهر و يستذل. و هو على تقدير النفي أيضا.

[9] زيادة عن «السيرة» و الطبري. -

يحملوا حتى يأمرهم، و قال: «إن اکتنفکم القوم فانضحوهم بالنبل» - و رسول الله صلى الله عليه و سلم في العريش معه أبو بكر.

و كانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما [1] حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

تعديل النبي لصفوف أصحابه و قصة سواد بن غزيرة:

قال محمد بن جرير و حدّثنا ابن حميد [2] قال حدّثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حبان [3] بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: / أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم عدّل صفوف أصحابه يوم بدر، و في يده قدح [4] يعدّل به القوم، فمرّ بسواد [5] بن غزيرة حليف بني عديّ بن النجار و هو مستنثل [6] من الصفّ، فطعن رسول الله صلى الله عليه و سلم في بطنه بالقدح، ثم قال: «استو يا سواد بن غزيرة». فقال: يا رسول الله، أوجعتني! و قد بعثك الله بالحقّ، فأقذني. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بطنه و قال: «استقد»؛ فاعتنقه و قبّل بطنه. فقال: «ما حملك على هذا يا سواد»؟ فقال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فلم آمن الموت، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسنّ جلدي جلدك؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه و سلم بخير و قال له خيرا. ثم عدّل رسول الله صلى الله عليه و سلم صفوفه، و رجّع إلى العريش و دخله و معه أبو بكر ليس معه غيره، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يناشد ربّه ما وعده من النصر، و يقول فيما يقول: «اللهمّ إن تهلك هذه العصابة اليوم-يعني المسلمين- لا تعبد بعد اليوم» ، و أبو بكر يقول: يا نبيّ الله خلّ بعض مناشدتك ربك؛ فإنّ الله منجز لك ما وعدك.

دعاء النبيّ يوم بدر:

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمّار قال حدّثني سماك الحنفيّ قال سمعت ابن عباس يقول: حدّثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر و نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المشركين وعدتهم و إلى أصحابه و هم نيّف على ثلاثمائة، استقبل الكعبة و جعل يدعو و يقول: «اللهمّ/أنجز لي ما وعدتني. اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداؤه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاك [1] كذا في «سيرة ابن هشام

و تاريخ الطبري» . و في الأصول: «قال ابن إسحاق فحدّثني إلخ» و هو خطأ.

[2] كذا في الطبري و «تهذيب التهذيب» ، و هو محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبد الله الرازي أحد شيوخ ابن جرير الطبري و ممن رووا عن سلمة بن الفضل. و في الأصول: «أبو أحمد» و هو خطأ.

[3] كذا في «السيرة» (ص 444 طبع أوروبا) ، و هو حبان بن واسع بن حبان بن منفذ أحد شيوخ محمد بن إسحاق (راجع «تهذيب التهذيب» ج 2 ص 170، و «كتاب من روى عنهم» محمد بن إسحاق ص 9 طبع ليدن) . و في الطبري: «حبان بن واسع بن حبان بن واسع» . و في جميع الأصول: «واسع حبان بن واسع» .

[4] القدح (بالكسر) : السهم قبل أن ينصل و يراش.

[5] ورد هذا الاسم هكذا في «تاريخ الطبري» (ص 1319 قسم أول) و «أسد الغابة» (ج 2 ص 374) و «طبقات ابن سعد» (ج 3 ص 72 من القسم الثاني) . و في «سيرة ابن هشام» (ص 444، 504 طبع أوروبا) قال ابن هشام في الموضوعين: «و يقال سوّاد بن غزية» .

و في «الإصابة» (ج 3 ص 148 طبع مصر) في الكلام على سواد بن غزية: «المشهور أنه بتخفيف الواو، و حكى السهيلي تشديدها» .

[6] كذا في س و الطبري و «السيرة» . و نتل من بين الصف و استنتل: تقدّم. و في سائر الأصول: «استنتل» بالثاء المثثة.

يا نبيّ الله، بأبي أنت و أمّي، مناشدتك لربّك، سينجز لك ما وعدك.
فأنزل الله تعالى: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ
بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ) [1].**

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وكيع قال حدّثنا الثّقفيّ (يعني عبد الوهّاب)
عن خالد عن عكرمة عن ابن عبّاس:

أنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قال و هو في قبّته [2] يوم بدر «اللهمّ
أسألك عهدك و وعدك. اللهمّ إن شئت لم تعبد بعد اليوم» .

قال: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك/يا نبيّ الله، فقد ألححت على
ربّك، و هو في الدرع؛ فخرج و هو يقول:

**(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤْلَوْنَ أَلْدُبْرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ
السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمْرٌ) .**

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

أخذت النبيّ سنة ثم انتبه مبشرا بالنصر و محرّضا على القتال:
قال: و قد خفق رسول الله صلى الله عليه و سلم خفقة و هو في
العريش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان
فرسه يقوده و على ثناياه التّقع» [3]. قال: و قد رمي مهجع مولى عمر بن
الخطّاب بسهم فقتل، فكان أوّل قتيل من المسلمين. ثم رمي حارثة بن
سراقة أحد بني عديّ بن النّجار و هو يشرب من الحوض [بسهم فأصاب
نحره] [4] فقتل. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الناس
فحرّضهم و نقل كلّ امرئ ما أصاب، و قال: «و الذي نفسي بيده لا يقاتلهم/
اليوم رجلا فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنّة» . فقال
عمير بن الحمام أخو بني سلمة و في يده تمرات يأكلها: بخ بخ! ما بيني و
بين أن أدخل الجنّة إلا أن يقتلني هؤلاء! قال: ثم قذف التّمرات من يده و أخذ
سيفه فقاتل القوم حتى قتل، و هو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد # إلا التّقى و عمل المعاد

و الصّبر في الله على الجهاد # و كلّ زاد عرضة التّفاد

غير التّقى و البرّ و الرّشاد

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثنا
محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة:

أنّ عوف بن الحارث، و هو ابن عفراء، قال: يا رسول الله، ما يضحك الربّ من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسرا» ؛ فنزع درعا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

التقاء الفريقين و هزيمة المشركين:

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال و حدّثني محمد بن مسلم الزّهريّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيّر العذريّ حليف بني زهرة قال:

[1] مردفين: متتابعين بعضهم في إثر بعض.

[2] كذا في «تاريخ الطبري» . و المراد بالقبة العريش الذي نصب له. و في الأصول: «في فتية» و هو تحريف.

[3] النقع: الغبار.

[4] زيادة عن «السيرة» .

لَمَّا التقى الناس و دنا بعضهم من بعض [1]، قال أبو جهل: اللَّهُمَّ أقطعنا للرحم و آتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة؛ فكان هو المستفتح على نفسه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ حفنة من الحصباء و استقبل بها قريشا، ثم قال:

«شاهت الوجوه» ثم نفحهم [2]بها، و قال لأصحابه: «شدوا»؛ فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، و أسر من أسر منهم. فلما وضع القوم أيديهم/ياسرون- و رسول الله صلى الله عليه و سلم في العريش، و سعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم متوشحًا بالسيف في نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه و سلم، يخافون عليه كرهة العدو- رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم- فيما ذكر لي- في وجه سعد بن معاذ الكراهة فيما يصنع الناس؛ فقال له: «كأنت كرهت ما يصنع الناس»؛ قال: أجل يا رسول الله! كانت أول وقعة أوقعها الله عز و جل بأهل الشرك؛ فكان الإثخان في القتل أعجب إلي من استبقاء الرجال.

نهى النبي عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين مع قريش:

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال، و حدَّثني العباس بن عبد الله بن معبد [3] عن بعض أهله عن ابن عباس:

أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجلا من بني هاشم [و غيرهم] [4] قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله، و من لقي أبا البخترى [بن هشام] بن الجارث فلا يقتله و من لقي العباس بن عبد المطلب- عم رسول الله صلى الله عليه و سلم- فلا يقتله، فإنما خرج مستكرها». قال: فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أ يقتل أبؤنا و أبناؤنا و إخواننا [5] و عيشيرتنا و نترك العباس! و الله لئن لقيته لألحمته [6] السيف! فبلغت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص أ ما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله- صلى الله عليه و سلم- بالسيف». فقال: عمر: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافقي. قال/عمر: و الله إته لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأبي حفص. قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا

بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ و لا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة؛ فقتل يوم اليمامة [شهيدا] [7].

سبب نهى النبي عن قتل أبي البخري و قصة قتله:

قال: و إنما نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل أبي البخري، لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بمكة، كان لا يؤذيه و لا يبلغه عنه بمكة شيء يكرهه، و كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم و بني المطلب. فلقية المجدر بن زياد [8] البلوي حليف الأنصار من بني عدي، فقال المجدر بن زياد لأبي البخري: إن [1] كذا في م و «السيرة». و في باقي الأصول: «و دنا بعضهم من بعضهم» .

[2] نفحهم: ضربهم.

[3] كذا في «تاريخ الطبري» (ص 1323 من القسم الأول طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ص 446 طبع أوروبا) و «تهذيب التهذيب» (ج 5 ص 120 طبع الهند) . و في الأصول: «مصعب» و هو تحريف.

[4] زيادة عن م «و السيرة» و الطبري.

[5] في «السيرة»: «و إختنا» .

[6] لأجعلن لحمه طعاما لل سيف. و في الأصول: «لأجمنه» .

[7] زيادة عن م «و السيرة» و الطبري.

[8] كذا في الطبري و «سيرة ابن هشام و طبقات ابن سعد» (ج 3 ص 98 من القسم الثاني طبع أوروبا) و «أسد الغابة» (ج 4 ص 302) و

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عن قتلك، و مع أبي البخترى زميل له خرج معه من مكة، و هو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد- و جنادة رجل من بني ليث. و اسم أبي البخترى العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد-قال:

و زميلي؟ فقال المجدر: لا و الله ما نحن بتاركي زميلك؛ ما أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بك وحدك. قال: و الله إذا لأموتن [أنا] [1] و هو جميعاً! لا تتحدّث عني نساء قريش بين أهل مكة أتبي تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البخترى حين نازله المجدر و أبى إلا القتال [2] و هو يرتجز:

لن يسلم ابن حرّة أكيله [3] # حتّى يموت أو يرى سبيله

/فاقتتلا، فقتله المجدر بن زياد. ثم أتى المجدر بن زياد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: و الذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيتك به، فأبى إلا القتال، فقاتلته فقتلته.

عبد الرحمن بن عوف و أمية بن خلف:

قال محمد بن إسحاق: و حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: و حدّثني [4] أيضاً عبد الله بن أبي بكر و غيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال:

كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة. قال: و كان اسمي عبد عمرو، فسميت حين أسلمت عبد الرحمن و نحن بمكة. قال: و كان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماك به أبواك؟ فأقول نعم؛ فيقول: فأبني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني و بينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تجيبني باسمك الأوّل، و أمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. فقلت: اجعل بيني و بينك يا أبا عليّ ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. فقلت نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد/الإله فأجيبه فأحدّث معه. حتى إذا كان يوم بدر، مررت به و هو واقف مع عليّ ابنه أخذاً بيده، و معي أدرع قد سلبتها و أنا أحملها. فلمّا رأني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه. فقال: يا عبد الإله، قلت نعم. قال: هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدرع؟ قلت: نعم، هلمّ إذا.

فطرح الأدرع من يدي و أخذت بيده و بيد ابنه عليّ، و هو يقول: ما رأيت كالليوم قط، أمّا لكم حاجة في اللين [5]؟ ثم خرجت أمشي بينهما.

مقتل أمية بن خلف و ابنه:

قال ابن إسحاق: و حدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد[6] بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن [7] عبد الرحمن بن عوف قال:

() «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبي (ص 464) و «شرح القاموس» مادة ذود. و ورد فيه: «و المجذر بن زياد بالكسر و يقال ذباد ككثان، و الأول أكثر». . و في الأصول: «زياد» بالزاي. و في «سيرة ابن هشام» (ص 447) : «و يقال المجذر بن ذتاب» .

[1]زيادة عن م و «السيرة» و الطبري.

[2]كذا في م و «السيرة» . و في سائر الأصول: «القتل» .

[3]في «سيرة ابن هشام» : «زميله» .

[4]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «حدّثني» .

[5]قال ابن هشام: «يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بابل كثيرة اللبن» .

[6]كذا في الطبري. و في «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني أن عبد الواحد بن أبي عون يروي عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. و قد ورد في الأصول: «... أبي عون بن سعيد بن إبراهيم إلخ» و هو خطأ.

[7]كذا في م و «سيرة ابن هشام» و الطبري. و في سائر الأصول: «عن أبيه عبد الرحمن» و هو خطأ.

قال لي أمية بن خلف و أنا بينه و بين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل المعلم [1] منكم بربش نعامة في صدره؟ قال قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فو الله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي- و كان هو الذي يعدّب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة [2] إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر [3] بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد؛ فيقول بلال: أحد أحد- فقال بلال حين رآه: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوا! قال:

قلت: أي بلال، أ بأسيري! قال: لا نجوت إن نجوا! قلت: أي بلال، أ بأسيري تسمع [4] يا بن السوداء! قال: لا نجوت إن نجوا! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوا. قال:

فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة [5] و أنا أذبّ عنه. قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه [6] فوقع، و صاح أمية/صيحة ما سمعت بمثلها قط. قال قلت: انج بنفسك و لا نجاء [7]! فو الله ما أغني عنك شيئاً. قال:

فهبروهما [8] بأسيا فهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا! ذهب بأدراعي و فجعني بأسيري.

قتال الملائكة في غزوة بدر:

قال ابن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدّثني رجل من بني غفار [9] قال:

أقبلت أنا و ابن عمّ لي حتى أصدنا في جبل يشرف بنا على بدر، و نحن مشرکان ننتظر الواقعة على من تكون الدّبرة [10]- فنهب مع من ينهب. فبينا نحن في الجبل إذ دنت منّا سحابة، فسمعنا فيها حممة الخيل، و سمعت قائلاً يقول: أقدم [11] حيزوم. قال: فأما ابن عمّي فانكشف قناع [12] قلبه فمات مكانه. و أما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت.

قال محمد بن إسحاق حدّثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النّجار عن أبي داود المازني، و كان شهد بدرًا، قال:

[1] كذا في م و «السيرة» و الطبري. و في سائر الأصول: «المتعلم» .

[2] كذا في م و «السيرة» و الطبري. و في سائر الأصول: «رمضاء بمكة» .

[3] كذا في م و «السيرة» . و في سائر الأصول: «يأتي» .

[4] كذا في م. و التسميع: التشهير؛ يقال: سمّع بالرجل، إذا أذاع عنه عيباً و ندد به و شهره و فضحه. و في ج و الطبري: «أي بلال تسمع يا ابن السوداء» . و في سائر الأصول: «أي بلال أ تسمع يا ابن السوداء» .

[5] كذا في م و «السيرة» و الطبري. و المسكة (بالتحريك) : السوار. و في سائر الأصول: «السكة» و هو تحريف.

[6] كذا في «السيرة» . و في الأصول: «قال: فضرب رجل أمية فوق إـلـخ» .

[7] في «السيرة» : «انج بنفسك و لا نجاء به» .

[8] هبروهما: قطعوهما.

[9] كذا في «سيرة ابن هشام» و «تاريخ الطبري» . و في الأصول: «بني عفان» .

[10] الدبرة (بالفتح) : العاقبة؛ يقال: لمن الدبرة أي الدولة و النصر و الظفر، و على من الدبرة أي الهزيمة.

[11] أقدم حيزوم: أمر بالإقدام، و هو التقدّم في الحرب، و الإقدام: الشجاعة. و قد تكسر همزة «أقدم» فيكون أمراً بالتقدّم لا غير، و الصحيح الفتح من أقدم. و حيزوم: اسم فرس جبريل عليه السّلام. (انظر ابن الأثير و «اللسان» مادتي قدم و حزم) .

[12] قناع القلب: غشاؤه؛ تشبيها بقناع المرأة.

إِنَّ لَاتَّبِعَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي.

/حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ الْمَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ كَثِيرٍ عَنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنِ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنيفٍ قَالَ:

قَالَ لِي أَبِي: يَا بَنِيَّ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّ أَحَدَنَا لِيَشِيرُ إِلَى الْمُشْرِكِ بِسَيْفِهِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنِ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ.

لباس الملائكة يوم بدر و حنين:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ، وَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عِمَارَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا سَلْمَةُ عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ [1] عَنْ مَقْسَمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

كَانَتْ سَيِّمَاتُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمٌ بَيْضَاءٌ قَدْ أُرْسِلُوهَا عَلَيَّ [2] ظَهَرَهُمْ، وَ يَوْمَ حَنْينٍ عَمَائِمٌ حُمْرَاءٌ، وَ لَمْ تَقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ، وَ كَانُوا يَكُونُونَ فِيهَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ مَدَدًا وَ عَدَدًا وَ لَا يَضْرِبُونَ.

مقتل أبي جهل بن هشام:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ، قَالَ مُحَمَّدٌ وَ حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ [3] وَ لِي بَنِيَّ [4] الدَّيْلُ عَنْ عَكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ وَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَا: كَانَ مَعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ أَخُو بَنِي سَلْمَةَ يَقُولُ:

لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ أَمَرَ بِأَبِي جَهْلٍ أَنْ يَلْتَمِسَ فِي الْقَتْلِ، وَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا يَعْجِزُكَ». وَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ مَعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ، وَ أَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرْجَةِ [5]، وَ هُمْ يَقُولُونَ: أَبُو الْحَكَمِ/ لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهَا مِنْ شَأْنِي، فَعَمِدْتُ نَحْوَهُ، فَلَمَّا أَمَكَّنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَضْرِبْتَهُ ضَرْبَةً أَطَّتْ [6] قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَوَاللَّهِ مَا شَبَّهْتُهَا حِينَ طَاحَتْ إِلَّا كَالنَّوَاةِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ مَرَضِخَةٍ [7] النَّوَى حِينَ يَضْرِبُ بِهَا. قَالَ: وَ ضَرَبَنِي ابْنُهُ عَكْرَمَةُ عَلَيَّ عَاتِقِي فَطَرَحَ يَدِي، فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي، وَ أَجْهَضَنِي الْقِتَالَ عَنْهَا؛ فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَ إِنِّي لِأَسْحَبُهَا خَلْفِي، فَلَمَّا أَذْنَتْنِي جَعَلْتُ عَلَيْهَا رَجْلِي ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا.

قال: ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان. قال: ثم مرّ بأبي جهل، و هو عقير[8]، معوذ بن [1]كذا في «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبي و «تهذيب التهذيب». و في الأصول: «عينه» و هو تصحيف.

[2]كذا في «السيرة». و في الأصول: «في» .

[3]في الأصول: «يزيد» و التصويب عن «تهذيب التهذيب» و الطبري.

[4]كذا في م. و في سائر الأصول: «ابن الديل» .

[5]الحرجة بالتحريك: مجتمع شجر ملتف كالغيضة، و الجمع: حرج و حراج.

[6]أطنت: قطعت.

[7]كذا في الطبري. و في «النهاية» لابن الأثير: «شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ» جمع مرضخة، و هي حجر يرضخ به النوى.

و الرضخ: الكسر. و في الأصول: «مرضعة النوى». و رض الشيء: دقه و جرشه.

[8]كذا في م و «السيرة» و الطبري. و العقير: المجروح. و في سائر الأصول: «عفير» بالفاء، و هو تصحيف.

عفراء، فضربه حتى أثبتته [1]، فتركه و به رمق، و قاتل معوذ حتى قتل. فمِرَّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يلتمس في القتلى، و قال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما بلغني: «انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته؛ فإنِّي ازدحمت أنا و هو يوما على مآدبة لعبد الله بن جدعان [و نحن غلامان] [2] و كنت أشبُّ-أو أشفُّ- منه ببسير، فدفعته فوق علي ركبتيه فخدش [في] [2] إحداهما خدشا لم يزل أثره فيها بعد» [3]. فقال عبد الله بن مسعود: فوجدته بأخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه. قال: و قد كان ضبث [4] بي مرة بمكة فأذاني و لكزني، ثم قلت: هل أخزأك الله/يا عدو الله؟ قال: و بما ذا أخزاني! أعمد [5] من رجل قتلتموه! لمن الدبرة اليوم؟ قال: قلت: لله و لرسوله صلى الله عليه و سلم.

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة عن محمد قال: زعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا ربيعة الغنم مرتقى صعبا؛ ثم احتزرت رأسه، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقيلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الله الذي لا إله غيره» -و كانت يمين رسول الله صلى الله عليه و سلم- قلت: نعم و الله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ قال: فحمد الله.

تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم:

قال محمد بن إسحاق و حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها؛ فذهبوا به ليخرجه فتزائل، فأقروه [6] و ألقوا عليه ما غيبه من التراب و الحجارة. فلما ألقوهم في القليب، وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم/فقال: «يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا». فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوما/موتى؟ قال: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق». قالت عائشة: و الناس يقولون: «لقد سمعوا ما قلت لهم»، و إنما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لقد علموا» .

قال ابن إسحاق و حَدَّثَنِي جَمِيد الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ يَا عَتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَ يَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ-فَعَدَّدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ-هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُم رُبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ [1]أَي جرحه جراحا لا يتحرَّك معها و لا يقوم.

[2]زيادة عن م و «السيرة» .

[3]كذا في م. و في سائر الأصول: «بعده» .

[4]ضبت بالشيء ضبثا: قبض عليه بكفه.

[5]أعمد: أي أعجب. قال أبو عبيد: معناه هل زاد على سيد قتله قومه! هل كان إلا هذا! أي إن هذا ليس بعار. يريد أن يهون على نفسه ما حل به من الهلاك، و أنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه. و قال شمر: هذا استفهام أي أ أعجب من رجل قتله قومه! قال الأزهرى: كأن الأصل أ أعمد إلخ فخففت إحدى الهمزتين. و المراد بالدبرة: الدولة و الظفر كما مرّ في الحاشية رقم 4 ص 198 من هذا الجزء.

[6]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «فأفروه» بالفاء، و هو

تصحيف. -

وجدت ما وعدني ربِّي حقًّا» قال المسلمون: يا رسول الله، أ تنادي قوما قد جيّفوا! فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني» .

قال محمد بن إسحاق و حدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلم يوم قال هذه المقالة قال: «يا أهل القليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم! كذبتموني و صدّقني الناس، و أخرجتموني و أواني الناس، و قاتلتموني و نصرني الناس» . ثم قال: «هل و جدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا» للمقالة التي قالها. و لما أمر بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيما بلغني، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال. قال فقال: لا و الله يا رسول الله ما شككت في أبي و لا في مصرعه، و لكنني كنت أعرف من أبي رأيا و فضلا و حلما، فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام، فلمّا رأيت ما أصابه و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنتني [1] ذلك. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم له بخير و قال له خيرا.

اختلاف المسلمين على الغي:

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، و اختلف المسلمون فيه: فقال من جمعه: هو لنا، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم نقل كلّ امرئ ما أصاب. فقال الذين كانوا يقاتلون العدو و يطلبونهم: لو لا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا القوم عنكم حتّى أصبتم ما أصبتم. و قال [2] الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه و سلم مخافة أن يخالف [3] إليه العدو: و الله ما أنتم بأحقّ منا، و لقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولّنا الله و منحنا أكتافهم، و لقد رأينا أن تأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، و لكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كرهة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منا.

مقتل النضر بن الحارث:

قال ابن إسحاق و حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة و يزيد بن رومان: أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم جمع الأسارى من المشركين، و كانوا أربعة و أربعين أسيرا، و كان من القتلى مثل ذلك، و في الأسارى عتبة بن أبي معيط، و النضر بن الحارث بن كلدة، حتّى إذا كان رسول الله صلى الله

عليه و سلّم بالصّفراء، قتل النّضر بن الحارث بن كعدة، قتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر و عتاب النبيّ لها في ذلك:

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد[4] بن زرارة قال:

[1]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «فلما رأيت ما أصابه ذكرت..... فحزنتني ذلك» .

[2]كذا في «السيرة» . و في الأصول: «فقال» .

[3]أي مخافة أن يأتيه العدوّ في غيبة أصحابه.

[4]في الأصول: «أسعد» و هو خطأ؛ و التصويب عن «طبقات ابن سعد» (ج 3 ص 138 من القسم الثاني طبع أوروبا) . قال ابن سعد ما نصه: «و كان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة، و كبشة مبايعة، و الفريرة مبايعة؛ و أمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن

/قدم بالأساري/حين قدم بهم، و سودة بنت زمعة (زوج النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم) عند آل عفراء في مناحتهم على عوف و معوذ ابني عفراء، و ذلك قبل أن يضرب عليهنَّ الحجاب. قال: تقول سودة: و الله إني لعندهم إذ أتينا، فقيل:

هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرحت إلى بيتي و رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم فيه، و إذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يده إلى عنقه بحبل. قالت: فو الله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، أ لا مئم كراما! فو الله ما أنبهي إلا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم من البيت: «يا سودة أعلى الله و على رسوله»! قالت فقلت: يا رسول الله، و الذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت.

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر:

قال محمد بن إسحاق: و كان أول من قدم مكة بمصاب قريش، الحيسمان[1] بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن رومان بن كعب بن عمرو الخزاعي. قالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أبو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف، و زمعة بن الأسود، و أبو البختري بن هشام، و نبيه و منبه ابنا الحجاج. قال: فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية و هو قاعد في الحجر: و الله إن يعقل هذا فسلوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذلك جالس في الحجر، و قد و الله رأيت أباه و أخاه حين قتلوا.

أبو لهب و تخلفه عن الحرب ثم موته:

قال محمد بن إسحاق حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة[2] مولى ابن عباس قال:

قال أبو رافع مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم: كنت غلاما للعبّاس بن عبد المطلب، و كان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، [فأسلم العبّاس][3] و أسلمت أم الفضل، و أسلمت، و كان العبّاس يهاب قومه، و يكره خلافهم، و كان يكتنم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرّق في قومه، و كان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر، و بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، و كذلك صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا. فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش، كتبه الله و أخزاه، و وجدنا في أنفسنا قوّة و

عزًّا؛ و كنت رجلا ضعيفا، و كنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم؛ فو
الله إنني لجالس فيها أنحت القداح، و عندي أمّ الفضل جالسة و قد سرّنا ما
جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجله يسير[4] حتى جلس
على طنب الحجر، فكان ظهره إلى ظهري. فبينما هو جالس إذ قال الناس:
هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم؛ فقال أبو لهب: هلمّ إليّ
يا بن أخي، فعندك لعمري الخبر. فجلس () الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم
بن مالك بن النجار، و لم يكن لأسعد بن زرارة ذكر و ليس له عقب إلا
ولادات بناته هؤلاء، و العقب لأخيه سعد من زرارة» .

[1] كذا في «تاريخ الطبري» (ص 1338 من القسم الأوّل طبع أوروبا)
و «سيرة ابن هشام» (ص 460) و «شرح القاموس» مادة «حسم» .

و في الأصول: «الحيثمان» بالثاء المثلثة، و هو تحريف. ثم ذكر الطبري
خلافًا في نسب الحيسمان هذا فقال: «و قال الواقدي:

الحيسمان بن حابس الخزاعي» . و في «الاشتقاق» لابن دريد (ص
280) : «الحيسمان بن عمرو» . و في «أسد الغابة» : «الحيسمان بن
إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن» . و ذكر في
«الإصابة» في نسبه أقوالا كثيرة، فراجعها.

[2] كذا في «سيرة ابن هشام» . و في سائر النسخ: «عن عكرمة بن
إسحاق مولى ابن عباس» تحريف.

[3] الزيادة عن «السيرة» .

[4] في «السيرة» : «بشّر» .

إليه و النَّاس قيام عليه. فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء و الله، إن كان إلا أن لقيناهم فأبحناهم أكتافنا يقتلون و يأسرون كيف شاءوا. و ايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض ما تليق [1] شيئا و لا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طناب الحجره بيدي، ثم قلت: تلك و الله الملائكة! فرفع أبو لهب/يده فضرب وجهي ضربة شديدة. قال: فساورته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، و كنت رجلا ضعيفا؛ فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عمد الحجره فأخذته فضربته به ضربة، فشجيت في رأسه/شجّة منكرة و قالت: أ تستضعفه أن غاب عنه سيّده! فقام موليا ذليلا. فو الله ما عاش فيها إلا سبع ليال حتى رماه الله جلّ جلاله بالعدسة [2] فقتلته؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفناه حتى أنتن في بيته- و كانت قريش تتقي العدسة كما يتقى الطاعون- حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما! لا تستحيان أن أبكما قد أنتن في بيته لا تغيبانه! فقالا: نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فانا معكما. فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، و قذفوا عليه الحجره حتى واروه.

العباس بن عبد المطلب و تألم النبي لأسره:

قال محمد بن إسحاق و حدّثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال:

لما أمسي القوم من يوم بدر، و الأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله صلى الله عليه و سلم ساهرا أول ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعت تصوّر العباس في وثاقه»؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال ابن إسحاق و حدّثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال:

كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، و كان رجلا مجموعا، و كان العباس رجلا جسيما. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي اليسر: / «كيف أسرت العباس يا أبا اليسر»؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك و لا بعده، هيئته كذا و كذا. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لقد أعانك عليه ملك كريم».

طلب منه النبي الفداء و أخبره عن أمواله بمكة:

قال ابن إسحاق عن الكلبي^[3] عن أبي صالح عن ابن عباس:

أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: «يا عباس أقد نفسك، و ابن أخيك عقيل بن أبي طالب، و نوفل بن الحارث، و حليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر؛ فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلما و لكنّ القوم استكروهوني. فقال: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما [1] ما تليق شيئا؛ ما تبقى على شيء؛ يقال: هذا سيف لا يليق شيئا أي لا يمرّ بشيء إلا قطعه. و في ب، ح: «ما تلين»؛ و هو تحريف.

[2]العدسة: بثره قاتلة تخرج بالبدر.

[3]كذا في أكثر الأصول و الطبري. و في س: «عن ابن الكلبي»، و الذي يروي عنه ابن إسحاق، كما في «الأنساب» للسمعاني، هو محمد بن السائب الكلبي، و محمد هذا يسميه الرواة كثيرا «الكلبي». و في بعض الأحيان «ابن الكلبي». و أما هشام ابنه فيعرف بالكلبي قولا واحدا، و لم نعرف أن ابن إسحاق روى عنه.

تذكر حقًا فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا؛ فافد نفسك». و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب. فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي في فدائي. قال: «لا، ذلك شيء أعطناه الله منك» قال:

فإنه ليس لي مال. قال قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد، ثم قلت لها إن أصبت في سفرتي هذه فللفضل كذا و لعبد الله كذا و لقتم كذا و لعبيد الله كذا»؟ قال:

و الذي بعثك بالحق ما علم هذا أحد غيري و غيرها، و إنني لأعلم أنك رسول الله. ففدى العباس نفسه و ابن أخيه و حليفه.

فدت زينب زوجها أبا العاصي فردَّ عليها النبي الفداء:

قال ابن إسحاق: و حدَّثني يحيى [1] بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت:

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها علي أبي العاصي حين بنى عليها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم رقَّ لها [2] رقَّة شديدة و قال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردُّوا عليها الذي لها فافعلوا»! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه و ردُّوا عليها الذي لها.

رثاه الأسود بن المطلب لأولاده:

قال ابن إسحاق. حدَّثني يحيى بن عبَّاد عن أبيه قال:

ناحت قريش على قتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً [و أصحابه] [3] فيشمتوا بكم، و لا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا [4] بهم، لا يتأرب [5] عليكم محمد و أصحابه في الفداء. قال: و كان الأسود بن المطلب [6] قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة [7] و عقيل و الحارث بنو الأسود، و كان يحب أن يبكي على بنيه. فبينما هو/كذلك إذ سمع نائحة في الليل، فقال لغلامه و قد ذهب بصره: أنظر هل أحلَّ التَّحيب؟ و هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة (يعني زمعة)؛ فإن جوفي قد احترق. فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته؛ فذلك حين يقول الأسود:

[1] كذا في م و «السيرة» (ص 465) و الطبري (قسم أول ص 1347) و فيما سيأتي في هذه الصفحة في جميع الأصول. و في سائر الأصول هنا: «محمد بن عباد». و محمد بن عباد هذا هو أخو يحيى بن عباد، و لم تعرف لابن إسحاق رواية عنه.

[2] كذا في «السيرة» لابن هشام (ص 465 طبع أوروبا) . و في الأصول: «فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم رق لها رسول الله صلى الله عليه و سلم رقة إلخ» و لعل هذا تكرار من الناسخ.

[3] زيادة عن س.

[4] كذا في الطبري (قسم 1 ص 1342) و «السيرة» (ص 461) . و استأنى: تربص و انتظر. و في ب، ح: «حتى يستأنسوا بهم» . و في س: «حتى يتأسوا منهم» .

[5] كذا في الطبري. و يتأرب: يتأبى و يتشدّد. و في «السيرة» و «اللسان» مادة أرب: «لا يارب» . و أرب: تشدّد. و في الأصول: «و لا يتأوب» بالواو.

[6] كذا في «السيرة» و هو الموافق لما في «حماسة أبي تمام» (ص 397-شرح التبريزي طبع أوروبا) و «الاشتقاق» لابن دريد. و في الأصول و الطبري: «ابن عبد يغوث» و هو خطأ.

[7] انظر الحاشية رقم 5 ص 180 من هذا الجزء.

أ تبكي أن أضلّ لها بعير # و يمنعها البكاء من الهجود[1]
 و لا[2] تبكي على بكر و لكن # على بدر تقاصرت الجدود[3]
 على بدر سراة[4] بني هصيص # و مخزوم و رهط أبي الوليد
 و بكّي[5] إن بكيت على عقيل # و بكّي حارثا أسد الأسود
 و بكّيهم و لا تسمي جميعا # فما لأبي حكيمة من نديد
 ألا قد ساد بعدهم رجال # و لو لا يوم بدر لم يسودوا

رثاء هند بنت عتبة أباه:

و مما قيل في بدر من الشّعْر و غنّي به قول هند بنت عتبة ترثي أباه:

صوت

من حسن[6] لي الأخوين كال # غصنين أو من راهما[7]
 قرمان[8] لا يتظالما # ن و لا يرام حماهما
 ويلي على أبويّ و ال # قبر الذي وارهما
 لا مثل كهلي في الكهو # ل و لا فتى كفتاهما

-ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل، و في الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض- و تمام هذه الأبيات: [1]ورد هذا البيت في «حماسة أبي تمام» و «السيرة» ص 462 و الطبري هكذا: أ تبكي أن يضل لها بعير # و يمنعها من النوم السهود

و ذكر معه في «الحماسة» الثاني و الأخير من هذه الأبيات، و هما البيتان المتفقان معه في حركة الروي.

[2] في «الحماسة» و الطبري و «السيرة»: «فلا.... إلخ» .

[3]البكر: الفتى من الإبل. و تقاصرت الجدود أي تواضعت الحظوظ. يريد أنه يستهين فقد المال و يستعظم فقد النفوس. و تقاصرت: تفاعلت من القصور و العجز، كأنها تبارت في القصور. و يحتمل أن تكون من القصر الذي هو ضد الطول، و تكون كلمة «على» من «على بدر» موضوعة موضع الباء؛ كما يقال: هم على ماء كذا و هم بماء كذا. و قال أبو هلال: تقاصرت الجدود: عثرت. و العاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر. و العثار في الجدّ مثل، و كذلك التقاصر. و يجوز أن يقال: إنه أراد بالجدود الأعمار أي إنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش، أي لا تبكي على بكر و ابكي على

من تقاصرت جدودهم بيدر فهلكوا. (عن «شرح الحماسة» للتبريزي باختصار).

[4]سراة: جمع سرى و هو السيد الكريم.

[5]بكااه بالتضعيف مثل بكاه المخفف.

[6]حس من باب نصر كأحس.

[7]أصل راهما: رأهما؛ فخففت فيه الهمزة على حدّ: «لا هناك المرتع»؛ فاجتمعت ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين. (انظر «اللسان» مادة رأى).

[8]القرم: السيد العظيم.

أسدان لا يتدّلا # ن و لا يرام حماهما
 رمحين خطّيين في # كبد السماء تراهما
 ما خلفا إذ ودّعا # في سودد شرواهما[1]
 سادا بغير تكلف # عفوا يفيض نداهما

معاظمتها الخنساء بعكاظ و شعرهما في مصابهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقديّ، و أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: لمّا كانت وقعة بدر، قتل فيها عتبة بن ربيعة، و شيبه بن ربيعة، و الوليد بن عتبة؛ فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، و بلغها تسويم[2] الخنساء هودجها في الموسم/ و معاظمتها العرب بمصبيتها بأبيها عمرو بن الشّريد و أخويها صخر و معاوية، و أنّها/ جعلت تشهد الموسم و تبكيهم، و قد سوّمت هودجها براية، و أنّها تقول: أنا أعظم العرب مصيبة، و أنّ العرب قد عرفت لها بعض ذلك. فلمّا أصيبت هند بما أصيبت به و بلغها ذلك، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة، و أمرت بهودجها فسوّم براية، و شهدت الموسم بعكاظ، و كانت سوقا يجتمع فيها العرب، فقالت: اقرنوا جملي بجمال الخنساء، ففعلوا. فلمّا أن دنت منها، قالت لها الخنساء: من أنت يا أختي؟ قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة، و قد بلغني أنّك تعاطمين العرب بمصبتك، فبم تعاطمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشّريد، و صخر و معاوية ابني عمرو، و بم تعاطمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، و عمّي شيبه بن ربيعة، و أخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواء هم عندك؟ ثم أنشدت تقول: أبكي أبي عمرا بعين غزيرة # قليل إذا نام الخليّ هجودها

و صنويّ لا أنسى معاوية الذي # له من سراة الحرّتين[3] وفودها
 و صخر، و من ذا مثل صخر إذا غدا # بساهمة[4] الأطلال قبا يقودها
 فذلك يا هند الرّزية فاعلمي # و نيران حرب حين شبّ وقودها

/فقلت هند تجيبها:

أبكي عميد الأبطحين[5] كليهما # و حاميهما من كل باغ يريدنا

[1] شرواهما: مثلهما.

[2] سوّم الشيء: جعل له سومة و علامة ليعرف بها و يتميز.

[3]الحرة: الأرض ذات الحجارة السود النخرة. و المراد بالحرتين: حرة بني سليم و حرة بني هلال بالحجاز. أي هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيما يلم بها.

[4]كذا في «ديوان الخنساء» (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة 1895). و الساهمة: الدقيقة. و الآطال: جمع إطل (بالكسر و بكسرتين) و هو الخاصرة. و في م: «بسلهية الآطال» و السلهية: من الخيل الطويلة على وجه الأرض. و في سائر الأصول: «الأبطال» و هو تحريف. و في نسخة مخطوطة من «الديوان» محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (570 أدب ص 86): «بساهمة الأبخار قب». و القب: جمع أقب و قباء، و هي الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

[5]عميد القوم: سندهم و سيدهم. و تريد بالأبطحين: بطحاء مكة و سهل تهامة. و أصل الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي # و شيبة و الحامي الدّمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب # و في العزّ منها حين ينمي عديدها[1]

و قالت لها أيضا يومئذ:

من حسنّ لي الأخوين كال # غصنين أو من راهما

لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض
القرشيين قال: قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافدا، فدخل عليه
إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب التّبّيد، و يسمع
الغناء، و يحزّك رأسه عليه. فجاء معاوية متغيّرا حتّى دخل على ابن جعفر، و
عزّة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء[2] البيت يضيء بها البيت،
تغيّبه على عودها: تبت[3] فؤادك في الظلام خريده # تشفي الصّجيع ببارد
بسّام

و بين يديه عسّ [4]؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمت عليك يا
أمير المؤمنين لتشربنّ منه، فإذا غسل مجدوح[5] بمسك و كافور. فقال:
هذا طيّب، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسّان بن ثابت في الحارث بن
هشام.

قال: فهل تغيّي بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ
الجافي[6] الأدفر، القبيح المنظر، فيشافهك به، فتعطيه عليه؛ و آخذه أنا،
فأختار محاسنه و رقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسنة الوجه، اللبّنة للمس،
الطيبة الريح، فترتله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكك رأسك؟ قال:
أريحية أجدها إذا سمعت الغناء، لو سئلت عندها لأعطيت، و لو لقيت لأبليت.
فقال معاوية: قبّح الله قوما عرّضوني لك. ثم خرج و بعث إليه بصلة.

صوت من المائة المختارة

عمر بن أبي ربيعة و نعم:

أبيها القلب لا أراك تفيق # طالما قد تعلقك العلوق[7]

من يكن من هوى حبيب قريبا # فأنا النازح البعيد السّحيق

[1] عديدها: جموعها.

[2] كواء البيت: منافذه و ثقوبه، واحدها كوّة. و في م: «كسر البيت» .
و في سائر الأصول: «كذا البيت» بالبدال المهملة، و هو تحريف.

- [3] ورد هذا البيت في «ديوان حسان» (طبع أوروبا ص 3) هكذا: تبت
فؤادك في المنام خريدة # تسقى الضجيع ببارد بسام
و تبت فؤادك: أسقمته و ذهبت به.
[4] العس (بالضم) : القدح الكبير.
[5] مجدوح: مخلوط.
[6] الجافي: الغليظ في المعاشرة. و الأدفر (بالدال المهملة) : النتن.
[7] يريد به ما علقه من كلف الحب و جهده.

قضي الحبّ بيننا فالتقينا # و كلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر في البيت الأوّل و الثالث لعمر بن أبي ربيعة، و البيت الثاني ليس له، و لكن هكذا غنّي؛ و ليس هو أيضا مشاكلا لحكاية ما في البيت الثالث. و الغناء لبابويه[1]الكوفيّ، خفيف ثقيل أوّل. و هذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثير الذّكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي عبد الله التّميميّ عن القحذميّ و المدائنيّ. قال: و هي التي يقول فيها: أ من آل نعم أنت غاد فمبكر

/قال: و كانت تكنى أمّ بكر، و هي من بني جمح. و تمام هذه الأبيات على ما حكاها ابن المرزبان عمّن ذكرت: فالتقينا و لم نخف ما لقينا # ليلة الخيف، و المنى قد تشوق[2]

و جرى بيننا فجدد وصلا # قلب[3]حوّل أريب رفيق

لا تظنّي أنّ التّراسل و البد # ل لكلّ النساء عندي يليق

هل لك اليوم إن نأت أمّ بكر # و تولّت إلى عزاء طريق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوّار القاضي عن بشر بن المفضلّ قال: بلغ عمر بن أبي ربيعة أنّ نعمًا اغتسلت في غدير، فأثاه فأقام عليه، و ما زال يشرب منه حتى جفّ.

أخبرني محمد بن خلف قال: قال محمد بن حبيب الراوية:

بلغني أنّ نعمًا استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، و في يدها خلوق[4]من خلوق المسجد، فمسحت به ثوبه، و مضت و هي تضحك؛ فقال عمر: أدخل الله ربّ موسى و عيسى # جنّة الخلد من ملاني خلوقا

مسحته من كّفها في قميصي # حين طافت بالبيت مسحا رفيقا

غضبت أن نظرت نحو نساء # ليس يعرفني سلكن طريقا

و أرى بينها و بين نساء # كنت أهذي بهنّ بونا سحيقا

و هذا البيت الأوّل مما عيب على عمر.

/و مما غنّي فيه من تشبيب عمر بنعم هذه:

[1]في الأصول: «لباتويه» بالتاء المثناة، و هو تصحيف.

[2] كذا في أكثر الأصول. و في م و جميع نسخ «ديوانه» : «تسوق»
بالسين المهملة.

[3] القلب الحوّل: المحتال البصير بتقليب الأمور.

[4] الخلق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة؛ لأن أعظم أجزائه من
الزعفران. -

صوت

دين[1] هذا القلب من نعم # بسقام[2] ليس كالسقم
 إنّ نعماً أقصدت[3] رجلاً # آمناً بالخيف إذ ترمى
 بشتيت[4] نبتة رتل # طيب الأنياب و الطعم
 / و بوحف[5] مائل رجل # كعناقيد من الكرم

و منها:

صوت

خليليّ أربعا[6] و سلا # بمغنى الحيّ قد مثلاً
 بأعلى الواد[7] عند البئ # رهيج عبرة سبلا[8]
 و قد تغنى به نعم # و كنت بوصلها جدلاً
 /ليالي لا نحبّ لنا # بعيش قد مضى بدلاً
 و تهوانا و نهواها # و نعصي قول من عدلاً
 و ترسل في ملاطفة # و نعمل نحوها الرّسلاً

غناه الهذليّ، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في
 مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لابن سريج لحنان: رمل بالبنصر في
 مجراها عن إسحاق، و خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. و فيها عن إسحاق
 ثاني ثقيل، و لسليم خفيف رمل، جميعاً عن الهشاميّ. قال: و يقال: إنّ
 اللحن المنسوب إلى سليم لحكم[9] الواديّ.

و منها من قصيدة أولها:

[1]دين: جوزي و كوفي.

[2]كذا في «اللسان» (مادة دين) . و في الأصول. «و سقام» بواو
 العطف. و ورد هذا البيت في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص 57 طبع
 المطبعة الميمنية بمصر سنة 1311 هـ و طبع أوروبا ص 84) هكذا: قد
 أصاب القلب من نعم # سقم داء ليس كالسقم

[3]أقصده: أصابه فقتله.

[4]الثغر الشتيت: المفلج، و هو أن يكون بين أسنانه تباعد. و رتل
 (وزان كتف و سبب) : مستوحس التنضيد.

[5]الوحف: الشعر الكثيف المسوّد. و الرجل من الشعر (بفتح الراء و كسر الجيم، و مثله الرجل بفتح الراء و الجيم) : ما كان بين السبوة و الجعودة.

[6]أربعا: أقيما. و مغني الحيّ: محل إقامتهم. و مثل: قام و انتصب.

[7]الوادي: كل منفرج بين الجبال و التلال و الآكام يكون مسلكا للسيل و منفذا. و ربما اكتفى فيه بالكسرة عن الياء؛ كما قال أبو الرّيس التغلبي: لا صلح بيني فاعلموه و لا # بينكم ما حملت عاتقي

سيفي و ما كنا بنجد و ما # قرقر قمر الواد بالشاهق

[8]سبل (بالتحريك) : اسم المصدر من أسبل المطر و الدمع إذا هطلا؛ و لذلك لا يؤنث و لا يثنى و لا يجمع إذا وصف به.

[9]في م: «لسليمان» . و في سائر الأصول: «لسليم الوادي» .

لقد

أرسلت نعم إلينا أن ائتنا # فأحبب بها من مرسل متغصّب

يغنى منها في قوله:

صوت

فقلت لجناد خذ السيف و اشتمل # عليه برفق و ارقب الشمس تغرب
و أسرج لي الدّهماء و اعجل بممطري[1] # و لا تعلمن حيّا من النّاس مذهبي[2]
فلما التقينا سلّمت و تبسّمت # و قالت مقال المعرض المتجنّب
أ من أجل واش كاشح[3] بنميمة # مشى بيننا صدّفته لم تكذب
و قطعّت حبل الوصل منّا، و من يطع # بذى ودّه قول المؤرّش[4] يعتب

صوت

ما بال أهلك يا رباب # خزرا[5] كأثهم غضاب
إن زرت أهلك أوعدوا # و تهزّ دونهم الكلاب

عروضه من الكامل[6]. الشعر لعلس ذي جدن الحميريّ، أخبرنا بذلك
محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه عن العباس بن هشام عن أبيه. و الغناء
لطويس؛ و لحنه المختار خفيف رمل بالبنصر.

44-نسب علس ذي جدي و أخباره

نسبه و سبب لقبه:

هو علس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن
عدّيّ بن مالك بن زيد[7]الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن
جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن
أعز[8]بن الهمّ بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن/يعرب بن
قحطان. و هو ملك من ملوك حمير. و لقب [1]الممطر و الممطرة (بكسر
الميم فيهما) : ثوب من صوف يلبس في المطر يتوقى به منه.

[2]هذه رواية «الديوان» في هذا الشطر. و في الأصول: و لا يعلمن
حيّ من الناس مذهبي

و في هذه الأبيات اختلاف يسير عما في «الديوان» .

[3]الكاشح: العدوّ المضمّر للعداوة؛ لأنه يطوي كشحه على العداوة أو
لأنه يتباعد عنك و يوليئك كشحه.

[4]أُرِّش بين القوم: أفسد. و في س: «المحرش» . و المحرّش: الذي يغري بعض القوم ببعض.

[5]خزرا: جمع أخزر. و الأخزر: الذي ينظر بلحظ عينه.

[6]هو من مجزوء الكامل المرقل.

[7]في «نهاية الأرب» (ج 2 ص 308 طبعة أولى) عند كلامه على نسب أحد ولد الهميسع بن حمير: «... زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، و هم حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو... إلخ» و يلاحظ أن بين سياق النسيب خلافاً.

[8]في «نهاية الأرب» (ص 309) : «ابن زهير بن أيمن بن الهميسع» . و في كتاب «العبر» لابن خلدون (ج 2 ص 51 طبع بلاق) : «زهير بن أيمن بن الهميسع» .

ذا جدن لحسن صوته-و الجدن: الصوت بلغتهم-و يقال: إنه أوّل من
تغنّى باليمن.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ و أبي
مسكين قالا: إنّما سمّي ذا جدن لحسن صوته.

قبره بصنعاء و آثاره:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد
قال حدّثنا عليّ بن الصّبّاح عن ابن الكلبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي
الشّعار الهمدانيّ عن حيّان بن هانئ الأرحبيّ عن أبيه قال: أخبرني رجل من
أهل صنعاء: أنّهم حفروا حفيرا في زمن مروان، فوقفوا على أزج[1] له باب،
فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتم من ذهب
و عصابة من ذهب، و عند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه: «أنا علس ذو
جدن القيل، لخليلي مّني التّيل، و لعدوّي مّني الويل. طلبت فأدركت و أنا
ابن مائة سنة من عمري، و كانت الوحش تأذن[2] لصوتي. و هذا سيفي ذو
الكفّ عندي، و درعي ذات الفروج و رمحي الهزبريّ، و قوسي الفجواء[3]،
و قربي[4] ذات الشّرّ، فيها ثلاثمائة حشر، من صنعة ذي نمر[5]؛ أعددت
ذلك لدفع الموت عنّي فخانني». قال: فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده. و
وجدت هذا الخبر عن ابن الكلبيّ في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار،
فوجدت فيه: فإذا طول السيف اثنا عشر شبرا، و عليه مكتوب تحت
شاربه[6] بالمسند[7]: «باست امرئ كنت في يده فلم ينتصر» .

انقضت أخباره.

[1] عبارة «القاموس» و «شرحه» مادّة أزج: «الأزج محرّكة: ضرب
من الأبنية». و في «الصّحاح» و «المصباح» و «اللسان»: الأزج: بيت بيني
طولا و يقال له بالفارسية أوستان.

[2] تأذن كتفرح: تسمع. يشير بذلك إلى جمال صوته.

[3] القوس الفجواء: هي التي بين وترها عن كبدها، و مثل الفجواء
الفجّاء و المنفجّة.

[4] القرن: الجعبة. و الحشر: الدقيق من الأسنة.

[5] ذو نمر: واد بنجد في ديار بني كلاب. (انظر «معجم ياقوت» في
نمر، و كتاب «ما يعوّل عليه في المضاف و المضاف إليه» في «ذي نمر»)

[6] للسيف شاريان و هما، كما قال ابن شميل، أنفان طويلان أسفل القائم، أحدهما من أحد الجانبين و الآخر من الجانب الآخر، و تحتها الغاشية. و الشارب و الغاشية يكونان من حديد و فضة و آدم.

[7] المسند: خط لحمير، و هو موجود بكثرة في الحجارة و قصور اليمن، و ترى صورته في كتاب «منتخبات في أخبار اليمن» (ص 52 طبع ليدن) و كتاب «تاريخ الأدب» للمرحوم حفني ناصف بك (ج 1 ص 50 طبع مصر).

45- أخبار طويس [1] و نسبه

أول من صنع الهزج و الرمل و اشتهر بالهزج:

طويس لقب، و اسمه طاوس [2]، مولى بني مخزوم. و هو أول من غنى الغناء المتقن من المختئين. و هو أول من صنع الهزج و الرمل في الإسلام. و كان يقال: أحسن الناس غناء في الثقيل ابن محرز، و في الرمل ابن سريح، و في الهزج طويس. و كان الناس يضربون به المثل، فيقال: «أهزج من طويس» .

غنى أبان بن عثمان بالمدينة فطرب و سأله عن عقيدته و عن سنه و عن شؤمه:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر و الحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه و أبي مسكين، قال إسحاق: و حدّثني المدائنيّ و الهيثم بن عديّ عن صالح بن كيسان:

أنّ أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان، فأمره على الحجاز؛ فأقبل حتّى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلها، و خرج إليه أشرافها، فخرج معهم طويس؛ فلمّا رآه سلم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إني كنت أعطيت الله عهدا لئن رأيتك أميرا لأخضنّ يديّ إلى المرفقين، ثم أزدو [3] بالدّفّ بين يديك، ثم أبدى عن دقّه و تغنى بشعر ذي جدن الحميريّ:

ما بال أهلك يا رباب # خزرا كأثم غضاب

قال: فطرب أبان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حسبك يا طاوس-و لا يقول له: يا طويس لنبله في عينه-ثم قال له: اجلس فجلس. فقال له أبان: قد زعموا أنّك كافر. فقال: جعلت فداءك! و الله إني لأشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمدا رسول الله، و أصليّ الخمس، و أصوم شهر رمضان، و أحجّ البيت. فقال: أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان؟-و كان عمرو أخا أبان لأبيه و أمّه-فقال له طويس: أنا و الله، جعلت فداءك، مع جلائل [4] نساء قومي، أمسك بذيولهنّ يوم زوّت أمك المباركة إلى أبيك الطيّب [5]. قال: فاستحيا أبان و رمى بطرفه إلى الأرض.

[1] تقدمت لطويس ترجمة أخرى في الجزء الثالث من هذه الطبعة (صفحة 27-44) . و قد ذكرنا هناك ما قد يكون سببا في تكرار الترجمة، و بينا سبب عدم ضمنا إحدى الترجمتين إلى الأخرى.

[2] تقدم في ترجمته في الجزء الثالث من هذا الكتاب أن اسمه عيسى بن عبد الله.

[3]أزدو: أضرب.

[4]كذا في ح، ط، ء. و في سائر النسخ: «حلائل» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[5]قال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (ج 3 ص 242) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر إلى حذفه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة إلى أبيك المبارك». و فسر ذلك الجاحظ في كتابه «الحيوان» (ج 4 ص 19) فقال: «و لو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك لم يحسن ذلك؛ لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام، و قد قال الشاعر:

و الطيبون معاهد الأزر

و قد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة، يريد طيبة الكوم (الوطء) لذيدة نفس الوطاء» .

و أخبرني بهذه/القصة إسماعيل بن يونس الشَّيعِيَّ قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا العتبيُّ عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان و طويس. و زاد فيها أنَّ طويسا قال له: نذري أيها الأمير! قال: و ما نذرك؟ قال: نذرت إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أعني لك و أزود بدقي بين يديك. فقال له: أوف بنذرك؛ فإنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول: **(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)**. قال: فأخرج يديه مخضوبتين، و أخرج دمه و تغنى: ما بال أهلك يا رباب

و زاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشئوم، قال: و فوق ذلك! قال: و ما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدت ليلة قبض النبي صلى الله عليه و سلم، و فطمت ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه، و احتمت ليلة قتل عمر رضوان الله عليه، و زقت إليَّ أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنه. قال: فأخرج عني عليك الدُّبَار [1].

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين:

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا محمد بن الوليد قال حدَّثني مصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال: /خرج يحيى [2] بن الحكم و هو أمير على المدينة، فبصر بشخص بالسَّبخة مما يلي مسجد الأحزاب، فلما نظر إليَّ يحيى بن الحكم جلس، فاستراب به، فوجَّه أعوانه في طلبه؛ فأتي به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة و هو ممتشط مختضب. فقال له أعوانه: هذا ابن نغاش [3] المخنث. فقال له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عزَّ و جلَّ شيئاً، اقرأ أم القرآن. فقال: يا أبانا لو عرفت أمهنَّ عرفت البنات. فقال له: أ تهزأ بالقرآن لا أم لك! و أمر به فضربت عنقه. و صاح في المخنثين: من جاء بواحد منهم فله ثلاثمائة [4] درهم. قال زرجون المخنث: فخرجت بعد ذلك أريد العالية، فإذا بصوت دفٍّ أعجبنى، فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم أنس بهم، ففتحته و دخلت، فإذا بطويس قائم في يده الدَّفُّ يتغنى؛ فلما رأني قال لي: إيه يا زرجون! قتل يحيى بن الحكم ابن [5] نغاش؟ قلت نعم. [قال] [6]: و جعل [7] في المخنثين ثلاثمائة درهم؟ قلت نعم. فاندفع يغني: ما بال أهلك يا رباب # خزرا كأنهم غصاب

إن زرت أهلك أوعدوا # و تهزأ دونهم كلاب

ثم قال لي: ويحك! فما جعل في زيادة و لا فصلني عليهم في الجعل بفضلتي [شيئاً] [8].

- [1] كذا في أكثر الأصول. و في م: «الدمار» و معناهما: الهلاك.
- [2] ساق المؤلف هذا الخبر في الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص 29 من هذه الطبعة) منسوباً لأخيه مروان، و كلاهما ولي المدينة.
- [3] في الخبر السابق بالجزء الثالث: «الغاشي» .
- [4] في الخبر السابق: «عشرة دنانير» .
- [5] في ب، س: «قال ابن نغاش» بزيادة «قال» . و لا يستقيم معها السياق.
- [6] زيادة في ط، ء.
- [7] في ب، س: «أ و جعل» بهمزة الاستفهام. على أن الاستفهام مفهوم من سياق الكلام.
- [8] زيادة عن م، س.

مالك بن أنس و حسين بن دحمان الأشقر:

أخبرني محمد بن عمرو[1] العنّابي قال حدّثنا محمد بن خلف بن المرزبان-و لم أسمعُه أنا من[2] محمد بن خلف-قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدّثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أتغنى: ما بال أهلك يا رباب # خزرا كأنهم غضاب

قال: فإذا خوخة[3] قد فتحت، و إذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التادية، و منعت القائلة، و أذعت الفاحشة؛ ثم اندفع يغني، فظننت أنّ طوبىسا قد نشر بعينه[4]؛ فقلت له: أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت و أنا غلام حدث أتبع المغنين و آخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني إنّ المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء و اطلب الله الفقه؛ فإنه لا يضرّ معه قبح الوجه. فتركت المغنين و اتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي عزّ و جلّ ما ترى. فقلت له: فأعد جعلت فداءك! قال: لا و لا كرامة! أ تريد أن تقول: أخذته/ عن مالك بن أنس! و إذا هو مالك بن أنس و لم أعلم.

صوت من المائة المختارة

لمن ربع بذات الجيد # ش أمسى دارسا خلقا

وقفت به أسائله # و مرّت عيسهم حزقا[5]

علوا بك ظاهر البيدا # ء و المحزون قد قلقا

حديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغرّو الكعبة:

-ذات الجيش: موضع. ذكر النبي صلى الله عليه و سلم أنّ جيشا يغرّو الكعبة، فيخسف بهم إلا رجلا واحدا يقلب وجهه إلى قفاه، فيرجع إلى قومه كذلك، فيخبرهم الخبر. حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سوقة قال سمعت نافع بن[6] جبير بن مطعم يقول حدّثني عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يغرّو جيش الكعبة حتى إذا كانوا بيضاء من الأرض خسف بأولهم و آخرهم». قالت [1] كذا في ط، ء. و في ح: «محمد بن عمرو العباسي القرشي». و في ب، س: «محمد بن عمر العباسي القرشي». و في م: «محمد بن عمرو الغنائي القرشي». و قد بحثنا عنه في «إنباه الرواة» للقفطي و «معجم الأدباء» لياقوت و «تاريخ ابن خلكان»

و «نزهة الألباء» لابن الأنباري و «بغية الوعاة» للسيوطي و «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، فلم نجده حتى نرجح إحدى هذه الروايات.

[2] هذه الجملة المعترضة ساقطة من ء، ط.

[3] الخوخة: البويب، أو الباب الصغير في الباب الكبير.

[4] كذا في ح، س، م. و في باقي الأصول: «يغنيه» بصيغة الفعل المضارع.

[5] حزقا: جماعات، واحده حزقة.

[6] كذا في أكثر الأصول، و هو الموافق لما في الطبري و «تهذيب التهذيب». و في ء، ط: «نافع بن حسن بن معظم» و هو تحريف.

عائشة: فقلت يا رسول الله، كيف يخسف بأؤلهم و آخرهم و فيهم سواهم و من ليس منهم؟ قال: «يخسف بأؤلهم و آخرهم ثم يبعثون على [قدر] [1] نياتهم» -الشعر للأحوص، و الغناء في هذا اللحن المختار للدلال المختث و هو أحد من خصاه ابن حزم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المختثين. و الخبر في ذلك يذكر بعد. و لحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول و الثالث. و لإسحاق فيه ثقيل أول آخر. و فيه لمالك لحن من خفيف الرمل عن يونس و الهشامي و غيرهما. و فيه رمل ينسب إلى ابن سريج، و هو مما يشك في نسبه إليه. و قيل:

إنَّ خفيف الرَّمْل لابن سريج، و الرَّمْل لمالك. و ذكر حبش أنَّ فيه للدلال خفيف ثقيل بالبنصر أيضا.

[1] الزيادة عن م، س.

46- ذكر الأحوص و أخباره و نسبه

اسم الأحوص و لقبه و نسبه:

هو الأحوص. و قيل: إنّ اسمه عبد الله، و إته لقب الأحوص لحوص[1] كان في عينيه. و هو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح- و اسم أبي الأفلح قيس- بن عصيمة بن التّعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. و كان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية: بنو كسر الذهب. و قال الأحوص حين نفي إلى اليمن:

بَدَلِ الدَّهْرَ مِنْ ضَبِيعَةَ عَكَأ [2] # جيرة و هو يعقب الأبدالا

سبب تسمية جدّه عاصم حميّ الدبر:

و كان جدّه عاصم يقال له حميّ الدبر؛ و كان رسول الله صلّى الله عليه و سلم بعثه بعثا، فقتله المشركون؛ و أرادوا أن يصلبوه فحتمته الدبر، و هي النحل، فلم يقدرُوا عليه، حتى بعث الله عزّ و جلّ الوادي[3] في الليل فاحتمله فذهب به. و في ذلك يقول الأحوص مفتخرا:

و أنا[4] ابن الذي حمت لحمه الدب # ر قتل اللّحيان[5] يوم الرّجيع

قصة وفد عضل و القارة و قتل البعث الذي أرسل معهم:

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفضل قال حدّثنا

محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر[6] بن قتادة قال:

/قدم على رسول الله/ صلى الله عليه و سلم بعد أحد رهط من عضل و القارة[7]، فقالوا: يا رسول الله، إنّ فينا إسلاما و خيرا، [1] الأحوص (بالتحريك و بابه كفرح) : ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما.

[2] عك: قبيلة من قحطان باليمن.

[3] الوادي: كل مفرج بين الجبال و التلال و الآكام، و المراد هنا: السيل الذي يجري فيه.

[4] صحح العلامة الشنقيطي بقلمه بهامش نسخته من كتاب «معجم ما استعجم» للبكري (المحفوظ بدار الكتب المصرية طبع أوروبا تحت رقم 2 جغرافيا ص 401) كلمة «و أنا» بكلمة «و أبي» .

[5] لحيان (بفتح اللام و كسرهما) : حيّ من هذيل.

[6] كذا في ح. و في باقي الأصول: «عن قتادة» . و الصواب في ح؛ لأن الذي في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة» أن عاصم بن عمر لم يرو عن جدّه قتادة بل روى عن أبيه عمر.

[7] قال القسطلاني في «شرح البخاري» (ج 6 ص 373 طبع بلاق) : «عضل: بطن من الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. و القارة: بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور. أو القارة: أكمة سوداء، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها» . و قد ذكر ابن دريد في «الاشتقاق» (ص 110) : أن الهون و عضل و القارة إخوة لهذيل و فسر أسماءهم. و سأل الأخفش

فابعت معنا نفرا من أصحابك، يفقهونا[1] في الدين، و يقرءونا[1] القرآن، و يعلمونا[1] شرائع الإسلام؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم معهم نفرا ستة[2] من أصحابه: مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، و خالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، و عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف، و خبيب بن عدي أخا بني جحبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، و زيد بن الدثنة[3] أخا بني بياضة بن عامر، و عبد الله بن طارق حليفا[4] لبني ظفر من بلي، و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم[عليهم] [5] مرثد بن أبي مرثد، / فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل[6] بناحية من الحجاز من صدر[7] الهداة) غدروا بهم، و استصرخوا عليهم هذيلًا، فلم يرع القوم و هم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا: [إنا][8] و الله ما نريد قتلكم، و لكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة، و لكم عهد الله و ميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، و خالد بن البكير، و عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقالوا: إنا و الله لا نقبل من مشرك عهدا و لا عقدا أبدا! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعا. و أما زيد بن الدثنة، و خبيب بن عدي، و عبد الله بن طارق فلانوا و رقوا و رغبوا في الحياة و أعطوا بأيديهم[9]؛ فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعوهم بها؛ حتى إذا كانوا بالظهران[10] انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن[11]، ثم أخذ سيفه و استأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتله، فقبره[12] بالظهران. و أما خبيب بن عدي و زيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة فباعوهما. فابتاع خبيبا حجيرا بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل- و كان حجيرا أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه- ليقتله بأبيه[13]. و أما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه بن خلف أبيه. و قد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه () المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه و سلم». (راجع «الكامل» ص 632 طبع أوروبا).

[1] كذا في حـ بحذف النون مجزوما في جواب الطلب. و في سائر الأصول بإثبات نون الرفع، على أن تكون الجملة صفة لنفر.

[2] وردت هذه الأسماء مضطربة في بعض الأصول. و ما أثبتناه عن ط، ب. و هو الموافق لما في الطبري (قسم أول ص 1432 طبع أوروبا) و

«السيرة» لابن هشام (ص 638 طبع أوروبا) . و قد ذكرت هذه الأسماء في «نهاية الأرب» (ج 3 ص 375 طبعة أولي) و «شرح القاموس» (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدل معتب بن عبيد هذا في «شرح القاموس» «مغيث بن عبيدة» و هو تحريف.

[3]الدثنة: بفتح الدال المهملة و كسر الثاء المثناة و النون المفتوحة المشددة ثم تاء تأنيث، قال ابن دريد: من قولهم: دثن الطائر إذا طاف حول وكره و لم يسقط عليه. (انظر «الاشتقاق» ص 272 و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» ج 2 ص 80 طبع بلاق) .

[4]كذا في ح، م. و هو الموافق لما في الطبري و «السيرة» و في سائر الأصول: «حلفاء» و هو تحريف.

[5]زيادة عن م.

[6]في «معجم ما استعجم» للبكري: «ماء لهذيل لبني لحيان منهم بين مكة و عسفان بناحية الحجاز... إلخ» .

[7]كذا في «معجم ما استعجم» للبكري نقلا عن ابن إسحاق. و ضبط البكري «الهدأة» بالعبرة فقال: «بفتح الهاء و إسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة» . و في جميع الأصول: «الهدأة» بدون همز. و في «السيرة» و «تاريخ الطبري»: «صدور الهدأة» . و في س، ح:

«حدود» بالدال المهملة، و هو تحريف. و الهدأة: موضع بين عسفان و مكة.

[8]زيادة عن ء، ط، م.

[9]أعطوا بأيديهم: انقادوا.

[10]الظهران: واد بين مكة و عسفان.

[11]القران: الحبل.

[12]في ط، ء: «فقبروه» .

[13]كذا في: ح: م، و هو الموافق لما في «السيرة» و الطبري. و في سائر الأصول: «بابنه» و هو تحريف؛ لأن الذي قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة، كما يجيء بعد في حديث أبي كريب. -

ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد[1]، و كانت قد نذرت حين قتل عاصم ابنها[2] يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه[3] الخمر، فمنعته الدبر. فلما جالت بينهم و بينه قالوا: دعوه حتى يمسي، فتذهب عنه فناخذه. فبعث الله عز و جل الوادي فاحتمل عاصما فذهب به. و كان عاصم قد أعطى الله عز و جل عهدا لا يمسُّه مشرك أبدا و لا يمسُّ مشركا أبدا تنجسا[4] منه. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعه:

«عجبا لحفظ الله عز و جل العبد المؤمن! كان عاصم نذر ألا يمسُّه مشرك و لا يمسُّ مشركا أبدا في حياته، فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته!» .

رواية أخرى عن البعث و مصيره:

قال محمد بن جرير: و أمّا غير ابن إسحاق، فإنّه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه غيره:

من ذلك ما حدّثنا أبو كريب قال حدّثنا جعفر بن عون العمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر[5] أو عمرو بن أسيد عن أبي هريرة:

/أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم بعث عشرة رهط، و أمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فخرجوا، حتّى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحبيّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فبعثوا إليهم مائة رجل راميا، فوجدوا ماكلهم حيث/أكلوا التمر، فقالوا: نوى يثرب! ثم اتبعوا آثارهم؛ حتّى إذا أحسن بهم عاصم و أصحابه التجئوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم، و أعطوهم العهد. فقال عاصم: و الله لا أنزل على عهد كافر، اللهمّ أخبر نبيك عتّا. و نزل إليهم ابن الدثنة البياضيّ، و خبيب، و رجل آخر؛ فأطلق القوم أوتار قسيهم، ثم أوثقوهم، فجرحوا رجلا من الثلاثة، فقال: هذا و الله أوّل الغدر، و الله لا أتبعكم، فضربوه و قتلوه؛ و انطلقوا بخبيب و ابن الدثنة إلى مكة، فدفعوا خبيبا إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، و كان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد. فبينما خبيب عند بنات الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليستحد[6] بها للقتل، فما راع المرأة و لها صبيّ يدرج إلاّ خبيب قد أجلس الصبيّ على فخذه و الموسيقى بيده، فصاحت المرأة؛ فقال خبيب: أ تحسبين أنّي أقتله! إنّ الغدر ليس من [1] كذا في

«طبقات ابن سعد» (ق 2 ج 3 ص 33 طبع أوروبا) و «تاريخ الطبري» و «سيرة ابن هشام» و «معجم ما استعجم» للبكري.

و في الأصول: «سهيل» و هو خطأ.

[2] في «معجم ما استعجم»: «ليبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع و الجلاس ابني طلحة، و كان عاصم قتلها يوم أحد فنذرت... إلخ». و في «طبقات ابن سعد» أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة.

[3]العظم الذي فوق الدماغ.

[4]يقال: فلان يتنجس إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة، كما يقال: يتأثم و يتحرج و يتحنث إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم و الحرج و الحنث.

[5]كذا في «تاريخ الطبري» (قسم أول ص 1434 طبع أوروبا) و قد ذكره صاحب «تهذيب التهذيب» في اسم عمرو بن أبي سفيان بن أسيد و أورد اسمه أيضا في «عمر» و أحاله على «عمرو» ، و هذا يفيد ترجيحه اسم «عمرو» ، كما أنه أثبت في ترجمة أبي هريرة رواية عمرو بن أبي سفيان بن أسيد عنه. و في ح: «عن عمر أو عمرو بن أسد». و في سائر الأصول: «عمرو بن عمرو بن أسد» و هما تحريف؛ لأنه لم يوجد في أسماء الرواة من تسمى بهذا الاسم.

[6]يستحدّ: يخلق شعر عانته. قال في «اللسان» مادة حدد: «و في حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيرا عندهم و أرادوا قتله، فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». و منه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلا فقال:

«أمهلوا كي تمتشط الشُّعثة و تستحدّ المغيبة». قال أبو عبيد: «و هو استفعال من الحديدة يعني الاستحلاق بها، استعمله على طريق الكناية و التورية» .

شأننا. قال: فقالت المرأة بعد: ما رأيت أسيرا قطَّ خيرا من خبيب، لقد رأيتَه و ما بمكة من ثمرة و إنَّ في يده لقطفا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه الله خيبا. و بعث حيي من قيس إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء، و قد كان لعاصم فيهم آثار[1] بأحد، فبعث الله عليه دبرا فحمت لحمه/ فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئا. فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه، قال: ذروني أصل ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين-فجرت سنة لمن قتل صبورا أن يصلي ركعتين-ثم قال: لو لا أن يقال جزع لزدت، و ما أبالي:

على أي شقِّ كان لله مصرعي[2]

ثم قال:

و ذلك في ذات[3] الإله و إن يشأ # يبارك على أوصال شلو ممّرع

اللهم أحصهم عددا[4]، و خذهم بددا. ثم خرج به أبو سروعة[5] بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله.

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كرب قال حدّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل، قال و أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدّه:

/أن رسول الله صلى الله عليه و سلّم بعثه وحده عينا إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيب و أنا أتخوّف العيون، فرقيت فيها، فحللت خيبا فوق إلى الأرض، فانتبذت[6] غير بعيد، ثم التفت فلم أر لخبيب أثرا، فكأنما الأرض ابتلعتة، فلم تظهر لخبيب رمّة حتى الساعة.

قال محمد بن جرير: و أمّا زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث[به] [7]-فيما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق-[مع] [7]مولى له يقال له نسطاس إلى التّنعيم، فأخرجه من الحرم ليقتله؛ و اجتمع[إليه] [7] رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحبُّ أن محمدا عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه و أتك في أهلك؟ فقال: و الله ما أحبُّ أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه [1]كذا في أكثر النسخ. و آثار: جمع ثار على القلب. و في ح: «أوتار» جمع وتر، و هو الجناية التي يجنيها الرجل على غير، من قتل أو نهب أو سبى.

[2] هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام في «السيرة» (ص 643 طبع أوروبا) لخبيب هذا، و مطلعها:

لقد جمع الأحزاب حولي و ألبوا # قبائلهم و استجمعوا كل مجمع

[3] في ذات الإله: في طاعته و طلب رضاه و ثوابه. و الأوصال: جمع وصل و هو العضو. و الشلو (بكسر الشين المعجمة و سكون اللام) : الجسد. و ممزغ: مقطع.

[4] أحصهم: أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحدا. و خذهم بددا: قال ابن الأثير: يروي بكسر الباء، جمع بدّة و هي الحصة و النصيب، أي اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته و نصيبه، و يروى بالفتح من التبيد أي متفرّقين في القتل واحدا بعد واحد.

[5] أبو سروعة (بكسر السين المهملة و فتحها، كما في شرح القسطلاني على «صحيح البخاري» ج 6 ص 376 طبع بلاق) : كنية عقبة بن الحارث النوفلي القرشي الصحابي، و هو الذي قتل خبيب بن عدي. و قال في «القاموس» مادّة سرع: «و أبو سروعة، و لا يكسر و قد تضم الراء، عقبة ابن الحارث الصحابي». قال شارحه: «و في التكملة: و أصحاب الحديث يقولون: أبو سروعة بكسر السين، و قد ضبطه النووي بالوجهين، ثم قال: و بعضهم يقول: أبو سروعة مثال فروقة و ركوبة، و الصواب ما عليه أهل اللغة» .

[6] كذا في الطبري (قسم أوّل ص 1436 طبع أوروبا) . و انتبذ: تنحى. و في ح، م: «فاستدرت» . و في سائر الأصول: «فاشتددت» .

[7] الزيادة عن الطبري (قسم أوّل ص 1437) .

شوكة تؤذيه و أنا جالس في أهلي! قال يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحبُّ أحدا كحبِّ أصحاب محمد محمدا! ثم قتله نسطاس.

نزول عبد الله و أبي أحمد ابني جحش من المهاجرين على عاصم بن ثابت:

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق [1] المسيبي قال حدّثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب [2] قال:

/نزل عبد الله [3] و أبو أحمد ابنا جحش، حين قدما مهاجرين، على عاصم بن ثابت، و كنيته أبو سليمان.

شعر لعاصم بن ثابت و كنيته:

و قال عاصم:

/

أبو سفيان [4] و ريش المقعد # و مجنأ من جلد ثور أجرد

و ذكر لنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير أنّ عاصما، فيما قيل، كان يكنى أبا سفيان. قال: و قال في يوم الرجيع:

أنا أبو سفيان [5] مثلي راما # أضرب كبش العارض [6] القداما

كنية الأحوص و اسم أمه و بعض صفاته:

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إسماعيل بن [7] عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمّه قال:

[1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «محمد بن القاسم». و الذي في «تهذيب التهذيب» أن الذي روى عن محمد بن فليح هو محمد بن إسحاق المسيبي.

[2] كذا في أكثر الأصول. و في ط، ء: «أبي شهاب»، و هو تحريف. و في «تهذيب التهذيب» أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري، و هو الذي يروي عنه موسى بن عقبة.

[3] هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأبيدي. و أمه أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو و أخوه أبو أحمد صحابيان، و أختهما زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله

عليه و سلم. (انظر «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج 3 ص 131 طبع بلاق).

[4] كذا في ح، و هو الموافق لما في «سيرة ابن هشام» (ص 638 طبع أوروبا). و في م:

أبو سليمان و صنع المقعد # و مجناً من جلد ثور أجلد

و في سائر الأصول: «أبو سليمان وضع المقعد». و المقعد: فرخ النسر، و ريشه أجود الريش، و قيل: المقعد: النسر الذي قشب له (خلط له السم في اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه. و قيل: المقعد: اسم رجل كان يريش السهام و المجناً: الترس الذي لا حديد به.

يريد: أنا أبو سليمان و معي سهام راشها المقعد، و ترس من جلد قوي، فما عذري إذا لم أقاتل.

[5] في «السيرة»: :

أبو سليمان و مثلي راما # و كان قومي معشرا كراما

و لم يذكر في «السيرة» أن عاصما تكنى بأبي سفيان.

[6] في ب، س: «العارض» تحريف. و الكبش: الرئيس. و العارض: الجيش تشبيها له بالسرب العظيم من الجراد في انتشاره، أو بالسحاب. و القدام (بفتح القاف و ضمها مع تشديد الدال) و القديم (بكسر القاف): السيد و من يتقدم الناس بالشرف.

[7] كذا في ع، ط، م، و هو الصواب؛ لأن الذي روى عن إسماعيل بن إبراهيم هو إسماعيل بن عبد الله كما في «الطبقات» لابن سعد (ج 5 ص 310) «و تهذيب التهذيب» (ج 1 ص 272). و في سائر الأصول: «عن عبد الله» تحريف.

/كنية الأحوص أبو محمد. و أمّه أثيلة بنت عمير بن مخشي [1]؛ و كان أحمر أحوص العينين.

رأي الفرزدق في شعره:

قال الزبير فحدّثني محمد بن يحيى قال:

قدم الفرزدق المدينة، ثم خرج منها، فسئل عن شعرائها، فقال: رأيت بها شاعرين و عجت لهما: أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بطحان [2] (يريد ابن هرمة)؛ و الآخر أحمر كأته و حرة على برودة في شعره (يريد الأحوص) و الوحرة [3]: يغسوب أحمر ينزل الأنبار [4].

هجاؤه لابنه:

و قال الأحوص يهجو نفسه و يذكر حوصه [5]:

أقبح [6] به من ولد و أشقح # مثل جريّ الكلب لم يفقح [7]

إن ير سوءاً لم يقم فينجح # بالباب عند حاجة المستفتح

قال الزبير: و لم يبق للأحوص من ولده غير رجلين.

طبقة في الشعر عند ابن سلام و رأي أبي الفرج فيه:

قال الزبير: و جعل محمد بن سلام الأحوص، و ابن قيس الرقيّات، و نصيباً، و جميل بن معمر طبقة سادسة من شعراء الإسلام، و جعله بعد ابن قيس [8]، و بعد نصيب. [قال أبو الفرج] [9]: و الأحوص، لو لا ما وضع به نفسه من [1] كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «محشي» بالحاء المهملة.

[2] بطحان (بضم الأوّل و سكون الثاني أو بفتح الأوّل و كسر الثاني): واد بالمدينة، و هو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق و بطحان و قناة.

انظر «القاموس» و «شرحه» مادة بطح) و «معجم البلدان» (في بطحان).

[3] كذا في ء، ط. و في سائر الأصول: «قال: و الوحرة يعسوب إلخ». و كلمة «قال» غير محتاج إليها هنا في الكلام.

[4] كذا في أكثر الأصول. و الأنبار، كما في ياقوت: حدّ بابل؛ سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابيب الحنطة و الشعير و القث و التبن، و كانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، و كان يقال لها الأهراء. فلما دخلتها العرب عربّتها فقالت الأنبار. و هذا التفسير الذي ذكره المؤلف للوحرة غريب؛ إذ

أجمعت «كتب اللغة» التي بين أيدينا على أن الوحرة (بالتحريك) : دويبة تشبه سامّ أبرص، و قال الجوهري: الوحرة بالتحريك: دويبة حمراء تلزق بالأرض. و في حـ: «يلزم البئار» .

[5] لعل هاهنا سقطا؛ فإنه يهجو بهذا الشعر ابنه لا نفسه.

[6] أثبتنا هذين البيتين كما رواهما الجاحظ في كتابه «الحيوان» (ج 1 ص 254 طبع الحلبي) و قد قال: إنه هجا بهما ابنه. و قد وردا في ب، س هكذا: أسمح به من ولد و أقبح # مثل جرى الكلب لم يفقح

بشر سوءا لم يقم فينج # بالباب عند حاجة المستفتح

و في ء، ط: «يسري شوى ما لم يقم فينج» . و في م: «بشر سوء لم يقصر فينج» .

[7] يقال: فقح الجرو و فقح (بالتضعيف) ، و ذلك أوّل ما يفتح عينيه و هو صغير.

[8] كذا في س، ب، حـ. و في ط، ء ورد هذان الاسمان بتقديم الثاني على الأوّل. و في م وردا هكذا: «بعد ابن قيس و قبل نصيب» .

و قد ورد في «طبقات الشعراء» لمحمد بن سبّام المذكور (ص 137 طبع ليدن) أن شعراء الطبقة السادسة هم: عبّيد الله بن قيس الرقيات، و الأحوص، و جميل، و نصيب.

[9] زيادة عن م.

دنيء الأخلاق و الأفعال، أشدّ تقدّما منهم عند جماعة أهل الحجاز و أكثر الرّواة؛ و هو أسمح طبعاً، و أسهل كلاماً، و أصحّ معنى منهم؛ و لشعره رونق و ديباجة صافية و حلاوة و عذوبة ألفاظ ليست لواحد منهم. و كان قليل المروءة و الدّين، هجّاء للناس، ما بونا فيما يروى عنه.

جلد سليمان بن عبد الملك إياه و السبب في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة أنّ جماعة من أهل المدينة أخبروه: أنّ السبب في جلد سليمان [1] بن عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إياه و نفيه له، أنّ شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذت جريري [2] لم أبال أيّ الثلاثة لقيت ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً. قالوا [3]: و انضاف إليّ ذلك أنّ سكينه/بنت الحسين رضي الله عنهما فخرت يوماً برسول الله صلى الله عليه و سلم؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها: ليس جهل أتيته ببديع

فزاده ذلك حنقا عليه و غيظاً حتّى نفاه.

فخرت سكينه بالنبيّ ففاخرها بجدّه و خاله:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة:

أنّ الأحوص كان يوماً عند سكينه، فأدّن المؤدّن، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أنّ محمداً رسول الله، فخرت سكينه بما سمعت؛ فقال الأحوص: فخرت و انتمت فقلت ذريني # ليس جهل أتيته ببديع

فأنا [4] ابن الذي حمت لحمه الدّب # ر قتل اللّحيان يوم الرّجيع

غسّلت خالي الملائكة الأب # رار ميتا طوبى له من صريع

قال أبو زيد: و قد لعمرى فخر بفخر لو على غير سكينه فخر به! و بأبي سكينه صلى الله عليه و سلم/حمت أباه [5] الدّبّر و غسّلت خاله الملائكة.

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن يحيى عن أيّوب بن عمر عن أبيه قال: [1] في م: «في ضرب ابن حزم». و ابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان عاملاً لسليمان بن عبد الملك على المدينة.

[2] الجرير: الزمام، و هذا كناية عن إطلاق سراحه؛ و فيّ الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه، فقال رسول الله صلى الله عليه و

سَلَّم: «خلوا بين جرير و الجرير» أي دعوا له زمامه. و في ح، م: «صيررتي». و في سائر الأصول: «صيرري»، و هما تحريف.

[3] في ء، ط: «قال» :

[4] نبهنا فيما تقدّم أن المرحوم الأستاذ الشنقيطي صحح هذه الكلمة بـ «و أبى ابن الذي...» .

[5] كذا في ح. و في أكثر الأصول: «لحمه» .

لَمَّا جَاءَ ابْنَ حِزْمٍ عَمَلَهُ مِنْ قَبْلِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَ الْحَجِّ، جَاءَهُ ابْنُ أَبِي جَهْمٍ بِنِ [1] حَذِيفَةَ وَ حَمِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ سَرَاقَةَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ/فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ حِزْمٍ! مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: اسْتَعْمَلَنِي وَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رِغْمِ أَنْفٍ مِنْ رِغْمِ أَنْفِهِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي جَهْمٍ: يَا ابْنَ حِزْمٍ، فَإِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرِغْمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْفَهُ. قَالَ فَقَالَ ابْنُ حِزْمٍ: صَادِقٌ، وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ. فَقَالَ الْأَحْوَصُ: سَلِيمَانَ إِذَا وَلَاكَ رَبُّكَ حَكْمَنَا # وَ سُلْطَانَنَا فَاحْكَمْ إِذَا قَلْتَ وَ اعْدَلْ

يَوْمَ حَجِجَ الْمُسْلِمِينَ ابْنَ فَرْتَنِي # فَهَبْ ذَلِكَ حَجًّا لَيْسَ بِالْمَتَقَبَّلِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ [2] لِلْأَحْوَصِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا أَحْوَصُ، إِذَا لَمْ أَحِجَّ ذَلِكَ الْعَامَ بِنِعْمَةِ رَبِّي وَ شُكْرِهِ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَ ذَلِكَ عَنْكَ يَا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، فَلَمْ يَضِلَّ دِينُكَ، وَ لَمْ تَعَنَّ [3] نَفْسُكَ، وَ تَرَمَا يَغِيظُكَ وَ يَغِيظُ الْمُسْلِمِينَ مَعَكَ.

وَفَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ وَ تَعَرَّضَ لِلْخَبَازِينَ فَأَمَرَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ بِجَلْدِهِ:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: وَفَدَّ الْأَحْوَصُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ امْتَدَحَهُ، فَأَنْزَلَهُ مَنْزِلًا، وَ أَمَرَ بِمَطْبَخَةٍ أَنْ يَمَالَ عَلَيْهِ؛ وَ نَزَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ شَعِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي، فَكَانَ الْأَحْوَصُ يَرَاوِدُ وَ صَفَاءَ لِلْوَلِيدِ خَبَازِينَ عَنْ [4] أَنْفُسِهِمْ وَ يَرِيدُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ. وَ كَانَ شَعِيبٌ قَدْ غَضِبَ عَلَى مَوْلَى لَهُ وَ نَحَاهُ. فَلَمَّا خَافَ الْأَحْوَصُ أَنْ يَفْتَضِحَ بِمَرَاوِدَتِهِ الْغُلَمَانَ، أُنْدَسَ لِمَوْلَى شَعِيبٍ ذَلِكَ فَقَالَ: ادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَادْكُرْ لَهُ أَنَّ شَعِيبًا أَرَادَكَ عَنْ نَفْسِكَ، فَفَعَلَ الْمَوْلَى. فَالتفت الوليد إلى شعيب/فقال: مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ: لِكَلَامِهِ غُورٌ [5] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاشْتَدَّ بِهِ يَدُكَ يَصْدُقُكَ. فَشَدَّدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمْرُنِي بِذَلِكَ الْأَحْوَصُ. فَقَالَ قِيَمُ الْخَبَازِينَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّ الْأَحْوَصَ يَرَاوِدُ الْخَبَازِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ. فَأَرْسَلَ بِهِ الْوَلِيدُ إِلَى ابْنِ حِزْمٍ بِالْمَدِينَةِ، وَ أَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ مِائَةً، وَ يَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ زَيْتًا، وَ يَقِيمَهُ عَلَى الْبَلْسِ [6]؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ وَ هُوَ عَلَى الْبَلْسِ أَيْبَاتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: مَا مِنْ مَصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي [7] بِهَا # إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَ تَرَفَعَنِي [8] شَأْنِي

[1] كَذَا فِي ط، ء، وَ هُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ»، وَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ، كَمَا فِي «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ». وَ فِي ب، س، ح: «ابْنُ أَبِي جَهْمٍ حَذِيفَةَ» بِدُونِ ذِكْرِ «ابْنِ» وَ هُوَ خَطَأٌ. وَ فِي م: «ابْنُ حَذِيفَةَ» بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ، وَ هُوَ تَصْحِيفٌ.

[2] أبو عتيق: لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

[3] كذا في ح، م. و عتّى نفسه و أعناها: أنصبها و كلفها ما يشق عليها. و في سائر الأصول: «و تغر نفسك» .

[4] في جميع الأصول: «على أنفسهم» .

[5] أي في كلامه معنى خفيّ غير واضح.

[6] البلس (بضمتين) : جمع بلاس كسحاب، و هي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين و يشهر عليها من ينكل به و ينادي عليه. و من دعائهم: «أرانيك الله على البلس» .

[7] في ط، ء: «أعيا» . و في «ديوان الحماسة» :

ما تعتريني من خطوب ملمة # إلا تشرفني و تعظم شاني

و أوّل الأبيات فيه:

إني على ما قد علمت محسّد # أنمي على البغضاء و الشنآن

[8] في ط، ء: «و تعظم» .

شعره الذي أنشده حين شهر به:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أيوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: رأيت الأحوص حين وقفه ابن حزم على البليس في سوق المدينة و إنّه ليصيح و يقول: ما من مصيبة نكبة أمني بها # إلا تعظمني و ترفع شاني

و تزول حين تزول عن متخمط[1] # تخشى بوادره على الأقران
إني إذا خفي[2] اللثام رأيتني # كالشمس لا تخفى بكلّ مكان

شعره في هجو ابن حزم:

قال: و هجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير، منه:

أقول و أبصرت ابن حزم بن فرتني # وقوفا له بالمأزمين[3] القبائل
/ ترى فرتني كانت بما بلغ ابنها # مصدقة لو قال ذلك قائل

-أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن أبي عبيدة قال: كلّ أمة يقال لها فرتني. و أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: فرتني[4]: الأمة بنت الأمة-قال الزبير: فقال ابن حزم حين سمع قول الأحوص فيه «ابن فرتني» لرجل من قومه له علم: أ نحن من ولد فرتني؟ أو تعرفها[5]؟ فقال: لا و الله! قال: و لا أنا أعلم و الله ذلك! و لقد عضهني[6] به، و لو كانت ولدتني لم أجهل ذلك.

قال الزبير: و حدّثني عمّي مصعب عن عبد الله بن محمد بن عمارة قال: فرتني: أمّ لهم في الجاهليّة من بلقين[7]، كانوا يسبّون بها، لا أدري ما أمرها، قد طرحوها من كتاب النّسب و هي أمّ خالد[بنت خالد][8] بن سنان بن وهب بن لوزان السّاعديّة أمّ بني حزم.

[1] المتخمط: المتكبر.

[2] في «طبقات ابن سلام الجمحي»: «إني إذا جهل... إلخ» .

[3] المأزمان، كما في ياقوت: جبلا مكة. قال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين. و قيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام و عرفة، و فيه أقوال غير هذا.

[4] و فرتني: المرأة الفاجرة و الأمة. ذهب ابن جني إلى أن نونه زائدة، و جعله سيويه رباعيا.

[5] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «أو نعرفها» بالنون.

[6] كذا في أكثر الأصول. و عضهني: بهتني أي رماني بالزور و البهتان و قال فيّ ما لم يكن. و في م: «عضيني» و العضب: الشتم و التناول.

[7] بلقين بفتح فسكون: حيّ من بني أسد كما قالوا: بلحارث و بلهجوم، و أصلها بنو القين. قال ابن الجوّاني: «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطق باللام، مثل الحارث و الخرج و العجلان، و لا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه، فلا يقولون بلنجار في بني النجار؛ لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تجوّزه العربية و لم يقل في «الأنساب» .

[8] هذه العبارة ساقطة في حـ، و قد وردت في م: «ابن خالد» . -

/أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون[1]: أنّ الأحوص قال لابن حزم: لعمرى لقد أجرى ابن حزم بن فرتنى # إلى غاية فيها السّمّام المثلّ [2]

و قد قلت مهلا آل حزم بن فرتنى # ففي ظلمنا صاب[3] ممّر و حنظل

و هي طويلة. و قال أيضا:

أهوى أميّة إنّ شطّ و إن قربت # يوما و أهدي لها نصحي و أشعاري

و لو وردت عليها الفيض[4] ما حفلت # و لا شفت[5] عطشي من مائه الجاري

لا تأوين[6] لحرميّ رأيت به # ضرا و لو طرح[7] الحرميّ في الثار

الناخسين[8] بمروان بذي خشب # و النفحمين على عثمان في الدار

دفع عنه بنو زريق فمدحهم:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جماعة من مشايخ الأنصار: أنّ ابن حزم لمّا جلد الأحوص[و][9] وقفه على البلس يضربه، جاءه بنو زريق[10] فدفعوا عنه، و احتملوه من أعلى البلس. فقال في ذلك- قال ابن الزبير: أنشدني عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون-: إمّا تصبني المنايا و هي لاحقة # و كلّ جنب له قد حمّ مضطجع

فقد جزيت بني حزم بظلمهم # و قد جزيت زريقا بالذي صنعوا

[1]الماجشون ذكره «القاموس» (في مادّة مجش) بضم الجيم. و قال شارحه: «و يكسر الجيم و يفتح فهو إذا مثلث». ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم و ضم الشين». و قال: «و على كسر الجيم و ضم الشين اقتصر النووي رحمه الله في «شرح مسلم» و الحافظ ابن حجر في «التقريب». و اقتصر السمعاني في «الأنساب» أيضا على كسر الجيم. و هو معرّب ماه كون. و معناه الورد، أو الأبيض المشرب بحمرة، أو لون القمر.

[2]المثلّ: السم المقوّي بالسّلع و هو شجر مرّ. و قال ابن سيده: و سم مثلّ: طال إنقاعه و بقي. و قال الأزهري: و نرى أنه الذي أنقع فبقي و ثبت.

[3]الصاب: عصارة شجر مرّ، و قيل: هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، و ربما نزلت منه نزية (قطرة) فتقع في العين كأنها شهاب نار، و ربما أضعف البصر. و ممّر، من أمر الشيء فهو ممّر إذا كان مرّا.

[4]الفيض: نهر بالبصرة.

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «سقت» .

[6]أوى لفلان: رحمه ورق له. و الرواية فيما تقدّم (ج 1 ص 26 من هذه الطبعة) «لا ترثين» كما في حـ هنا.

[7]في ب، س: «و لو ألقى» . و في الجزء الأوّل: «و لو سقط» .

[8]الناخسين بمروان، يريد الطاردين لمروان و المزعجين له؛ يقال: نخسوا بفلان إذا نخسوا دابته من خلفه و طردوه حتى سيروه في البلاد. و تفسير «ذي خشب» و قصة طرد مروان المذكوران في الجزء الأوّل (ص 23 و ما بعدها من هذه الطبعة) .

[9]التكلمة عن م.

[10]بنو زريق: خلق من الأنصار، و هم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجيّ، إليه يرجع كل زريقي ما خلا زريق بن ثعلبة طيء. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة زرق) .

قوم أبى طيع[1]الأخلاق أولهم # فهم على ذاك من أخلاقهم طبعوا
و إن أناس ونوا عن كل مكرمة # و ضاق باعهم عن وسعهم وسعوا
إني رأيت غداة السوق محضرهم # إذ نحن ننظر ما يتلى و نستمع

نغاه ابن حزم إلى دهلك و شعره في ذلك:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر
المؤملي[2] قال حدّثني غير واحد من أهل العلم: أنّ أبا بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث[3]، و طاف به و غرّبه إلى
دهلك[4] في محمل[5] عريانا. فقال الأحوص و هو يطاف به: ما من مصيبة
نكبة أبلى بها

الآبيات. و زاد فيها:

إني على ما قد ترون محسّد # أنمى على البغضاء و الشنآن
/أصبحت للأنصار فيما نابهم # خلفا و للشّعراء من حسان

قال الزبير: و مما ضرب[6] فيه أيضا قوله:

شرّ الحزاميين ذو السنّ منهم # و خير الحزاميين يعدله الكلب
فإن جئت شيخا من حزام وجدته # من التوك و التقصير ليس له قلب
فلو سبني عون إذا لسببته # بشعري أو بعض الأولى جدّه كعب

-عون، يعني عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله. و
كعب، يعني كعب بن لؤي -: أولئك أكفاء لبيتي بيوتهم # و لا تستوي
الأعلاث[7] و الأقدح القضب

أعانه فتى من بني جحجى فدعا عليه

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن
ثابت الأنصاريّ عن محمد بن فضالة قال: [1]الطبع (بالتحريك) : الدنس و
العيب، و كل شين في دين أو دنيا فهو طيع. و أصله من الوسخ و الدنس
يغشيان السيف، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار و الآثام و غيرهما من
المقايح.

[2]في ح: «الموصليّ» و انظر الحاشية رقم 1 ص 123 من هذا

الجزء.

[3] كذا في أكثر الأصول. و الخنث (بالضم) : اسم من التخنث. و في ب، س: «الخبث» بالباء و هو تصحيف.

[4] دهلك (بفتح أوّله و سكون ثانيه و لام مفتوحة و آخره كاف) ، اسم أعجميّ معرب، و هي جزيرة في بحر القلزم، في طريق المسافرين في بحر عيذاب إلى اليمن، بينها و بين اليمن نحو ثلاثين ميلا، و هي ضيقة حرجة حارّة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها.

[5] في ط، ء: «في محمل عري» . و كانت تكون هذه الرواية جميلة لو أنها كانت: على فرس عري أو على دابة عري.

[6] كذا في ح. و في سائر الأصول: «و مما صرف فيه» .

[7] الأعلات من الشجر: القطع المختلفة مما يقدح به من المرخ و اليبس واحدها علت بالكسر. و الأقداح: جمع فدح و هو السهم قبل-

كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومه هجاء فملاهم شرّاً، فلم يبق له فيهم صديق، إلاّ فتى من بني جحجبيّ [1]. فلمّا أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك، نهض الفتى في جهازه و قام بحوائجه و شيعه؛ فلمّا كان يسقاية سليمان و ركب الأحوص محمله، أقبل على الفتى فقال: لا أخلف الله عليك بخير! فقال: /مه! غفر الله لك! قال الأحوص: لا والله أو أعلقها حرباً! يعني قباء [2] و بني عمرو بن عوف.

هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه ثم هجا ابن أبي جرير فأهاله و هدّده:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد:

أقبل الأحوص حتّى وقف على معن بن حميد الأنصاريّ، أحد بني عمرو بن عوف بن جحجبي، فقال:

رأيتك مزهوّاً كأنّ أباكم # صهية أمسى خير عوف مركّباً

تقرّ بكم كوئى [3] إذا ما نسبتم # و تنكركم عمر بن عوف بن جحجبي

عليك بأدنى الخطب إن أنت نلته # و أقصر فلا يذهب بك التّيه مذهبا

فقام إليه بنوه و مواليه؛ فقال: دعوا الكلب، خلّوا عنه، لا يمسه أحد منكم؛ فانصرف. حتّى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان، و كان شديداً ضابطاً [4]؛ فقال له الأحوص:

إنّ يقوم سوّدوك لحاجة # إلى سيّد لو يظفرون بسيدّ

فألقي ثيابه و أخذ بحلق الأحوص، و مع الأحوص راويته، و جاء الناس [ليخلصوه] [5]، فحلف لئن خلّصه أحد من يديه ليأخذته و ليدعنّ الأحوص؛ فخنقه حتى استرخى، و تركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كلّ مملوك لي حرّ، لئن [6] سمع أو سمعت هذا البيت من أحد من الناس لأضربنك ضربة بسيفي أريد بها نفسك و لو كنت/تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إنّ هذا مجنون، و لم يسمع هذا البيت غيرك؛ فأياك أن يسمعه منك خلق.

لقي عباد بن حمزة و محمد بن مصعب فلم يهشا له ثم تهدّداه إن هجاهما:

أخبرني الحرميّ و الطّوسيّ قالا حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثني بعض أصحابنا:

-أن يراش و ينصل. و القضب: كل شجر سبّط أغصانه و طالت، و ما قطع من الأغصان للسّهام أو القسيّ. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادتي علث و قضب) .

[1]ججبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس و هو جدّ أحيحة بن الجلاح اليبربي: حي من الأنصار ثم من الأوس. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة ججج) .

[2]كذا بالأصول.

[3]كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار.

[4]ضابط: شديد البطش و القوّة و الجسم.

[5]. زيادة عن م.

[6]كذا في م. و في ط: «لئن سمعت هذا البيت...» . و في سائر الأصول: «كل مملوك لي حر إن سمع أو سمعت...» .

أَنَّ الْأَحْوَصَ مَرَّ بَعْبَادَ بْنَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ وَ مُحَمَّدَ بْنَ مَصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ بِخِيْمَتِي [1] أُمَّ مَعْبِدٍ، وَ هُمَا يَرِيدَانِ الْحَجَّ مَرْجِعَهُ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَ هُوَ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ فَارِهِ وَ رَحْلٍ فَاحِرٍ وَ بَزَةٍ مَرْتَفَعَةٍ، فَحَدَّثْتُهُمَا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَاجَازَهُ وَ كَسَاهُ وَ أَخْدَمَهُ [2]؛ فَلَمْ يَرْهَمَا يَهْشَانِ لِذَلِكَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: خِيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ، عِبَادُ وَ مُحَمَّدٌ، كَأَنَّهُ يَرُوضُ الْقَوَافِي لِلشَّعْرِ يَرِيدُ/قَوْلَهُ. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَصْعَبٍ: إِنَّ أَرَاكَ فِي تَهْيِئَةِ شَعْرٍ وَ قَوَافٍ وَ أَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَهْجُونَا! وَ كُلُّ مَمْلُوكٍ [3] لِي حَرٌّ لِنَّ هَجَوْتَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَضْرِبْكَ بِالسَّيْفِ مَجْتَهِدًا [4] عَلَى نَفْسِكَ.

فَقَالَ الْأَحْوَصُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَسْمَعَ هَذَا فِيَّ عَدُوًّا فَيَقُولُ شَعْرًا يَهْجُو كَمَا بِهِ فَيُنْحَلِينِي [5]، وَ أَنَا أَبْرُتُكُمَا السَّاعَةَ، كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حَرٌّ إِنْ هَجَوْتُمَا بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا.

أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبَّادٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَبَى مُحَمَّدٌ:
أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مَصْعَبٌ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ خَيْبٍ [6] عَنْ أَبِيهِ خَيْبِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ:

/أَخْرَجْنَا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ إِلَى الْعِمْرَةِ، فَأَيُّنَا لِيَقْرَبَ قَدِيدًا [7] إِذْ لَحَقْنَا الْأَحْوَصَ الشَّاعِرَ عَلَى جَمَلٍ بِرَجُلٍ؛ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَكُمْ لِي [8]، مَا أَحَبُّ أَنْتُمْ غَيْرَكُمْ، وَ مَا زِلْتُمْ أَحْرَكٌ فِي آثَارِكُمْ مَذْرُوعَةً لِي [9]؛ فَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بِكُمْ غِبْطَةً فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ، وَ كَانَ صَاحِبَ جَدِّ يَكْرَهُ الْبَاطِلَ وَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: لَكِنَّا وَ اللَّهُ مَا اغْتَبَطْنَا بِكَ وَ لَا نَحْبُ مَسَايِرَتِكَ، فَتَقَدَّمْنَا أَوْ تَأَخَّرْنَا. فَقَالَ: وَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ جَوَابًا! قَالَ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: وَ كَانَ مُحَمَّدٌ صَاحِبَ جَدِّ يَكْرَهُ الْبَاطِلَ وَ أَهْلَهُ [10]، فَأَشْفَقْنَا مِمَّا صَنَعَ، وَ مَعَهُ عِدَّةٌ مِنْ آلِ الزَّبِيرِ [11]، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. قَالَ: وَ تَقَدَّمْنَا مِنَ الْأَحْوَصِ، وَ لَمْ يَكُنْ لِي شَأْنٌ غَيْرُ أَنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا هَبَطْنَا مِنَ الْمَشَلَلِ [12] عَلَى خِيْمَتِي أُمَّ [1] خِيْمَةِ أُمَّ مَعْبِدٍ وَ يَقَالُ بَنُو أُمَّ مَعْبِدٍ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةِ نَزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي هَجْرَتِهِ. وَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَ قِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ. قَالُوا: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَمْ يَزَلْ مَسَاحِلًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَدِيدٍ فَانْتَهَى إِلَى خِيْمَةِ مُنْتَبِذَةٍ، وَ ذَكَرُوا الْحَدِيثَ، وَ سَمِعَ هَاتِفٌ يَنْشُدُ:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَ الْجَزَاءُ بِكَفِهِ # رَفِيقَيْنِ قَالَا خِيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ

[2] أَخْدَمَهُ: وَهَبَ لَهُ خَادِمًا.

[3] في الأصول: «و كل مملوك له» .

[4] الاجتهاد: بذل الوسع و المجهود في طلب الأمر، و هو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة. فلعل معنى قوله: «مجتهدا على نفسك» :

بأذلا ما في وسعي و طاقتي في القضاء على نفسك.

[5] نخله القول: نسبه إليه و هو لم يقله.

[6] كذا في «المشتبه» للذهبي (ص 147) و «فهرس» الطبري. و في الأصول: «حبيب» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[7] قال ياقوت في «معجمه» : «قديد بالتصغير: اسم موضع قرب مكة. قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديدا فهبت ريح قذت خيم أصحابه، فسمى قديدا» . و قال في «اللسان» مادة قدد: «قديد: ماء بالحجاز و هو مصغر، و ورد ذكره في الحديث؛ قال ابن سيده: و قديد موضع، و بعضهم لا يصرفه و يجعله اسما للبقعة» .

[8] وفقكم لي: جعلكم تصادفونني و تلاقونني. و في «اللسان» (مادة وفق): «و يقال: وفقت له و وفقت له و وفقته و وفقني، و ذلك إذا صادفني و لقيني» .

[9] رفع لي الشيء: أبصرته من بعد.

[10] زيادة عن ط، م، ء.

[11] في ط، م، ء: «من ولد الزبير» .

[12] المشلل (بالضم فالفتح و فتح اللام المشددة) : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. (انظر ياقوت في المشلل) .

معبد سمعت الأحوص يههمهم [1] بشيء، فتفهّمته فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنه يهَيئ القوافي؛ فأمسكت راحلتي حتّى جاءني محمد، فقلت. إني سمعت هذا يهَيئ لك القوافي، فأما أذنت لنا أن نعتذر إليه و نرضيه، و إمّا خليت [2] بيننا و بينه فنضربه [3]؛ فإتّا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان. قال: كلا! إنَّ سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألا يهجو زبيرًا أبدًا، فإن فعل رجوت أن يخزبه الله، دعه.

هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيريا فتركه:

قال الزبير: و أمّا خبره مع سعد بن مصعب، فحدّثني به عمّي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عبّاد أو مصعب بن عثمان- شكّ: أيهما حدّثه- قال: كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب بن الزبير، و كان فيهم ماتم، فاتّهمته بامرأة، فغارت عليه و فضحته. فقال الأحوص يمازحه: و ليس بسعد الثار من تزعمونه # و لكنّ سعد النار سعد بن مصعب

أ لم تر أنّ القوم ليلة نوحهم # بغوه فألفوه على شرّ مركب

فما يتغي بالغي لا درّ درّه # و في بيته مثل الغزال المرّيب

-قال: و سعد النار رجل يقال له سعد حضنة، و هو الذي جدّ لزياد بن عبيد الله [4] الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد، و هو آيات من القرآن أحسب أنّ منها (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ) . فلما فرغ منه قال لزياد: أعطني أجري. فقال له زياد: انتظر، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت، فخذ أجرك-.

قال: فعمل سعد بن مصعب سفرة، و قال للأحوص: اذهب بنا إلى سدّ عبيد الله بن عمر نتعدّ عليه، و نشرب من مائه، و نستنقع فيه؛ فذهب معه. فلما صاروا إلى الماء، أمر غلمانه أن يربطوه و أراد ضربه، و قال: ما جزعت من هجائك إيّاي، و لكن ما ذكرك زوجتي؟! فقال له: يا سعد، إنك لتعلم أنّك إن ضربتني لم أكف عن الهجاء، و لكن خير لك من ذلك أحلف [5] لك بما يرضيك ألا أهجوك و لا أحدا من آل الزبير أبدًا؛ فأحلفه و تركه.

هجا مجمع بن يزيد فسبه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني مصعب عمّي عن مصعب بن عثمان قال: قال الأحوص لمجمّع بن يزيد بن جارية [6]:

[1] الهمهمة: الكلام الخفيّ، و قيل: الهمهمة: تردّد الزئير في الصدر من الهمّ و الحزن؛ يقال: همهم الأسد، و همهم الرجل، إذا لم يبين كلامه.

[2] في الأصول: «و إما أن خليت» بزيادة «أن» .

[3] في ط، م، ء: «فضربناه» .

[4] كذا في م، و هو الموافق لما في الطبري. و في ح: «لعبيد الله بن زياد الحارثي» . و في أكثر الأصول: «لزياد بن عبد الله» .

[5] سياق الكلام يقتضي وجود «أن» المصدرية، فهي إذا محذوفة مقدّرة.

[6] مجمع، بضم أوّله و فتح الجيم و تشديد الميم المكسورة. و جارية، بالجيم و الراء و الياء المثناة من تحت كما في «تهذيب التهذيب» في اسم مجمع. و قد ورد هذا الاسم في الأصول: «حارثة» بالحاء و الراء و الثاء المثناة، و هو تصحيف.

و جمّعت من أشياء شتى خبيثة # فسُميت لَمّا جئت منها مجمّعا

فقال له مجمّع: إني لا أحسن الشعر، ثم أخذ كِرْنافَة [1] فغمسها في ماء فغاصت، ثم رفع يده عنها فطفت، فقال: هكذا والله كانت تصنع خالاتك السّواحر.

طلب من أمّ ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرضّا بها في شعره:

أخبرني الحرميّ قال و حدّثنا الرّبير قال:

كانت امرأة يقال لها أمّ ليث امرأة صدق [2]، فكانت قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوذة، وكانت الأنصاريّة من أجمل أنصاريّة خلقت. فكلّم الأحوص أمّ ليث أن تدخله في بيتها يكلم الأنصاريّة من الخوذة التي فتحت بينها وبينها، فأبت؛ فقال: أما لأكافئك، ثم قال: هيهات منك بنو عمر و مسكنهم # إذا تشيّت قنّسرين [3] أو حلبا

قامت تراءى و قد جدّ الرحيل بنا # بين السّقيفة و الباب الذي نقبا

إني لمانحها ودي و متّخذ # بأمّ ليث إلى معروفها سببا

فلمّا بلغت الأبيات زوج المرأة، سدّ الخوذة؛ فاعتذرت إليه أمّ ليث، فأبى أن يقبل و يصدّقها. فكانت أمّ ليث تدعو على الأحوص.

وعده مخزوميّ أن يعينه عند الوليد ثم أحلف:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني أبي قال:

ركب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزم إيّاه، فلقيه رجل من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة، فوعده أن يعينه. فلمّا دخل على الوليد قال: وبحك! ما هذا الذي رميت به يا أحوص؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابن حزم من أمر الدّين لاجتنبته، فكيف و هو من أكبر معاصي الله! فقال ابن عتبة: يا أمير المؤمنين، إنّ من فضل ابن حزم و عدله كذا و كذا، و أثنى عليه. فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر [4]: و كنت كذّاب السّوء لَمّا رأى دما # بصاحبه يوما [5] أحال على الدّم

شكاه أهل المدينة فنغى إلى دهلك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه:

فأمّا خبره في بقيّة أيام سليمان بن عبد الملك و عمر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب [1]الكرنافة: واحدة الكرناف (بكسر الكاف و ضمها) ، و هو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف.

[2]إذا قلت: رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد، و إن نعتت به فتحتها.

[3]قنسرين (بكسر القاف و فتح النون مشدّدة) : كورة بالشام بالقرب من حلب، و هي أحد أجناد الشام. فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سنة سبع عشرة.

[4]هو الفرزدق.

[5]أحال على الدم: أقبل عليه. و مثله قول الشاعر:

فتى ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى # بصاحبه يوما دما فهو آكله

[الجمحيّ] [1] قال حدّثنا عون بن محمد بن سلام قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزّهريّ، وأخبرني به الطّوسيّ و الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: كان الأحوص ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة، و يتغنى في شعره معبد و مالك، و يشيع ذلك في الناس، فنهى فلم ينته؛ فشكّي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة و سألوه الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك.

فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط و يقيمه على البلس للناس، ثم يصيّرهُ إلى دهلك [2] ففعل ذلك به؛ فتوى هناك سلطان [3] سليمان بن عبد الملك. ثم ولي عمر/ابن عبد العزيز؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم و يمدحه؛ فأبى أن يأذن له. و كتب فيما كتب إليه به: /

أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن # هديت أمير المؤمنين رسائلي

و قل لأبي حفص إذا ما لقيته # لقد كنت نفاعا قليل الغوائل

و كيف ترى للعيش طيبا و لذة # و خالك أمسى موثقا في الحبال!

-هذه الأبيات من رواية الزّبير وحده، و لم يذكرها ابن سلام- قال: فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فكلّموه فيه و سألوه أن يقدمه، و قالوا له: قد عرفت نسبه و موضعه و قديمه، و قد أخرج إلى أرض الشّرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و دار قومه. فقال لهم عمر: فمن الذي يقول: فما هو إلا أن أراها فجاءة # فأبهت حتّى ما أكاد أجيب

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور و لو لا أن أرى أمّ جعفر # بأبياتكم ما درت حيث أدور [4]

و ما كنت زوّارا و لكنّ ذا الهوى # إذا لم يزر لا بدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأنّ لبنى صبير غادية [5] # أو دمية زينت بها البيع

الله بيني و بين قيّمها # يفرّ منّي بها و أتبع

/قالوا: الأحوص. قال: بل الله بين قيّمها و بينه. قال: فمن الذي يقول: ستبقى لها [6] في مضمرة القلب و الحشا # سريرة حبّ يوم تبلى السّرائر

[1] زيادة عن س، ح.

[2]دهلك: جزيرة في بحر اليمن و هو مرسى بين بلاد اليمن و الحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (راجع ياقوت) .

[3]يريد: مدة سلطانه.

[4]هذا البيت لعروة بن حزام العذري، كما ذكره المؤلف في ترجمته ضمن شعر له، و كما ذكره ابن قتيبة في كتابه «الشعر و الشعراء» ، لا للأحوص.

[5]الصبير: السحاب الأبيض الذي يصبر بعضه فوق بعض درجا. و الغادية: السحابة تنشأ غدوة.

[6]في «الشعر و الشعراء» (ص 330 طبع أوروبا) : «ستبلى لكم» .

قالوا: الأحوص. قال: إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغول، و الله لا أرده ما كان لي سلطان. قال: فمكث هناك بقيّة ولاية عمر و صدرا من ولاية يزيد بن عبد الملك.

غنت حباة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه و أجازته:

قال: فيينا يزيد و جاريته حباة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص، قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا و عينيك ما أدري!-قال: و قد كان ذهب من الليل شطره-فقال: ابعثوا إلى ابن شهاب الزهري، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك. فأتي الزهري ففرع عليه بايه فخرج مروعا إلى يزيد. فلما سعد إليه قال له يزيد: لا ترع، لم ندعك إلا لخير، اجلس، من يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين. قال: ما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك. قال: قد عجبت لعمر كيف أغفله. ثم أمر بتخلية سبيله، و وهب له أربعمئة دينار. فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشّروهم بذلك.

قصيدته التي يعاتب بها عمر بن عبد العزيز على إدنائه زيد بن أسلم و إقصائه له:

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل و محمد بن زيد الأنصاريّ قالوا: لمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم، و جفا الأحوص. فقال له الأحوص: أ لست أبا حفص هديت مخبري # أ في الحق أن أقصى و يدنى ابن أسلما

فقال عمر: ذلك هو الحق.

/قال الزبير: و أنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون:

ألا صلة الأرحام أدنى إلى التقي # و أظهر في أكفائه[1] لو تكزّما

/فما ترك الصنع الذي قد صنعته # و لا الغيظ متي ليس جلدا و أعظما

و كئا ذوي قربي لديك فأصبحت # قرابتنا ثديا أجد[2] مصرّما

و كنت و ما أملت منك كبارق # لوى قطره من بعد ما كان غيما

و قد كنت أرجى الناس عندي موّدة # ليالي كان الظنّ غيبا مرّجا

أعدك حرزا إن جنيت ظلامه # و مالا ثريا حين أحمل مغرما

تدارك بعثى عاتبا ذا قرابة # طوى الغيظ لم يفتح بسخط له فما

قيل إنه دس إلى حبابة الشعر الذي غنت يزيد به فأطلقه و أجازه:

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عبيدة حدّثه: أنّ الأحوص لم يزل مقيما بدهلك حتّى مات عمر بن عبد العزيز، فدسّ إلى حبابة فغنّت يزيد بأبيات له-قال أبو عبيدة: أظنّها قوله: [1] في ط: «و أظهر في أكفانه» .

[2] كذا في ء، ط و «الشعر و الشعراء» . و ثدي أجّد: يابس لا لبن به. و مصرّم: منقطع اللبن. و في ب، س: «أخذ» بالحاء و الذال المعجمة، و هو تصحيف. -

صوت

أيّ هذا المخبري عن يزيد # بصلاح فداك أهلي و مالي
ما أبالي إذا يزيد بقي لي # من تولّت به صروف الليالي

لم يجنّسه. كذا جاء في الخبر أنها غنّته به، و لم يذكر طريقته قال أبو عبدة: أراه عرّض بعمر بن عبد العزيز و لم يقدر أن يصرّح مع بني مروان- فقال: من/يقول هذا؟ قالت: الأحوص، و هوّنت أمره، و كلمته في أمانه فأمنه. فلما أصبح حضر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائة ألف درهم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسان: أنّ الأحوص دسّ إلى حبابة، فغنّت يزيد قوله:

كريم قريش حين ينسب و الذي # أقرت له بالملك كهلا و أمردا
و ليس و إن أعطاك في اليوم مانعا # إذا عدت من أضعاف أضعافه[1] غدا
أهان تلاد المال في الحمد إته # إمام هدى يجري على ما تعوّدا
تشرّف مجدا من أبيه و جدّه # و قد ورثا بنيان مجد تشيّدا[2]

فقال يزيد: و بلك يا حبابة! من هذا من قريش؟ قالت: و من يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: و من قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يقدم عليه من دهلك، و أمر له بمال و كسوة.

أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعر له في مدحهم:
أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بعض أهل العلم قال: دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك و هو خليفة؛ فقال له يزيد: و الله لو لم تمت إلينا بحرمة، و لا توسّلت بدالة، و لا جدّدت لنا مدحا[3]، غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتها فينا، لكنك مستوجبا لجزيل الصلّة منّي حيث تقول: و إني لأستحييكم أن يقودني # إلى غيركم من سائر الناس مطمع /

و أن أجتدي للنفع غيرك منهم # و أنت إمام للرعيّة مفتح[4]

قال: و هذه قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز.

[1] كذا في ح، م. و في سائر الأصول: «أضعاف إعطائه» .

[2] في م: «مشيدا» و في ء، ط: «وشيدا» .

[3] كذا في «الأمالى» لأبى علىّ القالى (ج 1 ص 69 طبع دار الكتب
المصرية) . و فى الأصول: «و لم تضربنا بدالة و لم تجدد لنا مديحة... إلخ» .
[4] رجل مقنع (بفتح الميم) : يقنع به و يرضى برأيه و قضائه.

لما ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لَمَّا ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقدم عليه، فأكرمه و أجازه بثلاثين ألف/ درهم. فلَمَّا قدم قباء صبّ المال على نطع و دعا جماعة من قومه، و قال: إني قد عملت لكم طعاماً. فلَمَّا دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، و قال: **(أ فسيحُرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) .**

قال الزبير: و قال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة:
صرمت حبلك الغداة نوار # إن صرما لكل حبل قصار[1]
و هي طويلة، يقول فيها:

من يكن سائلاً فإنّ يزيدا # ملك من عطائه الإكثار
عمّ معروفه فعزّ به الديـ # ن و ذلت لملكه الكفار
و أقام الصراط فابتهج[2] الـ # حق منيرا كما أنار النهار

و من هذه القصيدة بيتان يعنى فيهما، و هما:

صوت

بشر لو يدبّ ذرّ عليه # كان فيه من مشيه آثار
إن أروى إذا تذكّر أروى # قلبه كاد قلبه يستطار

/عنت فيه عريب لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر، و ذكر ابن المكي أنه لجده يحيى.

بعث يزيد إليه و إلى ابن حزم فأراد أن يكيد عنده لابن حزم فلم يقبل منه و أهانه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: حجّ يزيد بن عبد الملك فتزوّج بنت عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه و أصدقها مالا كثيرا؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إنّه بلغ أمير المؤمنين أنّ يزيد بن عبد الملك قد تزوّج بنت عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب و أصدقها مالا كثيرا، و لا أراه فعل ذلك إلاّ و هو يراها خيرا منه، قبّح الله رأيه! فإذا جاءك كتابي هذا فادع عونا فاقبض المال منه؛ فإن لم يدفعه إليك فأضربه بالسّياط حتى تستوفيه منه ثم افسخ نكاحه. فأرسل أبو بكر بن

محمد بن عمرو إلى عون بن محمد و طالبه بالمال. فقال له: ليس عندي شيء و قد فرّقتة. فقال له أبو بكر: إنّ أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إليّ كله أن أضربك بالسّيّاط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك. فصاح به يزيد: تعال إليّ، فجاءه؛ فقال له فيما بينه و بينه: كأنك خشيت أن أسلمك إليه، ادفع إليه المال و لا تعرّض له نفسك؛ فإنّه إنّ دفعه إليّ رددته عليك، و إن لم يرده عليّ أخلفته عليك، ففعل. فلما [1] القصار: الغاية.

[2] في ح، م: «فانتهج» بالنون بدل الباء. و على هذه الرواية يكون الفعل مبنيًا للمفعول.

ولي يزيد بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم و في الأحوص، فحملاً إليه، لما بين أبي بكر و الأحوص من العداوة؛ و كان أبو بكر قد ضرب الأحوص و غرّبه إلى دهلك و أبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، و عمر إذ ذاك على المدينة. فلما صارا بباب يزيد أذن للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغلمان بالأحوص ملتباً [1] مكسور الأنف، و إذا هو لمّا دخل على يزيد/قال له: أصلحك الله! هذا ابن حزم الذي سفّه رأيك و ردّ نكاحك. فقال يزيد: كذبت! عليك لعنة الله و على من يقول ذلك! اكسروا أنفه، و أمر به فأخرج ملتباً.

قصته مع عبد الحكم بن عمرو الجمحي:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو [2] الجمحيّ قال: كان عبد الحكم [3] بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجات و نردات و قرقات [4] و دفاتر فيها من كل علم، و جعل في الجدار أوتادا، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها، ثم جرّ دفترا فقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم. قال: فإنّ عبد الحكم يوماً لفي المسجد الحرام إذا فتى داخل من باب الحنّاطين، باب بني جمح، عليه ثوبان معصفران مدلوكان و على أذنه ضغث [5] ریحان و عليه ردع [6] الخلق، فأقبل يشقّ الناس حتى جلس إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله؛ فجعل من رآه يقول: ما ذا صبّ عليه من هذا! لم يجد أحداً يجلس إليه غيره! و يقول بعضهم: فأبيّ شيء يقول له عبد الحكم و هو أكرم من أن يجبه من يقعد إليه! فتحدّث إليه ساعة ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم و قام يشقّ المسجد حتّى خرج من باب الحنّاطين-قال عبد الحكم: فقلت في نفسي: ما ذا سلط الله عليّ منك! رأني معك نصف الناس في المسجد و نصفهم في الحنّاطين-حتّى دخل مع عبد الحكم بيته، فعلق رداءه على وتد و حلّ أززاره و اجترّ الشّطرنج/و قال: من يلعب؟ فيبينا هو كذلك إذ دخل الأجر المغنيّ، فقال له: أي زنديق ما جاء بك إلى هاهنا؟ و جعل يشتمه و يمازحه. فقال له عبد الحكم: أ تشتم رجلاً في منزلي! فقال: أ تعرفه؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم و حيّاه. و قال له: أمّا إذ كنت [7] الأحوص فقد هان عليّ ما فعلت.

خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة و تمثل بشعر له:

أخبرني الطوسيّ و الحرميّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني حميد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لمّا قدم عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس

و سبعين، و ذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين، جلس على المنبر فثتم أهل المدينة و وبّخهم، ثم قال: إني و الله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل و تحسدون [1]مليباً: مأخوذاً بتلايبه، و هو أن يجمع ثيابه عند صدره و نحره ثم يجزّ منها.

[2]في ح، م: «عمر» .

[3]في ح، م: «عبد الحكيم» .

[4]النردات: جمع نرد و هو ما يعرف اليوم «بالطاولة» . و القرقات: جمع قرق و هي لعبة للصبيان يخطون بها أربعة و عشرين خطأً مربعة، كل مربع منها داخل الآخر، و يصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة.

[5]الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات.

[6]الردع: اللطخ بالزعفران. و الخلوق: ضرب من الطيب، و قيل: الزعفران.

[7]كذا في م. و في سائر النسخ: «فقال إذا كنت... إلخ» .

على الكثير، و ما وجدت لكم مثلا إلا ما قال مختثكم و أخوكم الأحوص:

و كم نزلت بي من خطوب مهمّة # خذتم عليها [1] ثم لم أنخسّع

فأدبر عني شرّها لم أبل [2] بها # و لم أدعكم في كربها المتطلّع

فقام إليه نوفل بن مساحق فقال: يا أمير المؤمنين، أقررنا بالذنب و طلبنا المعذرة؛ فعد بحلمك، فذلك ما يشبهنا منك و يشبهك منا؛ فقد قال من ذكرت من بعد بيتيه الأولين: و إني لمستأن و منتظر بكم # و إن لم تقولوا في الملمات دع دع [3]

أوّمّل منكم أن تروا غير رأيكم # وشيكا و كيما تنزعوا خير منزع

أثر أهل دهلك عنه الشعر و عن عراك بن مالك الفقه:

أخبرني الحرمي و الطوسيّ قالا حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المنذر بن عبد الله الحزاميّ: أنّ عراك [4] بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفياء و المظالم من أيديهم. فلمّا ولي يزيد بن عبد الملك ولي عبد الواحد بن عبد الله النّصريّ [5] المدينة، فقربّ عراك بن مالك و قال: صاحب الرجل الصالح، و كان لا يقطع أمرا دونه، و كان يجلس معه على سريره. فبينما هو معه إذ أتاه كتاب يزيد بن عبد الملك: أن ابعث مع عراك بن مالك حرسيا حتى ينزله أرض دهلك و خذ من عراك/حمولته.

فقال لحرسيّ بين يديه و عراك معه على السرير: خذ بيد عراك فابتع من ماله راحلة ثم توجّه به نحو دهلك حتى تقرّه فيها؛ ففعل ذلك الحرسيّ. قال: و أقدم الأحوص؛ فمدحه الأحوص؛ فأكرمه و أعطاه. قال: فأهل دهلك يأترون الشعر عن الأحوص، و الفقه عن عراك ابن مالك.

كاد له الجراح الحكمي بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلب و أهانه:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام عن أبي الغرّاف [6] عن يثق به قال: بعث يزيد بن عبيد الملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب، منهم الفرزدق و كثير و الأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني/المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحدا، و إنه لقبح بمثلي أن [1] في م: «... خطوب مleme # صبرت عليها...»

[2]أبل: أصله أبالي، فحذف آخره للجازم، ثم حذفت حركة اللام تخفيفا كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

[3]هذه كلمة تقال للعائر، ومعناها: دع العثار و قم و انتعش و اسلم، و قد تجعل اسما كالكلمة و تعرب؛ قال الشاعر: لحي الله قوما لم يقولوا لعائر # و لا لابن عم ناله العثر دعدعا

[4]هو عراق بن مالك الغفاري التابعي، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك. و قد ورد هذا الاسم محرّفا في أكثر الأصول.

[5]كذا في ح، م. و هو الموافق لما في «الخلاصة» (ص 247) و «تهذيب التهذيب» (ج 2 ص 436) و «الأنساب» للسمعاني. و ينتسب كما هو مذكور في الأخيرين إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن مالك بن عوف. و قد أصلح المرحوم الأستاذ الشنقيطي نسخته بما صوبناه. و في ب، س: «البصري» و هو تصحيف.

[6]كذا في ح. و في سائر النسخ: «أبو العوّام» و هو تحريف. و أبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام.

يكذب نفسه على كبر السنِّ، فليعفني أمير المؤمنين؛ قال: فأعفاه. و قال كثير: إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب. و أمّا الأحوص فإنه هجاهم. ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجرّاح بن عبد الله الحكمي و هو بأذربيجان، و قد كان بلغ الجرّاح هجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه بزق من خمر فأدخل منزل الأحوص، ثم بعث إليه خيلا فدخلت منزله فصبوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رءوس الناس فأتوا به الجرّاح، فأمر بحلق رأسه و لحيته، و ضربه الحدّ بين أوجه الرجال، و هو يقول: ليس هكذا تضرب الحدود؛ فجعل الجرّاح يقول: أجل! و لكن لما تعلم. ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها.

رأي أبي الفرج فيه و استدلاله على هذا الرأي:

قال أبو الفرج الأصبهاني: و ليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغضّ منه في شعره، و لكنّا ذكرنا من كلّ ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدّم و تأخر، و فضيلة و نقص؛ فأما تفضيله و تقدّمه في الشعر فمتعالم مشهور، و شعره ينبي عن نفسه و يدلّ على فضله فيه و تقدّمه و حسن رونقه و تهديبه و صفائه.

رأي الفرزدق و جرير في نسبه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء و الطوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز[1] قال حدّثني عبد الله بن مسلم بن جندب الهذليّ قال حدّثنا شيخ لنا من هذيل كان خالا للفرزدق من بعض أطرافه قال:

سمعت بالفرزدق و جرير على باب الحجّاج، فقلت: لو تعرّضت ابن أختنا! فامتطيت إليه بعيرا، حتى وجدتهما قبل أن يخلصا[2]، و لكلّ واحد منهما شيعة؛ فكنت/في شيعة الفرزدق؛ فقام الأذن يوما فقال: أين جرير؟ فقال جرير: هذا أبو فراس؛ فأظهرت شيعة لومه و أسرته. فقال الأذن: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أتناوئه و تهاجيه و تشاخصه، ثم تبدّى عليه فتأبى و تبدّى؛ قضيت له على نفسك! فقال لهم: إنّه نزر القول، و لم ينشب[3] أن ينفد ما عنده و ما قال فيه فيفاخره و يرفع نفسه عليه؛ فما جئت به بعد حمدت عليه و استحسنت. فقال قائلهم: لقد نظرت نظرا بعيدا. قال: فما نشبوا أن خرج الأذن فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال:

فدخلت، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفذ، و إذا هو يقول:
أين الذين بهم تسامي دارما[4] # أم من إلى سلفي[5] طهية تجعل

قال: و عمامته على رأسه مثل المنسف[6]، فصحت من ورائه:

[1] كذا في ء، ط، م، و هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون. و في سائر الأصول: «قال حدثنا عبد العزيز» و فيه حذف؛ لأن الزبير بن بكار روى عن عبد الملك و لم يرو عن أبيه.

[2] يخلصا: يصلا؛ يقال: خلص فلان إلى كذا إذا وصل إليه.

[3] لم ينشب: لم يلبث. و هذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة. و أصله من نشب العظم في الخلق و الصيد في الحباله. أي لم يعلق به شيء يمنع من ذلك.

[4] دارم: اسم قبيلة.

[5] في ب، س: «سفلى طهية» و هو تحريف. و التصويب عن بقية الأصول و النقائص (ص 183). و طهية: بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، فولدت له أبا سود و عوفا و جشيشا، فغلبت على بنيتها فنسبوا إليها.

[6] المنسف: الغريال الكبير.

هذا ابن يوسف فاعلموا و تفهّموا # برح الخفاء فليس حين تناجي /
 من سدّ مطّلع[1]الثّفاق عليكم # أم من يصول كصوله الحجّاج
 أم من يغار على النّساء حفيظة # إذ لا يثقن بغيره الأزواج
 قل للجبان إذا تأخّر سرجه # هل أنت من شرك المنية ناجي

قال: و ما تشببها؟ و طرب: فقال جرير:

/

لجّ الهوى بفؤادك الملجاج[2] # فاحبس بتوضح باكر الأحجاج

و أمرّها، أو قال: أمضاها. فقال: أعطوه كذا و كذا؛ فاستقللت ذلك.
 فقال الهذليّ: و كان جرير عربيّا قرويّا، فقال للحجّاج: قد أمر لي الأمير بما
 لم يفهم عنه، فلو دعا كاتباً و كتب بما أمر به الأمير! فدعا كاتباً و احتاط فيه
 بأكثر من ضعفه، و أعطى الفرزدق أيضاً. قال الهذليّ: فجئت الفرزدق فأمر
 لي بستين ديناراً و عبد، و دخلت على رواته فوجدتهم يعدّلون ما انحرف من
 شعره، فأخذت من شعره ما أردت. ثم قلت له: يا أبا فراس، من أشعر
 الناس؟ قال: أشعر الناس بعدي ابن المراغة. قلت: فمن أنسب الناس؟ قال
 الذي يقول: لي ليلتان فليلة معسولة # ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

و مريحة[3]همّي عليّ كأنني # حتّى الصّباح معلّق بالفرقد

قلت: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذليّ: ثم أتيت جريراً فجعلت
 أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه؛ فقال: كم أعطاك ابن
 أختك؟ فأخبرته. فقال: و لك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً و عبداً. قال: و جئت
 رواته و هم يقوّمون ما انحرف من شعره و ما فيه من السنّاد[4]، فأخذت
 منه ما أردت، ثم قلت: يا أبا حزره، من أنسب الناس؟ قال الذي يقول: /

يا ليت شعري عمّن كلفت به # من خثعم إذ نأيت ما صنعوا

قوم يحلّون بالسّدير[5]و بال # حيرة منهم مرأى و مستمع

أن شطّ الدار عن ديارهم # أ أمسكوا بالوصال أم قطعوا

بل هم على خير ما عهدت و ما # ذلك إلاّ التأميل و الطّمع

قلت: و من هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعنا على أن الأحوص أنسب الناس.

[1]المطلع: المأتي؛ تقول: من أين مطّلع هذا الأمر، أي من أين مأتاه.

[2]الملجاج: اللجوج. و قد ورد هذا البيت في «الأمالي» (ج 3 ص 43 طبع دار الكتب المصرية) و «ديوانه» المطبوع و المخطوط هكذا: هاج الهوى لفؤادك المهتاج # فانظر بتوضح باكر الأحداج

و توضح: موضع معروف في بلاد بني يربوع. و الأحداج: جمع حدج و هو مركب من مراكب النساء نحو الهودج و المحفة. يريد، على هذه الرواية، هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك، فارم بطرفك نحو توضح.

[3]مريحة: من أراح الإبل إذا ردّها إلى المراح من العشيّ، و المراد أنها تسوق إليه همه.

[4]السناد: كل عيب يوجد في القافية قبل الرويّ، و فسرّه ابن سيده بأنه المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ. (انظر الحاشية رقم 1 ص 143 من الجزء الأوّل و الحاشية رقم 1 ص 348 من الجزء الثاني من هذه الطبعة) .

[5]السدير: نهر بالحيرة، و قيل: السدير: قصر في الحيرة من منازل آل المنذر. (انظر الحاشية رقم 2 ص 137 ج 2 من هذه الطبعة) .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء:

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

لي ليلتان فليلة معسولة

و أوّل ما يعنّي به فيها:

صوت

يا للرجال لوجدك المتجدّد # و لما تؤمّل من عقيلة في غد

ترجو مواعد بعث آدم دونها # كانت خبالا للفؤاد المقصد

هل تذكرين عقيل أو أنساكه # بعدي تقلّب ذا الزّمان المفسد

يومي و يومك بالعقيق إذ الهوى # متّا جميع الشّمل لم يتبدّد

لي ليلتان فليلة معسولة # ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

و مريحة همّي عليّ كأثني # حتّى الصباح معلّق بالفرقد

-/عروضه من الكامل. يقال: يا للرجال و يا للرجال بالكسر و الفتح[1] و في الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لماً طعن: يا لله يا للمسلمين. و قوله: / «في غد» ، يريد فيما بعد و في باقي الدهر؛ قال الله سبحانه: **(سَيَعْلَمُونَ عَدَاً مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ)** . و الخبل و الخبال: التّقصان من الشيء. و المخبّل، أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل. و المعسولة: الحلوة المشتهاة-.

الشعر للأحوص. و الغناء في البيت الأوّل و الثاني لمالك خفيف رمل بالنصر عن الهشامي و حبش. و في الثالث و الرابع لسليمان[2] أخي بابويه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و فيهما و في الخامس و السادس لحن لابن سريج ذكره يونس و لم يجنّسه. و ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لمعبد في الأبيات كلها لحناً و أنه من صحيح غنائه، و لم يجنّسه.

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه. عن أيّوب بن عباية قال: بلغني أنّ ابنا للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عنبسة[3] بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أشعب[4] بن جبير قال: حضرت امرأة شريفة و دخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أ تروي قول أبيك: [1]لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث و تكسر مع

المستغاث لأجله. فإذا دخلت على ضمير، مثل يا لك، فتحت دائما، و كسرت مع ياء المتكلم، و احتمل الكلام حينئذ الأمرين.

[2] في م: «لسليم» .

[3] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «إبراهيم بن زيد بن عنبسة» ، و هو تحريف.

[4] كذا في ب، ح، م. و في سائر النسخ: «أشعث» و هو تصحيف.

لي

ليلتان فليلة معسولة # ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

و مريحة همّي عليّ كأتني # حتّى الصباح معلّق بالفرقد

/قال نعم. قالت: أ تدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلّقًا بالفرقد؟
قال: لا و الله. قالت: هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في
خبره: فقلت لأشعب: يا أبا العلاء، فأيّ ليلتيه المعسولة؟ فقال: ستبدي لك
الأيّام ما كنت جاهلا # و يأتيك بالأخبار من لم تزود
هي ليلة الإسراف[1]، و لا تسأل عمّا بعدها.

ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص:

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال:

أنشد ابن جندب قول الأحوص:

لي ليلتان فليلة معسولة # ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

و مريحة همّي عليّ كأتني # حتّى الصباح معلّق بالفرقد

فقال: أما إنّ الله يعلم أنّ الليلة المريحة همّي لألذّ الليلتين عندي. قال
الحرميّ بن أبي العلاء: و ذلك لكلفه بالغزل و الشوق و الحنين و تمّي
اللقاء.

من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص:

و للأحوص مع عقيلة هذه أخبار قد ذكرت في مواضع آخر. و عقيلة
امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه. و قد ذكر الزبير عن ابن
بنت الماجشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سكينه بنت الحسين عليهما
السلام، كنى عنها بعقيلة.

أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمار بيت له و حلف لا يسمعه إلا

جرّ رسنه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر
المؤملي: أنّ إنسانا أنشد عند إبراهيم بن هشام و هو والي المدينة قول
الأحوص: إذ أنت فينا لمن ينهاك[2] عاصية # و إذ جرّ إليكم سادرا رسني

/فوئب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسر[3] قائما ثم أرخى رداءه و مضى
يمشي على تلك الحال و يجرّه/حتى بلغ العرض[4] ثم رجع. فقال له إبراهيم

بن هشام حين جلس: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، إني سمعت هذا البيت مرّة فأعجبني، فحلفت لا أسمعه إلاّ جررت رسني.

[1] كذا في ط. و في سائر الأصول: «ليلة الأشراف» بالشين المعجمة.

[2] كذا في ح، م، و قد اتفقت عليها الأصول فيما بعد. و في سائر النسخ هنا: «يهواك» .

[3] نسبه إلى جده لشهرته؛ فإن أبا أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر.

[4] العرض (بالكسر) : الوادي فيه زروع و نخل؛ يقال: أخصبت أعراس المدينة؛ و هي قراها التي في أوديتها. و يراد به هنا مكان بعينه.

نسبة هذا البيت و ما غنّي فيه من الشعر صوت

سقى لربك من ربع بذي سلم # و للزمان به إذ ذاك من زمن
إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية # و إذ أجر إليكم سادرا رسني

عروضه من البسيط. غنّي ابن سريج في هذين البيتين لحنا من الثقيل الأول بالوسطى[1] عن عمرو. و ذكر إسحاق فيه لحنا من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى و لم ينسبه إلى أحد، و ذكر حبش[2] أنه للغريض.

كان حماد الراوية يفضله على الشعراء في النسب:
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سالم بن أبي السحمان و كان صاحب حماد الراوية: أن حمادا كان يقدم الأحوص في النسب.

هجا رجلا فاستعدى عليه الفرزدق و جريرا فلم ينصراه فعاد فصالحه:

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عنيزة[3] قال: /هجا الأحوص رجلا من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير، و كان كثير المال؛ فغضب من ذلك، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة و أهدى إليه و ألطفه[4]، فقبل منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيرا بالله عزّ و جلّ ثم بك من رجل هجاني. قال: قد أجازك الله منه و كفاك مؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذي يقول: ألا قف برسم الدار فاستنطق الرّسما # فقد هاج أحزاني و ذكرني نعمًا[5]

قال بلى. قال: فلا و الله لا أهجو رجلا هذا شعره. فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا، فقدم بها على جريرا؛ فأخذها و قال له: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيرا بالله و بك من رجل هجاني. فقال: قد أجازك الله عزّ و جلّ منه و كفاك، أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذي يقول: تمثني بشتمي في أكارس[6] مالك # تشيد به كالكلب إذ ينبح النّجما

فما أنا بالمخسوس في جذم[7] مالك # و لا بالمسمّى ثم يلتزم الإسماء

[1] في ح: «بالسبابة في مجرى الوسطى» .

[2] في ط، ء: «يونس» .

[3] في ح: «عنترة» .

[4] ألطفه: أكرمه و بره بطرف التحف، و الاسم «اللفظ» بالتحريك.

[5] ورد في بعض الأصول: «نعمي» بالياء في آخره؛ و قد سموا «بنعم» «و نعمى» .

[6] أكاريس: جمع الجمع لكرس و هو هنا الجماعة من الناس.

[7] الجذم: الأصل.

و لكنّ بيتي إن سألت وجدته # توسّط منها العزّ و الحسب الصّخما

قال: بلى و الله. قال: فلا و الله لا أهجو شاعرا هذا شعره. قال:
فاشترى أفضل من تلك الهدايا و قدم على الأحوص فأهداها إليه و صالحه.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا قف برسم الدّار فاستنطق الرّسما # فقد هاج أحزاني و ذكرني نعمى

فبتّ كأني شارب من مدامة # إذا أذهبت همّا أتاحت له همّا

غناه إبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ. و ذكر عبد
الله بن العباس/الرّبيعي أنّه له.

أنشد أبو السائب المخزومي شعرا له فطرب و مدحه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الرّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد
العزير قال: قال لي أبو السائب المخزوميّ: أنشدني للأحوص؛ فأنشدته
قوله:

قالت و قلت تحرّجي و صليّ # حبل امرئ بوصولكم صبّ

واصل إذا بعلي فقلت لها # الغدر شيء ليس من ضربتي [1]

صوت

ثنتان لا أدنو لوصلهما [2] # عرس الخليل و جارة الجنب [3]

أمّا الخليل فليست فاجعه # و الجار أوصاني به ربّي

عوجوا كذا نذكر لغانية # بعض الحديث مطيكم صحي

و نقل لها فيم الصّدود و لم # نذنب بل انت بدأت بالذّنب

إن تقبلي نقبل و نزلكم # متّا بدار السّهل و الرّحب

أو تدبري تكدر معيشتنا # و تصدّعي متلائم الشّعب

/- غنّي في «ثنتان لا أدنو» و الذي بعده ابن جامع ثقيلًا أوّل بالوسطى. و
غنّي في «عوجوا كذا نذكر لغانية» و الأبيات التي بعده ابن محرز لحنا من
القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلقا في مجرى البنصر-قال: فأقبل عليّ
أبو السائب فقال: يا ابن أخي، هذا و الله المحبّ عينا لا الذي يقول: و كنت
إذا خليل رام صرمي # وجدت وراي منفسحا عريضا

[1] كذا في ح. و في سائر النسخ: «شعبي» .

[2] في ب، س: «بوصلهما» تحريف.

[3] جار الجنب بالفتح: اللازق بك إلى جنبك.

اذهب فلا صحبتك الله و لا وسع عليك (يعني قائل هذا البيت) .

سأل المهدي عن أنسب بيت قالته العرب فأجاب رجل من شعره فأجازه:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا خالد بن وصاح قال حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال: حملت دينا بعسكر المهدي، فركب المهدي بين أبي عبيد الله و عمر بن بزيع، و أنا وراءه في موكب علي بردون قطوف [1]؛ فقال: ما أنسب بيت قالته العرب؟ فقال له أبو عبيد الله: قول امرئ القيس: و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي # بسهميك في أعشار قلب مقل

فقال: هذا أعرابي قح. فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين: أريد لأنسى ذكرها فكأتما # تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

فقال: ما هذا بشيء و ماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثّل له! فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحق بي. قلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابتي. قال: احمّوه على دابة. قلت: هذا أول الفتح؛ فحملت على دابة، فلحقت. فقال: ما عندك؟ فقلت: قول الأحوص: /

إذا قلت إني مشتمف بلقائها # فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما

فقال: أحسن و الله! اقضوا عنه دينه؛ فقضي عني ديني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

/منها الشعر الذي [2]هو:

أريد لأنسى ذكرها فكأتما # تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

صوت

ألا حيا ليلي أجدّ رحيلي # و آذن أصحابي غدا بقفول

و لم أر من ليلي نوالا أعدّه # ألا ربّما طالبت غير منيل

أريد لأنسى ذكرها فكأتما # تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

و ليس خليلي بالملول و لا الذي # إذا غبت عنه باعني بخليل

و لكن خليلي من يدوم وصاله # و يحفظ سرّي عند كلّ دخيل

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. و الغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم، و لحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البصر. و لابنه

إسحاق في: و ليس خليلي بالملول و لا الذي

[1]القطوف: الدابة التي تبطئ في سيرها.

[2]كذا في ب. و في س: «الذي هو أوله» . و في سائر النسخ: «الذي أوله» .

ثقل آخر بالوسطى.

حديث ابن سلام عن كثير و جميل:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام، و أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزّبير عن محمد بن سلام قال: كان لكثير في النّسب حظّ وافر، و جميل مقدّم عليه و على أصحاب النّسب جميعا، و لكثير من فنون الشّعْر ما ليس لجميل. و كان كثير راوية جميل، و كان جميل/صادق الصّباة و العشق، و لم يكن كثير بعاشق، و كان يتقول.

قال: و كان الناس يستحسنون بيت كثير في النّسب: أريد لأنسى ذكرها فكأثما # تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

قال: و قد رأيت من يفصّل عليه بيت جميل: خليلي فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير:

قرأت في كتاب منسوب إلى أحمد بن يحيى البلاذريّ: و ذكر إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ عبد الله بن مصعب الزّبيريّ كان يوما يذكر شعر كثير و يصف تفضيل أهل الحجاز إيّاه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت. قال إسحاق: فقلت له: إنّ الناس يعيرون عليه هذا المعنى و يقولون: ما له يريد أن ينساها! فتبسّم ابن مصعب ثم قال: إنّكم يا أهل العراق لتقولون ذلك.

سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو يحيى الرّهريّ [1] قال حدّثني الهزبريّ [2] قال: قيل لكثير: ما أنسب بيت قلته؟ قال: الناس يقولون: أريد لأنسى ذكرها فكأثما # تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

و أنسب عندي منه قولي:

و قل أمّ عمر داؤه و شفاؤه # لديها و ربّاه الشفاء من الخبل [3]

و قد قيل: إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللّيثيّ.

[1] في م: «الزبيري» .

[2] في ط، ء، م: «الهديري» .

[3] كذا في ط، ء، م. و لعله من القصيدة التي منها: خليليَّ فيما عشتما
هل رأيتما # قتيلا بكى من حب قاتله قبلي
و في سائر الأصول:

لديها و رباها إليه طيب

قال محرز بن جعفر إن الشعر في الأنصار و استشهد بشعر صاحبهم الأحوص:

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان- قال الحرمي: أحسبه ابن عبد الرحمن المخزومي- قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لمحرز بن جعفر: أنت صاحب شعر، و نراك تلزم الأنصار، و ليس هناك منه شيء؛ قال: بلى و الله، إنَّ هناك للشعر عين الشعر، و كيف لا يكون الشعر هناك و صاحبهم/الأحوص الذي يقول: يقولون لو ماتت لقد غاض حبه # و ذلك حين الفاجعات و حيني

لعمرك إني إن تحمّ وفاتها # بصحبة من يبقى لغير ضنين

و هو الذي يقول:

و إني لمكرام لسادات مالك # و إني لنوكى مالك لسبوب

و إني على الحلم الذي من سجيّتي # لحّمّال أضغان لهنّ طلبوب

ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثني يحيى بن الزبير بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، قال الزبير و حدثني عليّ بن صالح عن عامر بن صالح: أنّ الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه- و قال عامر بن صالح: حين هرب من عبد الواحد النّصريّ إلى البصرة-: يا بشر يا ربّ محزون بمصرعنا # و شامت جذل ما مسّه الحزن

و ما شمات امرئ إن [1] مات صاحبه # و قد يرى أنّه بالموت مرتين

يا بشر هبي فإنّ التّوم أرّقه # نأي مشتّ و أرض غيرها الوطن

[1] في ط، م: «قد مات» .

47- ذكر الدّلال و قصته حين خصي و من خصي معه و السبب في ذلك و سائر أخباره

اسمه و كنيته و ولاؤه:

الدّلال اسمه ناقد[1]، و كنيته أبو زيد[2]. و هو مدنيّ مولى بني فهم.

و أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال:

قال إسحاق: لم يكن في المختّنين أحسن وجها و لا أنظف ثوبا و لا أظرف من الدّلال. قال: و هو أحد من خصاه ابن حزم. فلمّا فعل ذلك به قال: الآن تمّ الخنث.

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزّبيريّ قال:

الدّلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص.

كان ظريفا صاحب نوادر و كان يغني غناء كثير العمل:

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزّبيريّ قال:

كان الدّلال من أهل المدينة، و لم يكن أهلها يعدّون في الطّرفاء و أصحاب النوادر من المختّنين بها إلا ثلاثة:

طويس، و الدّلال، و هنب[3]؛ فكان هنب أقدمهم، و الدلال أصغرهم. و لم يكن بعد طويس أظرف من الدّلال و لا أكثر ملحا.

/قال إسحاق: و حدّثني هشام بن المزيّبة عن جرير، و كانا نديمين مدنيّين، قال: ما ذكرت الدّلال قطّ إلا ضحكت لكثرة نوادره. قال: و كان نزر الحديث، فإذا تكلم أضحك التّكلى، و كان ضاحك السنّ، و صنّعه نزره جيّدة، و لم يكن يغني إلا غناء مضعفا، يعني كثير العمل.

كان أهل المدينة يفخرون به:

قال إسحاق: و حدّثني أيّوب بن عباية قال:

شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدّلال و أحاديثه، طوّلوا رقابهم و فخروا به؛ فعلمت أنّ ذلك لفضيلة كانت فيه.

[1] كذا في «شرح القاموس» (مادة دلل) «و نهاية الأرب» (ج 4 ص 315). و في س، م: «نافذ» بالفاء و الدال المهملة. و في باقي الأصول: «نافذ» بالفاء و الدال المعجمة.

[2] كذا في «شرح القاموس» «و نهاية الأرب» . و في جميع الأصول:
«أبو يزيد» .

[3] كذا في ب، س. و في «شرح القاموس» (مادة هنب) أن النبيّ
صلّى الله عليه و سلّم نفى مخنثين أحدهما «هيت» و الآخر «ماتع» . قال
إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث. و قال الأزهري: رواه الشافعي و
غيره «هيت» ، و أظنه صوابا. و قد ورد في «المشتمه» : «هيت» . و قد ورد
هذا الاسم في باقي الأصول مضطربا.

كان يلزم النساء:

قال و حدّثني ابن جامع عن يونس قال:

كان الدّلال مبتلى بالنّساء و الكون معهنّ، و كان يطلب فلا يقدر عليه، و كان بديع الغناء صحيحه حسن الجرم[1].

سبب لقبه، و توسطه بين الرجال و النساء:

قال إسحاق و حدّثني الزّبيريّ قال:

إنّما لقب بالدّلال لشكله[2] و حسن دلّه و ظرفه و حلاوة منطقه و حسن وجهه و إشارته. و كان مشغوفاً[3] بمخالطة النّساء و وصفهنّ للرجال. و كان من أراد خطبة امرأة سأله عنها و عن غيرها، فلا يزال يصف له النساء واحدة /فواحدة حتّى ينتهي إلى وصف ما يعجبه؛ ثم يتوسّط بينه و بين من يعجبه منهنّ حتّى يتزوّجها؛ فكان يشاغل كلّ من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهة منه للغناء.

/قال إسحاق[4] و حدّثني مصعب الزّبيريّ قال: أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خصي الدّلال؛ و ذلك أنه كان القادم يقدم المدينة، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيدلّ على الدّلال؛ فإذا جاءه قال له: صف لي من تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتّى ينتهي إلى ما يوافق هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مهرها كذا و كذا؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدّلال، فقال لها: إنّي قد أصبت لك رجلاً من حاله و قصّته و هيئته و يساره و لا عهد له بالنساء، و إنما قدم بلدنا أنفاً؛ فلا يزال بذلك يشوّقها و يحركها حتّى تطيعه؛ فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سوّي الأمر و تزوّجته المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، و الليلة موعده، و أنت مغتلمة شبقة جامّة[5]؛ فساعة يدخل عليك قد دفقت عليه مثل سيل العرم، فيقذرك و لا يعاودك، و تكونين من أشأم النّساء على نفسك و غيرك. فتقول: فكيف أصنع؟ فيقول: أنت أعلم بدواء حرك و دائه و ما يسكن غلمتك. فتقول: أنت أعرف. فيقول: ما أجد له شيئاً أشفى من النّيك. فيقول لها: إن لم تخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الرّنوج حتّى يقضي بعض وطرك و يكفّ عادية حرك؛ فتقول له: ويلك! و لا كلّ هذا! فلا تزال المحاورة بينهما حتّى يقول لها: فكما جاء[6] عليّ أقوم، فأخفّفك و أنا و الله إلى التخفيف أحوج. فتفرح المرأة فتقول: هذا أمر مستور، فينيكها؛ حتّى إذا قضى لدّته منها، قال لها: أمّا أنت فقد استرحت و أمنت العيب، و

بقيت أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد واعدتها/أن تدخل عليك الليلة، و أنت [1]كذا في أكثر الأصول. و الجرم بالكسر هنا: الصوت أو جهارته. و في م «و نهاية الأرب» (ج 4 ص 216) : «الجزم» و الجزم: وضع الحروف مواضعها في بيان و مهل.

[2]الشكل (بالكسر) : الدل. و الشكل (بالفتح) : الهيئة و المذهب.

[3]فيء، ح، م: «مشعوفاً» بالعين المهملة، و كلاهما بمعنى واحد. و قد قرئ بهما في قوله تعالى: **(قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا)** .

[4]اشتمل هذا الخبر على ألفاظ صريحة في الفحش، و قد آثرنا إبقاءه كما هو احتفاظاً بكيان «الأغاني» الذي يعدّ من أجل مصادر التاريخ و الأدب العربي.

[5]يقال: جم الفرس و غيره، إذا ترك الضراب فتجمع ماؤه.

[6]في م: «فكما حكم عليّ أقوم» .

رجل عذب [1]، و نساء المدينة خاصّة يردن المطاولة في الجماع، و كأني بك كما تدخله عليها تفرغ و تقوم، فتبغضك و تمقتك و لا تعاودك بعدها و لو أعطيتها الدنيا، و لا تنظر في وجهك بعدها. فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته؛ فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زنجية فتنيكها مرّتين أو ثلاثا حتى تسكن غلمتك؛ فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلا جميلا. فيقول له ذلك: أعوذ بالله من هذه الحال، أزنا و زنجية! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورته قال له: فكما جاء عليّ قم فنكني أنا حتى تسكن غلمتك و شبقتك؛ فيفرح فينيكه مرّة أو مرّتين. فيقول له: قد استوى أمرك الآن و طابت نفسك، و تدخل على زوجتك فتنيكها نيكا يملؤها سرورا و لذة.

فينيك المرأة قبل زوجها، و ينيكه الرجل قبل امرأته. فكان ذلك دأبه، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك، و كان غيورا شديد الغيرة، فكتب بأن يحصى هو و سائر المخشّين [بالمدينة و مكة] [2]، و قال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش و يفسدونهنّ. فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزبير. و السبب في هذا أيضا مختلف فيه، و ليس كلّ الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب.

رواية أخرى في السبب الذي خصي من أجله الدلال و سائر المخشّين بالمدينة:

فمما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ-و هذا الخبر أصحّ ما روي في ذلك إسنادا- قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن/بن عيسى، هكذا رواه الجوهريّ، و أخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني أبو غسان قال: قال ابن جناح حدّثني معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه و عن [3] محمد بن معن الغفاريّ قال:

/كان سبب ما خصي له المخشّون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية [4] له يسمّر ليلة على ظهر سطح، فتفرّق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء فجاءت به جارية له. فبينما هي تصبّ عليه إذ أوما بيده و أشار بها مرّتين أو ثلاثا، فلم تصبّ عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها إلى ناحية العسكر، و إذا صوت رجل يغني، فأنصت له حتى سمع جميع ما تغني به. فلما أصبح أذن للناس، ثم أجرى ذكر الغناء فلين فيه حتى ظنّ القوم أنه يشتهي و يريده، فأفاضوا فيه بالتسهيل و ذكر من كان

يسمعه. فقال سليمان: فهل بقي أحد يسمع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أيلة مجيدان محكمان. قال: و أين منزلك؟ فأوماً إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال: فابعث إليهما، ففعل. فوجد الرسول أحدهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء، فأعترف به. فقال: متى عهدك به؟ قال: الليلة الماضية. قال: و أين كنت؟ فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان منها الغناء. قال: فما غنيت به؟ فأخبره الشعر الذي سمعه سليمان. فأقبل على القوم فقال: هدر الجمل فضبعت [5]الناقة، و نَبَّ التيس فشكرت الشاة، و هدر [6]الحمام فزافت [7]الحمامة، و غنّى [1]في م: «غريب عزب» .

[2]زيادة عن م.

[3]في ء، ط: «عن أبيه محمد بن معن الغفاري» و هو تحريف؛ إذ أن أبا عبد الرحمن هذا هو عبد الله بن ذكوان المعروف بأبي الزناد.

[4]كذا في م. و النادية: مؤنث النادي و هو مجلس القوم و متحدثهم. و في سائر النسخ: «بادية» بالباء الموحدة.

[5]ضبعت الناقة: اشتتهت الفحل. و نَبَّ التيس: صاح عند الهياج. و شكرت الشاة: امتلاً ضرعها، و يكنى بذلك عن حنينها.

[6]في م: «هدل» ، و الهديل: كالهدير، و قيل هو صوت الذكر خاصة.

[7]زافت الحمامة: تبخترت في مشيتها بين يدي الذكر و أقبلت عليه ناشرة جناحيها و ذبابها.

الرجل فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي. و سأل عن الغناء أين أصله؟ ف قيل: بالمدينة في المختئين، و هم أئمته و الحدّاق فيه. فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، و كان عامله عليها، أن أخص [1] من قبلك من المختئين المغنّين- فزعم موسى بن جعفر بن/أبي كثير قال أخبرني بعض الكتاب قال: قرأت كتاب سليمان في الديوان، فرأيت على الخاء نقطة كتمرّة العجوة. قال: و من لا يعلم يقول: إنّه صحّف القارئ، و كانت أخص- قال: فتتبعهم ابن حزم فخصى منهم تسعة؛ فمنهم الدّلال، و طريف [2]، و حبيب نومة الصّحى. و قال بعضهم حين خصي: سلم الخاتن و المختون. و هذا كلام يقوله الصبيّ إذا ختن.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نشيط الحسنيّ قال: أقبلنا من مكة و معنا بدراقس [3] و هو الذي ختنهم، و كان غلامه قد أعانه على خصائهم، فنزلنا على حبيب نومة الصّحى، فاحتفل لنا و أكرمنا. فقال له ثابت [4]: من أنت؟ قال: يا ابن أخي أ تجهلني و أنت وليت ختاني! أو قال: و أنت ختنتني. قال: و سواتاه! و أيهم أنت؟ قال أنا حبيب. [قال ثابت: [5] فاجتنبت طعامه و خفت أن يسمني. قال: و جعلت لحية الدّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. و أمّا ابن الكلبيّ فإنه ذكر عن أبي مسكين و لقيط أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المختئين ليعرفهم، فيوفد عليه من يختاره للوفادة؛ فظنّ [الوالي] [5] أنه يريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني محمد بن سلام قال حدّثني ابن جعدبة، و نسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز عن المدنيّ عن ابن جعدبة و اللفظ له: أنّ الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من/المختئين، أنّه كان مستلقيا على فراشه في الليل، و جارية له إلى جنبه، و عليها غلالة و رداء/معصفران، و عليها وشاحان من ذهب، و في عنقها فصلان من لؤلؤ و زبرجد و ياقوت، و كان سليمان بها مشغوبا [6]، و في عسكره رجل يقال له سمير الأيليّ يغني، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلا بها و إقبالا عليها، و هي لاهية عنه لا تجيبه مصغية إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّل وجهه عنها مغضبا، ثم عاد إلى ما كان مشغولا عن فهمه بها، فسمع سميرا يغني بأحسن صوت و أطيب نغمة:

صوت

محجوبة سمعت صوتي فأزّقها # من آخر الليل حتّى شقّها [7] السّهر

تدني على جيدها ثنتي[8]معصفرة # و الحلبي منها على لِبَّاتها خصر

[1] ذكر الجاحظ في كتاب «الحيوان» (ج 1 ص 55 طبع مصر) : أن الذي أمر بخصاء المخنثين هو هشام بن عبد الملك، و أن الذي تولى ذلك هو عثمان بن حيّان والي المدينة. ثم ساق بعد ذلك طرفا من القصة.

[2] في ط، م: «طريفة» .

[3] كذا ورد هذا الاسم مضبوطا في ط.

[4] لم يتقدّم لثابت هذا ذكر في الكلام. و لعله اسم آخر ليدراقس أو اسم غلامه الذي كان يعينه.

[5] زيادة يقتضيها السياق.

[6] في م: «مشعوفا» بالعين المهملة، و كلاهما بمعنى واحد.

[7] في ط: «حتى ظلها السحر» . و في «المحاسن و الأضداد» ص 293: «لما بلها السحر» .

[8] كذا في ء، ط، م. و في ح: «ثنى» . و في سائر النسخ: «ثنتي» و كلاهما تصحيف.

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها # أوجهها عنده أبهى أم القمر

-و يروى:

أوجهها ما يرى أم وجهها القمر

لو خليت لمشت نحوي على قدم # تكاد من رقة للمشي تنفطر

-الغناء لسمير الأيلي رمل مطلق بالبنصر عن حبش. و أخبرني ذكاء وجه الرزة أنه سمع فيه لحنًا للدلال من الثقيل الأول- فلم يشكك سليمان أن الذي بها مما سمعت، و أنها تهوى سميرا؛ فوجه من وقته من أحضره و حبسه، و دعا لها بسيف و نطع، و قال: و الله لتصدقني أو لأضربن عنقك! قالت: سلني عما تريد. قال: أخبرني عما بينك و بين هذا الرجل. قالت: و الله ما أعرفه و لا رأيته قط، و أنا جارية منشئي الحجاز، و من هناك حملت إليك، و و الله / ما أعرف بهذه البلاد أحدًا سواك. فرق لها، و أحضر الرجل فسأله، و تطف له في المسألة، فلم يجد بينه و بينها سبيلًا، و لم تطب نفسه بتخليته سوياً [1] فخصاه؛ و كتب في المختين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة.

أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال:

و قد أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: قيل للوليد بن عبد الملك: إن نساء قريش يدخل عليهن المختنون بالمدينة، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يدخل عليكن هؤلاء». فكتب إلى ابن حزم الأنصاري أن اخصمهم، فخصاهم. فمر ابن أبي عتيق فقال: أخصيم الدلال! أما و الله لقد كان يحسن: لمن ربع بذات الجيد # ش أمسى دارسا خلقا

تأبّد [2] بعد ساكنه # فأصبح أهله فرقا

وقفت به أسائله # و مرّت عيسهم حزقا [3]

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خفيفه، لست أعني ثقيله.

أسف الماجشون لذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون: أن خليفة صاحب الشرطة لما خصي المختنون مرّ بأبيه [4] الماجشون و هو في حلقة؛ فصاح به: تعال، فجاءه؛ فقال: أخصيم الدلال؟ قال نعم. قال: أما إنّه كان يجيد: لمن ربع بذات الجيد # ش أمسى دارسا خلقا

ثم مضى غير بعيد فردّه، ثم قال: أستغفر الله! إنما أعني هزجه لا ثقبيله.

[1]سويا: كاملا.

[2]تأبد: توحش.

[3]حزقا: جماعات.

[4]في الأصول: «مرّ بابن الماجشون» و هو تحريف؛ إذ الذي كان يعجبه الدلال و يستحسن غناءه و يدينه و يقرّ به هو الماجشون لا ابنه. و ابن الماجشون هذا لم ير الدلال، و إنما تحدّث إليه عنه أبوه. (انظر ص 280 من هذا الجزء) .

أضحك الناس في الصلاة:

أخبرني الحسين بن/يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النوفليّ قال: صلى الدّلال المخنّث إلى جانبي في المسجد، فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد، فرفعنا رءوسنا و هو ساجد، و هو يقول في سجوده رافعا بذلك صوته: سبح لك أعلاي و أسفلي؛ فلم يبق في المسجد أحد إلا فتن و قطع صلاته بالضحك.

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء و كان يكرهه:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه:

أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له: لو غنّك جاريتي فلانة: لمن ربع بذات الجيد # ش أمسى دارسا خلقا

لما أدركت دكانك [1]. فقال: جعلت فداك، قد وجبت جنوبها **(فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)** . فقال عبد الله: يا غلام، مر فلانة أن تخرج؛ فخرجت معها عودها. فقال عبد الله: إن هذا الشيخ يكره السماع. فقال: ويحه! لو كره الطعام و الشراب كان أقرب له إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك و بهما الحياة؟ فقالت: إتهما ربّما قتلا و هذا لا يقتل. فقال عبد الله غنّي: لمن ربع بذات الجيد # ش أمسى دارسا خلقا

فغنّت؛ فجعل الشيخ يصفق و يرقص و يقول:

هذا أوان الشّدّ فاشتدّي زيم

و يحزّك رأسه و يدور حتى وقع مغشياً عليه، و عبد الله بن جعفر يضحك منه.

غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو غسان قال: مرّ الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً، فغنّاه الدّلال:

/

بانث سعاد و أمسى حبلها انصرما # و احتلّت الغمر [2] فالأجراع [3] من إضما [4]

[1] الدكان: بناء يسطح أعلاه و يجلس عليه كالمصطبة في مصر. أي لأصابتك من غنائها ما يعوقك عن أن تصل إلى المكان الذي تجلس فيه. و في ح، م: «ذكاتك» .

[2] تقدّم في الجزء الأوّل (ص 49 من هذه الطبعة) : «الغور» . و الغمر: الماء الكثير، أو بئر قديمة بمكة، أو موضع بينه وبينها يومان.

[3] كذا في أكثر الأصول. و في ح، م: «فالأجزاء» بالزاي المعجمة. و الأجزاء: جمع جرع و هو مفرد أو جمع جرعة و هي الرملة الطيبة المنبت لا و عوثة فيها.

[4] اضم (بكسر ففتح) : واد بجبل تهامة، و هو الوادي الذي فيه المدينة. و قد ورد هذا البيت في «ديوان» النابغة الذبياني هكذا: بانت سعاد و أمسى حبلها انجذما # و احتلت الشرع فالأجزاء من إضما

و شرع: قرية على شرقيّ ذرة فيها مزارع و نخيل على عيون، و وادبها يقال له رخم. و الأجزاء: جمع جرع بالكسر- و قال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحا-: منعطف الوادي. و في «تاج العروس» (أضم) : و احتلت الشرع فالخبتين من إضما

و الخبت: المتسع من بطون الأرض. (انظر «القاموس» و «شرحه» و ياقوت في هذه المواد) .

فقال له الغمر: أحسنت و الله، و غلبت فيه ابن سريج! فقال له الدّلال: نعمة الله عليّ فيه أعظم من ذلك. قال:
و ما هي؟ قال: السّمعة، لا يسمعه أحد إلاّ علم أنه غناء مخنّث حقًا.
نسبة هذا الصوت:

صوت

بانث سعاد و أمسى حبلها انصرما # و احتلّت الغمر فالأجراع من إضما
إحدى[1]بلي و ما هام الفؤاد بها # إلاّ السّفاة و إلاّ ذكره حلما
هلاّ سألت بني ذبيان ما حسبي # إذا الدّخان تغشّى[2]الأشمط البرما

الشعر للنابعة الدّبيانيّ. و الغناء للدّلال خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامي. و فيه خفيف ثقيل[3]بالبنصر لمعبد عن عمرو بن بانه. و فيه لابن سريج ثقيل أوّل/بالبنصر عن حبش. و فيه لنشيط ثاني ثقيل بالبنصر عنه. و ذكر الهشامي أنّ لحن معبد ثقيل أوّل، و ذكر حمّاد أنّه للغريص. و فيه لجميلة و دحمان لحنان، و يقال: إنهما جميعا من الثقيل الأوّل.

احتكم إليه شيعي و مرجئي:

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازة عن أبيه عن المدائنيّ قال:

اختصم شيعيّ و مرجئي[4]، فجعلا بينهما أوّل من يطلع، فطلع الدّلال. فقالا له: أبا زيد، أيهما خير: الشّيعيّ أم المرجئيّ؟ فقال: لا أدري إلاّ أنّ أعلاي شيعيّ و أسفلي مرجئيّ!

هرب من المدينة إلى مكة:

قال إسحاق قال المدائنيّ و أخبرني أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال:

كان الدّلال ملازما لأمّ سعيد الأسلميّة/ و بنت ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي، و كانتا من أمجن النّساء، كانتا تخرجان فتركبان الفرسيين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلا خيلهما. فقال معاوية لمروان بن الحكم: اكفني بنت أخيك! فقال: أفعل. فاستزارها، و أمر بئير فحفرت في طريقها، و غطيت بحصير، فلمّا مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها. و طلب الدّلال

فهرب إلى مكة. فقال له نساء أهل مكة: قتلت نساء أهل المدينة و جئت لتقتلنا! فقال:

و الله ما قتلهنّ [5] إلا الحكاك. فقلن: اعزب أخزاك الله، و لا أدنى بك [دارا] [6]، و لا أذانا بك! قال: فمن لكنّ [1] بليّ كغنيّ: قبيلة من قضاة. و السفاه: الطيش و خفة الحلم. و الذكرة (بالكسر و الضم) : نقيض النسيان.

[2] تغشّى: تلبّس. و الأشمط: الذي خالطه الشيب. و خص الأشمط لأنه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله. و البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله.

[3] في م: «ثقل أول بالنصر» .

[4] المرجئة: جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية و العقد، و كانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

و هم فرق أربع: مرجئة الخوارج، و مرجئة القدرية، و مرجئة الجبرية، و المرجئة الخالصة. (انظر «الملل و النحل» للشهرستاني ص 103 طبع أوروبا) .

[5] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «ما قتلهنّ أحد إلا الحكاك» .

[6] زيادة عن س، م.

/بعدي يدلّ على دائركنّ و يعلم موضع شفائكُنّ؟ و الله ما زنت قطّ و لا زني بي، و إني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم و رجالكم.

كان الماجشون يقرب الدلال و يستحسن غناه:

قال إسحاق و حدّثني الواقديّ عن ابن الماجشون قال:

كان أبي يعجبه الدّلال و يستحسن غناه و يدينه و يقربّه، و لم أره أنا، فسمعت أبي يقول: غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفت الفتنة على نفسي. فقلت: يا أبت، و أيّ شعر تغنّي؟ قال قوله.

صوت

عسى الله أن يجري المودّة بيننا # و يوصل حبلا منكم بحباليا
فكم من خليبي جفوة قد تقاطعا # على الدّهر لَمّا أن أطلاا التّلاقيا
و إني لفي كرب و أنت خليّة # لقد فارقت في الوصف حالك حاليا
عتبت فما أعتبتني بمودّة # و رمت فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريص ثقيل أوّل بالوسطى، و لا أعرف فيه لحنا غيره. و ذكر حماد في أخبار الدّلال أنّه للدّلال، و لم يجنّسه.

غرر بمخة المخنث فغابت خثيم بن عراق صاحب الشرطة:

قال إسحاق و حدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال:

قدم مخنّث من مكة يقال له محّة، فجاء إلى الدّلال فقال: يا أبا زيد، دلّني على بعض مخنّثي أهل المدينة أكايده و أمازحه ثم أجاذبه. قال: قد وّجّدته لك- و كان خثيم[1] ابن عراق بن مالك صاحب شرطة زياد بن عبيد الله[2] الحارثيّ جاره، و قد خرج في ذلك الوقت ليصليّ في المسجد- فأوماً إلى خثيم فقال: الحقه في المسجد؛ فإنّه /يقوم فيه فيصليّ ليرائي الناس، فإنّك ستظفر بما تريد منه. فدخل[3] المسجد و جلس إلى جنب ابن عراق، فقال: عجلّي بصلاتك لا صلىّ الله عليك! فقال خثيم: سبحان الله! فقال المخنّث: سبّحت في جامعة[4] قرّاصة، انصرفي حتّى أتحدّث معك. فانصرف خثيم من صلاته، و دعا بالشرط و السّياط فقال: خذوه فأخذوه[5]، فضربه مائة و حبسه.

[1] كذا في ح، و هو الموافق لما في «تهذيب التهذيب» «و طبقات ابن سعد» (ج 5 ص 187) «و تقريب التهذيب» «و شرح القاموس» .

و في ب، س: «خيثم». و ورد في ء، ط مضطربا غير واضح.

[2] كذا في ء، ط، م و هو الموافق لما في الطبري (قسم 2 ص 1468 طبع أوروبا) أو ابن الأثير (ج 5 ص 345 طبع أوروبا). و في سائر الأصول: «زياد بن عبد الله» و هو تحريف.

[3] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «فجلس في المسجد و جلس إلخ». و لعلها «فجاس في المسجد».

[4] الجامعة: الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

[5] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «فأخذه».

أضحك الناس في الصلاة فتهدده الوالي:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال:

صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة، فقرأ: **(وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**؛ فقال الدلال: لا أدري و الله! فضحك أكثر الناس و قطعوا الصلاة. فلما قضى الوالي صلاته دعا به و قال له: و بك! أ لا تدع هذا المجون و السّفه! فقال له: قد كان عندي أنّك تعبد الله، فلما سمعتك تستفهم، طننت أنّك قد تشككت في ربك فثبتت. فقال له: أنا شككت [1] في ربي و أنت تثبتني! اذهب لعنك الله! و لا تعاود [2] فأبالغ و الله في عقوبتك!

قصته مع رجل زوجه امرأة لم يدخل بها:

قال إسحاق و حدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم قال: سأل رجل الدلال أن يزوجه امرأة فزوجه. فلما أعطها صداقها و جاء بها إليه فدخلت عليه، قام إليها فواقعها، فصرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها الرجل و مقتها و أمر/بها فأخرجت؛ و بعث إلى الدلال، فعرفه ما جرى عليه. فقال له الدلال: /فديتك! هذا كله من عزة نفسها. قال: دعني منك؛ فأبى قد أبغضتها، فاردد عليّ دراهمي، فردّ بعضها. فقال له: لم رددت بعضها و قد خرجت كما دخلت؟ قال: للزوجة التي أدخلتها على استها.

فضحك و قال له: اذهب فأنت أقصى الناس و أفقهم.

مكر مع فتية من قريش و سيق إلى الأمير فأراد أن يحده ثم عفا عنه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني محمد بن سلام عن أبيه قال، [و]أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه [قال]: أنّ الدلال خرج يوماً مع فتية من قريش في نزهة لهم، و كان معهم غلام جميل الوجه، فأعجبه؛ و علم القوم بذلك، فقالوا: قد ظفرنا به بقية يومنا، و كان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي، و ينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال و محبة في محادثة النساء. فغمزوا الغلام عليه؛ و فطن لذلك فغضب، و قام لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه و القوم جميعاً فجلس. و كان معهم شراب فشربوا، و سقوه و حملوا عليه لئلا يبرح، ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم:

زبيرية بالعرج منها منازل # و بالخيف من أدنى منازلها رسم[3]

أسائل عنها كل ركب لقيته # و ما لي بها من بعد مكنتنا علم

أيا صاحب الخيمات من بطن أرثد[4] # إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

[1] كذا في ح. و في ء، ط: «أنا أشك في ربي و أنت تثبتني» . و في سائر النسخ: «أنا أثبك في ربي و أنت تثبتني» .

[2] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «و لا تعاوده» .

[3] ورد في س، م بعد هذا البيت: «و رواه آخرون: و بالخيف من أعلى منازلها رسم» .

[4] كذا في ح و ياقوت. و أرثد: اسم واد بين مكة و المدينة في وادي الأبواء. و ودان: قرية جامعة من نواحي الفرع، بينها و بين هرشى

فإن تك حرب بين قومي و قومها # فإني لها في كل نائرة [1] سلم

/- ذكر يحيى [2] المكي و عمرو بن بانة أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، و ذكر غيرهما أنه للدلال. و فيه لمخارق رمل. و ذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني و لم ينسبه إلى أحد-قال: فاستطير القوم فرحا و سرورا و علا نعيهم؛ فنذر [3] بهم السلطان، و تعادت [4] الأشراف، فأحسنوا بالطلب فهربوا؛ و بقي الغلام و الدلال ما يطيقان براحا من السكر؛ فأخذا فأتي بهما أمير المدينة. فقال للدلال: يا فاسق! فقال له: من فمك إلى السماء. قال: جنوا [5] فكّه؛ قال: و عنقه أيضا. قال: يا عدو الله! ما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به! فقال: لو علمت أنك تغار علينا و تشتهي أن نفسق [6] سرا ما خرجت من بيتي. قال: جردوه و اضربوه حدا. قال: و ما ينفعك من ذلك! و أنا و الله أضرب في كل يوم حدودا. قال: و من يتولى ذلك منك؟ قال: أيور المسلمين. قال: ابطحوه على وجهه و اجلسوا على ظهره. قال: أحسب أن الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أناك. قال: أقيموه لعنه الله و اشهروه في المدينة مع الغلام. فأخرجا يدار بهما في السكك. فقيل له: ما هذا يا دلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني و بين هذا الغلام و نادى علينا، و لو قيل له الآن: إنك قواد غضب! فبلغ قوله الوالي فقال: خلوا سبيلهما، لعنة الله عليهما!

شهادة معبد في غناء الدلال:

قال إسحاق في خبره خاصة- و لم يذكره أبو أيوب- فحدثني أبي عن ابن جامع عن سباط قال: /سمعت يونس يقول قال لي معبد: ما ذكرت غناء الدلال في هذا الشعر: زبيرية بالعرج منها منازل

إلا جدد لي سرورا، و لوددت أنني كنت سبقته إليه لحسنه عندي. قال يونس: فقلت له: ما بلغ من حسنه /عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمع أحسن منه قط.

ما كان بينه مع بعض المختشين و بين عبد الرحمن بن حسان:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة عرس، فاتفق فيه الدلال و طويس و الوليد المختش، فدخل عبد الرحمن بن حسان، فلما رآهم قال: ما كنت لأجلس في مجلس فيه هؤلاء. فقال له طويس: قد علمت يا عبد الرحمن نكايتي فيك و أن جرحي () ستة أميال، و بينها و بين الأبواء نحو ثمانية أميال. و في سائر

الأصول: «أريد» بالباء الموحدة. و أريد: قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. و قد رجحنا رواية حـ و ياقوت لأنها الأشبه بشعر الأحوص و ليكون بين الموضوعين تناسب مكاني.

[1]النائرة: العداوة و الشحناء، مشتقة من النار.

[2]كذا في ط، و قد تقدّم كذلك مرارا. و في سائر النسخ: «يحيى بن المكي» و هو تحريف و له ترجمة في الجزء السادس من «الأغاني» طبع بولاق.

[3]نذر: علم.

[4]تعاتت: من العدو و هو سرعة الجري.

[5]جثوا: اضربوا؛ يقال: وجأ عنقه يجؤه مثل وضع يضع.

[6]في جميع الأصول: «تفسق» بالتاء.

إِيَّاكَ لَمْ يَنْدَمَلْ-يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، و ذكره
لعمته الفارعة-فأربح نفسك و أقبل على شأنك؛ فإنه لا قيام لك بمن يفهمك
فهمني. و قال له الدّلال: يا أخا الأنصار! إن أبا عبد النّعيم أعلم بك منّي، و
سأعلمك بعض ما أعلم به. ثم اندفع و نقر بالدّفّ، و كلهم ينقر بدقه معه،
فتغنى:

صوت

أ تهجر يا إنسان من أنت عاشقه # و من أنت مشتاق إليه و شائقه [1]

و ريم أحمّ المقلتين موشح # زراييه [2] مبنوثة و نمارقه

ترى الرّقم [3] و الدّياج في بيته معا # كما زين الروض الأنيق [4] حدائقه

/و سرب طباء ترتعي جانب الحمى # إلى الجوّ [5] فالخبتين بيض عقائقه [6]

و ما من حمى في الناس إلّا لنا حمى # و إلّا لنا غربيّة و مشارقه

فاستضحك عبد الرحمن و قال: اللهمّ غفرا، و جلس.

لحن الدّلال في هذه الأبيات هزج بالبنصر عن يحيى المكيّ و حمّاد.

استدعاه سليمان بن عبد الملك سرا فغناه فطرب و أعاده إلى الحجاز مكرما:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجمحيّ
عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت
عمّي عتبة يقول حدّثني مولى للوليد بن عبد الملك قال: كان الدّلال ظريفا
جميلا حسن البيان، من أحضر الناس جوابا و أحجّهم؛ و كان سليمان بن عبد
الملك قد رقّ له حين خصي غلطا، فوجّه إليه مولى له و قال له: جئني به
سرّا، و كانت تبلغه نوادره و طيبه، و حدّر رسوله أن يعلم بذلك أحد. فنفذ
المولى إليه و أعلمه ما أمره به، و أمره بالكتمان و حدّره أن يقف على
مقصده أحد، ففعل. و خرج به إلى الشام، فلمّا قدم أنزله المولى منزله
المولى منزله و أعلم سليمان بمكانه؛ فدعا به ليلا فقال: ويحك ما خبرك؟
فقال: جبيت من القبل مرّة أخرى يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تجبني
المرّة من الدّبر؟! فضحك و قال: اعزب أخراك الله! ثم قال له: غنّ. فقال: لا
أحسن إلّا بالدّفّ. فأمر فأتي له بدفّ؛ فغنّى في شعر العرجي: أ في رسم
دار دمعك المتحدّر # سفاها و ما استنطاق ما ليس يخبر

تغيّر ذاك الربع من بعد جدّة # و كلّ جديد مرّة متغيّر

[1] فيء، ط، ب: «و وامقه» .

[2] الزرابي: البسط. و قيل: كل ما بسط و اتكئ عليه. و النمارق:
الوسائد.

[3] الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود.

[4] في ح: «الروض الأثيث» . و الأثيث: الكثير العظيم.

[5] الجوّ و الخبتان: كلاهما موضع.

[6] الأقرب أن يكون «بيض عقائقه» مرتبطا بالموضع الذي قبله، و أن يكون المراد بالعقائق: النهاء (جمع نهي بكسر أوّله و فتحه) الغدران في الأخاديد المنعقة (العميقة) .

لأسماء إذ قلبي بأسماء مغرم # و ما ذكر أسماء الجميلة مهجر /
 و ممشى ثلاث بعد هده[1]كواعب # كمثل الدمي بل هنّ من ذاك أنضر
 فسلمن تسليما خفياً و سقطت # مصاعبة[2]طلع من السير حسر
 لها أرج من زاهر البقل و الثرى # و برد إذا ما باشر الجلد يخصر[3]
 فقالت لتربيتها الغداة تبقياً[4] # بعين و لا تستبعدا حين أبصر
 /و لا تظهرها برديكما و عليكما # كساءان من خرّ بنقش[5]وأخضر
 فعديّ فما هذا العتاب بنافع # هواي و لا مرجي الهوى حين يقصر

فقال له سليمان: حقّ لك يا دلال أن يقال لك الدلال! أحسنت و
 أجملت! فوالله ما أدري أيّ أمريك أعجب: أ سرعة جوابك و جودة فهمك أم
 حسن غنائك، بل جميعا عجب! و أمر له بصلة سنّية. فأقام عنده شهرا يشرب
 على غنائهم، ثم سرّحه إلى الحجاز[مكرما][6].

قصته مع شامي من قواد هشام أراد أن يتزوّج من المدينة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعيّ قال: حجّ
 هشام بن عبد الملك، فلما قدم المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام و
 قوادهم بجنب[7]دار الدلال، فكان الشاميّ يسمع غناء الدلال و يصغي إليه و
 يصعد فوق السطح ليقرب من الصوت؛ ثم بعث إلى الدلال: إمّا أن تزورنا و
 إمّا أن نزورك؛ فبعث إليه الدلال: بل تزورنا. فتهيأ الشاميّ[8]و مضى إليه، و
 كان للشاميّ غلمان روقة[9]، فمضى معه بسلامين منهم كأنهما درّتان. فغناه
 الدلال: قد كنت أمل فيكم أملا # و المرء ليس بمدرك أمله

حتّى بدا لي منكم خلف # فزجرت قلبي عن هوى جهله[10]

ليس الفتى بمخلّد أبدا # حقًا و ليس بفائت أجله

[1]الهدء: الهزيع من الليل، و قيل: من أوّله إلى ثلثه و ذلك ابتداء
 سكونه.

[2]مصاعبة: جمع مصعب و هو الفحل الذي تركته فلم تركبه و لم
 يمسه جبل حتى صار صعبا.

[3]يخصر: يبرد.

[4]كذا في م. و تبقيا بعين أي انتظرا بمرأى مني؛ يقال: بقاه و بقّاه و
 أبّاه و تبّاه، كله بمعنى انتظره. في ء، ط: «فقالت لتربيتها فديت تنقبا #
 بعين...»

. و في سائر النسخ:

«فقلت لتربيتها العداة تنقبا # لعين...» .

[5] في ح، ء، ط: «بنفس» .

[6] زيادة عن ء، ط، م.

[7] كذا في م. و في سائر النسخ: «تحت» .

[8] في م: «فبعث الشامي بما يصلح و مضى إلخ» .

[9] الروقة: الحسان؛ يقال: غلمان روقة و جارية روقة.

[10] في ح، م:

فزجرت قلبي فارعوى جهله

حيّ العمود و من بعقوته[1] # وقفا العمود و إن جلا أهله[2]

قال: فاستحسن الشاميّ غناه، و قال له: زدني؛ فقال: أ و ما يكفيك ما سمعت؟ قال: لا و الله ما يكفيني.

قال: فإنّ لي إليك حاجة. قال: و ما هي؟ قال: تبيعي أحد هذين الغلامين أو كليهما. قال: اختر أيّهما شئت؛ فاختر أحدهما. فقال الشاميّ: هو لك؛ فقبله الدّلال، ثم غنّاه: دعنتي دواع من أربّا فهيجت # هوى كان قدما من فؤاد طروب

لعلّ زمانا قد مضى أن يعود لي # فتغفر أروى عند ذاك ذنوبي

سبتني أربّا يوم نعف محسّر[3] # بوجه جميل للقلوب سلوب

فقال له الشاميّ: أحسنت! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي إليك حاجة. قال: و ما هي؟ قال: أريد وصيفة ولدت في حجر صالح، و نشأت في خير، جميلة الوجه مجدولة، وضيئة، جعدة[4]، في بياض مشربة حمرة، حسنة القامة، سبطة[5]، أسيلة الخدّ، /عذبة اللسان، لها شكل و دلّ، تملأ العين و النفس. فقال له الدّلال: قد أصبتها لك، فما لي عليك إن دلتك؟ قال: غلامي هذا. قال: إذا رأيتها و قبلتها[6] فالغلام لي؟ قال نعم. فأتى امرأة كنى عن اسمها، فقال لها: جعلت فداك! إنّه نزل بقربي رجل من أهل الشام من قوّاد هشام له ظرف و سخاء، و جاءني زائرا فأكرمته، و رأيت معه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة و القمر المنير و الكواكب الزاهرة، ما وقعت عيني على مثلهما و لا ينطلق لساني بوصفهما، فوهب لي أحدهما و الآخر عنده؛ و إن لم يصل إليّ فنفسى خارجة. قالت: فتريد ما ذا؟ قال: طلب منّي و صيفة يشتريها على صفة لا أعلمها في أحد إلاّ في فلانة بنتك، فهل لك أن تربها له؟ قالت: و كيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها؟ قال: فأني قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع. قالت: فشأنك و لا يعلم/أحد بذلك. فمضى الدلال فجاء الشاميّ معه. فلمّا صار إلى المرأة أدخلته، فإذا هو بحجلة[7] و فيها امرأة على سرير مشرف برزة جميلة، فوضع له كرسيّ فجلس. فقالت له: أ من العرب أنت؟ قال نعم. قالت: من أيّهم؟ قال: من خزاعة. قالت: مرحبا بك و أهلا، أيّ شيء طلبت؟ فوصف الصفة؛ فقالت: أصبتها، و أصغت[8] إلى جارية لها فدخلت فمكثت هنيهة ثم خرجت؛ فنظرت إليها المرأة فقالت لها: أيّ حبيبتي، اخرجي؛ فخرجت و صيفة ما رأى الرّاءون مثلها. فقالت لها: أقبلني فأقبلت، ثم قالت لها: أدبري، فأدبرت تملأ العين و النفس؛ فما بقي منها شيء إلاّ وضع يده عليه. فقالت: أ تحبّ أن نوّزرها

لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيبتي ائتزري، فضمّها الإزار و ظهرت محاسنها الخفيّة، و ضرب بيده على عجزتها و صدرها. ثم قالت: أ تحبّ أن [1]العقوة: الساحة.

[2]كذا في جميع الأصول. و فيه إقواء.

[3]النعف: المرتفع من الأرض في اعتراض. و قيل: ما انحدر عن السفح و غلظ و كان فيه صعود و هبوط. (و محسر بالضم فالفتح و كسر السين المشدّدة) : موضع بين مكة و عرفة، و قيل: بين منى و عرفة، و قيل: بين منى و المزدلفة.

[4]الجعدة: التي في شعرها جعودة.

[5]كذا في أكثر الأصول؛ يقال: غلام سبط الجسم أي حسن القدّ لطيفه. و في ء، ط: «شاطّة» أي حسنة القوام في اعتدال.

[6]كذا في: ح. و في سائر الأصول: «قلبتها» .

[7]الحجلة: بيت يزين بالثياب و الأسرّة و الستور.

[8]أي مالت إليها برأسها.

/نجردها لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيتي وصّحي؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة. فقالت: يا أبا أهل الشام كيف رأيت؟ قال: منية [1] المتمني. قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يوم النظر يوم البيع، ولكن تعود غدا حتى نباعك و لا تنصرف إلا على الرضا، فانصرف من عندها. فقال له الدّلال: أَرْضَيْتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا؛ فإن الصفة لتقصر دونها. ثم دفع إليه الغلام الثاني. فلمّا كان من الغد قال له الشاميّ: امض بنا، فمضيا حتّى قرعا الباب؛ فأذن لهما، فدخلوا و سلما، و رجّبت المرأة بهما، ثم قالت للشاميّ: أعطنا ما تبذل؛ قال: ما لها عندي ثمن إلا و هي أكبر منه، فقولني يا أمة الله. قالت: بل قل؛ فإنّا لم نوطئك أعقابنا و نحن نريد خلافاً و أنت لها رضا. قال: ثلاثة آلاف دينار. فقالت: و الله لقبله من هذه خير من ثلاثة آلاف دينار.

قال: بأربعة آلاف دينار. قالت: غفر الله لك! أعطنا أيها الرجل. قال: و الله ما معي غيرها- و لو كان لزدتك- إلا رقيق و دوابّ و خرثيّ [2] أحمله إليك. قالت: ما أراك إلا صادقا، أتدري من هذه؟ قال: تخبريني. قالت: هذه ابنتي فلانة بنت فلان، و أنا فلانة بنت فلان، و قد كنت أردت أن أعرض عليك و صيفة عندي، فأحببت إذا رأيت غدا غلظ أهل الشام و جفاءهم، ذكرت ابنتي فعلمت أنّكم في غير شيء، قم راشدا. فقال للدّلال: خدعتني! قال: أو لا ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها و تهب مائة غلام مثل غلامك؟ قال: أمّا هذا فنعم. و خرجا من عندها.

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر صوت

قد كنت آمل فيكم أملا # و المرء ليس بمدرك أمله

حتّى بدا لي منكم خلف # فزجرت قلبي عن هوى جهله

الشعر للمغيرة بن عمرو بن عثمان. و الغناء للدّلال، و لحنه من القدر الأوسط من الثقل الأوّل بالبنصر في مجراها؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا. و ذكر عليّ بن يحيى المنجم أنّ هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج، و أنّ لحن الدّلال خفيف [3] ثقيل نشيد. و ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لحن الدّلال ثاني ثقيل بالوسطى، و لحن ابن سريج ثقيل أوّل. و فيه / لميّم و عريب خفيفا [4] ثقيل، المطلق المسجح منهما لعريب.

و منها:

صوت

دعتني دواع من أريّا فهيجت # هوى كان قدما من فؤاد طروب

سبتني أريّا يوم نعف محسّر # بوجه صييح للقلوب سلوب

لعلّ زمانا قد مضى أن يعود لي # و تغفر أروى عند ذاك ذنوبي

[1] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «منتهى المتمني» .

[2] الخرئي: متاع البيت و أثاثه، و هو أيضا أردأ المتاع.

[3] في حـ: «ثاني ثقيل» .

[4] في حـ: «خفيف ثقيل» . .

الغناء للدلال خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه، و ذكر يحيى المكيّ أنه لابن سريج.

غنى نائلة بنت عمار الكلبى فأجازته:

أخبرني الحسين [1] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قبيصة قال:

/جاء الدلال يوما إلى منزل نائلة بنت عمّار الكلبى، و كانت عند معاوية فطلّقها، ففرع الباب فلم يفتح له؛ فغنى في شعر مجنون بني عامر و نقر [2] بدقه: خليلي لا و الله ما أملك البكا # إذا علم من أرض ليلى بدا ليا

خليلي إن بانوا بليلى فهيتا # لي التّعش و الأكفان و استغفرا ليا

فخرج حشمها فزجروه و قالوا: تنحّ عن الباب. و سمعت الجليلة فقالت: ما هذه الصّحّة بالباب؟ فقالوا: الدّلال. فقالت: ائذنوا له. فلمّا دخل عليها شقّ ثيابه و طرح التراب على رأسه و صاح بويله و حربه؛ فقالت له: الويل و بلك! ما دهاك؟ و ما أمرك؟ قال: ضربني حشمك. قالت: و لم؟ قال: غنيت صوتا أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك؛ فقالت: أفّ لهم و تفّ! نحن نبلغ لك ما تحبّ و نحسن تأديبهم. يا جارية هاتي ثيابا مقطوعة. فلمّا طرحته عليه جلس. فقالت: ما حاجتك؟ قال: لا أسألك حاجة حتّى أغنيك. قالت: فذاك إليك؛ فاندفع يغني شعر جميل: ارحميني فقد بليت فحسبي # بعض ذا الدّاء يا بثينة حسبي

لامني فيك يا بثينة صحتي # لا تلوموا قد أفرح الحبّ قلبي

زعم الناس أنّ دائي طيّبي # أنت و الله يا بثينة طيّبي [3]

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: عليّ بالمائدة؛ فأتي بها كأنها كانت مهية عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شراب؟ قالت: أمّا نبيذ فلا، و لكن غيره. فأتي بأنواع الأشربة، فشرب من جميعها. ثم قال: هل من فاكهة؟ فأتي بأنواع الفواكه فتفكّه، ثم قال: حاجتي خمسة آلاف درهم، و خمس/حلل من حلل معاوية، و خمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة، و خمس حلل من حلل التّعمان بن بشير. فقالت: و ما أردت بهذا؟ قال: هو ذاك، و الله ما أرضى ببعض دون بعض، فإنّما الحاجة و إما الرّدّ. فدعت له بما سأل، فقبضه و قام. فلمّا توسّط الدار غنى و نقر بدقه: ليت شعري أ جفوة أم دلال # أم عدوّ أتى بثينة بعدي

فمريني أطلعك في كلّ أمر # أنت و الله أوجه الناس عندي

- [1] في ح، س، ب: «محمد بن الحسين عن حماد» .
- [2] كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «و نقر بدفه عليه» .
- [3] كذا في س، م. و في سائر الأصول:

أنت و الله يا حميتك طبي

و كانت نائلة عند معاوية، فقال لفاخته بنت قرظة[1]: اذهبي فانظري إليها، فذهبت فنظرت إليها، فقالت له: ما رأيت مثلها، و لكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن منه رأس زوجها/في حجرها. فطلقها معاوية؛ فتزوجها بعده رجلان: أحدهما حبيب بن مسلمة، و الآخر النعمان بن بشير؛ فقتل أحدهما فوضع رأسه في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خليلي لا و الله ما أملك البكا # إذا علم من أرض ليلي بدا ليا
 خليلي إن بانوا بليلى فهيتنا # لي النعش و الأكفان و استغفرا ليا
 أ مضروبة ليلي على أن أزورها # و متخذ ذنبا لها أن ترانيا
 خليلي لا و الله ما أملك الذي # قضى الله في ليلي و لا ما قضى ليا
 قضاها لغيري و ابتلاني بحبها # فهلا بشيء غير ليلي ابتلانيا

الشعر للمجنون. و الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر الهشامي أن فيه لحنا لمعبد ثقيلًا أول لا يشك فيه. قال: و قد قال/قوم: إنه منحول يحيى المكي. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامي أيضا. و فيه ليحيى المكي رمل من رواية ابنه أحمد. و فيه خفيف رمل عن أحمد بن عبيد لا يعرف صانعه.

و منها:

صوت

ليت شعري أ جفوة أم دلال # أم عدو أتى بشينة بعدي
 فمريني أطلعك في كل أمر # أنت و الله أوجه الناس عندي

الشعر لجميل. و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لعلويه خفيف ثقيل آخر. و ذكر عمرو بن بانه أن فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد. و ذكر إسحاق أن فيه رملا بالبنصر في مجراها و لم ينسبه إلى أحد، و ذكر الهشامي أنه لمالك. و فيه لمثيم خفيف رمل. و فيه لعريب ثقيل أول [بالبنصر][2]. و ذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلًا أول بالبنصر. و لمعبد فيه ثقيل أول بالوسطى. و ذكر ابن المكي أن فيه خفيف ثقيل لمالك و علويه.

غنى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن عوانة بن الحكم قال: [1] كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في الطبري (قسم أول ص 2889 طبع أوروبا) و في حا: «فرضة» بالضاد المعجمة.

[2] زيادة في ء، ط، م.

لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِهْدَاءَ [1] بِنْتَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ، كَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ عِنْدَهُ، فَجَاءَهُ الدَّلَالُ مُتَعَرِّضًا فَاسْتَأْذَنَ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ: لَقَدْ جِئْتَنَا يَا دَلالُ فِي وَقْتِ حَاجَتِنَا إِلَيْكَ. قَالَ: ذَلِكَ قَصِدْتُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: عُنْنَا؛ فَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: لَيْسَ وَقْتُ ذَلِكَ، نَحْنُ فِي شِغْلِ عَن هَذَا. فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: وَ رَبِّ/الْكَعْبَةِ لِيَعْتَبِينَ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ: هَاتِي. فَغَتَّتِي وَ نَقَرَ بِالذَّفِّ- وَ الْهُوَاجِ وَ الرَّوَاحِلِ قَدْ هَيَّئْتِي، وَ صَيَّرْتِ بِنْتَ ابْنِ جَعْفَرٍ فِيهَا مَعَ جَوَارِيهَا وَ الْمَشِيَّعِينَ لَهَا:- يَا صَاحِبَ لَوْ كُنْتَ عَالِمًا خَيْرًا # بِمَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِمَ تَلْمَهُ [2]

لا ذنب لي في مقرّط [3] حسن # أعجبتني دلّه و مبتسمه

شيمته البخل و البعاد لنا # يا حبّذا هو و حبّذا شيمه

مضمّخ بالعبير عارضه # طوبى لمن شمّه و من لثمه [4]

/-قال: و لابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدّلال-فطرب ابن جعفر و ابن أبي عتيق. و قال له ابن جعفر: زدني و طرب. فأعاد اللحن ثلاثا ثم عتّى: بكر العواذل في الصّبا # ح يلمنني و ألومه و يقلن شيب قد علا # ك و قد كبرت فقلت إنّه

و مضت بنت ابن جعفر، فأتبّعها يغنيها بهذا الشعر- و لعبد آل الهذليّ فيه لحن و هو أحسنها:- إنّ الخليط أجّد فاحتملا # و أراد غيظك بالذي فعلا

فوقفت أنظر بعض شأنهم # و النّفس مما تأمل الأملا

و إذا البغال تشدّ صافنة [5] # و إذا الحداء قد أزمعوا الرّحلا

فهناك كاد الشّوق يقتلني # لو أنّ شوقا قبله قتلا

/قدمعت عينا عبد الله بن جعفر، و قال للدّلال: حسبك! فقد أوجعت قلبي! و قال لهم: امضوا في حفظ الله على خير طائر و أيمن نقيبة.

[1] الإهداء: الزفاف.

[2] لم تلمه، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء؛ كقوله:

عجبت و الدهر كثير عجه # من عنزيّ سبني لم أضربه

نقل ضمة الهاء إلى الباء.

[3] كذا في ء، ط. و المقرط: المتحلى بالقرط. و في سائر الأصول:
«مقرطق» . و المقرطق: لابس القرطق، و هو قباء ذو طاق واحد.

[4] لثمه، أصل ميمه الفتح، فنقلت إليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم؛
لأنهم يجيزون في الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله؛
كقوله: «من يَأتمر بالخير فيما قصده» .

[5] تشدُّ: تهبأ عليها الرحال. و الصافن من الخيل و نحوه: القائم على
ثلاث قوائم و قد أقام الرابعة على طرف الحافر.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

بكر العواذل في الصِّبا # ح يلمني و أومهته
و يقلن شيب قد علا # ك و قد كبرت فقلت إته
لا بدّ من شيب فدع # ن و لا تطلن ملامكته
يمشين كالبقر الثقا # ل عمدن نحو مراحته [1]
يحفين في الممشى القرب # ب إذا يردن صديقته

الشعر لابن قيس الرقيّات. و الغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أوّل
بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه ثقيل أوّل للغريض عن
الهشاميّ. و فيه خفيف ثقيل آخر بالوسطى ليعقوب بن هبار عن الهشاميّ و
دانير، و ذكر حبش أنّه ليعقوب.
و منها:

صوت

إنّ الخليط أجّد فاحتملا # و أراد غيظك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء للغريض ثقيل أوّل بالسبابة عن
يحيى المكي. و فيه ليحيى أيضا ثقيل أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه، و
ذكر حبش أنّ هذا اللحن لبسباسة بنت معبد.

سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغناه فأجازه:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقفيّ قال:
كان للدلال صوت يغني به و يجيده، و كان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه
و أعطاه مائة دينار ففعل، و هو قول عمر:

صوت

أ لم تسأل الأطلال و المترّعا # بيطن حلّيات دوارس بلقعا [2]
إلى السرح من وادي المغمّس بدلت # معالمه و بلا و نكباء زعزعا
و قرّين أسباب الهوى لمتمّم # يقيس ذراعا كلّما قسن إصبعها
/فقلت لمطريهنّ في الحسن إنّما # ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

- [1] المراح (بالضم) : مأوى الإبل و البقر و الغنم.
- [2] تقدّم هذا الشعر و التعليق عليه في صفحتي 131، 176 من الجزء الأول من هذه الطبعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء للغريض فيه لحنان: أحدهما في الأول و الثاني من الأبيات ثقيل أول بالنصر عن عمرو، و الآخر في الثالث و الرابع ثاني ثقيل بالنصر. و في هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق. و في الأول و الثاني للهدلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. و فيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضا. و قال يونس: لمالك فيه لحنان، و لمعبد لحن واحد.

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرية قال: كُنا نعرف للدلال صوتين عجيبين، و كان جرير يغني بهما فأعجب من حسنهما. فأخذتهما عنه و أنا أغني بهما.

فأما أحدهما فإنه يفرح القلب. و الآخر يرقص كل من سمعه. فأما الذي يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضا لحن حسن و هو: /

و لقد جرى لك يوم سرحة [1]مالك # مما تعيف سانح و بريح
أحوى القوادم بالبياض ملّمع # قلق المواقع بالفراق يصيح
الحبّ أبغضه إليّ أقله # صرّح بذاك فراحتي التصريح
بانة عويمة [2]فالفؤاد قريح # و دموع عينك في الرداء سفوح

و الآخر:

كلّما أبصرت وجهها # حسنا قلت خليلي
فإذا ما لم يكنه # صحت ويلي و عويلي
فصلي جبل محبّ # لكم جدّ وصول
و انظري لا تخذليه # إنّه غير خذول

نسبة هذين الصوتين

للدلال في الشعر الأول الذي أوّله:

و لقد جرى لك يوم سرحة مالك

خفيف ثقيل بالوسطى. و فيه لابن سريج ثقيل أول عن الهشامي. و قال حبش: إنّ للدلال فيه لحنين: خفيف ثقيل أول [3] و خفيف رمل. و أول خفيف الرّمل: بانة عويمة فالفؤاد قريح

و ذكر أنّ لحن ابن سريج ثاني ثقيل، و أنّ لابن مسجح فيه أيضا خفيف
ثقيل.

[1] في ء، ط، م: «سرحة رائع» .

[2] في ء، ط: «عوينة» .

[3] كلمة «أوّل» ساقطة في ط، ء.

و الصوت الثاني الذي أوّله:

كلّما أبصرت وجهها # حسنا قلت خليلي

/الغناء فيه لعطرّد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش، و يقال إنّه للدّلال.
و فيه ليونس خفيف رمل. و فيه لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر
عن عمرو.

شرب النبيذ و كان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزّبيريّ
قال: كان الدّلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قوم إلى متنّزه لهم و معهم نبيذ،
فشربوا و لم يشرب منه، و سقوه عسلا مجدوحا[1]، و كان كلّما تغافل
صيّروا في شرابه النبيذ فلا ينكره، و كثر ذلك حتّى سكر و طرب، و قال:
اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل، و غنّاهم في شعر الأحوص: طاف
الخيال و طاف الهمّ فاعتكرا # عند الفرائش فبات الهمّ محتضرا[2]

أراقب النّجم كالحيوان مرتقبا # و قلّص النوم عن عينيّ فانشمرا

/من لوعة أورثت فرحا على كبدي # يوما فأصبح منها القلب منفطرا

و من بيت مضمرا همّا كما ضمنت # منّي الصّلوع بيت مستبطنا غيرا

فاستحسنه القوم و طربوا و شربوا. ثم غنّاهم:

طربت و هاجك من تذكّر # و من لست من حبه تعذّر

فإن نلت منها الذي أرتجي # فذاك لعمري الذي أنتظر

و إلّا صبرت فلا مفحشا # عليها بسوء و لا مبتهر[3]

-لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش. قال: و
ذكر قوم أنّه للغريض-.

/قال: و سكر حتّى خلع ثيابه و نام عريانا، فغطّاه القوم بثيابهم و
حملوه إلى منزله ليلا فنؤمّوه و انصرفوا عنه.

فأصبح و قد تقيّاً و لوّث ثيابه بقيئه، فأنكر نفسه، و حلف ألاّ يغنّي أبدا و
لا يعاشر من يشرب النبيذ؛ فوفى بذلك إلى أن مات. و كان يجالس
المشيخة و الأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس و أيّامهم حتى قضى
نحبه.

[انقضت[4]أخبار الدلال].

[1]المجدوح: المخلوط.

[2]في ء، ط:

طاف الخيال و طال الليل فاعتكرا # عند الفراش فأب الهم محتضرا

و اعتكر الليل: اشتدّ سواده. و اعتكر أيضا: اختلط. و محتضرا: حاضرا؛
يقال: حضر الهمّ و احتضر.

[3]الابتهار: قول الكذب و الحلف عليه. و في جميع الأصول: «منتهر»
بالنون.

[4]زيادة عن م.

و مما في شعر الأحوص من المائة المختارة صوت من المائة المختارة

يا دين[1] قلبك منها لست ذاكرها # إلا ترقرق ماء العين أو دمعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني # حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
لا أستطيع نزوعا عن محبتّها # أو يصنع الحبّ بي فوق الذي صنعا
كم من دنبي[2] لها قد صرت أتبعه # و لو سلا القلب عنها صار لي تبعها
و زادني كلفا في الحبّ أن منعت[3] # و حبّ شيء إلى الإنسان ما منعا[4]

/الشعر للأحوص. و الغناء ليحيى بن واصل المكيّ، و هو رجل قليل الصنعة غير مشهور، و لا وجدت له خيرا فأذكره. و لحنه المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. و ذكر يونس أنّ فيه لحنا لمعبد و لم يجنّسه.

محبوبة الأحوص في كبرها:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا مطرّف بن عبد الله المدني[5] [قال] حدّثني أبي عن جدّي قال: بينا أطوف بالبيت و معي أبي، إذا بعجوز كبيرة يضرب أحد لحييها الآخر. فقال لي أبي: أ تعرف هذه؟ قلت: لا، و من هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سلّم ليت لسانا تنطقين به # قبل الذي نالني من حبّكم قطعاً
يلومني فيك أقوام أجالسهم # فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

[1] المراد بالدين هنا الداء؛ قال الشاعر:

يا دين قلبك من سلمى و قد دينا

قال المفضل: معناه يا داء قلبك القديم. و قال اللحياني: المعنى يا عادة قلبك. (انظر «اللسان» «و شرح القاموس» مادة دين).

[2] الدنى (بالهمز و بتشديد الياء بدون همز): الخسيس الحقير.

[3] يحتمل أن يكون «منعت» مبنياً للفاعل أو للمفعول.

[4] أورد النحويون هذا البيت شاهداً على أن «حب» أفعل تفضيل حذفتم همزته مثل خير و شر، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير و الحذف في أحب قليل. و في «اللسان» (مادة حب): «و أنشد الفراء: و زاده كلفا في الحب أن منعت # و حب شيئاً إلى الإنسان ما منعا

قال: و موضع «ما» رفع، أراد حيب فأدغم» .

[5] في جميع الأصول: «الهدلي» و هو تحريف (انظر الحاشية رقم 2
صفحة 29 من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني # حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

قال: فقلت له: يا أبت، ما أرى أنه كان في هذه خير قط. فضحك ثم قال: يا بني هكذا يصنع الدهر بأهله.

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا أبو خويلد [1] مطرف بن عبد الله المدني [2] عن أبيه، و لم يقل عن جدّه، و ذكر الخبر مثل الذي قبله.

صوت من المائة المختارة

كالبيض بالأدحيّ يلمع في الصّحى # فالحسن حسن و التّعيم نعيم

حلّين من [3] درّ البحور كأنّه # فوق التّحور إذا يلوح نجوم

الأدحيّ: المواضع التي يبيض فيها التّعام، و احدثها أدحيّة [4]. و ذكر أبو عمرو [5] الشّيبانيّ أنّ الأدحيّ البيض نفسه. و يقال فيه أدحيّ و أداح [6] أيضا.

الشعر لطريح بن إسماعيل الثّقفيّ. و الغناء لأبي سعيد مولى فائد، و لحنه المختار من الثّقل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه للهدليّ خفيف ثقيل من رواية الهشاميّ. و قد سمعنا من يغنيّ فيه لحنا من خفيف الرّمل، و لست أعرف لمن هو.

[1] كذا في أكثر النسخ. و في م: حدّثنا أبو خويلد عن مطرف... إلخ) و ليس في ترجمة مطرف بن عبد الله أنه يكنى أبا خويلد بل كنيته أبو مصعب. و ليس هناك من الرواة من يسمى أبا خويلد يروي عنه إبراهيم بن المنذر و يروي هو عن مطرف، حتى نرجح ما في م.

[2] في جميع الأصول: «الهدليّ» و هو تحريف (انظر الحاشية رقم 2 صفحة 29 من الجزء الأول من هذه الطبعة).

[3] فيء، ط: «حلّين مرجان البحور» .

[4] ظاهر كلام المؤلّف في تفسير الأدحيّ أنه جمع. و الذي في «لسان العرب» «و القاموس و شرحه»: أن الأدحيّ. و الأدحية (بضم الهمزة فيهما و كسرهما) و الأدحوّة: مبيض النعام في الرمل، و جمع الكلّ: الأداحيّ و مثلها مدحي (وزان مسعى) .

[5] في ب، س: «أبو عمر» و هو تحريف.

[6] لعله على حذف الياء من «أفاعيل» و إلا فحقه «أداحي» .

48- ذكر طريق و أخباره و نسبه

نسبه:

هو-فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه عن ابن الكلبيّ في كتاب النسب إجازة، و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيوب المدنيّ عن ابن عائشة و محمد بن سلام و مصعب الزبيريّ، قال: -طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزّي بن عنزة بن عوف بن قسيّ- و هو ثقيف-بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

ثقيف و الخلاف في نسبه:

قال ابن الكلبيّ: و من النسّابين من يذكر أنّ ثقيفا هو قسيّ بن منبه بن الثبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعميّ بن إيد بن نزار. و يقال: إنّ ثقيفا كان عبدا لأبي رغال، و كان أصله من قوم نجوا من ثمود، فانتمى بعد ذلك إلى قيس. و روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه و كرم وجهه: أنّه مرّ بثقيف، فتغامزوا به؛ فرجع إليهم فقال لهم: يا عبيد أبي رغال، إنّما كان أبوكم عبدا له فهرب منه، فتثقفه[1] بعد ذلك، ثم انتمى إلى قيس.

و قال الحجّاج في خطبة خطبها بالكوفة: بلغني أنّكم تقولون إنّ ثقيفا من بقيّة ثمود، ويلكم! و هل نجا[2] من ثمود إلّا خيارهم و من آمن بصالح فبقي معه عليه السّلام! ثم قال: قال الله تعالى: (وَ ثُمُودَ فَمَّا أَبْقَى) . فبلغ ذلك الحسين البصريّ: فتصاحك ثم قال: حكم لكع لنفسه، إنّما قال عزّ و جلّ: (فَمَّا أَبْقَى) أي لم يبقهم بل أهلكهم.

فرفع ذلك إلى الحجّاج فطلبه، فتواری عنه حتى هلك الحجّاج. و هذا كان سبب تواريه منه. ذكر ابن الكلبيّ أنّه بلغه عن الحسن.

/و كان حمّاد الراوية يذكر أنّ أبا رغال أبو ثقيف كلّها، و أنّه من بقيّة ثمود، و أنّه كان ملكا بالطائف، فكان يظلم رعيّته. فمرّ بامرأة ترضع صبيّا يتيما بلبن عنز لها، فأخذها منها، و كانت سنة مجدبة؛ فبقي الصبيّ بلا مرضعة[3] فمات، فرماه الله بقارعة فأهلكه، فرجمت العرب قبره، و هو بين مكة و الطائف. و قيل: بل كان قائد الفيل و دليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، فدفن بين مكة و الطائف؛ فمرّ النبيّ صلى الله عليه و سلّم بقبره، فأمر برجمه فرجم؛ فكان ذلك سنة.

[1]نقفه: أدركه و ظفر به.

[2] في ء، ط: «و هل بقي» .

[3] المرضع: المرأة لها ولد ترضعه، و لا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها في المعنى؛ لأنها خاصة بالإناث كما في طالق. فإذا أَلْقَمَتِ الصَّبِيَّ ثَدْيَهَا فهي مرضعة (بالهاء) . قال أبو زيد في قوله تعالى: **(تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)** هي التي ترضع و ثديها في في ولدها.

قال ابن الكلبيّ و أخبرني أبي عن أبي صالح[1] عن ابن عباس قال:

كان ثقيف و التّخع من إياد؛ فثقيف قسيّ بن منبّه بن التّبيت بن/يقدم بن أقصى بن دعيّ بن إياد. و التّخع[2] ابن عمرو بن الطّمنان بن عبد مناة بن يقدم بن أقصى، فخرجا و معهما عنز لهما ليون يشربان لبنها، فعرض لهما مصدّق[3] للملك اليمن فأراد أخذها؛ فقالا له: إنّما نعيش بدرّها؛ فأبى أن يدعها؛ فرماه أحدهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنّه لا يحملني و إيّاك أرض فأما التّخع فمضى إلى بيشة[4] فأقام بها/و نزل القسيّ موضعا قريبا من الطّائف؛ فرأى جارية ترعى غنما لعامر بن الطّرب العدوانيّ، فطمع فيها، و قال: أقتل الجارية ثم أحوي الغنم.

فأنكرت الجارية منظره، فقالت له: إني أراك تريد قتلي و أخذ الغنم، و هذا شيء إن فعلته قتلت و أخذت الغنم منك، و أظنك غريبا جائعا؛ فدلته علي مولاها. فاتاه و استجار به فزوّجه بنته، و أقام بالطّائف. فقيل: لله درّه ما أثقفه حين ثقف عامرا فأجاره. و كان قد مرّ بيهوديّة بوادي[5] القرى حين قتل المصدّق، فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطّائف فأطعمته و نفعته.

قال ابن الكلبيّ في خبر طويل ذكره: كان قسيّ مقيما باليمن، فضاقت عليه موضعه و نبا به، فأتى الطّائف-و هو يومئذ منازل فهم و عدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان-فانتهى إلى الطّرب العدوانيّ، و هو أبو عامر بن الطّرب، فوجده نائما تحت شجرة، فأيقظه و قال: من أنت؟ قال: أنا الطّرب. قال: عليّ أليّة إن لم أقتلك أو تحالفني[6] و تزوّجني ابنتك، ففعل. و انصرف الطّرب و قسيّ معه، فلقيه ابنه عامر بن الطّرب فقال: من هذا معك يا أبت؟ فقصّ قصّته. قال عامر: لله أبوه! لقد ثقف أمره؛ فسّمّي يومئذ ثقيفا. قال: و غير الطّرب تزوجه[7] قسيّا، و قيل: زوّجت عبدا. فسار إلى الكهّان يسألهم، فانتهى إلى شقّ/ابن صعب[8] البجليّ و كان أقربهم منه. فلما انتهى إليه قال: إنّنا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسيّ، و قسيّ عبد إياد، أبق ليلة الواد[9]، في وجّ [10] ذات الأنداد، فوالى سعدا ليفاد[11]، ثم لوى بغير معاد. (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر). قال: ثم توجّه إلى سطيح الدّبّيّ (حيّ [11] هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب و يقال له باذان أو باذام، و هو الذي يروي عنه ابن الكلبيّ و يروي هو عن ابن عباس.

(راجع «تهذيب التهذيب» .)

[2] في «صبح الأعشى» (ج 1 ص 327) «و أنساب السمعاني» في الكلام على النخع: «النخع و اسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج». و في كتاب «الاشتقاق» لابن دريد: «فمن بني علة النخع قبيلة و أخوه جسر». و في كتاب «المعارف» لابن قتيبة: «فولد علة عمرا، فولد عمرو جسرا و كعبا. فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو» .

[3]المصدق: عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها.

[4]بيشة: قرية باليمن.

[5]وادي القرى: واد بين المدينة و الشام كثير القرى، فتحه النبي صلّى الله عليه و سلّم عنوة سنة سبع من الهجرة، ثم صالح أهله على الجزية.

[6]كذا في م. و في ء، ط: «أ و تحالفني لتزوّجني» . و في سائر النسخ: «أ و تحلف لي لتزوّجني» .

[7]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «بتزويجه» . قال في «المصباح» : «و غيرته كذا و غيرته به: قبخته عليه و نسبته إليه، يتعدّى بنفسه و بالياء؛ قال المرزوقي في «شرح الحماسة» : «و المختار أن يتعدّى بنفسه؛ قال الشاعر: أ عيّرتنا ألبانها و لحومها # و ذلك عار يا بن ربيعة ظاهر»

[8]كذا في ء، ط، و هو الموافق لما في الطبري (قسم 1 ص 911-914) . و في سائر الأصول: «مصعب» و هو تحريف.

[9]في جميع الأصول: «الوادي» و الوادي يكون في الوقف بالياء و بدونها؛ و قد حذفنا هاهنا للسجع؛ لأن السجع وقف. على أنه قد يكتفي في «الوادي» بالكسرة عن الياء. (راجع الحاشية رقم 7 ص 215 من هذا الجزء) .

[10]وَجَّ: اسم واد بالطائف.

[11]ليفاد: ليطلق. و أصله ليفادي من المفاداة، حذف منه الحرف الأخير لالتزام السجع. -

من غَسَّان، و يقال: إِيَّهم حيٌّ من قضاة نزول في غَسَّان) ، فقال: إِيَّا جَنَّاك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسيِّ، و قسيِّ من ولد ثمود القديم، ولدتَه أمُّه بصحراءٍ بريم[1]، فالتقطه إِيَاد و هو عديم، فاستعبده و هو مليم[2]. فرجع الظُّرب و هو لا يدري ما يصنع في أمره، و قد وكَّد عليه في الحلف و التزويج؛ و كانوا على كفرهم يوفون بالقول.

فلهذا يقول من قال: إِيَّ ثقيفا من ثمود؛ لأن إِيَادا من ثمود.

قال: و قد قيل: إِيَّ حربا كانت بين إِيَاد و بين قيس، و كان رئيسهم عامر بن الظُّرب، فظفرت بهم قيس، فنفتهم إلى ثمود و أنكروا أن يكونوا من نزار.

قال: و قال عامر بن الظُّرب في ذلك:

قالت إِيَاد قد رأينا نسا # في ابني نزار و رأينا غلبا

سيرى إِيَاد قد رأينا عجا # لا أصلكم منّا فسامي الطُّلبا

دار ثمود إذ رأيت السُّببا

قال: و قد روي عن الأعمش أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال[3] على المنبر بالكوفة و ذكر ثقيفا: لقد هممت أن أضع على ثقيف الجزية؛ لأنَّ ثقيفا كان عبدا لصالح/نبيِّ الله عليه السَّلام، و إِيَّه سرَّحه إلى عامل له على الصدقة، فبعث العامل معه بها، فهرب و استوطن الحرم، و إنَّ أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما و سلم، و إِيَّي أشهدكم أنِّي قد رددتهم إلى الرِّقِّ.

قال: و بلغنا أن ابن عباس قال، و ذكر عنده ثقيف، فقال: هو قسيِّ بن منبّه، و كان عبدا لامرأة صالح نبيِّ الله صلى الله عليه و سلم، و هي الهيجمانه بنت سعد، فوهبته لصالح، و إِيَّه سرَّحه إلى عامل له على الصدقة؛ ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. و قال فيه: إِيَّه مرَّ برجل معه غنم و معه ابن له صغير ماتت أمُّه فهو يرضع من شاة ليست في الغنم لبون غيرها، فأخذ الشاة؛ فناشده الله، و أعطاه عشرا فأبى، فأعطاه جميع الغنم فأبى.

فلما رأى ذلك تنحَّى، ثم نثل[4] كنانته فرماه ففلق قلبه؛ فقيل له: قتلت رسول رسول الله صالح. فأتى صالحا فقصَّ عليه قصَّته؛ فقال: أبعده

اللَّهِ! فقد كنت أنتظر هذا منه؛ فرجم قبره، فألى [5]اليوم و الليلة يرحم، و هو أبو رغال.

قال: و بلغنا عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال: «هذا قبر أبي رغال و هو أبو ثقيف كان في الحرم فمنعه الله عز و جل، فلما خرج منه رماه الله و فيه عمود من ذهب»؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

/قال: و روى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سئل عن جرهم: هل بقي منهم أحد؟ قال: ما أدري، غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف في قيس عيلان، و بنو لجا في طييء، و الطفاوة في بني أعصر.

[1]كذا في م، ح. و يريم: موضع بنجد و واد بالحجاز قرب مكة. و في سائر الأصول: «تريم» بالتاء المثناة من فوق. و تريم: إحدى مدينتي حزموت و المدينة الأخرى شبام.

[2]ألام الرجل: فعل ما يلام عليه.

[3]في ح: «قام» .

[4]مثل الكنانة: استخرج ما فيها من النبل.

[5]كذا في م. و في سائر النسخ: «فرجم قبره إلى اليوم و الليلة و هو أبو رغال» .

قال عمرو بن عبيد و قال الحسن: ذكرت القبائل عند النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فقال: «قبائل تنتمي إلى العرب و ليسوا من العرب حمير من تبع و جرهم من عاد و ثقيف من ثمود» .

قال: و روي عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن حصين. فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أ تزعمان أن ثقيفا من إياد؟ قال نعم. قال: فإن إيادا من ثمود؛ فشق ذلك عليهما. فقال لهما: أ ساءكما قولي؟ قالا: نعم و الله. قال: فإن الله أنجى من ثمود صالحا و الذين آمنوا معه؛ فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن، و إن كان أبو رغال قد أتى ما بلغكما. قال له: فما اسم أبي رغال؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قسي بن منبه.

قال: و روى الزهري أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم قال: «من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يحب ثقيفا، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يبغض الأنصار» .

قال: و بلغنا عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال: «بنو هاشم و الأنصار حلفان و بنو أمية و ثقيف حلفان» .

قال: و في ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إذا التَّقِيَّ فاخركم فقولوا # هلمّ نعدّ شأن أبي رغال /

أبوكم أحيث الآباء قدما # و أنتم مشبهوه على مثال [1]

عبيد الفزر أورثهم بنيه [2] # و ولى عنهم أخرى الليالي

أم طريح و نسبها:

و أم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان [3] من خزاعة، و هم حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. و سباع بن عبد العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. و لما برز إليه سباع قال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور/- و كانت أمّه تفعل ذلك و تقبل [4] نساء قريش بمكة- فحمني وحشي [5] لقوله و غضب لسباع، فرمى حمزة بحربته فقتله-رحمة الله عليه- و قد كتب ذلك في خبر غزاة أحد في بعض هذا الكتاب.

[1] ورد هذا الشطر في «ديوان حسان» (ص 36 طبع ليدن) :

و أولاد الخبيث على مثال

[2] كذا في «ديوان حسان» . و في جميع الأصول: «أورثه» . و ورد البيت في «ديوان حسان» ضمن بيتين هما: عبيد الفزر أورثهم بنيه # و ألى لا يبيعهم بمال

و ما لكرامة حبسوا و لكن # أراد هوانهم أخرى الليالي

و الفزر: أبو قبيلة من تميم، و هو سعد بن زيد مناة بن تميم.

[3] كذا في ء، ط، م، و هو الموافق لما في «السيرة» (ص 611 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «غبشان بن خزاعة» و هو تحريف؛ لأن غبشان هو ابن سليم بن ملكان بن أقصى بن خزاعة، كما في «السيرة» .

[4] تقبل نساء قريش (كتفرح) : تتلقى أولادهن عند الولادة، و هي القابلة.

[5] يدل ما في «صحيح البخاري» على أن قتل وحشي لحمزة إنما كان بتحريض موله جبير بن مطعم؛ و ذلك أن حمزة-رضي الله تعالى عنه- كان قتل بيد طعيمة بن عدي بن الخيار عم جبير. فقال جبير لوحشي: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ. فلما بارز حمزة سباعا و قتله كان وحشي متربصا له تحت صخره، فلما دنا منه رماه بحرته فأرداه. (و الخبر مذكور في «صحيح البخاري» بتفصيل، فانظر في كتاب «المغازي» -باب قتل حمزة رضي الله عنه) .

كنيته:

و يكنى طريح أبا الصّلت؛ كني بذلك لابن كان له اسمه صلت. و له يقول: /

يا صلت إنّ أباك رهن منية # مكتوبة لا بدّ أن يلقاها
سلفت سوائفها[1] بأنفس من مضى # و كذاك يتبع باقيا أخواها
و الدهر يوشك أن يفترق ربه[2] # بالموت أو رحل تشكّ [3]نواها
لا بدّ بينكما[4] فتسمع دعوة # أو تستجيب لدعوة تدعاها

طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه:

و أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى بإجازة قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أمّ الصّلت بن طريح ماتت و هو صغير، فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمّه. و فيه يقول: بات الخيال من الصّليت مؤرّقي # يفري[5] السّراة مع الرّباب الملتق[6]

ما راعني إلاّ بياض وجهه # تحت الدّجّة[7] كالسّراج المشرق

نشأ في دولة بني أمية و أدرك دولة بني العباس و كان مدّاحا**للوليد بن يزيد و غضب عليه ثم رضي عنه:**

و نشأ طريح في دولة بني أمية، و استفرغ شعره في الوليد بن يزيد، و أدرك دولة بني العباس، و مات في أيام المهديّ [8]؛ و كان الوليد له مكرما مقدّما؛ لانقطاعه إليه و لخنولته في [9]تقيف.

فأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني أحمد بن حمّاد [10] بن الجميل عن العتيبيّ عن سهم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثّقفيّ قال: /خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه. فقلت له ذات يوم و أنا معه في مشربة [11]: يا أمير المؤمنين، خالك يحبّ أن تعلم شيئا من خلقه. قال: و ما هو؟ قلت: لم أشرب شرابا قطّ ممزوجا إلاّ من لبن أو عسل. قال: قد عرفت ذاك و لم يباعدك من قلبي. قال: و دخلت يوما إليه و عنده الأمويّون، فقال لي: إليّ يا خالي، و أقعدني إلى جانبه، ثم أتني بشراب فشرب، ثم ناولني القدح؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي [1] في ء، ط: «سوابقها» .

[2] في م: «يفرق بينهم» .

[3] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «تشب» بالباء الموحدة، و هو تصحيف.

[4] كذا في الأصول!

[5] كذا في م. و في سائر النسخ: «يقري» بالقاف.

[6] المثلث: البال؛ يقال: لثق الطائر إذا ابتل ريشه، و ألقه غيره إذا بله.

[7] الدجنة: الظلام.

[8] في ء، ط، م: «في أيام الهادي» .

[9] في ب، س: «من» .

[10] في ط: «أحمد بن محمد بن جميل» . و في ء: «أحمد بن محمد الجميل» و في م: «أحمد بن حماد بن عبد الحميد» .

[11] المشربة (بضم الراء و فتحها) : الغرفة. و في ء، ط: «و نحن في مشرقة» و المشرقة (مثلثة الراء) : موضع القعود في الشمس بالشتاء.

في الشراب. قال: ليس لذلك أعطيتك، إنما دفعته إليك لتناوله الغلام، و غضب. فرفع القوم أيديهم كأنّ صاعقة نزلت[1] على الخوان؛ فذهبت أقوم، فقال: اقعد. فلما خلا البيت افتري عليّ، ثم قال: يا عاشّ كذا و كذا! أردت أن تفضحني، و لو لا أنّك خالي لضربتك ألف سوط! ثم نهى الحاجب عن إدخاله، و قطع عني أرزاقه. فمكثت ما شاء الله. ثم دخلت عليه يوما متنكرا، فلم يشعر إلاّ و أنا بين يديه و أنا أقول: يا ابن الخلائف ما لي بعد تقربة # إليك أقصى و في حاليك لي عجب

ما لي أذاد[2] و أقصى[3] حين أقصدكم # كما توقّي من ذي العرّة[4] الجرب

كأنتي لم يكن بيني و بينكم # إلّ[5] و لا خلّة ترعى و لا نسب

لو كان بالودّ يدنى منك أزلفني # بقرتك الود و الإشفاق و الحذب

و كنت دون رجال قد جعلتهم # دوني إذ ما رأوني مقبلا قطبوا[6]

إن يسمعوا الخير يخفوه و إن سمعوا # شرّا أذاعوا و إن لم يسمعوا كذبوا

رأوا صدودك عني في اللقاء فقد # تحدّثوا أنّ حبلي منك منقضب /

فدو الشّماتة مسرور بهيظتنا # و ذو النّصيحة و الإشفاق مكتئب

قال: فتبسّم و أمرني بالجلوس فجلست. و رجع إليّ و قال: إيّاك أن تعاود. و تمام هذه القصيدة: أين الدّمامة و الحقّ الذي نزلت # بحفظه و بتعظيم له الكتب

و حوكي الشّعير أصفيه و أنظمه # نظم القلائد فيها الدّرّ و الذهب

و إنّ سخطك شيء لم أناج به # نفسي و لم يك مما كنت أكتسب

لكن أتاك بقول كاذب أثم # قوم بغوني فنالوا فيّ ما طلبوا

و ما عهدتك فيما زلّ تقطع ذا # قربي و لا تدفع الحقّ الذي يجب

و لا توجّع من حقّ تحمّله # و لا تتبّع بالتكدير ما تهب

فقد تقرّبت جهدا من رضاك بما # كانت تنال به من مثلك القرب

فغير دفعك حقّي و ارتفاعك لي # و طيّك الكشح عني كنت أحتسب

أ مشمت بي أقواما صدورهم # عليّ فيك إلى الأذقان تلتهب

قد كنت أحسب أنّي قد لجأت إلى # حرز و ألاّ يضروني و إن ألبوا[7]

[1] في ء، ط، م: «كأن صاعقة وقعت عليهم» .

[2] أذاد: أمني و أذفع.

[3] كذا في م. و في ء، ط: «و أرمي» . و في سائر النسخ: و أنهى.

[4] العرّة: الحرب.

[5] إلّ: عهد. و خلة: الصداقة.

[6] قطبوا: عبسوا و غضبوا.

[7] ألبوا: تجمعوا.

إنّ التي صنتها عن معشر طلبوا # مئى إليّ الذي لم ينجح الطلّب
 أخلصتها لك إخلص امرئ علم الأقسام أنّ ليس إلاً فيك يرتغب
 أصبحت تدفعها مئى[1] وأعطفها # عليك و هي لمن يحبى بها رغب
 فإن وصلت فأهل العرف أنت و إن # تدفع يدئى فلي بقيا و منقلب /
 إئى كريم كرام عشت في أدب # نفى العيوب و ملك[2] الشئمة الأدب
 قد يعلمون بأنّ العسر منقطع # يوما و أنّ الغنى لا بدّ منقلب
 فمالهم حبس[3] في الحقّ مرتهن # مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب
 و ما على جارهم ألاّ يكون له # إذا تكثفه أبياتهم نشب
 لا يفرحون إذا ما الدّهر طاوعهم # يوما يبسر و لا يشكون إن نكبوا
 فارقت قومي فلم أعتض بهم عوضا # و الدّهر يحدث أحداثا لها نوب

رواية المدائني في ذلك:

و أمّا المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يكرم طريحا، و كانت له منه منزلة قريبة و مكانة، و كان يدني مجلسه، و جعله أوّل داخل و آخر خارج، و لم يكن يصدر إلاّ عن رأيه. فاستفرغ مديحه كلّه و عامّة شعره فيه؛ فحسده ناس من أهل بيت الوليد. و قدم حمّاد الراوية على التّفئة[4] الشّام، فشكوا ذلك إليه و قالوا: و الله لقد ذهب طريح بالأمير[5]، فما نالنا منه ليل و لا نهار. فقال حمّاد: ابغوني من ينشد الأمير بيتين من شعر، فأسقط منزلته. فطلبوا إلى الخصيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد، و جعلوا له عشرة آلاف درهم على أن ينشدهما الأمير في خلوة، فإذا يسأله من قول من ذا؟ قال: من قول طريح؛ فأجابهم الخصيّ إلى ذلك، و علّموه البيتين. فلمّا كان ذات يوم دخل طريح على الوليد و فتح الباب و أذن للناس فجلسوا طويلا ثم نهضوا، و بقي طريح مع الوليد و هو وليّ عهد؛ ثم دعا/بغدائه فتغديا جميعا. ثم إنّ طريحا خرج و ركب إلى منزله، و ترك الوليد في مجلسه ليس معه أحد، فاستلقى على فراشه.

و اغتتم الخصيّ خلوته فاندفع ينشد:

/

سيرى ركابي إلى من تسعدين به # فقد أقمت بدار الهون ما صلحا
 سيرى إلى سيّد سمح خلائقه # ضخم الدّسيعة[6] قرم يحمل المدحا

فأصغى الوليد إلى الخصيِّ بسمعه و أعاد الخصيِّ غير مرّة؛ ثم قال الوليد: ويحك يا غلام! من قول من هذا؟ قال: من قول طريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً؛ ثم قال: وا لهفا على أمِّ لم تلدني! قد جعلته أوّل داخل و آخر [1] في ح، م: «عني» .

[2] ملك الشيمة: قوامها و معظمها.

[3] حبس (بضمّتين) : محبوس.

[4] التفئة: الحين و الزمان.

[5] كذا في ء، م، ط، و هو الصواب؛ إذ كان الوليد في ذلك الوقت وليّ

عهد.

[6] الدسيعة: العطية الجزيلة، و الجفنة الواسعة، و المائدة الكريمة.

خارج، ثم يزعم أنّ هشاما يحمل المدح و لا أحملها! ثم قال: عليّ بالحاجب، فأتاه. فقال: لا أعلم ما أذنت لطريح و لا رأيته على وجه الأرض؛ فإن حاولك فاخطفه بالسيف. فلمّا كان العشيّ و صليت العصر، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها، فدنا من الباب ليدخل. فقال له الحاجب: وراءك! فقال: ما لك! هل دخل عليّ وليّ العهد أحد بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعة وليت من عنده دعاني فأمرني ألا أذن لك، و إن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف. فقال: لك عشرة آلاف [درهم] [1] و أذن لي في الدخول عليه. فقال له الحاجب: و الله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك في ذلك، و ليس لك من خير في الدخول عليه فارجع. قال: ويحك! هل تعلم من دهاني عنده؟ قال الحاجب: لا و الله! لقد دخلت عليه و ما عنده أحد، و لكنّ الله يحدث ما يشاء في الليل و النهار. قال: فرجع طريح و أقام بباب الوليد سنة لا يخلص إليه و لا يقدر على الدخول عليه. و أراد الرجوع إلى بلده و قومه فقال: و الله إنّ هذا لعجز بي أن أرجع من غير أن ألقى وليّ العهد فأعلم من دهاني عنده. و رأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد/و يحدثونه و يصدر عن رأيهم. فلم يزل يلطف بالحاجب [2] و يمتّيه؛ حتّى قال له الحاجب: أمّا إذ أطلت المقام فإني أكره أن تنصرف على حالك هذه، و لكنّ الأمير إذا كان يوم كذا و كذا دخل الحمّام، ثم أمر بسريره فأبرز، و ليس عليه يومئذ حجاب؛ فإذا كان ذلك اليوم أعلمتكَ فتكون قد دخلت عليه و ظفرت بحاجتك و أكون أنا على حال عذر. فلمّا كان ذلك اليوم، دخل الحمّام و أمر بسريره فأبرز و جلس عليه، و أذن للناس فدخلوا عليه، و الوليد ينظر إلى من أقبل. و بعث الحاجب إلى طريح، فأقبل و قد تتامّ الناس. فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه، و استحيا أن يرده من بين الناس؛ فدنا فسلم فلم يرده عليه السّلام. فقال طريح يستعطفه و يتضرّع إليه: نام الخليّ من الهموم و بات لي # ليل أكابده و همّ مضلع

و سهرت لا أسري و لا في لذة # أرقى و أغفل ما لقيت الهجّع
أبغى وجوه مخارجي من تهمة # أزمت عليّ و سدّ منها المطلاع
جزعا لمعتبة الوليد و لم أكن # من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا ابن الخلائف إنّ سخطك لامرى ء # أمسيت عصمته بلاء مفضع
فلأنزعنّ عن الذي لم تهوه # إن كان لي و رأيت ذلك منزع /
فاعطف فذاك أبي عليّ توسّعا # و فضيلة فعلى الفضيلة تتبع

فلقد كفاك و زاد ما قد نالني # إن كنت لي ببلاء ضرّ تقنع
سمة لذاك عليّ جسم شاحب # باد تحسّره و لون أسفع[3] /
إن كنت في ذنب عتبت فإئني # عمّا كرهت لنزع متصرّع

[1]زيادة في ء.

[2]في ط، ء: «يلطف للحاجب» . و في أساس البلاغة: «و أنا ألطف
بفلان إذا أريته مودّة و رفقا في المعاملة» . و في «اللسان» : «يقال: لطف
به و له بالفتح يلطف لطفًا إذا رفق به...» .

[3]أسفع: شاحب متغير من مقاساة المشاق.

و يئست منك فكلّ عسر باسط # كفا إليّ و كلّ يسر أقطع[1]
 من بعد أخذي من حبالك بالذي # قد كنت أحسب أنّه لا يقطع
 فاربب[2] صنيعك بي فإنّ بأعين # للكاشحين و سمعهم[3] ما تصنع
 أدفعتني حتى انقطعت و سدّدت # عني الوجوه و لم يكن لي مدفع
 و رجيت و اتّقيت يداي و قيل قد # أمسى يضّرّ إذا أحبّ و ينفع
 و دخلت في حرم الدّمام و حاطني # خفر أخذت به و عهد مولع
 أ فهادم ما قد بنيت و خافض # شرفي و أنت لغير ذلك أوسع
 أ فلا خشيت شمات قوم فتّهم # سبعا و أنفسهم عليك تقطّع
 و فضلت في الحسب الأشمّ عليهم # و صنعت في الأقوام ما لم يصنعوا[4]
 فكأنّ أنفهم بكلّ صنيعه # أسديتها و جميل فعل[5] تجدع
 ودّوا لو أنّهم ينال أكفّهم # شلل و أنك عن صنيعك تنزع
 أو تستلّم[6] فيجعلونك أسوة # و أبى الملام لك التّدى و الموضوع
 قال: فقرّبه و أدناه، و ضحك إليه، و عاد له إلى ما كان عليه.

عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا
 محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللّهبّي عن أبيه: أنّ طريحا دخل على
 أبي جعفر المنصور و هو في الشّعراء؛ فقال له: لا حيّاك الله و لا بيّاك! ما
 اتّقيت الله -ويلك!- حيث تقول للوليد بن يزيد: /

لو قلت للسيل دع طريقك و الـ # موج عليه كالهضب يعتلج
 لساخ و ارتدّ[7] أو لكان له # في سائر الأرض عنك منعرج

فقال له طريح: قد علم الله عزّ و جلّ أنّي قلت ذاك و يد ممدودة إليه
 عزّ و جلّ، و إيّاه تبارك و تعالى عنيت. فقال المنصور: يا ربيع، أما ترى هذا
 التخلّص! [1] أقطع: مقطوع اليد.

[2] اربب صنيعك: زده.

[3] كذا في م. و في سائر النسخ: «و سمعها» .

[4] في م: «ما لا يصنع» .

[5] كذا في ح. و في سائر النسخ: «و جميل فعلك» .

[6]تستليم: تفعل ما تستحق عليه اللوم؛ فكأنك تطلب إلى الناس أن يلوموك.

[7]في هامش ط كتبت هذه العبارة: «الصحيح: لارتد أو ساخ أو لكان له». و هي أيضا رواية «اللسان» (مادة ولج) .

أدخل على الوليد فمدحه فطرب و أجازه:

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريدي [1] روايته عنه: حدّثنا المدائني: أنّ الوليد جلس يوماً في مجلس له عامّ، و دخل إليه أهل بيته و مواليه و الشعراء و أصحاب الحوائج فقضاها، و كان أشرف يوم رآه؛ فقام بعض الشعراء فأنشد، ثم وثب طريح، و هو عن يسار الوليد، و كان أهل بيته عن يمينه، و أخواله عن شماله و هو فيهم، فأنشده:

صوت

أنت ابن [2] مسلنطح البطاح و لم # تطرق عليك الحنيّ و الولج
طوبى لفرعك [4] من هنا و هنا # طوبى لأعراقك التي تشج [5]
/ لو قلت للسيل دع طريقك و الـ # موج عليه كالهضب يعتلج [6]
لساخ و ارتدّ أو لكان له # في سائر الأرض عنك منعرج

ولاؤه، و كان مغنيا و شاعرا:

فطرب الوليد بن يزيد حتّى رأى الارتياح فيه، و أمر له بخمسين ألف درهم، و قال: ما أرى أحدا منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا ينشدني أحد بعده شيئا؛ و أمر لسائر الشعراء بصلات و انصرفوا، و احتبس طريحا عنده، و أمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أنت ابن مسلنطح البطاح و لم # تطرق عليك الحنيّ و الولج

الأبيات الأربعة. عروضه عن المنسرح. غنّاه ابن عائشة، و لحنه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتا له فغناه غيره و اعتذر عنه:

المسلنطح من البطاح: ما اتسع و استوى سطحه منها. و تطرق عليك: تطبق عليك و تغطيك و تضيق مكانك؛ [1] كذا في ح، و هو الموافق لما في «الأنساب» للسمعاني (ص 129). و في سائر الأصول: «الجريري» بالحاء المهملة.

[2] سيشرح أبو الفرج بعد قليل هذا الشعر.

[3] في كتاب «الشعر و الشعراء» «و اللسان» (مادتي ولج و سلطح) :
«تعطف» و قال في «اللسان» (مادة طرق) : «و أطرق جناح الطائر: لبس
الريش الأعلى الريش الأسفل، و أطرق عليه الليل ركب بعضه بعضا. و
قوله: و لم تطرق عليك الحنيّ و الولج

أي لم يوضع بعضه على بعض فتراكب» . و تفسير صاحب «اللسان»
هذا هو الذي يتفق مع معنى كلمات البيت. و منه يعلم ما في تفسير أبي
الفرج لهذه الكلمة من بعد.

[4] في ء، ط: «طيبا لفرعيك... طيبا لأعراقك» .

[5] تشج: تشتبك و تلتف.

[6] يعتلج: يلتطم.

يقال: طرقت الحادثة بكذا و كذا إذا أتت بأمر ضيقٍ معضل. و الوشيح: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجة في الكرم، أي نابثة فيه. قال الشاعر[1]:

و هل ينبت الخطيِّ إلاّ وشيحه # و تنبت إلاّ في مغارسها النخل[2]

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش و ثقيف. و قد ردّد طريح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمة له:

و اعتام[3] كهلك[4] من ثقيف كفأه # فتنازعاك فأنت جوهر جوهر

فنمت فروع القريتين قصيها[5] # و قسيها بك في الأشم الأكبر

/و الحنيّ: ما انخفض من الأرض، و الواحدة[6] حنا، و الجمع حنيّ مثل عصا و عصيّ. و الولج: كلُّ متّسع في الوادي، الواحدة ولجة[7]. و يقال: الولجات بين الجبال مثل الرّحاب. أي لم تكن بين الحنيّ و لا الولج فيخفى مكانك، أي لست في موضع خفيّ من الحسب. و قال أبو عبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مسلنطح البطاح، و ابن كذا و كذا؛ فقال له عمر: إن كان لك عقل فلك أصل، و إن كان لك خلق فلك شرف، و إن كان لك تقوى فلك كرم، و إلاّ فذاك الحمار خير منك. أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سمنا، فإذا تكلمتم فأبينكم منطلقا، فإذا اخترناكم فأحسنكم فعلا.

قوله: «لو قلت للسيل دع طريقك» ، يقول: أنت ملك هذا الأبطح و المطاع فيه، فكلّ من تأمره يطيعك فيه، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. و إنما ضرب هذا مثلا و جعله مبالغة؛ لأنّه لا شيء أشدّ تعذّرا من هذا و شبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. و قوله: «لساخ» أي لغاض في الأرض. «و ارتد» أي عدل عن طريقه، و إن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك إلى سائر الأرض.

غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه في شعره طرب و رضي عنه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه[8] قال إسحاق و حدّثني به الواقديّ عن أبي الرّناد عن إبراهيم بن عطية:

/أنّ الوليد بن يزيد لمّا ولي الخلافة بعث إلى المغنّين بالمدينة و مكة فأشخصهم إليه، و أمرهم أن يتفرّقوا و لا [1] هو زهير بن أبي سلمى.

[2] في ء، ط، م:

و تغرس إلا في منابتها النخل

[3] اغتام: اختار.

[4] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «أهلك» تحريف.

[5] قصي: ابو عدّة بطون من قريش. و قسيّ (بفتح فكسر و تشديد آخره) : هو ثقيف، و قد تقدّم في أوّل ترجمة طريق.

[6] لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا («كاللسان» «و القاموس و شرحه» «و الصحاح») ما يؤيد التفسير الذي ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة و لا لمفردھا. و عبارة «اللسان» (في مادة حنا) : «... و الحنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج كعظم الحجاج و الحي و الضلع و القفّ و الحقف و منحرج الوادي، و الجمع أحناء و حنيّ و حنيّ...» .

[7] في «اللسان» (مادة ولج) : «... ابن الأعرابي: ولاج الوادي: معاطفه، واحدها ولجة، و الجمع الولج» . و منه يعلم أن الولج جمع الجمع لولجة.

[8] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال إسحاق إلخ» . و لم تثبت هذه الزيادة لأننا لم نجد في كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي روى عن محمد بن السائب الكلبي. -

يدخلوا نهارا لئلا يعرفوا، و كان إذ ذاك/يتسّر في أمره و لا يظهره. فسبقهم ابن عائشة فدخل نهارا و شهر أمره، فحبسه الوليد و أمر به فقيّد، و أذن للمغنيين و فيهم معبد، فدخلوا عليه دخلات. ثم إنّه جمعهم ليلة فغنّوا له حتى طرب و طابت نفسه. فلما رأى ذلك منه معبد قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: حسنا لذيذا. قال: فكيف لو رأيت ابن عائشة و سمعت ما عنده! قال: فعليّ به. فطلع ابن عائشة يرسف في قيده. فلما نظر إليه الوليد، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طريح، و الصنعة فيه له: أنت ابن مسلتح البطاح و لم # تطرق عليك الحنيّ و الولج

فصاح الوليد[1]: اكسروا قيده و فكّوا عنه؛ فلم يزل عنده أثيرا مكرما.

غنى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكر قومه:
أخبرني الحسن بن عليّ [2] قال حدّثنا ابن أبي سعد عن الحزاميّ عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة: يا أبا الحارث قلبي طائر # فأتمر[3] أمر رشيد مؤتمن

قال: و الله إنّي لقاعد مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جوان بن عمر بن أبي ربيعة، و كان يغني؛ فقال له: اجلس يا ابن أخي غنّنا. فجلس فغنّى: أنت ابن مسلتح البطاح و لم # تطرق عليك الحنيّ و الولج / فقال له: يا ابن أخي، ما أنت و هذا حين تغنّاه، و لا حظّ لك فيه! هذا قاله طريح فينا: إذ الناس ناس و الزّمان زمان

و مما في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد:

صوت من المائة المختارة

ويحي غدا إن غدا عليّ بما # أحذر من لوعة الفراق غد

و كيف صبري و قد تجاوب بال # فرقة منها الغراب و الصّرد[4]

الشعر لطريح بن إسماعيل. و الغناء لابن مشعب الطائفيّ، و لحنه المختار من الرّمل بالوسطى.

[1] كذا في ء، م، ط. و في سائر النسخ: «فصاح به الوليد» .

[2] كذا في ط، م، ء. و في سائر النسخ: «الحسين بن يحيى». و المعروف أن الحسن بن عليّ يروي عن عبد الله بن أبي سعد (انظر ص 68 ج 2 من هذا الكتاب).

[3] كذا في ط، م، ء و فيما تقدم في الجزء الأوّل (ص 114 من هذه الطبعة). و في سائر الأصول هنا: «فاستمع».

[4] الصرد (بضم ففتح) : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخّم الرأس و المنقار له مخلب يصطاد العصافير و صغار الطير، جمعه صردان، و يكنى بأبي كثير، و يسمى الأخطب لخضرة ظهره، و الأخيل لاختلاف لونه. و هو مما يتشاءم به من الطير؛ قال الشاعر: فما طائري يوما عليك بأخيلا

49- ذكر ابن مشعب [1] وأخباره

ابن مشعب وأصله:

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف، و قيل: إته من أنفسهم، و انتقل إلى مكة فكان بها. و إياه يعني العرجي بقوله: بفناء بيتك و ابن مشعب حاضر # في سامر عطر و ليل مقمر

فتلازما عند الفراق صباية # أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

ابن مشعب مغنّ من أهل الطائف، و كان من أحسن الناس غناء، و كان في زمن ابن سريج و الأعرج؛ و عامّة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له، و قد تفرّق غناؤه، فنسب بعضه إلى ابن سريج، و بعضه إلى الهذليين، / و بعضه إلى ابن محرز. قال: و من غنائه الذي ينسب إلى ابن محرز: يا دار عاتكة التي بالأزهر

و منه أيضا:

أفقر ممن يحلّه السند [2] # فالمنحنى [3] فالعقيق فالجمد [4]

انتهى مريض أن يغني في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه:

أخبرني الحسين قال قال حماد و حدّثني أبي قال: مرض رجل من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانه و قالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنسانا يضع فمه على أذني و يغنّيني في بيتي العرجي: /

بفناء بيتك و ابن مشعب حاضر # في سامر عطر و ليل مقمر

[1] نلاحظ أن صاحب «الأغاني» أفحم ترجمة ابن مشعب هذا في وسط ترجمة طريح. و لما يتحدث عنه إلا قليلا، ثم عاد إلى حديثه عن طريح.

[2] في «معجم ما استعجم» للبكري: سند: ماء تهامة معروف. و قال أبو بكر: سند (بفتحتين) : ماء معروف لبني سعد.

[3] المنحنى: موضع قرب مكة، كما في شرح «القاموس» .

[4] الجمد (بضمّتين) : جبل لبني نصر بنجد، كما في «معجم ياقوت» .

فتلازما عند الفراق صباية # أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

يا دار عاتكة التي بالأزهر # أو فوqe بقفا الكتيب الأحمر

بغناء بيتك و ابن مشعب حاضر # في سامر عطر و ليل مقمر

فتلازما عند الفراق صباية # أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الشعر للعرجي. و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، و ذكر إسحاق أنه لابن مشعب. و ذكر حبش أنّ فيه لابن المكي هزجا خفيفا بالبنصر.

و أما الصوت الآخر الذي أوّله:

أقفر ممن يحلّه السند

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار، و هو أوّل قصيدة طريح التي منها: ويحي غدا إن غدا عليّ بما # أكره من لوعة الفراق غد

و ليس يغنى فيه في زماننا هذا. و هذه القصيدة طويلة يمدح فيها طريح الوليد بن يزيد، يقول فيها: لم يبق فيها من المعارف بع # د الحيّ إلا الرّماد و الودت

و عرصة نكرت معالمها الرّ # يح بها مسجد و منتصد[1]

أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، و أخبرنا به وكيع- و أظنه هو الذي كنى عنه يحيى بن عليّ، فقال: /محمد بن خلف القارئ- [قال] [2] حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللهيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال: أنشد المنصور هذه القصيدة، فقال للربيع: أسمعت أحدا من الشعراء ذكر في باقي معالم الحيّ المسجد غير طريح!. و هذه القصيدة من جيّد قصائد طريح، يقول فيها: لم أنس سلمى و لا ليالينا # بالحزن إذ عيشنا بها رغد[3]

إذ نحن في ميعة الشّباب و إذ # أيّامنا تلك غصّة جد

في عيشة كالفريد عازبة[4] الشّ # قوة خضراء غصنها خصد[5]

[1] منتصد: مجتمع و مقام؛ يقال: انتصد القوم بمكان كذا إذا أقاموا به.

[2] زيادة عن ح، م.

- [3] عيش رغد (بفتح الغين و كسرهما) : مخصب رفيه غزير، و مثلهما رغد (بسكون الغين) و رغيد و راغد و أرغد.
- [4] عازبة الشقوة: بعيدتها.
- [5] خضد (بالتحريك) : رطب.

نحسد فيها على التَّعِيمِ و ما # يولع إلا بالتَّعْمَةِ الحسد
 أَيَّامِ سلمى غريرة [1] أنف # كأثها خوط بانه رؤد [2]
 ويحي غدا إن غدا علي بما # أكره من لوعة الفراق غد
 قد كنت أبكي من الفراق و حيي # انا جميع و دارنا صد [3]
 فكيف صبري و قد تجاوب بال # فرقة منها الغراب و الصرد
 /دع عنك سلمى لغير مقلية # و عدّ مدحا بيوته شرذ
 للأفضل الأفضل الخليفة عب # د الله من دون شأوه سعد
 في وجهه الثور يستبان كما # لاح سراج النهار إذ يقد
 /يمضي على خير ما يقول و لا # يخلف ميعاده إذا يعد
 من معشر لا يشمّ من خذلوا # عزّا و لا يستذلّ من رقدوا
 بيض عظام الحلوم حدّهم # ماض حسام و خيرهم عند [4]
 أنت إمام الهدى الذي أصلح اللّ # ه به الناس بعد ما فسدوا
 لّمّا أتى الناس أنّ ملكهم # إليك قد صار أمره سجودا
 و استبشروا بالرضا تباشرهم # بالخلد لو قيل إنكم خلد
 و عجّ بالحمد أهل أرضك # حتّى كاد يهتّر فرحة أحد
 و استقبل الناس عيشة أنفا # إن تبق فيها لهم فقد سعدوا
 رزقت من ودهم و طاعتهم # ما لم يجده لوالد ولد
 أثلجهم منك أنّهم علموا # أنّك فيما وليت مجتهد
 و أنّ ما قد صنعت من حسن # مصداق ما كنت مرّة تعد
 ألّفت أهواءهم فأصبحت الأ # ضغان سلما و ماتت الحقد
 كنت أرى أنّ ما وجدت من ال # فرحة لم يلق مثله أحد
 حتّى رأيت العباد كلّهم # قد وجدوا من هواك ما أجد

[1] غريرة: بلهاء لصغر سنّها و قلة تجاربها. و أنف: عذراء.

[2] الخوط: الغصن. و الرؤد: الغصن أرطب ما يكون و أرخصه؛ و ذلك حين يكون في السنة التي نبت فيها. تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة.

[3] يقال: دار فلان صدد دار فلان و بصدها أي قبالتها.

[4] عند: حاضر معدّ.

صوت

قد طلب الناس ما بلغت فما # نالوا و لا قاربوا و قد جهدوا
 يرفعك الله بالتكريم و الت # قوى فتعلو و أنت مقتصد
 حسب امرئ من غنى تقرّبه # منك و إن لم يكن له سبب[1]
 فأنت أمن لمن يخاف و لا # مخذول أودى نصيره عضد
 /-غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالنصر-.

كلّ امرئ ذي[2] يد تعدّ عليه # ه منك معلومة يد و يد
 فهم ملوك ما لم يروك فإن # دانا هم منك منزل خمدوا
 تعرفهم رعدة لديك كما # قفقف[3] تحت الدجّة الصرد
 لا خوف ظلم و لا قلى خلق # إلا جلالا كساكه الصمد
 و أنت غمر التدى إذا هبط ال # زوار أرضا تحلها حمدوا
 فهم رفاق فرقة صدرت # عنك بغنم و رفقة ترد
 إن حال دهر بهم[4] فإئك لا # تنفك عن حالك التي عهدوا
 قد صدق الله مادحيك فما # في قولهم فرية و لا فند

ذكاء جعفر بن يحيى و علمه بالأشعار و الألحان:

/أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:
 سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما
 رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط، و لا أفطن، و لا أعلم بكلّ شيء، و لا
 أفصح لسانا، و لا أبلغ في مكاتبة. قال: و لقد كتّأ يوما عند الرشيد، فغنى أبي
 لحنا في شعر طريح بن إسماعيل، و هو: قد طلب الناس ما بلغت فما #
 نالوا و لا قاربوا و قد جهدوا

فاستحسن الرشيد اللحن و الشعر و استعاده و وصل أبي عليه. و كان
 اللحن[5] في طريقة خفيف الثقيل الأوّل.

فقال جعفر بن يحيى: قد و الله يا سيدي أحسن، و لكنّ اللحن مأخوذ
 من لحن الدلال الذي غناه في شعر أبي زبيد: [1] كذا في ح، م. و السبب:
 الشّع، و يكنى به عن المال. و يقال: ما له سبب و لا لبد أي ما له شيء. و
 في سائر الأصول: «سند» .

[2] في ح: «ذي ندى» .

[3] قففف: ارتعد من البرد. و الصرد: المقرور.

[4] في حـ: «لهم» .

[5] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «و كان اللحن الذي في طريقة خفيف الثقيل إلخ» .

من ير العير لابن أروى على ظهـ # ر المروري[1]حدثه عجال

و أمّا الشعر فنقله طريح من قول زهير: سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم # فلم يبلغوا[2] و لم يلاموا[3] و لم يألوا

قال إسحاق: فعجبت و الله من علمه بالألحان و الأشعار، و إذا اللحن يشبه لحن الدّلال، قال: و كذلك الشعر؛ فاغتممت أني لم أكن فهمت اللحن، و كان ذلك أشدّ عليّ من ذهاب أمر الشعر عليّ، و أنا و الله مع ذلك أغنيّ الصوتين و أحفظ الشعرين. قال الحسين: و لحن الدّلال في شعر أبي زيد هذا من خفيف الثقل أيضا.

صادف طريح أبا ورفاء في سفر فأنس به و ذكر له قصته مع أعرابي عاشق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال حدّثني أبو الحسن البلاذريّ أحمد بن يحيى و أبو أيّوب المدينيّ، قال البلاذريّ و حدّثني الحرمازيّ، و قال أبو أيّوب[3] و حدّثونا عن الحرمازيّ قال حدّثني أبو القعقاع سهل[4] بن عبد الحميد عن أبي ورفاء الحنفيّ قال: /خرجت من الكوفة أريد بغداد، فلما صرت إلى أوّل خان نزله، بسط غلماننا و هيئوا غداءهم، و لم يجيء أحد بعد، إذ رمانا الباب برجل فاره البرذون[5] حسن الهيئة، فصحت بالغلّمان، فأخذوا دابّته فدفعها إليهم، و دعوت بالغداء، فبسط يده غير محتشم، و جعلت لا أكرمه بشيء إلا قبله. ثم جاء غلماننا بعد ساعة في ثقل[6] سريّ و هيئة حسنة. فتناصبنا[7] فإذا الرجل طريح بن إسماعيل الثّقفيّ. فلما ارتحلنا في قافلة غنّاء لا يدرك طرفاها. قال: فقال لي: ما حاجتنا إلى زحام الناس و ليست بنا إليهم وحشة و لا علينا خوف! تتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطريق و نصادف الخانات فارغة و نودع أنفسنا إلى أن يوافقوا. قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغد فنزلنا الخان فتغدّينا و إلى جانبنا نهر ظليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع[8] فيه؟ فقلت له: شأنك. فلما سرا[9] ثيابه إذا[ما] بين عصصه إلى[10] عنقه ذاهب، و في جنبه أمثال الجرذان، فوقع في نفسي منه شيء[11]. فنظر إليّ ففطن و تبسّم، ثم قال: قد [1]كذا في أكثر الأصول. و المروري على وزن فعلعل: جمع مروارة و هي الفلاة البعيدة المستوية. (معجم ما استعجم» ص 520).

و في حـ «و الشعر و الشعراء» (ص 167) : «المروي» . و المرؤي
(بضم أوله و فتح ثانيه بعده واو مشدّدة مفتوحة) : موضع. («معجم ما
استعجم» ص 526) .

[2] في «ديوان زهير» (طبعة دار الكتب ص 114) : «فلم يفعلوا» . و
في س: «فلم يفعلوا و لم يليموا» . أي لم يأتوا ما يلامون عليه، أو لم
يلاموا، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء القوم لأنها أعلى من أن تبلغ؛ فهم
معذورون في التقصير عنها و التوقف دونها، و هم مع ذلك لم يألوا أي لم
يقصروا في السعي بجميل الفعل.

[3] كذا في ء، ط، م. و في سائر الأصول: «و قال أبو أيوب و حدّثني
الحرمازي... إلخ» .

[4] في ء، ط: «سهيل بن عبد الحميد» .

[5] البرذون الفاره: النشيط السريع السير.

[6] الثقل: متاع المسافر و حشمه.

[7] تناسبنا: ذكر كل منا نسبه.

[8] كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «تستنقع» بالتاء في أوله.

[9] سرا ثيابه سروا: ألقاها عنه مثل سرى سرىا و أسرى، و الواو أغلى.
(انظر «اللسان» مادة سرا) .

[10] في ء، ط، م: «كرده» . و الكرد (بالفتح) . العنق، و قيل أصله.

[11] في ء، ط، م: «شر» .

رأيت ذعرك مما رأيت؛ و حديث هذا إذا سرنا العشيّة إن شاء الله تعالى أحدثك به. قال: فلمّا ركبنا قلت: الحديث! قال: نعم! قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدّنيا، و كتب إلى يوسف بن عمر مع فزّاش فملاً يدي أصحابي [1]، فخرجت أبادر الطائف. فلمّا امتدّ لي الطريق و ليس يصحّني فيه خلق، عنّ لي [2] أعرابيّ على بعير له، فحدّثني، فإذا هو حسن الحديث، و روى لي الشّعْر فإذا هو/راوية، و أنشدني لنفسه فإذا هو/شاعر. فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: لا أدري. قلت: فأين تريد؟ فذكر قصّة يخبر فيها أنّه عاشق لمريئة قد أفسدت عليه عقله، و سترها عنه [3] أهلها و جفاه [4] أهله، فأبى يستريح إلى الطريق ينحدر مع منحدره و يصعد مع مصعديه. قلت: فأين هي؟ قال: غدا نزل بإزائها. فلمّا نزلنا أراني ظرباً [5] على يسار الطريق، فقال لي: أ ترى ذلك الظرب؟ قلت: أراه. قال: فإتّها في مسقطه. قال: فأدركتني أريحية الشباب، فقلت: أنا و الله أتيتها برسالتك. قال: فخرجت و أتيت الظرب، و إذا بيت حريد [6]، و إذا فيه امرأة جميلة ظريفة، فذكرته لها، فزفرت زفرة كادت أضلاعها تساقط. ثم قالت: أو حيّ هو؟ قلت: نعم، تركته في رحلي وراء هذا الظرب، و نحن باثتون و مصبحون. فقالت: يا أبي أرى لك وجهاً يدلّ على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت: فقير و الله إليه. قالت: فأفعل [7]. قالت: إنك إذا أظلمت أتاك زوجي في هجمة [8] من إبله، فإذا بركت أتاك و قال: يا فاجرة يا هنتاه [9]، فيوسعك شتما فأوسع صمتاً، ثم يقول: اقمعي [10] سقاءك، فضع القمع في هذا السّقاء حتّى يحقن [11] فيه، و إيّاك/ و هذا الآخر فأته واهي الأسفل. قال: فجاء ففعلت ما أمرتني به، ثم قال: اقمعي سقاءك، فحيّني [12] الله، فتركت الصحيح و قمعت الواهي، فما شعر إلا باللبن بين رجله، فعمد إلى رشاء [13] من قد مربوع، فثناه باثنين فصار على ثمان قوى، ثم جعل لا يتقي مني رأساً و لا رجلاً و لا جنباً، فخشيت أن يبدو له وجهي، فتكون الأخرى، فألذمت وجهي الأرض، فعمل بظهري ما ترى.

[1] كذا في حـ. و في سائر النسخ: «أصحابه» .

[2] عنّ لي: عرض لي.

[3] في حـ: «و حدّ عليها أهلها» . و حدّ عليه: غضب عليه.

[4] فيء، ط: «و خلعه» ؛ يقال: خلع فلان ابنه إذا تبرأ منه. و كان في الجاهلية إذا قال قائل: هذا ابني قد خلعتَه، لا يؤخذ بعد بجريرته.

[5] كذا في ب، س. و الظرب: الرابية الصغيرة. و في سائر الأصول: «ظريبا» بالتصغير.

[6] كذا في ء، ط. و الحرید: المعتزل المتنحى. و في حديث صعصعة «فرغ لي بيت حريد» أي منتبذ متنج عن الناس. و في م: «بيت حريد» بالجيم المعجمة. و في سائر النسخ: «جديد» و كلاهما تحريف.

[7] كذا في ء، ط. و في سائر الأصول: «فقلت افعلي» .

[8] الهجمة من الإبل: أوّلها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة، فإذا بلغت المائة فهي هنيذة.

[9] يا هنتاه: أي يا هذه، و قيل: يا بلهاء. و تفتح النون و تسكن، و تضم الهاء الأخيرة و تسكن. (انظر «اللسان» مادة هنو) .

[10] قمع الإناء: وضع القمع في فمه ليصب فيه الدهن و غيره.

[11] حقن اللبن (من باب نصر) : جمعه.

[12] حينه الله: لم يوفقه للرشاد.

[13] الرشاء: الحبل. و القدّ: السير المقدود من الجلد. و مربع: ذو أربع قوى.

50- ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد و نسبه

ولاؤه، و كان مغنيا و شاعرا:

أبو سعيد مولى فائد. و فائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. و ذكر ابن خرداذبه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم. و هو يعرف في الشعراء بابن أبي سنة [1] مولى بني أمية، و في المغنين بأبي سعيد مولى فائد.

و كان شاعرا مجيدا و مغنيا، و ناسكا بعد ذلك، فاضلا مقبول الشهادة بالمدينة معدّلا. و عمّر إلى خلافة الرشيد، و لقيه إبراهيم بن المهديّ و إسحاق الموصليّ و ذوهما. و له قصائد جياذ في مرثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله و داود ابنا عليّ بن عبد الله بن العباس، يذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق [2] الأحاديث ذكره.

طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتا له فغناه غيره و اعتذر عنه:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله [3] بن عبد الله عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه، و أخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ عن إسحاق، قال يحيى خاصّة في خبره:

قال إسحاق: حججت مع الرشيد، فلما قربت من مكة استأذنته في التقدّم فأذن لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحرام. فأتيت المسجد فسألت عنه، فدللت عليه، فإذا هو قائم يصلي، فجلست قريبا منه. فلما فرغ قال لي: يا فتى، أ لك حاجة؟ قلت: نعم، تغنيني: «لقد طفت سبعا». هذه رواية يحيى بن عليّ. و أمّا الباقر فإبهم ذكروا عن إسحاق أنّ المهديّ قال [هذا] [4] لأبي سعيد و أمره أن يغني له:

/

لقد طفت سبعا قلت لِمَا قصيتها # ألا ليت هذا لا عليّ و لا ليا

/ و رفق به و أدنى مجلسه، و قد كان نسك؛ فقال: أ و أغنيك يا أمير المؤمنين أحسن منه؟ قال: أنت و ذاك. فغني [5]:

إنّ هذا الطويل من آل حفص # نشر المجد بعد ما كان ماتا

و بناه على أساس وثيق # و عماد قد أثبتت إثباتا

[1] في م: «بابن أبي شبة» .

[2] كذا في ح، م. و في سائر الأصول: «يسوق» بالياء المثناة من تحت.

[3] في م: «عبيد الله بن عباس» .

[4] التكملة عن ء، ط.

[5] كذا في ح. و في سائر الأصول: «فقال» .

مثل ما قد بنى له أولوه # وكذا يشبه البناءة[1]البنانا

-الشعر و الغناء لأبي سعيد مولى فائد-فأحسن. فقال له المهديّ:
أحسننت يا أبا سعيد!فغنّني «لقد طفت سبعا». قال: أ و أعنّيك أحسن منه؟
قال: أنت و ذاك. فغنّاه: قدم الطويل فأشرققت و استبشرت # أرض الحجاز
و بان في الأشجار

إنّ الطويل من آل حفص فاعلموا # ساد الحضور و ساد في الأسفار

فأحسن فيه. فقال: غنّني «لقد طفت سبعا». قال: أ و أعنّيك أحسن
منه؟قال: فغنّني. فغنّاه: أيّها السائل الذي يخطب الأر # ض دع الناس
أجمعين وراكا

و أت هذا الطويل من آل حفص # إن تخوّفت عليه[2]أو هلاكا

فأحسن فيه. فقال له: غنّني «لقد طفت سبعا» ، فقد أحسننت فيما
غنّيت، و لكننا نحبّ أن تغنّي ما دعوناك إليه. فقال: لا سبيل إلى ذلك يا أمير
المؤمنين؛ لأنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في منامي و في
يده شيء لا أدري ما هو، /و قد رفعه ليضربني به و هو يقول: يا أبا سعيد،
لقد طفت سبعا، لقد طفت سبعا سبعا طفت!ما صنّعت بأمتي في هذا
الصوت!فقلت له: بأبي أنت و أمي اغفر لي، فو الذي بعثك بالحقّ و
اصطفاك بالنبوة لا غنّيت هذا الصوت أبداً؛ فردّ يده ثم قال: عفا الله عنك
إذا!ثم انتبهت. و ما كنت لأعطي رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً في
منامي فأرجع عنه في يقظتي.

فبكى المهديّ و قال: أحسننت يا أبا سعيد أحسن الله إليك!لا تعد في
غنائه، و حباه و كساه و أمر برده إلى الحجاز.

فقال له أبو سعيد: و لكن اسمعه يا أمير المؤمنين من منّة جارية
البرامكة. و أظنّ حكاية من حكى ذلك عن المهديّ غلطاً؛ لأنّ منّة جارية
البرامكة لم تكن في أيام المهديّ، و إنما نشأت و عرفت في أيام الرشيد.

و قد حدّثني أحمد بن جعفر لحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن
المهديّ عن أبيه أنّه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد و جراه هذه القصّة. و
ذكر ذلك أيضا حماد بن إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ. و قد يجوز أن يكون
إبراهيم بن المهديّ و إسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما
أجاب المهديّ. و أمّا خبر إبراهيم بن المهديّ خاصّة فله معان غير هذه، و

الصوت الذي سأله عنه غير هذا؛ و سيذكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع.

أرادہ إبراهيم بن المهدي على الذهاب إلى بغداد فأبى:

و أخبرني إسماعيل [3] ابن يونس الشَّيعيِّ قال حدَّثنا عمر بن شيبَة: أنَّ إبراهيم بن المهديِّ لقي أبا سعيد مولى فائد؛ و ذكر الخبر بمثل الذي قبله، و زاد فيه: فقال له: اشخص معي إلى بغداد، فلم يفعل. فقال: ما كنت لأخذك بما لا تحبُّ، و لو كان غيرك لأكرهته على ما أحبُّ، و لكن دلني /على من ينوب/ عنك. فدلّه على ابن جامع، و قال له: عليك بـغلام من بني سهم قد أخذ عني و عن نظرائي [1] في ء، ط، م هنا و فيما يأتي: و كذا يشبه النبات النباتا

[2] في م: «غيلة» . و في ء، ط: «عولة» .

[3] في ب، س: «إسحاق» ، و هو تحريف.

و تخرّج، و هو كما تحبّ. فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد؛ فهو الذي كان سبب وروده إليها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني صوت من المائة المختارة

لقد طفت سبعا قلت لَمَّا قضيتها # ألا ليت هذا لا عليّ و لا ليا

يسائلني صحتي فما أعقل الذي # يقولون من ذكر ليلي اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر و الغناء لأبي سعيد مولى فائد، و ذكر غيره أنّ الشعر للمجنون. و لحنه خفيف رمل بالنصر و هو المختار. و ذكر حبش أنّ فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر. و الذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القحزميّ أنّه أنشده لأبي سعيد مولى فائد. قال عمّي: و أنشدني هذا الشعر أيضا أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة لأبي سعيد. و بعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبيات: إذا جئت باب الشعب شعب ابن [1] عامر # فأقري غزال الشعب منّي سلاميا

و قل لغزال الشعب هل أنت نازل # بشعبك أم هل يصيح [2] القلب ثاوبا

لقد زادني الحجاج شوقا إليكم # و قد كنت قبل اليوم للحجّ قاليا

و ما نظرت عيني إلى وجه قادم # من الحجّ إلّا بلّ دمعي ردائيا

/في البيت الأوّل من هذه الأبيات، و هو:

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيف رمل عن الهشاميّ.

و منها:

صوت

إنّ هذا الطويل من آل حفص # نشر المجد بعد ما كان ماتا

و بناه على أساس وثيق # و عماد قد أثبتت إثباتا

مثل ما قد بنى له أولوه # و كذا يشبه البناء البناتا

[1] شعب بني عامر: ماء أوله الأبلّة، كما في «معجم ياقوت» .

[2] لعل الأوجه: «أم هل تصيح» بالخطاب. -

عروضه من الخفيف. الشعر و الغناء لأبي سعيد مولى فائد. و لحنه
رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.
و منها:

صوت

قدم الطويل فأشرقفت لقدمه # أرض الحجاز و بان في الأشجار
إنّ الطويل من آل حفص فاعلموا # ساد الحضور و ساد في الأسفار
الشعر و الغناء لأبي سعيد.
و منها:

صوت

أيها الطالب الذي يخطب الأر # ض دع الناس أجمعين وراكا /
و أت هذا الطويل من آل حفص # إن تخوّفت عيلة أو هلاكا
/عروضه من الخفيف. الشعر لأبي سعيد مولى فائد، و قيل: إنّه
للدارميّ. و الغناء لأبي سعيد خفيف ثقيل.
و فيه للدارميّ ثاني ثقيل.
الطويل من آل حفص الذي غناه الشعراء في هذه الأشعار، هو عبد الله
بن عبد الحميد بن حفص، و قيل: ابن أبي حفص بن المغيرة المخزوميّ؛ و
كان ممدّحا.

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومي:

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة عن أبي أيّوب المدنيّ قال
حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه: أنّ عبد الله بن عبد الحميد
المخزوميّ، كان يعطي الشعراء فيجزل، و كان موسرا، و كان سبب يساره
ما صار إليه من أمّ سلمة المخزوميّة امرأة أبي العباس السقّاح؛ فإنّه تزوّجها
بعده، فصار إليه منها مال عظيم، فكان يتسمّح به و يتفتّى [1] و يتّسع في
العطايا. و كانت أمّ سلمة مائلة إليه، فأعطته ما لا يدرى ما هو، ثم إنّها
أثّمته بجارية لها فاحتجبت عنه، فلم تعد إليه حتّى مات. و كان جميل الوجه
طويلا. و فيه يقول أبو سعيد مولى فائد: إنّ هذا الطويل من آل حفص #
نشر المجد بعد ما كان ماتا

و فيه يقول الدّارميّ:

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْبِطُ الْأُرْ # ضِ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَا
وَأْتِ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصِ # إِنَّ تَخَوُّفَ عَيْلَةٍ أَوْ هَلَاكَا

و فيه يقول الدّارميّ أيضا:

[1] يَتَفَتَى: يَتَسَخَى.

صوت

إِنَّ الطويل إذا حلت به # يوما كفاك مئونة الثقل

/- و يروى:

ابن الطويل إذا حلت به

و حلت في دعة و في كنف # رحب الفناء و منزل سهل

عنه ابن عبّاد الكاتب، و لحنه من الثقل الأوّل بالنصر عن ابن المكيّ.

غنى إبراهيم بن المهدي في المسجد:

فأما خبر إبراهيم بن المهديّ مع أبي سعيد مولى فائد الذي قلنا إنّه يذكر هاهنا، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني القطرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جبر قال:

سمعت إبراهيم بن المهديّ يقول: كنت بمكة في المسجد الحرام، فإذا شيخ قد طلع و قد قلب إحدى نعليه على الأخرى و قام يصلي؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلت لبعض الغلمان: احصه فحصبه؛ فأقبل عليه و قال: ما يظنّ أحدكم إذا دخل المسجد إلّا أنّه له. فقلت للغلام: قل له: يقول لك مولاي: ابلغني؛ فقال ذلك له. فقال له أبو سعيد: من مولاك حفظه الله؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهديّ، فمن أنت؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد؛ و قام فجلس بين يديّ، و قال: لا و الله-بأبي أنت و أمّي- ما عرفتك! فقلت: لا عليك! أخبرني عن هذا الصوت:

أفاض المدامع قتلى كدى [1] # و قتلى بكتوة [2] لم ترمس

/قال: هو لي. قلت: و ربّ هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه. قال: و ربّ هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه. قال:

ثم قلب إحدى نعليه و أخذ بعقب الأخرى، و جعل يقرع بحرفها على الأخرى و يغنيه حتى أتى عليه، فأخذته منه.

قال ابن جبر: و أخذته أنا من إبراهيم بن المهديّ.

ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها و صار يذهب إليه لسماعها:

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية [3] المدنيّ صاحب

العَبَّاسَةُ بنت المَهْدِيِّ، و كان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز:
أنَّ أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التِّيميِّ قاضي
المدينة لأبي جعفر، و كان مقدِّماً لأبي سعيد. فقال له ابن عمران التِّيميِّ: يا
أبا سعيد أنت القائل:

[1] كذا في أكثر الأصول. و كدى (بالضم و القصر) : موضع بأسفل مكة
عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين، و كدى (منقوصة كفتى) :

ثنية بالطائف. و في حـ كداء (كسماء) : اسم لعرفات أو جبل بأعلى
مكة. و الشاعر يريد موضعاً بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة و قتلى، و
كل منها يحتمله وزن الشعر.

[2] كثوة (بالضم) بموضع.

[3] كذا في ب، س. و في حـ: «دينه المدني» بتقديم الياء المثناة على
النون. و قد ورد في ء، ط هكذا: «دينه المديني» بدون نقط.

لقد طفت سبعا قلت لَمَّا قضيتها # ألا ليت هذا لا عليّ و لا ليا

فقال: إي لعمر أبيك، و إني لأدمجه إدماجا من لؤلؤ. فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس. و قام أبو سعيد من مجلسه مغضبا و حلف ألا يشهد عنده أبدا. فأنكر أهل المدينة على ابن عمران ردّه شهادته، و قالوا: عرّضت حقوقنا للتوى[1] و أموالنا للتلف؛ لأننا كنّا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه و القضاة قبلك من الثقة به و تقديمه و تعديله. فندم ابن عمران بعد ذلك على ردّ شهادته، و وجّه إليه يسأله حضور[2] مجلسه و الشهادة عنده ليقضي بشهادته؛ فامتنع، و ذكر أنه لا يقدر على/حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حنث. قال: فكان ابن عمران بعد ذلك، إذا ادّعى أحد عنده شهادة أبي سعيد، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتّى يسمع منه و يسأله عما يشهد به فيخبره. و كان محمد بن عمران كثير اللحم، عظيم البطن. كبير العجيزة، صغير القدمين، دقيق الساقين، يشتدّ عليه المشي، فكان كثيرا ما يقول: لقد أتعبنى هذا الصوت «لقد طفت سبعا» و أضرب بي ضررا طويلا شديدا. و أنا رجل ثقال، بترددّي إلى أبي سعيد لأسمع شهادته.

ردّ المطلب بن حنطب شهادته فقال له شعرا فقلها:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدّي قال: كان المطلب بن عبد الله بن حنطب قاضيا على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب: [ويحك!] [3] أ لست الذي يقول: لقد طفت سبعا قلت لَمَّا قضيتها # ألا ليت هذا لا عليّ و لا ليا لا قبلت لك شهادة أبدا. فقال له أبو سعيد: أنا و الله الذي أقول:

كأنّ وجوه الحنطبيّين[4] في الدّجى # قناديل تسقيها السّليط[5] الهياكل

فقال الحنطبيّ: إنّك ما علمتكَ إلاّ دبابا حول البيت في الظلم، مدمنا للطّواف به في الليل و النهار؛ و قبل شهادته.

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ و خبره صوت

أفاض المدامع قتلي كدى # و قتلي بكنوة لم ترمس

[1] كذا في ب، ح، س. و التوى (وزان الحصى، و قد يمدّكما في «المصباح») : الهلاك. و في سائر الأصول: «التوى» بالثاء المثناة، و هو

تصنيف.

[2] كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادته إلخ» .

[3] زيادة عن م.

[4] الحنطيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي.

[5] السليط: الزيت و كل دهن عصر من حب.

و قتلي بوج [1] و بالآبتي # ن من [2] يثرب خير ما أنفس
و بالزّابيين نفوس [3] ثوت # و أخرى بنهر أبي فطرس [4]
أولئك قومي أناخت بهم # نواب من زمن متعس
إذا ركبوا زبّنا الموكبين # و إن جلسوا الزّين في المجلس
/هم أضرعوني لريب الزّمان # و هم ألقوا الرّغم [5] بالمعطس

عروضه من المتقارب. الشعر للعلبيّ، و اسمه عبد الله بن عمر [6]، و
يكنى أبا عديّ، و له أخبار تذكر مفردة في موضعها إن شاء الله. و الغناء
لأبي سعيد مولى فائد، و لحنه من الثقل الثاني بالسبابة في مجرى البصر.
و قصيدة العلبيّ أولها: /

تقول أمانة لما رأّت # نشوزي عن المضجع الأنفس

**أنشد عبد الله بن عمر العليّ عبد الله بن حسن شعره في رثاء
قومه فبكي:**

نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكار، و
أخبرني الأخفش عن المبرّد عن المغيرة بن محمد المهلبيّ عن الزّبير عن
سليمان بن عيّاش [7] السّعديّ قال: جاء عبد الله بن عمر العليّ إلى
سويقة [8] و هو طريد بني العبّاس؛ و ذلك بعقب [9] أيام بني أميّة و ابتداء
خروج ملكهم إلى بني العبّاس، فقصد عبد الله و حسنا ابني الحسن بن
حسن بسويقة؛ فاستنشده عبد الله بن حسن شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال
له: أريد أن تنشدي شيئاً مما رثيت به قومك [10]؛ فأنشده قوله: تقول
أمانة لما رأّت # نشوزي عن المضجع الأنفس

و قلّة نومي على مضجعي # لدى هجة الأعين النّفس

[1] وج: اسم واد بالطائف.

[2] اللابتان: تشية لابة و هي الحرّة، و هما حرتان تكتنفان المدينة. و في
الحديث: أن النبيّ صلى الله عليه و سلم حرّم ما بين لابتها، يعني المدينة.

و الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار.

[3] الزابيان: تشية زاب، و ربما قيل فيه: «زابي» (بياء في آخره) فيثني
على «زابيين». و هو اسم لروافد كثيرة. و لعل الشاعر يريد الزاب الأعلى
الذي بين الموصل و إربل. و فيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد و
بني العبّاس؛ أو الزاب الأسفل و بينه و بين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو

ثلاثة، و عليه كان مقتل عبيد الله بن زياد و هو من بني أمية. (انظر «معجم ياقوت») .

[4]كذا في ح، م. و نهر أبي فطرس: نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثني عشر ميلا من الرملة، و مخرجه من أعين في الحبل المتصل بنابلس، و يصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف و يافا؛ و به كانت الوقعة التي بين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس و بين بني أمية، فقتلهم في سنة 132 هـ. و في سائر الأصول: «نهر أبي بطرس» بالباء الموحدة، و هو تحريف.

[5]الرغم (مثلث الراء) : التراب. و المعطس (كمجلس و مقعد) : الأنف.

[6]فيء، ط، م: «عمرو» . و هو تحريف.

[7]كذا في س، م. و في سائر الأصول: «عباس» .

[8]سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.

[9]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «بعقب آخر أيام بني أمية إلخ» .

[10]فيء، ط، م: «بني أمية» .

أبي ما عراق؟ فقلت الهموم # عرون[1]أباك فلا تبلسي[2]
 عرون أباك فحبّسنه # من الدّلّ في شرّ ما محبس
 لفقد الأخبّة إذ نالها # سهام من الحدث المبئس[3]
 رمتها المنون بلا نكلّ # و لا طائشات و لا نكّس
 بأسهمها المتلفات النفوس # متى ما تصب مهجة تخلص
 فصرّعنهم في نواحي البلاد # ملقى بأرض و لم يرسس[4] /
 تقيّ[5]أصيب و أثوابه # من العيب و العار لم تدنس
 و آخر قد دسّ في حفرة # و آخر قد طار لم يحسس
 إذا عنّ ذكرهم لم ينم # أبوك و أوحش في المجلس
 فذاك الذي غالني[6]فاعلمي # و لا تسألني بامرئ متعس
 أدلّوا قناتي لمن رامها # و قد ألصقوا الرّغم بالمعطس

قال: فرأيت عبد الله بن حسن و إنّ دموعه لتجري على خدّه.

غنى الرشيد و كان مغضبا فسكن غضبه:

و قد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز[7]عن
 المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال: عمّر أبو سعيد بن أبي سنّة مولى بني
 أميّة و هو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد؛ فلمّا حجّ
 أحضره فقال: أنشدني قصيدتك: تقول أمانة لمّا رأّت

فاندفع فغناه قبل أن ينشده الشعر لحنه في أبيات منها، أوّلها: أفاض
 المدامع قتلى كدى

و كان الرشيد مغضبا فسكن غضبه و طرب، فقال: أنشدني القصيدة.
 فقال: يا أمير المؤمنين، كان القوم موالنيّ [1]في ء، ط، م: «عرين» و عراه
 يعريه و يعروه (من بابي ضرب و نصر) : غشيه.

[2]لا تبلسي: لا تحزني.

[3]في ح: «الحدث الموائس» .

[4]في م: «ترمس» و صوابه: «يرمس» بالياء. و الرمس و الرس:
 الدفن. و في الحادي عشر (ص 298 من هذه الطبعة) : فصرعاهم في
 نواحي البلا # د تلقى بأرض و لم ترمس

[5] في م: «نقيّ» .

[6] في ح: «عالي» .

[7] انظر الحاشية رقم 2 ص 277 من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

و أنعموا عليّ، فرثيتهم[1] و لم أهج أحدا؛ فتركه.

كان ابن الأعرابي ينشد شعر العبلي فصّحه فردّه أبو هفان:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحزنبيل قال:

كنا عند ابن/الأعرابي و حضر معنا أبو هفان[2]، فأنشدنا ابن الأعرابي عن أنشده قال: قال ابن أبي سبة العبلي[3]: أفاض المدامع قتلى كذا # و قتلى بكبوة لم ترمس

فغمز أبو هفان رجلا و قال له: قل له: ما معنى «كذا»؟ قال: يريد كثرتهم. فلما قمنا قال لي أبو هفان: أسمعت إلى هذا المعجب الرّقيع! صحّف اسم الرجل، هو ابن أبي سنّة، فقال: ابن أبي سبّة؛ و صحّف في بيت واحد موضعين، فقال: «قتلى كذا» و هو كدى، و «قتلى بكبوة» و هو بكثوة. و أغلظ عليّ من هذا أنه يفسّر تصحيفه بوجه وقاح. و هذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عدّيّ عبد الله بن عمر العبليّ فيمن قتله عبد الله بن عليّ بنهر أبي فطرس أبو العبّاس السّقّاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أميّة. و خبرهم و الوقائع التي كانت بينهم مشهورة يطول ذكرها جدّا. و نذكر هاهنا ما يستحسن منها.

[1] يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة:

تقول أمانة لما رأّت

لأبي سعيد بن أبي سنة، مع أنه في الخبر الذي تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبليّ، و سينسبها إليه بعد أسطر، كما نسبها إليه أيضا في ترجمته الخاصة به في (ج 11 ص 293-309 من هذه الطبعة).

[2] أبو هفان: كنية عبد الله بن أحمد الهزمي، كما في «معجم ياقوت» في كلامه على «كثوة».

[3] كذا في جميع الأصول. و يلاحظ أن «العبليّ» ليس نسبة لأبي سنة، و إنما هو نسبة لأبي عدّيّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الشعر، كما سيذكره المؤلف في هذا الخبر بعد قليل.

51- [ذكر1] من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

مقتل مروان بن محمد و ظفر عبد الصمد بن علي برأسه:
أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مسبّح بن حاتم العكليّ [2] قال حدّثني الجهم بن السّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ، قال:

لَمَّا اسْتَمَرَّتْ الهزيمة بمروان، أقام عبد الله بن عليّ بالرّقة، و أنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق، و أتبعه جيشا عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قوَاد خراسان، فلحقه و قد جاز مصر في قرية تدعى بوضير [3]، فقتله، و ذلك يوم الأحد ثلاث بقين من ذي الحجّة، و وجّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ، فأنفذه عبد الله بن عليّ إلى أبي العباس. فلَمَّا وضع بين يديه خرّ لله ساجدا، ثم رفع رأسه و قال: الحمد لله الذي أظهرني عليك و أظفرن بك و لم يبق ثاري قبلك و قبل رهطك أعداء الدّين؛ ثم تمثّل قول ذي الإصبع العدوانيّ:

لو [4] يشربون دمي لم يرو شاربهـم # و لا دماؤهم للغيط ترويني

أتى عبد الله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى و قاتل حتى قتل:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني محمد بن يزيد قال: نظر عبد الله بن عليّ إلى فتى عليه أبهة الشّرف و هو يقاتل مستنتلا [5]، فناده: يا فتى، لك الأمان و لو كنت مروان بن محمد. فقال: إلاّ أكنه فليست بدونه. قال: فلك الأمان من كنت. فأطرق ثم قال:

/

أذلّ الحياة و كره الممات # و كلاً أرى لك شرّاً وبيلا

- و يروى:

و كلاً أراه طعاما وبيلا

[1] زيادة عن ب، س.

[2] في م: «مسبّح بن حاتم العتكّي» .

[3] هي بوضير قوريدس من أعمال الفيوم التي قتل بها مروان المذكور، كما في «تقويم البلدان» لأبي الفدا إسماعيل (ص 107 طبع أوروبا و «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على «بوضير» . و في كتاب «ولاة مصر و قضائها» للكندي (ص 96 طبع بيروت) أنه «قتل ببوضير من

كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة» . و كورة الأشمونين من كور الصعيد الأدنى غربي النيل كما في «معجم ياقوت» . و في «النجوم الزاهرة» (ج 1 ص 317 طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة.

[4]ورد هذا البيت في «الأمالي» (ج 1 ص 256 طبع دار الكتب المصرية) . في قصيدة ذي الإصبع العدوانيّ هكذا:

لو تشربون دمي لم يرو شاربكم # و لا دماؤكم جمعا ترؤيني

[5]كذا في س. و المستنقل: الخارج من الصف المتقدم على أصحابه. و في سائر الأصول: «مستقتلا» .

فإن لم يكن غير إحداهما # فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل. قال: فإذا هو ابن مسلمة [1] ابن عبد الملك بن مروان.

اجتمع عند السفاح جماعة من بني أمية فأنشده سديف شعرا يغريه بهم فقتلهم و كتب إلى عماله بقتلهم:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن المعيطي، و أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال قال أبو السائب سلم بن جنادة السوائي [2] سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول: دخل سديف- وهو مولى لآل أبي لهب- على أبي العباس بالحيرة. هكذا قال وكيع. و قال الكراني في خبره و اللفظ له: كان أبو العباس جالسا في مجلسه على سريرته و بنو هاشم دونه/ على الكراسي، و بنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم، و كانوا في أيام دولتهم يجلسون هم و الخلفاء منهم على السرير، و يجلس بنو هاشم على الكراسي؛ فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب متلثم يستأذن و لا يحبر باسمه، و يحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك. قال: هذا مولاي سديف، يدخل، فدخل. فلما نظر إلى أبي العباس و بنو أمية حوله، حذر اللثام عن وجهه و أنشأ يقول [3]: /

أصبح الملك ثابت الآساس # باليهليل [4] من بني العباس

بالصدور المقدمين قديما # و الرءوس القماقم الرؤاس [5]

يا أمير المطهرين من الدّم و يا رأس منتهى كلّ راس

أنت مهديّ هاشم و هداها # كم أناس رجوك بعد إياس [6]

لا تقيلنّ بعد شمس عثارا # و اقطعن كلّ رقلة [7] و غراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان و الإتعاس [1] في «النجوم الزاهرة» (ج 1 ص 258 طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين: «فإذا هو ابن عبد الملك، و قيل: ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم» .

[2] السوائي (بالضم و التخفيف و الهمز) : نسبة إلى سواة بن عامر

بن صعصعة.

[3] اتفق «الكامل» للمبرد (ص 707 طبع أوروبا) «و العقد الفريد» (ج 2 ص 356 طبع مصر) على أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم. و يؤكد هذا الشعر نفسه؛ إذ يقول فيه، على رواية، : نعم شبل الهراش مولاك شبل # لو نجا من حبائل الإفلاس

و اتفقا أيضا على أن شعر سديف هو:

لا يغرّتك ما ترى من أناس # إن تحت الضلوع داء دوبا

فضع السيف و ارفع السوط حتى # لا ترى فوق ظهرها أمويا

و اختلفا فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر؛ ففي «العقد الفريد» أنه أبو العباس السفاح، و في «الكامل» أنه عبد الله بن عليّ.

[4] البهاليل: جمع بهلول و هو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحيّ الكريم.

[5] الرؤاس: الولاة و الحكام.

[6] في ء، ط:

كم أناس رجوك بعد أناس

[7] الرقلة: النخلة الطويلة التي تفوت اليد.

خوفهم أظهر التودد منهم # و بهم منكم كحز المواسي
 أقصهم أيها الخليفة و احسم # عنك بالسيف شافة الأرجاس
 و اذكرن [1] مصرع الحسين و زيد [2] # و قتل [3] بجانب المهراس [4]
 و الإمام [5] الذي بحرّان أمسى # رهن قبر في غربة و تناسي
 فلقد ساءني و ساء سوائي # قريهم من نمارق و كراسي
 نعم كلب [6] الهراش مولاك لو لا # أود [7] من حائل الإفلاس

/فتغيّر لون أبي العباس و أخذه زمع [8] و رعدة؛ فالتفت بعض ولد
 سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم، و كان إلى جنبه، فقال: قتلنا و الله
 العبد. ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من
 أهلي قد سلفوا و أنتم أحياء تتلذذون في الدنيا! خذوهم! فأخذتهم الخراسانية
 بالكافر [9] كوبات، فأهدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
 فإنه استجار بداود بن عليّ و قال له: إنّ أبي لم يكن كأبائهم و قد علمت
 صنيعته إليكم؛ فأجاره و استوهبه من السفاح، و قال له: قد علمت يا أمير
 المؤمنين صنيع أبيه إلينا. فوهبه له و قال له: لا تريني وجهه، و ليكن بحيث
 تأمنه؛ و كتب إلى عمّاله في النواحي بقتل بني أمية.

سبب قتل السفاح لبني أمية و تشفيه فيهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال
 حدّثنا الزبير بن بكار عن عمّه: أنّ سبب قتل بني أمية: أنّ السفاح أنشد
 قصيدة مدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به! فقال:
 هيهات! لا يقول و الله أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيّات فينا: ما نقوموا
 من بني أمية إلا أنّهم يحلمون إن غضبوا

و أنّهم معدن الملوك و لا # تصلح إلا عليهم العرب

فقال له: يا ماصّ كذا من أمّه! و إنّ الخلافة لفي نفسك بعد! خذوهم!
 فأخذوا فقتلوا.

[1] في «الكامل»: «و اذكروا» .

[2] هو زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قتل في أيام
 هشام بن عبد الملك.

[3] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «و قتيلا» . و يعني به حمزة
 بن عبد المطلب، قتله يوم أحد وحشيّ غلام جبير بن مطعم.

[4]المهراس فيما ذكر المبرد: ماء بأحد؛ روي أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم عطش يوم أحد فجاءه عليّ في درقة بماء من المهراس، فعافه و غسل به الدم عن وجهه. قال المبرد في «الكامل»: و إنما نسب شبل قتل حمزة إلى بني أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد.

[5]الإمام الذي بحرّان: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، و قد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية صبرا.

[6]في «الكامل» «و العقد الفريد» :

نعم شبل الهراش مولاك شبل # لو نجا من حبائل الإفلاس

[7]الأود هنا: الكد و التعب و الجهد.

[8]الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

[9]في ح: «بالكفر كربات» . و لعله اسم أعجميّ لآلات يضرب بها كالعمد و غيرها.

بسط السفاح على قتلاهم بساطا تغدى عليه و هم يضطربون

تحتة:

أخبرني عمي عن الكراني عن النضر بن عمرو عن المعيطي: /أنّ أبا العباس دعا بالغداء/ حين قتلوا، و أمر ببساط فبسط عليهم، و جلس فوقه يأكل و هم يضطربون تحتة.

فلما فرغ من الأكل قال: ما أعلمني أكلت أكلة قطّ أهناً و لا أطيب لنفسي منها. فلما فرغ قال: جرّوا بأرجلهم؛ فألقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيت الكلاب تجرّ بأرجلهم و عليهم سراويلات الوشى حتى أنتنوا؛ ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها.

أنشد ابن هرمة داود بن علي شعرا فأوغر صدره على بعض أمويين في مجلسه:

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن معن الغفاري عن أبيه قال: لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا و حسين بن علي بن حسين و علي بن عمر [1] بن علي بن حسين و جعفر بن محمد و الأرقط محمد بن عبد الله و حسين بن زيد و محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان و عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي و عروة و سعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعمل لداود مجلس بالزويطة [2]؛ فجلس عليه هو و الهاشميون، و جلس الأمويون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدة يقول فيها.

فلا عفا الله عن مروان مظلمة # و لا أمية بنس المجلس التادي [3]

كانوا كعاد فأمسى الله أهلهم # بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبني من هاشم أحد # فيما أقول و لو أكثرت تعدادي

/قال: فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة. فلما قام قال عيد الله [ابن حسن] [4] لأخيه حسن: أ ما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة! الحمد لله الذي صرفها عن أخي [5] (يعني العثماني)، قال: فما هو إلا أن قدم [6] المدينة حتى قتل ابن عنبسة.

استحلف عبد الله بن حسن داود بن علي ألا يقتل أخويه محمدا و القاسم:

قال محمد بن معن حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن علي، و قد حجّ معه سنة اثنتين و

ثلاثين و مائة، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن حسن ألاّ يقتل أخويه محمدا و القاسم ابني عبد الله. قال: فكنت أختلف إليه آمنا و هو يقتل بني أمية، [1] كذا في ط، م، و هو الموافق لما في الطبري (قسم 3 ص 191 طبع أوروبا) . و في ء: «على بن عمرو بن علي بن حسين» . و في سائر الأصول: «علي بن محمد بن علي بن حسين» ، و هما تحريف.

[2] الرويثة: موضع على ليلة من المدينة.

[3] في ب، س، م: «البادي» بالباء الموحدة.

[4] زيادة عن ح.

[5] هو أخوه لامه، كما ذكر ذلك في كتب التاريخ.

[6] في ب، س: «فما هو إلا أنه ما قدم المدينة إلخ» . -

و كان يكره أن يراني أهل خراسان و لا يستطيع إليّ سبيلا ليمينه. فاستدنياني يوما فدنوت منه، فقال: ما أكثر الغفلة و أقلّ الحزمة! فأخبرت بها عبد الله بن حسن؛ فقال: يا ابن أمّ، تغيب عن الرجل؛ فتغيبت عنه حتّى مات.

أنشد سديف السفاح شعرا و عنده رجال من بني أمية فأمر بقتلهم:

أخبرني الحسن بن عليّ و محمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن عليّ قال: أنشد سديف أبا العباس، و عنده رجال من بني أمية، قوله: يا بن عمّ النبيّ أنت ضياء # استنبا بك اليقين الجليّا
فلما بلغ قوله:

جرّد السيف و ارفع العفو حتّى # لا ترى فوق ظهرها أموبا

لا يعزّك ما ترى من رجال # إنّ تحت الصّلوع داء دوبا

بطن البغض في القديم فأضحى # ثاوبا في قلوبهم مطوبا

/و هي طويلة، قال[1]: يا سديف، خلق الإنسان من عجل، ثم قال: أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا # فلن تبيد و للآباء أبناء
/ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا.

حضر سليمان بن عليّ جماعة من بني أمية فأمر بقتلهم:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان التوفليّ عن أبيه عن عمومته: أنّهم حضروا سليمان بن عليّ بالبصرة، و قد حضره جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة، فكأني أنظر إلى أحدهم و قد اسودّ شيب في عارضيه من الغالية[2]، فأمر بهم فقتلوا و جرّوا بأرجلهم، فألقوا على الطريق، و إنّ عليهم لسراويلات الوشي و الكلاب تجرّ بأرجلهم.

وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن عليّ يسأله الأمان فأجابه «إليه»:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو[3] قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال: جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة، فقال لي: يقول لك عمرو: قد

جاءت هذه الدولة و أنا حديث السنّ كثير العيال منتشر المال، فما أكون في قبيلة إلاّ شهر أمرى و عرفت، و قد اعتزمت على أن أفدي حرمى بنفسى؛ و أنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن عليّ، فصر إليّ. فوافيته فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض و سراويل وشي [1] في الأصول: «فقال» .

[2]الغالية: ضرب من الطيب.

[3]في ح، م: «محمد بن عبد الله بن عمر» .

مسدول، فقلت: يا سبحان الله! ما تصنع الحدائبة بأهلها! أ بهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه! فقال: لا والله، و لكنّه ليس عندي ثوب إلا أشهر مما[1] ترى. فأعطيته طيلسانه و أخذت طيلسانه و لويت سراويله إلى /ركبتيه؛ فدخل ثم خرج مسرورا. فقلت له: حدّثني ما جرى بينك و بين الأمير. قال: دخلت عليه و لم نترأ قط، فقلت: أصلح الله الأمير! لفظتني البلاد إليك، و دلني فضلك عليك؛ فإمّا قتلتني غانما، و إمّا رددتني سالما. فقال: و من أنت؟ ما أعرفك؛ فانتسبت له. فقال: مرحبا بك، أقعد فتكلم آمنا غانما؛ ثم أقبل عليّ فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ فقلت: إنّ الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا و أولى الناس بهنّ بعدنا، قد خفن لخوفنا، و من خاف خيف عليه. فو الله ما أجابني إلا بدموعه علي خديّ؛ ثم قال: يا ابن أخي، يحقن الله دمك، و يحفظك في حرمك، و يوقر عليك مالك. و والله لو أمكنتني ذلك في جميع قومك لفعّلت، فكن متواربا كظاهر، و آمنا كخائف، و لتأتني رقاعك. قال: فكنت و الله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه و عمّه. قال: فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه؛ فقال: مهلا[2]، فإنّ ثيابنا إذا فارقتنا لن ترجع إلينا.

شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أمية:

أخبرني[أحمد بن عبد الله قال حدّثنا][3]أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال: قال سديف لأبي العباس يحصّه على بني أمية و يذكر من قتل مروان و بنو أمية من قومه: كيف بالعفو عنهم و قديما # قتلوكم و هتّكوا الحرمات

أين زيد و أين يحيى بن زيد # يا لها من مصيبة و ترات
و الإمام الذي أصيب بحرّا # نّ إمام الهدى و رأس النّفات
قتلوا[4]آل أحمد لا عفا الذّن # ب لمروان غافر السيّئات

شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية: أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال:

أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بني العباس يحرضهم على بني أمية: إيّاكم أن تلينوا[5]لاعتذارهم # فليس ذلك إلاّ الخوف و الطمع

لو أنّهم آمنوا أبدوا عداوتهم # لكنهم قمعوا بالذلّ فانقمعوا

أليس في ألف شهر قد مضت لهم # سقوكم جرعا من بعدها جرع

[1]كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «إلا أشهر من هذه» .

[2] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «مه» .

[3] زيادة عن س، م.

[4] في حـ:

قتلوا آل أحمد لا عفا اللّ # ه لمروان سافر السيئات

[5] في حـ. «تنبؤوا» . و في م:

إياكم أن يليتوا الاعتذار لكم

حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامَ مَدَّتْهُمْ # مَتَّوَا إِلَيْكُمْ بِالْأَرْحَامِ الَّتِي قَطَعُوا
هِيَهَاتَ لَا بَدَّ أَنْ يَسْقُوا بِكَأْسِهِمْ # رَبَّيَا وَ أَنْ يَحْصِدُوا الزَّرْعَ الَّذِي زَرَعُوا
إِنَّا وَ إِخْوَانَنَا الْأَنْصَارَ شِيعَتَكُمْ # إِذَا تَفَرَّقْتَ الْأَهْوَاءَ وَ الشَّيْعَ
إِتَّابَكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمْ # قَدْ مَلَكَوْا ثُمَّ مَا ضَرُّوْا وَ لَا نَفَعُوا

رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح:

و ذكر ابن المعتز: أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنَ مَنْصُورٍ
عَنْ أَبِي الْخَصِيبِ فِي قِصَّةِ سَدِيفٍ بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ الْكِرَانِيُّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ
عَمْرٍو عَنِ الْمَعِيطِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهَا: فَلَمَّا أَنْشَدَهُ ذَلِكَ التَّفَتَّ إِلَيْهِ أَبُو الْغَمْرِ
سَلِيمَانَ بْنَ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مَاصِّ بَطْرَ أُمَّه! أَتَجْبَهُنَا بِهَذَا وَ نَحْنُ سُرُواتِ
النَّاسِ! فغضب أبو العباس؛ وَ كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ هِشَامٍ صَدِيقَهُ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا
يَقْضِي حَوَائِجَهُ فِي أَيَّامِهِمْ وَ يَبْرِّه؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ، وَ صَاحَ بِالْخِرَاسَانِيَّةِ:
خَذُوهُمْ؛ فَقَتَلُوا جَمِيعًا إِلَّا سَلِيمَانَ بْنَ هِشَامٍ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّفَّاحُ فَقَالَ: يَا أَبَا
الْغَمْرِ، مَا أَرَى لَكَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا. قَالَ: لَا وَ اللَّهُ. فَقَالَ: اقْتُلُوهُ، وَ
كَانَ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَتَلَ؛ وَ صَلَبُوا فِي بَسْتَانِهِ، حَتَّى تَأْدَى جَلِيسَاؤُهُ بِرَوَائِحِهِمْ،
فَكَلِمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: وَ اللَّهُ لَهَذَا أَلَدُّ عِنْدِي مِنْ شَمِّ الْمَسْكِ وَ الْعَنْبَرِ، غِيظًا
عَلَيْهِمْ وَ حَنَقًا.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدين [1] ثابت الأساس # بالبهليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما # و الرءوس القماقم الرؤاس

عروضه من الخفيف، الشعر لسديف. و الغناء لعطرّد رمل بالبنصر عن
حبش. قال: و فيه لحكم الواديّ ثاني ثقيل. و فيه ثقيل أوّل مجهول.
و مما قاله أبو سعيد مولى فائد في قتلى بني أمية و غنى فيه:

صوت

بكيت و ما ذا يردّ البكاء # و قلّ البكاء لقتلى كداء [2]

أصيبوا معا فتولّوا معا # كذلك كانوا معا في رخاء

بكت لهم الأرض من بعدهم # و ناحت عليهم نجوم السماء

و كانوا الضياء فلما انقضى الزمان بقومي تولّى الضياء [1] في م:
«أصبح الملك»، و هي الرواية التي وردت فيما مرّ.

[2] وردت القافية في هذا الشعر، في «معجم يقوت» في الكلام على
كذا، بالقصر.

عروضه من المتقارب. الشعر و الغناء لأبي سعيد مولى فائد، و لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة و إسحاق و غيرهما. و مما قاله فيهم و غنّى فيه على أنّه قد نسب إلى غيره:

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلّوا # بعد جمع فراح عظمي مهيبا /
ما تذكّرتهم فتملك عيني # فيض غرب و حقّ لي أن تفيضا

/الشعر و الغناء لأبي سعيد خفيف ثقيل بالوسطي عن ابن المكيّ و الهشاميّ. و روى اليثبيعيّ عن عمر بن شبة عن إسحاق أنّ الشعر لسديف و الغناء للغريض. و لعله و هم.
و منها:

صوت

أولئك قومي بعد عزّ و منعة # تفانوا فلاّ تذرف العين أكمد
كأثمهم لا ناس للموت غيرهم # و إن كان فيهم منصفا غير معتدي

الشعر و الغناء لأبي سعيد. و فيه لحن لمثيّم.

ركب المأمون إلى جبل الثلج فغناه علوية بشعر ندب فيه بني أمية فسبه ثم كلم فيه فرضي:

أخبرني عبد الله بن الرّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طيّاب بن إبراهيم قال:

ركب المأمون بدمشق يتصيّد حتّى بلغ جبل الثلج، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سروات[1] لم ير أحسن منها و لا أعظم، فنزل المأمون و جعل ينظر إلى آثار بني أمية و يعجب منها و يذكرهم، ثم دعا بطبق عليه بزماورد[2] و رطل نبيذ؛ فقام علويه فغنّى:

أولئك قومي بعد عزّ و منعة # تفانوا فلاّ تذرف العين أكمد

/قال: فغضب المأمون و أمر برفع الطبق، و قال: يا ابن الزانية! لم يكن لك وقت تبكي فيه على قومك إلاّ هذا الوقت! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زرباب[3] يركب معهم في مائة غلام، و أنا مولاهم معكم أموت جوعا! [1]السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، واحده سروة.

[2]البزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي، و فخذ الست، و لقمة الخليفة، و هو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد و البيض. و في «شفاء الغليل»: «زماورد» و العامة تقول: «بزماورد»: كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم.

[3]زرياب: هو علي بن نافع المغني مولى المهدي و معلم إبراهيم الموصلي، صار إلى الشام ثم صار إلى المغرب إلى بني أمية، فقدم الأندلس على عبد الرحمن الأوسط سنة 136 هـ فركب بنفسه لتلقيه، كما حكاه ابن خلدون. و زرياب لقب غلب عليه ببلده، لسواد لونه مع فصاحة لسانه، شبه بطائر أسود غرّاد. و كان شاعرا مطبوعا و أستاذا في الموسيقى. (انظر «شرح القاموس» مادة زرب، «و تاريخ بغداد» لابن طيفورج 6 ص 284 طبع أوروبا).

فقام المأمون فركب و انصرف الناس، و غضب على علويه عشرين يوماً؛ فكلّمه فيه عبّاس أخو بحر؛ فرضي عنه، و وصله بعشرين ألف درهم.

صوت من المائة المختارة

مهاة لو أنّ الذّرّ تمشي ضعافه # على متنها بصّت مدارجه دما [1]

فقلن لها قومي فديناك فاركي # فأومت بلالا غير أن تتكلّما [2]

عروضه من الطويل. بصّت: سألت. يقول: لو مشى الذّرّ على جلدها لجرى منه الدّم من رقّته. و روى الأصمعيّ: منعمّة لو يصبح الذّرّ ساربا # على متنها بصّت مدارجه دما

الشعر لحميد بن ثور الهلاليّ. و الغناء في اللحن المختار لفليح بن أبي العوراء، و لحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى. و ذكر عمرو بن بانه أنّ لحن فليح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، و أنّ الثقيل الأوّل للهدليّ.

/و مما يغنى فيه من هذه القصيدة:

صوت

إذا شئت غنّني بأجراع [3] بيشة # أو الثّخل من تثليث [4] أو من يلملما [5]

[1] رواية «عيون الأخبار» (ج 4 ص 143 طبع دار الكتب المصرية) : على جلدها نصّت مدارجه دما

و نصّت بالنون أيضا: سألت.

[2] رواية «عيون الأخبار» :

فأومت بلالا غير ما أن تكلما

[3] كذا في ح، م، و في سائر الأصول: «بأجراع» بالراء المهملة. و قد تقدّم تفسيرهما في الحاشية رقم 2 ص 278 من هذا الجزء.

و بيشة: اسم قرية غنّاء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن.

[4] تثليث (بكسر اللام و ياء ساكنة و ثاء أخرى مثلثة) : موضع بالحجاز

قرب مكة.

[5] كذا بالأصول. و يلملم و يقال فيه: ألملم و يرمرم: ميقات أهل

اليمن، و هو جبل على مرحلتين من مكة، و فيه مسجد معاذ بن جبل.

و ورد هذا البيت في «معجم البلدان» لياقوت (ج 1 ص 487) هكذا:
إن شئت غنتني بأجزاء بيثة # وبالرّزن من تثليث أو من بمبما

و قال: بمبم بفتحين بوزن غشمشم: موضع أو جبل. و لم تجتمع الباء
و الميم في كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة. و رواه بعضهم بمبم. و في
«معجم ما استعجم» (ص 850): «إذا شئت... # .. بينما»

و بينم (بفتح أوّله و ثانيه بعده نون و باء أخرى) : واد شجير قبل
تثليث.

و قد ورد هذا البيت في «الكامل» للمبرد (ص 503 طبع أوروبا) كما
هنا، و أشير في هامشه إلى عدّة روايات في هذا الاسم تقرب في الرسم
من هذه الروايات التي ذكرناها.

مطوّقة طوقا و ليس بحلية # و لا ضرب صوّاغ بكفّيه درهما
 تبيكي [1] على فرح لها ثم تغتدي # مولّهة تبغي لها الدهر مطعما
 تؤمّل منه مؤنسا لانفرادها # و تبكي عليه إن زقا أو ترثما

/و غنّاه محمد الرّفّ [2] خفيف رمل بالوسطى.

[1]رواية «الكامل» للمبرد:

مطوّقة خطباء تسجع كلما # دنا الصيف و انجال الربيع فأنجما
 محلاّة طوق لم يكن من تميمة # و لا ضرب صوّاغ بكفّيه درهما

و أنجم: أقلع مثل انجال.

[2]في ح: «محمد الزف» بالزاي المعجمة. (انظر ما كتبناه عليه في
 الحاشية رقم 2 ص 306 من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

52- ذكر حميد بن ثور و نسبه و أخباره

نسبه و طبقة في الشعراء:

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. و هو من شعراء الإسلام. و قرنه ابن سلام بنهشل بن حرّي و أوس[1] بن مغراء.

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب:

و قد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و قال الشعر في أيامه. و قد أدرك الجاهلية أيضا.

نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراء:

أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد و عبد الله بن شبيب قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال: تقدّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبّب أحد بامرأة إلا جلده. فقال حميد[2] بن ثور: أبى الله إلا أن سرحة[3] مالك # على كل أفنان العضاة[4] تروق[5]

فقد ذهبت عرضا و ما فوق طولها # من السرح إلا عشة و سحوق

-العشة: القليلة الأغصان و الورق. و السحوق: الطويلة المفرطة.-

/

فلا الطل[6] من برد الصّحى تستطيعه[7] # و لا الفيء من برد العشيّ تذوق

[1] عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين. أما حميد بن ثور و نهشل بن حرّي فقد عدّهما في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين. (راجع «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي ص 129، 130 طبع أوروبا).

[2] في م: «فقال حميد بن ثور و كانت له صحبة فذكر شعرا فيه» .

[3] السرحة: الشجرة الطويلة، و يكنى الشعراء بها عن المرأة.

[4] العضاة بالكسر: أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها و طال، كالعضه كعنب و العضة كعنبسة، و الجمع: عضاة و عضون و عضوات.

[5] أي تزيد عليها بحسنها و بهائها؛ من قولهم: راق فلان على فلان إذا زاد عليه فضلا.

[6]الظل: ما كان أوّل النهار إلى الزوال. و الفيء: ما كان بعد الزوال إلى الليل. فالظلّ غربيّ تنسخه الشمس، و الفيء شرقيّ ينسخ الشمس. و البرد: من معانيه الظل و الفيء. يقال: البردان و الأبردان للظل و الفيء، و أيضا للغداة و العشيّ. و ظاهر الكلام يقتضي أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا: الظل و الفيء، على أن تكون «من» بيانية.

[7]في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على سرحة: «تستظله» .

فهل أنا إن علّلت نفسي بسرحة # من السّرح موجود[1] عليّ طريق
و هي قصيدة طويلة أوّلها:
نأت أمّ عمر فالفؤاد مشوق # يحنّ إليها والها و يتوق

صوت

و فيها مما يغنّي فيه:

سقى السّرحة المحلال[2] و الأبرق[3] الذي # به السّرح غيث دائم و بروق
و هل أنا إن علّلت نفسي بسرحة # من السّرح موجود عليّ طريق
غناّه إسحاق، و لحنه ثاني ثقيل [بالوسطى][4].

وفد على بعض خلفاء بني أمية بشعر فوصله:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال: وفد حميد بن ثور على
بعض خلفاء بني أمية؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال: أتاك بي الله الذي فوق
من ترى # و خير و معروف عليك دليل

/ و مطويّة الأقراب[5] أمّا نهارها # فنصّ [6] و أمّا ليلها فذميل

و يطويّ عليّ الليل حنّيه إني # لذاك إذا هاب الرجال فعول

فوصله و صرفه شاكرا.

[1] في «الاقْتِضَاب» للبطلْيوسِي (ص 459): «مأخوذ عليّ». و في
«كنايات الجوجاني» (ص 7): «مسدود عليّ». و كل مستقيم المعنى.

[2] المحلال: التي يكثر الناس الحلول بها. قال ابن سيده: و عندي أنها
تحل الناس كثيرا؛ لأن مفعالا إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول.

[3] الأبرق: أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة و رمل. و المراد به هنا
موضع بعينه.

[4] زيادة عن س، م.

[5] الأقراب: جمع قرب (بالضم و بضمّتين) و هو الخاصرة، و قيل:
القرب من لدن الشاكلة إلى مراقّ البطن. و في «التهذيب»: فرس لاحق
الأقراب، يجمعونه و إنما له قربان لسعته؛ كما يقال: شاة ضخمة الخواصر، و
إنما لها خاصرتان. (انظر «اللسان» مادة قرب).

[6] كذا في أكثر الأصول. و النص: أقصى السير. و الذميلة: السير اللين. و في ء، ط: «فسبت». و السبت: ضرب من سير للإبل.

53- أخبار فليح بن أبي العوراء

هو مولى بني مخزوم و أحد مغني الدولة العباسية:
فليح رجل من أهل مكة، مولى لبني مخزوم، و لم يقع إلينا اسم أبيه. و هو أحد مغني الدولة العباسية، له محل كبير من صناعته، و موضع جليل. و كان إسحاق إذا عدّ من سمع من المحسنين ذكره فيهم و بدأ به. و هو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد.

مدح إسحاق الموصلي غناءه:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال:

ما سمعت أحسن غناء من فليح بن أبي العوراء و ابن جامع: فقلت له: فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)؛ فقال: كان هذان لا يحسنان/غير الغناء، و كان أبو إسحاق فيه مثلهما، و يزيد عليهما فنونا من الأدب و الرواية لا يداخلانه فيها.

كان يحكي الأوائل فيصيب و يحسن:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد[1] المهلبيّ قال:

قال لي إسحاق: أحسن من سمعت غناء عطرّد و فليح.

و كان[2] فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه، و هو أحد من كان يحكي الأوائل فيصيب و يحسن.

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتا له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن محمد العنبيّ قال حدّثني محمد بن الوليد الزبيريّ قال:

/سمعت كثير بن المحوّل يقول: كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما فليح بن أبي العوراء، و الآخر سليمان بن [1]كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «محمد بن يزيد المهلبيّ» و هو خطأ.

[2] في س، م، ح، زيادة قبل هذا الخبر هي: «و قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: كان فليح أحد الموصوفين... إلخ» .

سليم؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة [1] أحسن منه من حلقك، فعلمه إياه - قال: و كان يغني صوتا يجيده، و هو:

خير ما نشرها [2] بالبكر

- قال: فقال فليح للرسول: قال له: حسبك. قال: فسمعنا ضحكه من وراء الستارة.

كانت ترفع الستارة بينه و بين المهدي دون سائر المغنين:

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع:

أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعا، و يحضرون مجلسه، فيغنونه من وراء الستارة لا يرون له وجهها إلا فليح بن أبي العوراء؛ فإنّ عبد الله بن مصعب الزبيريّ كان يرويه شعره و يغني فيه في مدائحه للمهديّ؛ فدرس في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه، و سأل فليحا أن يغنيهما في أضعاف أغانيه، و هما:

صوت [3]

يا أمين الإله في الشّرق و الغر # ب على الخلق و ابن عمّ الرّسول

مجلسا بالعشيّ عندك في الميـ # دان أبغي و الإذن لي في الوصول

/فغناه فليح إياهما. فقال المهديّ: يا فضل، أجب عبد الله إلى ما سأل، و أحضره مجلسي إذا حضره أهلي و موالئي و جلست لهم، و زده على ذلك أن ترفع بيني و بين راويته فليح الستارة؛ فكان فليح أوّل مغنّ عاين وجهه في مجلسهم.

دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أوّل دخوله بغداد و وصله:

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطاب كاتب مسرور خادم الرشيد، قال: سمعت محبوب بن الهفتيّ يحدث أبي، قال:

دعاني محمد بن سليمان بن عليّ، فقال لي: قد قدم فليح من الحجاز و نزل عند مسجد ابن رغبان [4]، فصر إليه، فأعلمه أنّه إن جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد، خلعت عليه خلة سرّيّة من ثيابي و وهبت له خمسة آلاف درهم. فمضيت إليه فخبرته بذلك؛ فأجابني إليه إجابة مسرور به نشيط

له. و خرج معي، فعدل إلى حمّام كان بقربه، فدعا القِيم فأعطاه درهمين و سأله أن يجيئه بشيء يأكله و نبيذ يشربه؛ فجاءه برأس كأنه رأس عجل و نبيذ [1] هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغني عصر الرشيد. ذكر له أبو الفرج ترجمة في (ج 21 طبع أوروبا) .

[2] في ء، ط، م: «ما تشرّبها» .

[3] هذه الكلمة ساقطة في ء، ط، م. و مما يرجح سقوطها أن أبا الفرج لم يذكر طريقة الغناء في هذا الشعر.

[4] في ح: «ابن زغبان» بالزاي قبل الغين. و في سائر الأصول: «ابن عتاب» و كلاهما محرّف عن «ابن زغبان» . و يقع مسجد ابن زغبان هذا في غربي بغداد و كان مزبلة. قال بعض الدهاقين: مر بي رجل و أنا واقف عند المزبلة التي صارت مسجد ابن زغبان قبل أن تبنى بغداد، فوقف عليها و قال: ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئاً فأحسن أحواله أن يحمل ذلك في ثوبه؛ فضحكت تعجباً. فما مرت إلا أيام حتى رأيت مصداق ما قال. (انظر «معجم البلدان» لياقوت ج 4 ص 524 طبع أوروبا) .

دوشابيّ [1] غليظ مسحوريّ [2] رديء. فقلت/له: لا تفعل، و جهدت به ألا يأكل و لا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إليّ، و أكل ذلك الرأس و شرب من ذلك النبيذ الغليظ حتّى طابت نفسه، و غنّي و غنّي القيم معه ملياً؛ ثم خاطب القيم بما أغضبه، و تلاحيا و تواتبا؛ فأخذ القيم شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمه.

فلما رأى الدم/على وجهه اضطرب و جزع و قام يغسل جرحه، و دعا بصوفة محرقة و زيت، و عصيه و تعمم و قام معي. فلما دخلنا دار محمد بن سليمان. و رأى الفرش و الآلة و حضر الطعام فرأى سروه [3] و طيبه، و حضر النبيذ و آتته، و مدّت الستائر و غنّي الجوارى، أقبل عليّ و قال: يا مجنون! سألتك بالله أيما أحقّ بالعريدة و أولى: مجلس القيم أم مجلس الأمير؟ فقلت: و كأنه لا بدّ من عريدة! قال: لا! والله ما لي منها بدّ، فأخرجتها من رأسي هناك.

فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذي فعلت أجود. فسألني محمد عما كتّأ فيه فأخبرته؛ فضحك ضحكا كثيرا، و قال:

هذا الحديث و الله أظرف و أطيب من كلّ غناء؛ و خلع عليه و أعطاه خمسة آلاف درهم.

اتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد:
قال هارون بن محمد و حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القرمطيّ قال حدّثنا مدركة بن يزيد قال:

قال لي فليح بن أبي العوراء: بعث يحيى بن خالد إليّ و إلى حكم الواديّ و إلى ابن جامع، فأتيناها. فقلت لحكم: إن قعد ابن جامع معنا فعاوطنيّ عليه لنكسره. فلما صرنا إلى الغناء غنّي حكم؛ فصحت و قلت: هكذا و الله يكون الغناء! ثم غنيت، ففعل لي حكم مثل ذلك. و غنّي ابن جامع فما كتّأ معه في شيء. فلما كان/العشيّ أرسل إلى جاريته دنانير: إنّ أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟ فخرجت و خرج معها و صائف؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزه نفسا من فليح. ثم أشار إلى غلام له: أن آئت كلّ إنسان ألفي درهم، فجاء بها؛ فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كمّه، و فعل بحكم الواديّ مثل ذلك فطرحها في كمّه، و دفع إليّ ألفين. فقلت لدنانير: قد بلغ منّي النبيذ، فاحبسها لي عندك حتى تبعثي بها إليّ؛ فأخذت الدراهم منّي و بعثت بها إليّ من الغد، و

قد زادت عليها؛ و أرسلت إليّ: قد بعثت إليك بوديعتك و بشيء أحببت أن تفرّقه على أخواتي (تعني جوارئي) .

طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضا فغنى و رجع ثم مات في علته:

قال هارون بن محمد و حدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال: كُتِبَ عند الفضل بن الربيع، فقال: هل لك في فليح بن أبي العوراء؟ قلت نعم. فأرسل إليه، فجاء الرسول [1]الدوشابي: نسبة إلى الدوشاب و هو نبيذ التمر معرّب؛ قال ابن المعتز:

لا تخلط الدوشاب في قدح # بصفاء ماء طيب البرد

و قال ابن الرومي:

علّني أحمد من الدوشاب # شربة بّعضت قناع الشباب

[2]مسحوري: فاسد.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و رأى سروره به و طيبه» : و هو تحريف. و السرو: الشرف و السخاء. و لعل المراد بسرو الطعام جودته و كثرته. -

فقال: هو عليل؛ فعاد إليه فقال الرسول: لا بدّ من أن تجيء؛ ف جاء به محمولا في محفة؛ فحدّثنا ساعة ثم غنى.

فكان فيما غنى:

تقول عرسي إذ نبا المضع # ما بالك الليلة لا تهجع

فاستحسنناه منه و استعدناه منه مرارا؛ ثم انصرف و مات في علته تلك؛ و كان آخر العهد به ذلك المجلس.

روى قصة فتى عاشق غناه هو و عشيقته فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها:

أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال حدّثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال: كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عمّ له، فوعده أن تزوره. و شكّا إليّ أنّها تأتيه و لا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلما زارته قالت له: من يلهينا؟ قال: صديق لي، و وصفني لها، و دعاني فأتيته؛ فكان أوّل ما غنّيته: /

من الخفريات لم تفضح أخاها # و لم ترفع لوالدها شنارا[1]

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف؛ فعلق بها و جهد بها كلّ الجهد في أن تقيم، فلم تقم و انصرفت. فأقبل عليّ يلومني في أن غنّيتها ذلك الصوت. فقلت: و الله ما هو شيء اعتمدت به مساءتك، و لكنه شيء اتفق. قال: فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها و معه صرة ألف/دينار و دفعها إلى الفتى و قال له: تقول لك ابنة عمك: هذا مهري ادفعه إلى أبي، و اخطبني؛ ففعل فتزوّجها.

نسبة هذا الصوت

صوت

من الخفريات لم تفضح أخاها # و لم ترفع لوالدها شنارا

كأنّ مجامع الأرداف منها # نفا[2] درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي # و أتبع الممّعة الثّوارا[3]

و الشعر لسليك بن السّلكة السّعديّ. و الغناء لابن سريح رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى. و فيه لابن الهربذ لحن من رواية بذل، أوّله: يعاف وصال ذات البذل قلبي

و بعده:

غذاها قارص[4] يغدو عليها # و محض حين تنتظر العشارا

[1] الخفرة: الشديدة الحياء. و الشنار: العيب و العار.

[2] النقا (مقصور) : الكتيب من الرمل. و هار: سقط و تهدّم.

[3] النوار: المرأة النفور من الريبة و الجمع نور.

[4] القارص: لبن يحذي اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة. و المحض: اللبن الخالص. و العشار: جمع-

ورد دمشق على إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه جواريه غناء و انتشرت أغانيه بها:

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: كتب إليّ جعفر بن يحيى و أنا عامل للرشيد على جند دمشق: قد قدم علينا فليح بن أبي العوراء، فأفسد علينا بأهزاجه و خفيفه كلّ غناء سمعناه قبله. و أنا محتال لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا. فلم ألبث أن ورد عليّ فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار. فورد عليّ رجل أذكرني لقاءه الناس، و أخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاث سنين، فأخذ عنه جواريّ كلّ ما كان معه [من الغناء][1]، و انتشرت أغانيه بدمشق.

غنى موفق ألحان فليح بفسطاط مصر عند مقدم عنبسة بن إسحاق:

قال يوسف: ثم قدم علينا شابّ من المغنّين مع عليّ بن زيد بن الفرج الحرّانيّ، عند مقدم عنبسة بن إسحاق فسطاط مصر، يقال له مونق؛ فغنّاني من غناء فليح:

[صوت[2]]

يا قرة العين اقبلي عذري # ضاق بهجرانكم صدري

لو هلك الهجر استراح الهوى # ما لقي الوصل من الهجر

- و لحنه خفيف رمل- فلم أر بين ما غنّاه و بين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقا؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال: أخذته بدمشق؛ فعلمت أنّه مما أخذه أهل دمشق عن فليح.

صوت من المائة المختارة

أ فاطم إنّ النأي يسلي ذوي الهوى # و نأيك عني زاد قلبي بكم وجدا

أرى حرجا ما نلت من ودّ غيركم # و نافلة ما نلت من ودّكم رشدا

و ما نلتقي من بعد نأي و فرقة # و شحط نوى إلاّ وجدت له بردا

() عشراء و هي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر قال الأزهري: و العرب يسمونها عشارا بعد ما تضع ما في بطونها، للزوم الاسم بعد الوضع، كما يسمونها لقاحا.

[1]زيادة عن ء، ط، م.

[2] زيادة عن ء، ط.

على كبد قد كاد بيدي بها الهوى # ندوبا و بعض القوم يحسبني جلدا

عروضه من الطويل. النأي: البعد، و مثله الشَّحط. و الحرج: الضيق؛ قال الله تعالى: **(يَجْعَلُ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرَجًا)** . و النَّدوب: آثار الجراح، واحدها ندب.

الشعر لإبراهيم بن هرمة. و الغناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتب، و هو من الثقيل الأوّل/بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و ذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك. و ذكر حبش بن موسى أنّ الغناء لمرزوق الصرّاف أو ليحيى بن واصل. و في هذه الأبيات للهدليّ لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه، و من الناس من ينسب اللحنين جميعا إليه.

54- ذكر ابن هرمة و أخباره و نسبه

نسبه:

هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن هرمة بن هذيل، هكذا ذكر يعقوب بن السكيت. و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب، و ذكر ذلك العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عديّ بن قيس بن الحارث بن فهر- و فهر أصل قريش، فمن لم يكن من ولده لم يعدّ من قريش، و قد قيل ذلك في التضر بن كنانة- و فهر بن مالك بن التضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. قال من ذكرنا من النسّابين: قيس بن الحارث هو الخلج، و كانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم، فأنكر نسبهم. فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر و جعل لهم معهم ديواناً. و سمّوا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عدوان و من بني نصر بن معاوية. و أهل المدينة يقولون: إنّما سمّوا الخلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خلج (و واحدها خليج) فسمّوا بذلك.

و لهم بالمدينة عدد. قال مصعب: كان لإبراهيم بن هرمة عمّ يقال له هرمة الأعور، فأرادت الخلج نفيه منهم؛ فقال: أمسيت ألام العرب دعيّ أدعياء. ثم قال يهجوهم: رأيت بني فهر سباطاً [1] أكفهم # فمال بال-أنبوني- أكفكم قفداً [2]

/و لم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم # من المجد إلا دعوة [3] ألحقت كذا

على ذي أيادي الدهر أفلح جدّهم # و ختم فلم يصرع لكم جدّكم جدّاً

نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم فصار منهم لساعته:
و قال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيوب المدنيّ عن المدائنيّ عن أبي سلمة الغفاريّ قال: نفى بنو الحارث بن فهر ابن هرمة، فقال:

أ حار بن فهر كيف تطرحونني # و جاء العدا من غيركم تبتغي نصري

[1] سباط: جمع سبط: وصف من السبوبة و هي الاعتدال و السهولة و الطول. و يكنى بسبوبة اليمين عن الكرم؛ يقال: رجل سبط اليمين إذا كان سخياً سمحاً كريماً، كما يقال: رجل جعد اليمين إذا كان بخيلاً.

[2] كذا في ط، و هو الذي يقتضيه سياق الكلام. و في ب، س: «أكفهم». و جملة أنبوني- و هو أمر من أنبا خفت همزته فحذفت- معترضة بين المضاف و المضاف إليه. و القفد: ميل في الكف. يريد أنهم بخلاء.

[3]الدعوة (بالفتح و تكسر) : الاسم من ادعى بمعنى زعم.

قال: فصار من ولد فهر في ساعته.

كان يقول: أنا ألام العرب:

قال يحيى بن عليّ و حدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: كان ابن هرمة يقول: أنا ألام العرب، دعيّ أدعياء: هرمة دعيّ في الخلع، و الخلع أدعياء في قريش.

قصته مع أسلميّ ضافه:

حدّثني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال: زرت عبد الله بن حسن بباديته و زاره ابن هرمة، فجاء رجل من أسلم؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله! سل الأسلميّ أن يأذن لي أن أخبرك خبري و خبره. فقال له عبد الله بن حسن: أئذن له، فأذن له الأسلميّ. فقال له إبراهيم بن هرمة: /إني خرجت-أصلحك الله-أبغي ذودا[1]لي، /فأوحشت[2]و ضفت هذا الأسلميّ، فذبح لي شاة و خبز لي خبزا و أكرمني، ثم غدوت من عنده، فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت أيضا في بغاء ذود لي، فأوحشت فضفته فقراني بلبن و تمر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت في بغاء ذود لي، فأوحشت، فقلت: لو ضفت الأسلميّ! فاللبن و التمر خير من الطوى؛ فضفته فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبته -أصلحك الله-إلى ما سأل، فسله أن يأذن لي أن أخبرك لم فعلت. فقال له: أئذن له؛ فأذن له. فقال الأسلميّ: ضافني، فسألته من هو؟ فقال: رجل من قريش، فذبحت له الشاة التي ذكر، و و الله لو كان غيرها عندي لذبحته له حين ذكر أنّه من قريش. ثم غدا من عندي و غدا عليّ الحيّ فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت: رجل من قريش؛ فقالوا: لا و الله ما هو من قريش، و لكنه دعيّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنه دعيّ في قريش، فجئت بلبن و تمر و قلت: دعيّ قريش خير من غيره. ثم غدا من عندي و غدا عليّ الحيّ فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دعيّ في قريش؛ فقالوا: لا و الله ما هو بدعيّ في قريش، و لكنّه دعيّ أدعياء قريش. ثم جاءني الثالثة، فقريته لبنا حامضا، و و الله لو كان عندي شرّ منه لقريته إيّاه. قال: فانخذل ابن هرمة، و ضحك عبد الله و ضحكنا معه.

لقيه ابن ميادة و طلب مهاجته ثم تبين أنه يمزح:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال: لقي ابن ميادة ابن هرمة، فقال ابن ميادة: والله لقد كنت أحبّ أن ألقاك، لا بدّ من أن نتهاجى، وقد فعل الناس ذلك قبلنا، فقال ابن هرمة: بئس والله ما دعوت إليه وأحبته، وهو يظنّه جادًا. ثم قال له ابن هرمة: أما والله إنّني للذي أقول: [1] الذود: القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع، و قيل: ما بين الثلاث إلى الثلاثين، و لا يكون إلا من الإناث دون الذكور. قال النبي صلى الله عليه و سلم: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة» .

[2] يقال: أوحش الرجل إذا جاع و نفد زاده.

إِنِّي لميمون جوارا و إِنِّي # إذا زجر الطير العدا لمشوم
و إِنِّي لملآن[1]العنان مناقل[2] # إذا ما ونى يوما ألف[3]سئوم
فودّ رجال أن أمي تفنّعت # بشيب يغشّي الرأس و هي عقيم

فقال ابن ميادة: و هل عندك جراء[4]؟ ثكلتك أمك! أنت ألام من ذلك! ما قلت إلا ما زحاً.

أخبرنا[به][5]وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران:

اجتمع ابن هرمة و ابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد، فقال ابن ميادة لابن هرمة: قد كنت أحب أن ألقاك.

ثم ذكر نحوه.

أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله و تلقى به الموكب:

و قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان التّوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال:

وفدت على المهديّ في جماعة من أهل المدينة، و كان فيمن وفد يوسف بن موهب[6] و كان في رجال بني هاشم من بني نوفل، و كان معنا ابن هرمة؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هيئ لمسجد و لم يسقف، في عسكر المهديّ؛ و قد كنّا نلقى الوزراء و كبراء/السلطان، و كانوا قد عرفونا؛ و إذا حيال الدّكان رجل بين يديه ناطف[7] يبيعه في يوم شات شديد البرد، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جفوفاً؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يا ابن عمّ رسول الله-صلى الله عليه و سلم-أ ما معك درهم نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عهدتني أحمل الدّراهم! قال: فقلت له:

لكّني أنا معي، فأعطيته/درهما خفيفاً[8]، فاشتري به ناطفا على طبق للناطقيّ فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمصّغه [1]يقال: ملأ فلان عنان جواده إذا أعداه و حمله على الحضر الشديد.

[2]كذا في ء. ط. و المناقل: السريع نقل القوائم. و في سائر الأصول: «مناقل» بالثاء المثلثة و هو تصحيف.

[3]الألف: الثقيل البطيء.

[4]كذا في أكثر النسخ. و في ء، ط: «جزي» و الجراء (بالفتح و الكسر) و الجراية و الجري (بالفتح فيهما) : الفتوة.

[5]زيادة عن ط، ء.

[6]في «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادّة وهب: «و موهب كمقعد اسم. قال سيبويه: جاءوا به على مفعل (بالفتح) لأنه اسم ليس على الفعل؛ إذ لو كان على الفعل لكان مفعلا (بكسر العين) . فقد يكون ذلك لمكان العلمية؛ لأن الأعلام مما تغير القياس» اهـ.

[7]الناطف: نوع من الحلواء. و قال الجوهري: هو القبيط لأنه يتنطف قبل استنضابه أي يقطر قبل خثورته. و جعل النابغة الجعدي الحمر ناطفا فقال:

و بات فريق ينضحون كأنما # سقوا ناطفا من أذرع مفللا

و كذلك جعلها ابن هرمة، كما سيأتي قريبا في ص 373.

[8]يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف. قال المقرئ في كتابه «شذور العقود في ذكر النقود» (ص 16 طبع أوروبا) : «و كان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار و الصغار. فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد إلى درهم واف، فوزنه فإذا هو ثمانية دوانيق، و إلى درهم من الصغار فإذا هو أربعة دوانيق، فجمعها و حمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر و جعلهما درهماين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ. ثم قال: «صنع عبد الملك في الدراهم ثلاث فضائل:

الأولى أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم و الثانية أنه عدل بين كبارها و صغارها حتى اعتدلت و صار الدرهم ستة دوانيق. و الثالثة أنه موافق لما سنه رسول الله صلى الله عليه و سلم في فريضة الزكاة بغير وكس و لا إشطاط؛ فمضت بذلك السنة و اجتمعت عليه الأمة...

إلخ» .

وحده و يحدثنا و يضحك. فما راعنا إلاّ موكب أحد الوزيرين: أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود. ثم أقبلت المطرقة [1]؛ فقلنا: مالك قاتلك الله! يهجم علينا هذا و أصحابه، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أنّا كئنا نأكل معك.

قال: فو الله ما أحد أولى بالسّتر على أصحابه و تقلّد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله! فضعه بين يديك. قال: اعزّب [2] قبحك الله! قال: فأنت يا ابن أبي ذرّ، فزبرته [3]. / قال: فقال: قد علمت أنّه لا يبتلى بهذا إلاّ دعيّ أدعياء عاضّ كذا من أمّه. ثم أخذ الطبق في يده فحملة و تلقى به الموكب، فما مرّ به أحد له نباهة إلاّ مازحه، حتى مضى القوم جميعا.

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه:

و قال هارون حدّثني أبو حذافة السّهميّ قال حدّثنا إسحاق بن نسطاس قال: كان ابن هرمة مشتهرا بالنبيذ، فأتى عبد الله بن حسن و هو بالسّيالة [4]، فأنشده مديحا له. فقام عبد الله إلى غنم كانت له، فرمى بساجة [5] عليها فافترقت فرقتين، فقال: اختر أيّهما شئت-قال: فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى. قال: و كانت ثلاثمائة-و كتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يا ابن هرمة، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا. فقال: أفعل يا ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

دعاه صديق و هو يزعم السفر إلى النبيذ فشرب حتى حمل سكران:

ثم قدم ابن هرمة المدينة و جهّز عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، و اكرى من رجل من مزينة.

فبينا هو قد شدّ متاعه و حملة و الكريّ [6] ينتظره أن يتحمّل، إذ أتاه صديق له، فقال: أي أبا إسحاق، عندي و الله نبيذ يسقط لحم الوجه. فقال: ويحك! ما ترانا على مثل هذه الحال! أ عليها يمكن الشراب! فقال: إنما هي ثلاثة لا تزد عليهنّ شيئا. فمضى معه و هم وقوف ينظرون [7]؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدر صالح؛ ثم أتى به و هو سكران، فطرح في شقّ المحمل و عادلته [8] امرأته و مضوا.

«لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر» :

فلما أسحروا رفع رأسه فقال: أين أنا؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه و تعذله، و قالت: قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك و دنياك، فلو تعلت

عنه[9]بهذه الألبان! فرفع رأسه إليها و قال: [1]لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق.

[2]أي اذهب و ابعده.

[3]زبره هنا: نهرة و أغلظ له في القول.

[4]السيالة كسحابة: موضع بقرب المدينة على مرحلة.

[5]الساجة: ضرب من الملاحف منسوجة، أو هي واحدة الساج و هو خشب يجلب من الهند.

[6]الكرّي كغنى: المكاري.

[7]في ء، ط، م: «ينتظرون» ، و هما بمعنى واحد.

[8]عادلته أي كانت معه في الشق الآخر من المحمل.

[9]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «عليه» ، و هو تحريف.

لا نبتغي[1]البن البعير و عندنا # ماء الزَّيب و ناطف المعصار

هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعيّ:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خلاد قال:

كان الأصمعيّ يقول: ختم الشعراء بابن هرمة، و الحكم الخصريّ[2]، و ابن ميادة، و طفيل الكنانيّ، و مكين[3]العذريّ.

رهن رداءه في النبيذ:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حذافة السّهميّ أحمد بن إسماعيل قال:

كان ابن هرمة مدمنا للشراب مغرما به؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان؛ فأكرمه و سقاه أيّاما ثلاثة.

فدعا ابن هرمة بالنبيذ؛ فقال له غلام لأبي عمرو ابن أبي راشد: قد نفذ نبيذنا. فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام: اذهب به إلى ابن حونك[4] (نّبأذ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده و اتتنا بنبيذ، ففعل. و جاء ابن[5]أبي راشد، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نصف في القدح و نصف في بطنك.

مدح محمد بن عمران الطلحيّ فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز فأجازه:

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزّهرّيّ قال حدّثني عمّي عبد العزيز بن إسماعيل قال:

/مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطّلحيّ، و بعث إليه بالمدح مع/ابن ربيع[6]، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز؛ و كان ابن هرمة مريضا، فقال قصيدته التي يقول فيها:

إني دعوتك إذ جفيت و شقّني # مرض تضاعفني[7]شديد المشتكى

و حبست عن طلب المعيشة و ارتقت # دوني الحوائج في وعور المرتقى

فأجب أخاك فقد أناف بصوته # يا ذا الإخاء و يا كريم المرتجى

[1] في ط، م، ء: «لا تبتغي» بالتاء الفوقية. و يكون الخطاب، على هذه الرواية لأثنى.

[2] في ب، س: «الحضرمي» و هو تصحيف.

[3] كذا في ح، ء، ط «و الشعر و الشعراء» (ص 473 طبع أوروبا) . و في ب، س: «دكين» بالبدال المهملة. و في م: «ذكين» بالذال المعجمة.

[4] في ح: «ابن هويك» . و قد ضبط فيها بالقلم بضم الهاء و فتح الواو و سكون الياء. و في م: «ابن حوقل» بالقاف و اللام.

[5] كذا في أكثر النسخ. و في س، م: «و جاء إلى ابن حوقل بن أبي راشد» بزيادة «إلى ابن حوقل» سهوا من الناسخ.

[6] كذا في ط، ء، م، و سيذكر غير مرة في جميع الأصول كذلك. و في ح: «ابن زبيح» بالزاي و النون و الجيم. و في ب، س: «ابن ربيع» ، و كلاهما تحريف. و ابن ربيع هذا هو راوية ابن هرمة.

[7] كذا في أكثر الأصول. و لم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا و هو أضعفني و أسقمني. و في م، ح:

«يضاعفني» بالياء و ضاعفه: جعله ضعفين. فلعل المراد على هذه الرواية: مرض يضاعف شكواي.

و لقد حفيت[1]صبيت عكّة[2]بيتنا # ذوبا[3]و مزت بصفوه عنك القذى

فخذ الغنيمة و اغتنمني إئني # غنم لمثلك و المكارم تشتري

لا ترمينّ بحاجتي و قضائها # ضرح[4]الحجاب كما رمى بي من رمى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار؛ فقال: ما نزعك[5]يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجة لم أر فيها أحدا أكفي منّي. قال: و ما هي؟ قال: قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات، فأردت من أرزاقى مائة دينار. قال: و من عندي مثلها/قال: و من الأمير أيضا! قال: فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هرمة، فما أنفق منها إلاّ دينارا واحدا حتى مات، و ورث الباقي أهله.

امتدح أبا جعفر فلما أجازته لم يرض و طلب أن يحتال له في إباحة الشراب:

و قال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال:

امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تقع منّي هذه. قال: ويحك!إنّها كثيرة. قال: إن أردت أن تهنئني فأبح لي الشراب فأبني مغرم به. فقال: ويحك!هذا حدّ من حدود الله. قال: احتل لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة و اضرب ابن هرمة ثمانين.

قال: فجعل الجلواز[6]إذا مرّ بابن هرمة سكران، قال: من يشتري الثمانين بالمائة!

امتدح الحسن بن زيد فأجازته و عرض بعبد الله بن حسن و أخويه لأنهم و عدوه و أخلفوه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدّثنا أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا ابن ربيح راوية ابن هرمة قال: أصابت ابن هرمة أزمة؛ فقال لي في يوم حارّ: اذهب فتكار حمارين إلى سنّة أميال، و لم يسمّ موضعا. فركب واحدا و ركبت واحدا، ثم سرنا حتى صرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر، فدخلنا مسجده. فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملا على[7]قميصه، فقال لمولى له: أدن فأدّن، و لم يكلمنا كلمة. ثم قال له: أقم فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هرمة فقال: مرحبا بك يا أبا إسحاق، حاجتك؟ قال: نعم، بأبي أنت و أمي، أبيات قلتها-و قد كان عبد الله و حسن و إبراهيم بنو حسن بن حسن و عدوه شيئا فأخلفوه-فقال: هاتها. فقال: [1]حفيت: أعطيت. و في م: «خفيت» بالخاء المعجمة و هو

تصحيف و في ب، ط، ء، س: «جفيت» بالجيم و هو تصحيف أيضا. و في ح: «خبيت» و لعلها مصحفة عن «حييت» و هي «كحفيت» وزنا و معنى. و الذي ظهر لنا في معنى البيت أنه يريد: لقد منحت خير ما نملك و هو ما في عكتنا من غسل مصفى، يكنى بذلك عن مديحه الحسن.

[2]العكة: زقيق صغير للسمن و العسل. و في الحديث: أن رجلا كان يهدي للنبيّ صلى الله عليه و سلم العكة من السمن و العسل. قال ابن الأثير في «النهاية»: «و هي وعاء من جلود مستدير، يختص بهما و هو بالسمن أخص» .

[3]الذوب: العسل.

[4]كذا في ء، ط. و الضرح: أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية. و في ب، س: «ضوح» بالواو. و في م: «صرح» بالصاد و كلاهما تحريف.

[5]ما نزعك يريد: ما حركك من مكانك و ما جاء بك.

[6]الجلواز: الشرطي؛ سمي بذلك لسرعته و خفته في ذهابه و مجيئه بين يدي الأمير.

[7]كذا في جميع النسخ. و هذا الفعل إنما يتعدى بالباء. -

/

أما بنو هاشم حولي فقد قرعوا # نبل الصَّبَاب [1] التي جمعت في قرن
فما يثرب منهم من أعاتبه # إلا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلا من عطيته # على هن و هن فيما مضى و هن [2]

قال: حاجتك! قال: لابن أبي مضرّس عليّ خمسون و مائة دينار. قال:
فقال لمولى له: يا هيثم، اركب هذه البغلة فأتني بابن أبي مضرّس و
ذكر [3] حقّه. قال: فما صلينا العصر حتّى جاء به. فقال له: مرحبا بك يا ابن
أبي مضرّس، أ معك ذكر حقك على ابن هرمة قال نعم. قال: فامحه،
فمجاه. ثم قال: يا هيثم، يع ابن أبي مضرّس من تمر [4] الخانقين بمائة و
خمسين ديناراً و زده على [5] كل دينار ربع دينار، و كل ابن هرمة بخمسين و
مائة دينار تمرا، و كل ابن ربيح بثلاثين ديناراً تمرا. قال: فانصرفنا من عنده؛
فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسّيالة، و قد بلغه الشعر، فغضب لأبيه
و عمومته فقال: أي ماصّ بظر أمّه! أنت القائل: على هن و هن فيما مضى و
هن

فقال: لا و الله! و لكنّي الذي أقول لك:

لا و الذي أنت منه نعمة سلفت # نرجو عواقبها في آخر الزّمن
لقد أتيت بأمر ما عمدت له # و لا تعمّده قلبي و لا سنني /
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً # و قد رميت بريء العود بالأبن [6]
ما غيرت وجهه أم مهجّنة # إذا القتام تغشّى أوجه الهجن [7]

قال: و أمّ الحسن أمّ ولد.

**لما عرض بعبد الله بن حسن و إخوته قطع عنه ما كان يجريه
عليه فما زال به حتى رضي:**

قال هارون: فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال:
لمّا قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد الله بن حسن: و
الله ما أراد الفاسق غيري و غير أخويّ: حسن و إبراهيم. و كان عبد الله
يجري عليّ ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه و غضب عليه. فأتاه يعتذر، فنحّي و
طرد؛ فسأل رجالاً أن يكلموه، فردّهم؛ فبيّس من رضاه و اجتنبه و خافه.
فمكث ما شاء الله، ثم مرّ عشيةً و عبد الله [1] الضباب هنا: الأحقاد. يقال:

في قلبه صب أي غل داخل، كالضب الممعن في حزه. و الظاهر أنه يريد أن يقول: إنهم سلوا أحقادهم و أظهروا عداوتهم و أنا قد كتمتها و أخفيتها.

[2]هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان. و قد كررها الشاعر ثلاثا لأنه أراد ثلاثة أشخاص معينين.

[3]ذكر الحق: الصك الذي يكتب فيه الدين.

[4]في ط، ء: «ثمر» بالثاء المثثة. و الخانقان: موضع بالمدينة و هو مجمع مياه أوديتها الثلاثة: بطحان و العقيق و قناة.

[5]في ط، ء، م: «و زده في كل دينار» .

[6]الأبن: جمع أبنة و هي العقدة تكون في العود تفسده و يعاب بها. و قولهم: ليس في حسب فلان أبنة، أي عيب، مأخوذ من هذا.

[7]الهجين: من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربيّ و أمه غير عربية، و جمعه: هجن و هجناء و هجنان و مهاجين و مهاجنة.

على زربيّة [1] في مِمْر المنبر، و لم تكن تبسط لأحد غيره في ذلك المكان. فلمّا رأى عبد الله تضاءل و تقنفذ و تصاغر و أسرع المشي. فكأنّ عبد الله رقى له، فأمر به فردّ عليه، فقال: يا فاسق، يا شارب الخمر، على هن و هن! أتفضّل الحسن عليّ و على أخويّ! فقال: بأبي أنت و أمّي! و ربّ هذا القبر ما عنيت إلا فرعون و هامان و قارون، أ فتغضب لهم! فضحك و قال: و الله ما أحسبك إلا كاذبا. قال: و الله ما كذبتك. فأمر بأن تردّ عليه جريته.

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال أخبرني أبو أيّوب المدنيّ عن مصعب قال: إنّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن.

قال يحيى: و أخبرني أبو أيّوب عن عليّ بن صالح قال: /أنشدني عامر بن صالح قصيدة لابن هرمة نحو من أربعين بيتا، ليس فيها حرف يعجم؛ و ذكر هذه الأبيات منها. و لم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة، و لا كنت أظنّ أن أحدا تقدّم رزينا العروضيّ إلى هذا الباب.

و أوّلها:

أرسم سودة أمسى دارس الطلل # معطلا ردّه الأحوال كالحلل

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أنّ القصيدة نحو من أربعين بيتا؛ و وجدتها في رواية الأصمعيّ و يعقوب بن السكّيت اثني عشر بيتا، فنسختها هاهنا للحاجة إلى ذلك. و ليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطاح عليه الكتاب من تصبيرهم مكان ألف ياء مثل «أعلى» فإنّها في اللفظ بالألف و هي تكتب بالياء، و مثل «رأى» و نحو هذا، و هو في التحقيق في اللفظ بالألف، و إنّما اصطاح الكتاب عليّ كتابته بالياء كما ذكرناه. و القصيدة: أرسم سودة محل دارس الطلل # معطل ردّه الأحوال كالحلل

لمّا رأى أهلها سدّوا مطالعها # رام الصّدود و عاد الودّ كالمهل [2]

و عاد وذك داء لا دواء له # و لو دعاك طوال الدّهر للرحل

/ما وصل سودة إلا وصل صارمة # أحلها [3] الدهر دارا مأكّل الوعل [4]

و عاد أمواها سدمما [5] و طار لها # سهم دعا أهلها للصرم و العلل

[1] الزربية (بفتح فسكون): البساط و النمرقة، و قيل: هي كل ما بسط و اتكئ عليه، و الجمع زرابيّ.

[2] كذا في أكثر الأصول. و المهمل: ما ذاب من صفر أو حديد؛ و به فسر قوله تعالى: **(وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَقَقًا)**. و حركت هاؤه للضرورة. و لعله يريد أنه لما حيل بينه و بينها عانى من وده لها ما يعانيه متجرع هذا الشراب. و في ح: رام الصدود و عاد الودّ كالعمل [3] في ء، ط، م:

أحلها الودّ دهرًا معقل الوعل

و هذا لا يتفق و الإهمال المراد في هذه القصيدة.

[4] الوعل: تيس الجبل. يريد بذلك استعصاءها و منعها.

[5] سدما: متغيرة من طول المكث.

صدّوا و صدّ و ساء المرء صدّهم # و حام للورد ردها حومة العلل

-حومة الماء، كثرته و غمرته[1]. و العلل: الشّرب الثاني. و الرّده: مستنقع الماء-: /

و حلّوه[2]رداها ماؤها غسل # ما ماء رده لعمر الله كالغسل
دعا الحمام حماما سدّ مسمعه # لمّا دعاه رآه[3]طامح الأمل
طموح سارحة[4]حوم ملّعة # و ممرع السرّ سهل ماكد السهل
و حاولوا ردّ أمر لا مردّ له # و الصّرم داء لأهل اللّوعة الوصل
أحلّك الله أعلى كلّ مكرمة # و الله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سمح مواعده # مسود لكرام سادة حمل[5]

عاب المسوّر بن عبد الملك شعره فقال فيه شعرا:
قال يحيى بن عليّ و حدّثني أبو أيّوب المدنيّ عن أبي حذيفة قال: كان
المسوّر بن عبد الملك المخزوميّ يعيب شعر ابن هرمة، و كان المسوّر هذا
عالما بالشعر و التّيسب[6]؛ فقال ابن هرمة فيه: إِبّاك لا ألزمن لحبيك من
لجمي # نكلا[7]ينكل قرّاصا[8]من اللّجم

يدقّ لحبيك أو تنقاد متّبعا # مشي المقيّد ذي القردان[9]و اللحم

/إبّي إذا ما امرؤ حقّت نعامته[10] # إبّي و استحصدت منه قوى الوزم[11]

عقدت في ملتقى أوداج لبّته # طوق الحمامة لا يبلى على القدم

[1]هذا التفسير غير واضح. و لعله المرة من الحوم.

[2]حلّاهم عن الماء: منعهم عنه.

[3]كذا في ء، ط و «مختار الأغاني» لابن منظور. و في سائر الأصول:
لما دعاه و دهر طامح الأمل

[4]السارحة: الماشية. و الحوم: القطيع الضخم. و الملمع: الذي في
جسده بقع تخالف سائر لونه. و الممرع: المخصب. و السر هنا: بطن الوادي
و أكرم موضع فيه. و الماكد: الدائم الذي لا ينقطع.

[5]حمل: جمع حمول، و هو كثير الاحتمال لما ينوبه لحلمه و كرمه.

[6]كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «... و النسيب» .

[7]النكل: اللجام.

[8] كذا في ط، ء. و القَرَّاص (بالصاد المهملة) : وصف من القرص و هو معروف. و في سائر الأصول: «قراضا» بالضاد المعجمة. و القَرَّاض: القطاع، و به يستقيم المعنى أيضا.

[9] القردان: جمع قرادة و هي دويبة تتعلق بالبعير و نحوه. و الحلم (بالتحريك واحده حلمة بالتحريك أيضا) قيل: هو الصغير من القراد و قيل: هو الضخم، و هو الأشهر. قال الأصمعي: القراد أول ما يكون صغيرا: قمقامة ثم يصير حمانة ثم يصير قرادا ثم حلمة.

[10] النعامة هنا: القدم. و يكنى بخفة النعامة عن السرعة؛ يقال: خفت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، إذا أسرعوا.

[11] الوزم (بالتحريك) : سيور تقدّ مستطيلة. و استحصد قواها: إحكام فتلها. و قد يكنى بذلك عن الغضب؛ فيقال: استحصد حبل فلان إذا غضب.

إني امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله # كفاي لكن لساني صائغ الكلم
 إنَّ الأديم الذي أمسيت تقرظه # جهلا لذو نغل باد و ذو حلم[1]
 و لا يئطُّ[2] بأيدي الخالقين و لا # أيدي الخوالق إلاَّ جيِّد الأدم

عاب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه:

قال يحيى و حدّثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال:

لقيني ابن هرمة فقال لي: يا ابن مصعب، أتفضّل عليّ ابن أذينة! ما شكرت قولي: فما لك مختلاً عليك خصاصة # كأنك لم تنبت ببعض المنابت

كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر # و لا مصعبا ذا المكرمات ابن ثابت

-يعني مصعب بن عبد الله- قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أقلني و روّني من شعرك ما شئت؛ فإني لم أرو لك شيئاً. فروّاني عبّاسيّاته[3] تلك.

ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله و إبراهيم بن طلحة لإكرامهما له و شعره في الأوّل:

قال يحيى: و أخبرني أبو أيوب المدنيّ عن مصعب بن عبد الله عن مصعب بن عثمان قال: /قال ابن هرمة: ما رأيت أحدا قط أسخى و لا أكرم من رجلين: إبراهيم بن عبد الله بن مطيع، و إبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر. أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال: أحسنوا ضيافة أبي إسحاق، فأتيت بكلّ شيء من الطعام، فأردت أن أنشده؛ فقال: ليس هذا وقت الشعر. ثم أخرج الغلام إليّ رقعة فقال: أتت بها الوكيل. فأتيته بها، فقال: إن شئت أخذت لك جميع ما كتب به، و إن شئت أعطيتك القيمة. قلت: و ما أمر لي به؟ فقال: مائتا شاة برعائها و أربعة أجمال و غلام جمال و مظلة و ما تحتاج إليه، و قوتك و قوت عيالك سنة. قلت: فأعطني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. و أمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمشاش[4] على بئر ابن[5] الوليد بن عثمان بن عّقان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برزمة من ثياب و صرّة من دراهم و دينار و حليّ، ثم قال: لا والله ما بقينا في منزلنا ثوبا إلاّ ثوبا نواري به امرأة، و لا حليا و لا ديناراً و لا درهما. و قال يمدح إبراهيم: أرقتني تلومني أم بكر # بعد هداء و اللوم قد يؤذيني

حدّرتني الزمان ثمّت قالت # ليس هذا الزمان بالمأمون

[1]الأديم: الجلد. و يقرظه: يدبغه بالقرظ لإصلاحه. و النغل (بالتحريك) : الفساد. و الحلم (بالتحريك) : فساد في الجلد، سببه أنه يقع فيه دود

فيتنقب.

[2] يئط: يصوّت. و الخالقون: وصف من قولهم: خلق الجلد إذا قدّره قبل قطعه.

[3] لعله يريد قصائده التي مدح بها بني العباس.

[4] مشاش: (بضم أوله و شين معجمة أيضا في آخره) : موضع بين دار بني سليم و بين مكة، و بينه و بين مكة نصف مرحلة. (انظر «معجم ما استعجم» للبكري في اسم مشاش ج 2 ص 560 طبع أوروبا) .

[5] في ء، ط: «بئر الوليد» . و كان لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) ابن يسمى الوليد، و لا ندري أ كانت هذه البئر له أم لابنه.

قلت لَمَّا هَبَّتْ تَحْدَرْنِي الدَّهْ # ر دعي اللّوم عنك و استبقيني
 إنّ ذا الجود و المكارم إبرا # هيم يعنيه كلّ ما يعنيني
 قد خبرناه في القديم فألفيد # نا مواعيده كعين اليقين
 قلت ما قلت للذي هو حقّ # مستبين لا للذي يعطيني /
 نضحت أرضنا سماؤك بعد الـ # جذب منها و بعد سوء الظنون
 فرعينا آثار غيث هراقت # ه يدا محكم القوى ميمون

طلب من محمد بن عمران علفا بإغراء محمد الزهري فأعطاه كل ما ورده:

و قال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الحجبّي:

أنّ إبلا لمحمد بن عمران تحمل علفا مرّت بمحمد بن عبد العزيز
 الزّهريّ و معه ابن هرمة، فقال: يا أبا إسحاق، أ لا تستعلم محمد بن
 عمران! و هو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوّه. فأرسل ابن هرمة في أثر
 الحمولة رسولا حتّى وقف على ابن عمران، فأبلغه رسالته؛ فردّ إليه الإبل
 بما عليها، و قال: إن احتجت إلى غيرها زدناك. فأقبل ابن هرمة على محمد
 بن عبد العزيز فقال له: اغسلها عني، فإنّه إن علم أنّي استعلمته و لا دابة
 لي وقعت منه [1] في سواة. قال: بما ذا؟ قال: تعطيني حمارك. قال: هو لك
 بسرجه و لجامه. فقال ابن هرمة: من حفر حفرة سوء وقع فيها.

وفد على السري بن عبد الله باليمامة و مدحه فأكرمه و كان يحب أن يفد عليه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو
 يحيى هارون بن عبد الله الزّهريّ عن ابن زريق [2]، و كان منقطعا إلى أبي
 العبّاس [3] بن محمد و كان من أروى الناس، قال: كنت مع السريّ بن عبد
 الله باليمامة، و كان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرمة و يحبّ أن يفد
 عليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يكلفني من المئونة
 ما لا أطيق. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة، فكره [4] أن يقدم عليه إلّا
 بكتاب منه؛ ثم غلب فشخص إليه، فنزل عليّ و معه راوبته ابن ربيع. فقلت
 له: ما منعك [5] من القدوم على الأمير و هو من الحرص/على قدومك على
 ما كتبت به إليك؟ قال: الذي منعه من الكتاب إليّ. فدخلت على السريّ
 فأخبرته بقدومه؛ فسرّ بذلك و جلس للناس مجلسا عامّا، ثم أذن لابن هرمة
 فدخل عليه و معه راوبته ابن ربيع. و كان ابن هرمة قصيرا دميما

أريمص[6]، و كان ابن ربيع طويلا جسيما نقيّ الثياب. فسلم [1] في ط، ء، م: «وقعت معه» .

[2] كذا في جميع الأصول فيما سيأتي (ص 386) . و في أكثر الأصول هنا: «عن أبي زريق» . و في م، س: «ابن أبي زريق» .

[3] أبو العباس بن محمد، هو عبد الله السفاح أول خلفاء بني العباس.

[4] في ط، ء: «فيكره» .

[5] كذا في ط، م. و في سائر الأصول: «ما يمنعك» .

[6] أريمص: تصغير أرمص، وصف من الرمص في العين و هو كالغمص، و قيل: الرمص: ما سال مما تلفظ به العين، و الغمص: ما جمد، و قيل العكس.

على السَّرِيِّ ثم قال له: أصلحك الله! إني قد قلت شعرا أثبتت فيه عليك. فقال: أنشد؛ فقال: هذا ينشد فجلس.
فأنشده ابن ربيع قصيدته التي أوّلها:

عوجا على ريع ليلي أم محمود # كيما نسائله من دون عبود[1]
عن أم محمود إذ شطّ المزار بها # لعلّ ذلك يشفي داء معمود[2]
فعرّجا بعد تغوير[3] و قد وقفت # شمس النهار و لاذ الظلّ بالعود
/ شيئا فما رجعت أطلال منزلة # قفر جوايا لمحزون الجوى مودي[4]

ثم قال فيها يمدح السري:

ذاك السريّ الذي لو لا تدقّقه # بالعرف[5] متنا حليف المجد و الجود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتديا[6] # لسيب عرفك يعمد[7] خير معمود
/ يا ابن الأساة الشّفاة المستغات بهم # و المطعمين ذرى الكوم المقاحيد[8]
و السّابقين إلى الخيرات قومهم # سبق الجياد إلى غاياتها القود[9]
أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتكم # بطحاء مكة لا روس القراديد[10]
لكم سقايتها[11] قدما و ندوتها # قد حازها والد منكم لمولود
لو لا رجاؤك لم تعسف بنا قلص # أجواز مهمة قفر الصوى بيد[12]

[1] عبود و صغر: جبلان ما بين المدينة و السّيالة ينظر أحدهما إلى الآخر، و بينهما طريق المدينة.

[2] المعمود: من هدّه العشق.

[3] التغوير: النزول وقت القائلة. و في ء، ط: «تعويق» . و التعويق: الانصراف عن الشيء و الانحباس عنه. و في «مختار الأغاني» لابن منظور: «تطويل» .

[4] المودي: الهالك.

[5] كذا في حـ. و في سائر النسخ:

بالعرف مات حليف المجد و العود

[6] في حـ: «مجتهدا» .

[7] معمود: مقصود.

[8] كذا في أكثر الأصول. و الذرى (بضم الذال) : جمع ذروة (بضم الأوّل و كسره) . و ذروة كل شيء: أعلاه، و ذروة السنام و الرأس: أشرفهما. و الكوم: الضخام الأسنمة، الواحد أكوام و كوماء. و المقاحيد: جمع مقحاد و هي الناقة العظيمة السنام. و في ء، ط، م: «ذرى الكوم الفراقيد» و الفراقيد: جمع فرقد و هو ولد البقرة، و قيل: ولد البقرة الوحشية. و ظاهر أن الرواية الأولى هي الصحيحة.

[9] القود: جمع أقود، و هو من الخيل الطويل العنق.

[10] اسلنطح الوادي: اتسع. (انظر ص 317 من هذا الجزء) . و روس: جمع رأس، خفت همزته. و القرديد: جمع قردود و هو ما ارتفع من الأرض و غلظ، و قيل: جمع قردد، و زادوا الياء كراهية التضعيف.

[11] السقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ في الماء، و كان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية و الإسلام.

و الندوة: دار الندوة بمكة و هي التي بناها قصي. سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهم كانوا إذا حزبهام أمر ندوا إليها للتشاور.

[12] كذا في أكثر الأصول. و العسق: السير في المفازة و قطعها بغير قصد و لا هداية. و الصوى: الأعلام من الحجارة تنصب في الفيافي و المفازات المجهولة يستدل بها على الطريق. و في ح: أجواب مهمة ففر الطوى بيد

لكن دعاني وميض لاح معترضا # من نحو أرضك في دهم مناخيد[1]
و أنشده أيضا قصيدة مدحه فيها، أولها:

أ في طلل قفر تحمّل آهله # وقفت و ماء العين ينهلّ هامله
تسائل عن سلمى سفاها و قد نأت # بسلمى نوى شحط فكيف تسائله
/ و ترجو و لم ينطق و ليس بناطق # جوابا محيل[2] قد تحمّل آهله
و نؤي كخطّ التّون ما إن تبينه # عفته ذبول[3] من شمال تذياله[4]

ثم قال فيها يمدح السّريّ:

فقل للسّريّ الواصل البرّ ذي التّدى # مديحا إذا ما بتّ صدق قائله
جواد على العلاتّ يهترّ للتّدى # كما اهترّ غضب أخلصته صياقله
نقى الظلم عن أهل اليمامة عدله # فعاشوا و زاح[5] الظلم عنهم و باطله
و ناموا بأمن بعد خوف و شدّة # بسيرة عدل ما تخاف غوائله
و قد علم المعروف أنّك خدنه # و يعلم هذا الجوع[6] أنّك قاتله
بك الله أحيا أرض حجر و غيرها[7] # من الأرض حتّى عاش بالبقل آكله
و أنت ترجّى للذي أنت آهله # و تنفع ذا القربى لديك و سائله

و أنشده أيضا مما مدحه به قوله:

عوجا نحى الطلّول بالكثب[8]

يقول فيها يمدحه:

دع عنك سلمى و قل محبّرة[9] # لماجد الجدّ طيّب النّسب

() و الأجواز و الأجواب بمعنى، من جاز المكان و جابه إذا قطعه. و الطوى: ما يطوى، من طوى البلاد أي قطعها، و طوى المكان جاوزه إلى غيره.

[1] دهم: سود. و مناخيد: متراكبة بعضها فوق بعض. يريد سحبا هذا وصفها.

[2] المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيرته. يقال: أحالت الدار و أحولت.

[3] ذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض. و ذيل الريح أيضا: ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن، و ما جرّته على الأرض من التراب و القتام. و قيل: أذيال الريح و ماخيرها التي تكسح بها ما خف لها.

[4]تذائله: لعله يريد أنها تجرّ عليه ذبولها و تعفيه. و في أكثر الأصول:
«تذائله» بالهمز.

[5]زاح هنا: ذهب؛ فهو لازم مثل انزاح.

[6]في «مختار الأغاني»: «الجور» بالراء المهملة.

[7]كذا في أكثر الأصول. و حجر (بالفتح) مدينة اليمامة و أم قراها. و
في م: بك الله أحيا الأرض حجرا و أهلها

[8]الكتب (بالتحريك): موضع بديار بني طيء.

[9]حبر الشعر و الكلام: حسنه و أجاده.

محض مصفَى العروق يحمده # في العسر و اليسر كلّ مرتعب /

الواهب الخيل في أعنتها # و الوصفاء الحسان كالذهب

مجدا و حمدا يفيدده كرما # و الحمد في الناس خير مكتسب

قال: فلما فرغ ابن ربيح، قال السريّ لابن هرمة: مرحبا بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبدا مملوكا. قال: [لا!][1] بل حرّاً كريما و ابن عمّ، فما ذاك؟ قال: ما تركت لي مالا إلا رهنته، و لا صديقا إلا كلفته- قال أبو يحيى: يقول لي ابن زريق[2]: حتّى كأنّ لي ديّانا و عليه مالا- فقال له السريّ: / و ما دينك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها الله عزّ و جلّ عنك. قال: فأقام أياما، ثم قال لي: قد اشتقت. فقلت له: قل شعرا تشوّق فيه. فقال قصيدته التي يقول فيها: أ الحمامة[3] في نخل ابن هدّاج # هاجت صباة عاني القلب مهتاج

أم المخبر أنّ الغيث قد وضعت # منه العشار تماما غير إحداج[4]

شفت[5] سوائفها بالفرش[6] من ملل # إلى الأعراف[7] من حزن و أولاج[8]

حتّى كأنّ وجوه الأرض ملبسة # طرائفا من سدى عصب و ديباج

/ و هي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السريّ:

أمّا السريّ فأبّي سوف أمدحه # ما المادح الذّاكر الإحسان كالهاجي

ذاك الذي هو بعد الله أنقذني # فليست أنساه إنقاذي و إخراجي

ليث بحجر إذا ما هاجه فزع # هاج إليه بالجام و إسراج

لأحبوتك مما أصطفي مدحا # مصاحبات لعمار و حجّاج

أسدى الصنيعة من برّ و من لطف # إلى قروع لباب الملك و لّاج

كم من يد لك في الأقوام قد سلفت # عند امرئ ذي غنى أو عند محتاج

[1] الزيادة عن «مختار الأغاني» لابن منظور.

[2] كذا ورد هذا الاسم هنا في جميع الأصول. (انظر ص 382 من هذا

الجزء) .

[3] في «مختار الأغاني» لابن منظور: «إن الحمامة» .

[4] أخذت الناقة: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام و إن كان تامّ

الخلق.

[5] كذا في م. و شقت: انفطرت عن النبات، أو المراد: شق نباتها؛ فأسند الفعل إلى الأرض على سبيل المجاز؛ يقال: شق النبات يشق شقوا؛ وذلك أول ما تنفطر عنه الأرض. و السوائف: جمع سائفة و هي أرض بين الرمل و الجلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون. و في سائر الأصول: «شقت شوائفها» .

[6] الفرش: واد بين غميس الحمام و ملل، كما في «معجم البلدان» لياقوت، نزله رسول الله صلى الله عليه و سلم حين مسيره إلى بدر. و ملل: موضع بين الحرمين؛ سمي بذلك لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد ملل و جهد. و قد نزله أيضا رسول الله صلى الله عليه و سلم حين مسيره إلى بدر.

[7] الأعارف: جبال باليمامة، كما في ياقوت.

[8] كذا في م. و الحزن: ما غلظ من الأرض. و الأولاج: ما غمض من الأرض، واحده: ولجة. و في سائر الأصول: «من حزن؟؟؟»

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، و مائة دينار يتجهّز بها، و مائة دينار يعرّض بها أهله، و مائة دينار إذا قدم على أهله.
قوله: «يعرّض بها أهله» أي يهدي لهم بها هديّة، و العراضة: الهدية.
قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك:

كانت عراضتك التي عرّضتنا # يوم المدينة زكمة و سعلا

أنكر شعرا له في بني فاطمة خوفا من العباسيين:
أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال
أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هرمة قال:

قال ابن هرمة:

و مهما ألام[1] على حبّهم # فإني أحبّ بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكما # ت و الدّين و السنّة القائم

/فلقيه بعد ذلك رجل فسأله: من قائلها؟ فقال: من عضّ بظر أمّه. فقال
له ابنه: يا أبت، أ لست قائلها؟ قال بلى. قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: أ
ليس أن يعضّ المرء بظر أمّه خيرا[2] من أن يأخذه ابن قحطبة[3]!

خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا جعفر بن مدرك الجعديّ
قال:

جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النّبط، معه زوجة له و ابنتان كأنّهما
ظبيتان[يقود عليهما][4]، بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاما و
شرابا. فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتّى خفّ ذلك المال، و جاء قوم آخرون
معهم مال؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة؛ فاستثقلوه و كرهوا أن يعلم بهم؛
فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أما دريت ما الناس فيه؟[قال: و ما هم
فيه[5]؟ قالتا: زلزل بالروضة، فتغافلها. ثم جاء أبوهما متفازعا فقال: أي
أبا إسحاق، ألا [1]لم يجزم الفعل هنا، و هو شاذ.

[2] في الأصول: «خير» بدون ألف.

[3] هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائي. ولي
مصر من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث في
أوائل سنة ثلاث و أربعين و مائة. و كان أميرا شجاعا و قائدا مقداما عارفا

بأمور الحروب و الوقائع، و تنقل في الأعمال الجليلة، معظما عند بني العباس، و قد حضر مع أبيه قحطبة كثيرا من الوقائع في ابتداء دعوة بني العباس. و مات في خلافة المهدي سنة تسع و خمسين و مائة (راجع «النجوم الزاهرة» ج 1 ص 349 طبع دار الكتب المصرية). و في مختصر كتاب «الأغاني» المسمى «بتجريد الأغاني» من ذكر المثلث و المثنائي، لابن واصل الحموي المتوفي سنة 697 هـ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه: «قلت و إنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين و التتبع لمن يحبهم بخروجهم عليه. و كان خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة و أخوه إبراهيم بالبصرة سنة خمس و أربعين و مائة، فهزما و قتلا و حمل رأسهما إليه» اهـ.

[4]الزيادة عن «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي (ص 192 من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 5071 أدب).

[5]الزيادة عن «مختار الأغاني» لابن منظور (ص 85 طبع مصر) . -

تفرع لما الناس فيه! قال: و ما هم فيه؟ قال: زلزل بالروضة. قال: قد جاءكم الآن إنسان معه مال، و قد/نفضت [1] ما جئتمكم به و ثقلت [2] عليه؛ فأردت إدخاله و إخراجي. أ يزلزل بروضة من رياض الجنة و يترك منزلك و أنت تجمع فيه/الرجال على ابنتيك! و الله لا عدت إليه! و خرج من عنده.

و روى هذا الخبر عن الزبير هارون بن محمد الزيات فزاد فيه، قال: ثم خرج من عندهم، فأتى عبد الله بن حسن فقال: إني قد مدحتك فاستمع مني. قال: لا حاجة لي بذلك، أنا أعطيك ما تريد و لا أسمع. قال: إذا أسقط و يكسد سوقي [3]. فسمع منه و أمر له بمائتي [4] دينار؛ فأخذها و عاد إلى الرجل، و قال: قد جئتكم بما تنفقه كيف شئتم. و لم يزل مقيما عنده حتى نفدت.

قصته مع محمد بن عبد العزيز و محمد بن عمران و غيرهما:

قال الزبير: و حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال: حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: وافينا الحج في عام من الأعوام الخالية، فأصبحت بالسبالة، فإذا إبراهيم بن علي بن هرة يأتينا؛ فاستأذن علي أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله، أ لا أخبرك ببعض ما تستظرف [5]؟ قال: بلى، و ربما فعلت يا أبا إسحاق. قال: فإنه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عمران و إسماعيل بن عبد الله بن جبير، و أصبح ابن عمران بجملين له ظالعين [6]، فإذا رسوله يأتيني أن أحب؛ فخرجت/حتى أتيت؛ فأخبرني بطلع جمليه، و قال لي: أردت أن أبعث إلى ناضحين [7] لي بعمق [8] لعلني أوتي بهما إلى هاهنا لأمضي عليهما، و يصير هذان الظالغان إلى مكانهما. ففرغ لنا دارك و اشتر لنا علفا و استلته بجهدك؛ فإننا مقيمون هاهنا حتى تأتينا [9] جمالنا.

فقلت: في الرّحب و القرب، و الدّار [10] فارغة، و زوجته طالق إن اشتريت عود علف، عندي حاجتك منه. فأنزلته و دخلت إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئا من رسل [11] و لا جداء و لا طرفة و لا غير ذلك إلا ابتعت منه فاخره، و بعثت به إليه مع دجاج كان عندنا. قال: فيينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليّ عبد لإسماعيل بن عبد الله يساومني بحمل علف لي، فلم أزل أنا و هو حتى أخذه مني بعشرة دراهم، و ذهب به فطرحه لظهره. و خرجت عند الرّواح أتقاضى [1] كذا في م. و الذي في «اللسان»: «أنفض القوم: نفذ طعامهم و زادهم مثل أرمّلوا... و أنفضوا زادهم أنفدوه...»

و نفض القوم نفضا: ذهب زادهم... و قوم نفض أي نفضوا زادهم» . و في سائر الأصول: «تنضب» و هو تحريف.

[2] في م: «و ثقلت عليكم» .

[3] في «مختار الأغاني»: «شعري» .

[4] في «مختار الأغاني»: «بمائة» .

[5] في م: «أ لا أخبرك ببعض ما يستطرف» .

[6] الظالع: الذي يغمز في مشيه.

[7] الناضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير و إن لم يحمل الماء.

[8] عمق: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز، كما في «معجم ما استعجم» للبكري.

[9] كذا في م. و في سائر النسخ: «حتى يأتينا» .

[10] في م: «الدار» بدون واو.

[11] الرسل (بكسر الراء): اللبن ما كان. و الجداء: جمع جدي، و هو الذكر من أولاد المعز. و الطرفة: ما يطرف به الرجل صاحبه و يتحفه به.

العبد ثمن حملي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله و لم أكن دريت. فلما رأني مولاه حيّاني و رَحَّب بي، و قال: هل من حاجة يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبد أنّ العلف لي. فأجلسني فتغديت عنده، ثم أمر لي مكان كلّ درهم منها بدينار، و كانت معه زوجته فاطمة بنت عبّاد، فبعثت إليّ بخمسة دنانير. قال: و راحوا، و خرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائي، و قلت: عند ابن عمران عوض منها. قال: فأقام عندي ثلاثا، و أتاه جملاه، فما فعل بي شيئا. فيينا هو يترحّل و في نفسه منّي ما لا أدري به، إذ كلم غلاما له بشيء فلم يفهم. فأقبل عليّ فقال: ما أقدر على إفهامه مع قعودك عندي، قد و الله آذيتني و منعتني[1] ما أردت. فقممت مغتمّا بالذي قال؛ حتّى إذا كنت عليّ باب الدار لقيني إنسان/فسألني: هل فعل إليك[2] شيئا؟ فقلت: أنا و الله بخير إذ تلف[3] مالي و ربحت بدني. قال: و طلع عليّ و أنا أقولها، فشتمني و الله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقى لي، و زعم أنّه لو لا إحرامه لضربني؛ و راح و ما أعطاني درهما.

فقلت:

يا من يعين على ضيف ألمّ بنا # ليس بذئ[4] كرم يرجى و لا دين
أقام عندي ثلاثا سئة سلفت # أغضيت منها على الأقداء و الهون[5]
مسافة البيت عشر غير مشكلة # و أنت تأتيه في شهر و عشرين
/لست تبالي فوات الحجّ إن نصبت # ذات الكلال و أسمنت ابن حرقين[6]
تحدّث الناس عمّا فيك من كرم # هيهات ذاك لضيغان المساكين
أصبحت تخرن ما تحوي و تجمعه # أبا سليمان من أشلاء[7] قارون
مثل ابن عمران آباء له سلفوا # يجزون فعل ذوي الإحسان بالدّون
أ لا تكون كإسماعيل إنّ له # رأيا أصيلا و فعلا غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألمّ بها # هيهات من أمّها ذات التّطاقين[8]

فلمّا أنشدتها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نعينك يا أبا إسحاق؛ لقلوله: «يا من يعين». قال: قد رفعتك الله عن العون الذي أريده، ما أردت إلا رجلا/مثل عبد الله بن خنزيرة و طلحة أطباء الكلبة يمسكونه لي و أخذ خوط سلم فأوجع به خواصره و جواعره. قال: و لمّا بلغ في إنشاده إلى قوله: مثل ابن عمران آباء له سلفوا

[1] في م: «قد و الله آذيتني و منعتني مكانك معي مما أردت» .

- [2] كذا في م. و في سائر الأصول: «هل فعل إليّ شيئاً» .
- [3] في م: «أنا و الله بخير أن تلف... » و كلتا العبارتين صحيحة.
- [4] في م: «فليس ذا كرم... » .
- [5] في ح: «... على الأقداء في عيني» .
- [6] كذا في أكثر الأصول. و في: ح: «ابن حرفين» بالفاء.
- [7] لعله يريد: من بقايا قارون، أو لعلها محرفة عن «أسلاب» .
- [8] ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق؛ سميت بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لها: «أنت و نطاقك في الجنة» . و قد دخل هذا الشعر السناد، و هو أن يخالف الشاعر بين الحركات التي تلي الأرداف في الروي.

أقبل عليّ فقال: عذرا إلى الله تعالى و إليكم! إني لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله. قال: و نزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، و كان عندنا، فلم يكلمه حتى ضرب أنفه، و قال له: فعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعني! قال: فدخلنا بينهما. و جاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه، فذهب إليه. فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! و الله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبدا إلا خيرا، و حتى تلقاه فترضاه إذا رجع، و تحتمل كل ما أزل إليك و تمدحه.

قال: أفعل، بالحبّ و الكرامة. قال: و إسماعيل بن جعفر لا تعرض له إلا بخير؛ قال نعم. قال: فأخذ عليه الأيمان فيهما و أعطاه ثلاثين ديناراً، و أعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: و اندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران: أ لم تر أنّ القول يخلص صدقه # و تأبى فما تزكو لباغ بواطله

ذممت امرأ لم يطيع[1]الذّمّ عرضه # قليلا لدى تحصيله من يشاكله

فما بالحجاز من فتى ذي إمارة # و لا شرف إلا ابن عمران فاضله

فتى لا يطور[2]الذّمّ ساحة بيته # و تشقى به ليل التمام[3]عوادله

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزهريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبيد الله بن جعفر المسوريّ قال: مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحيّ، فالفاه راويته[4] و قد جاءتة غير له تحمل غلة قد جاءتة من الفرع[5] أو خبير. فقال له رجل كان عنده: أعلم و الله أنّ أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك و أنا حاضر عنده و أخبره بعيرك هذه. فقال: إنّما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه، قودوا إليه القطار، فقيد إليه.

طلب من عمر بن القاسم تمرا على ألا يعمل منه نبيدا ثم عمل:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يحيى بن محمد عن عبد الله[6] بن عمر بن القاسم قال: جاء أبي تمر من صدقة عمر؛ فجاءه ابن هرمة فقال: أمتع الله بك! أعطني من هذا التمر. قال: يا أبا إسحاق، لو لا أنّي أخاف أن تعمل منه نبيدا لأعطيتك. قال: فإذا علمت أنّي أعمل منه نبيدا لا تعطيني. قال: فخافه فأعطاه.

فلقيه بعد ذلك؛ /فقال له: ما في الدنيا أجود من نبيد يجيء من صدقة عمر؛ فأخجله.

سمع جرير شعره فمدحه:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: [1] أي لم يسمه بما يشينه. و يحتمل أن يكون من طبع الشيء: دنس، و أطبعه: دسّه.

[2] لا يطور: لا يقرب. و في حديث علي كرم الله وجهه: «و الله لا أطور به ما سمر سمير» أي لا أقربه.

[3] ليل التمام (بالكسر و قد يفتح) : أطول ما يكون من ليالي الشتاء.

[4] كذا في م. و في سائر الأصول: «روايته» ، و هو تحريف.

[5] الفرع (بالضم) : قرية من نواحي الرّبذة عن يسار السّقيا بينها و بين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

[6] كذا في م و هو الموافق لما في الطبري (قسم 3 ص 238 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «عن عبد العزيز بن القاسم» ، و هو تحريف.

قدم جرير المدينة، فأتاه ابن هرمة و ابن أذينة فأنشدها؛ فقال جرير:
القرشي أشعرهما، و العربي أفصحهما.

مدح المطلب بن عبد الله قليم لمدحه غلاما حديث السن فأجاب:
أخبرنا يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال
حدّثني عبد الله بن محمد: أنّ ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطلب بن
عبد الله:

لَمَّا رَأَيْتِ الْحَادِثَاتِ كَنَفَنِي # وَ أَوْرَثَنِي بُوْسَى ذَكَرْتَ أبا الْحَكْمِ

سليل ملوك سبعة قد تتابعوا # هم المصطفون و المصقون بالكرم

فلاموه و قالوا: أ تمدح غلاما حديث السنّ بمثل هذا! قال نعم! و كانت
له ابنة يلقبها «عينه» - و قال الزبير: كان يلقبها «عينه» - فقال: كانت عينه
فيها و هي عاطلة # بين الجوّاريّ فحلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له # كان المليم و كُتِّا نحن لم نلم [1]

**شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه ثم عاوده فردّه
فهجاه:**

قال يحيى و حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ عن نوفل بن
ميمون قال: أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتاب يشكو فيه
بعض حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر دينارا.

فمكث شهرا ثم بعث يطلب منه شيئا آخر بعد ذلك؛ فقال: إنا و الله ما
نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب. و كان عبد العزيز قد
خطب إلى امرأة من ولد عمر فردّته، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن
لؤيّ فزوّجوه.

فقال ابن هرمة:

خطبت إلى كعب فردّوك صاغرا # فحوّلت من كعب إلى جذم [2] عامر

و في عامر عرّ قديم و إتما # أجازك فيهم هزل أهل المقابر

/و قال فيه أيضا:

أبا لبخل تطلب ما قدّمت # عرائن جادت بأموالها

هيهات! خالفت فعل الكرام # خلاف الجمال بأبوالها

خبره مع امرأة تزوّجها:

و قال هارون بن محمد حدّثني مغيرة بن محمد قال حدّثني أبو محمد السّهمي قال حدّثني أبو كاسب [3] قال: تزوّج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له: أعطني شيئاً؛ فقال: و الله ما معي إلاّ نعلاي، فدفعهما إليها، و مضى معها [1] لم نلم: لم نأت ما نلام عليه؛ و منه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مليم إذا أتى ما يلام عليه.

[2] الجذم (بالكسر) : أصل الشيء.

[3] في م: «ابن كاسب» .

فتورّكها مرارا. فقالت له. أجفيتني[1]؛ فقال لها: الذي أحفى صاحبه منّا يعضّ بظر أمّه.

أغراه قوم بالحكم بن المطلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه فأعطاه الحكم كل ما عنده من شاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المسيبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني إبراهيم بن سكرة جار أبي ضمرة قال: جلس ابن هرمة مع قوم على شراب، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه. فقالوا له: إنك لتكثر ذكر رجل لو طرفته الساعة في شاة يقال لها «غراء» تسأله إياها لردك عنها. فقال: أ هو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. و كانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها معجب، و كانت في داره سبعون شاة تحلب. فخرج و في رأسه ما فيه، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه. فقال له: أعلم أبا مروان بمكاني-و كان قد أمر ألاّ يحجب إبراهيم بن هرمة عنه-فأعلمه به، فخرج إليه متّشحا فقال: أ في مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم/جعلت فداك، ولد لأخ لي مولود فلم تدرّ عليه أمّه، فطلبوا/له شاة حلوبة فلم يجدوها، فذكروا له شاة عندك يقال لها «غراء» ، فسألني أن أسألها. فقال: أ تجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاة إلاّ انصرفت بها، سقهنّ معه يا غلام، فساقهنّ.

فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: ويحك! أيّ شيء صنعت! فقصّ عليهم القصة. قال: و كان فيهنّ و الله ما ثمنه عشرة دنانير و أكثر من عشرة.

لما سمع بقتل الوليد أنشد شعرا في مدحه:

قال هارون و حدّثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيّوب بن عباية عن عمر بن أيّوب الليثيّ قال: شرب ابن هرمة عندنا يوما فسكر فنام. فلما حضرت الصلاة تحرّك أو حرّكته. فقال لي و هو يتوصّأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعمون أنّ الوليد قتل؛ فرفع رأسه إليّ و قال: و كانت أمور الناس منبّة القوى # فشدّ الوليد حين قام نظامها

خليفة حقّ لا خليفة باطل # رمى عن قناة الدّين حتى أقامها

ثم قال لي: إيّاك أن تذكر من هذا شيئا؛ فإنّي لا أدري ما يكون.

كان ابن الأعرابي يقول: ختم الشعراء بابن هرمة:

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يقول: ختم الشعراء بابن هرمة.

سكر مرّة سكرًا شديدًا فعتب عليه جيرانه فأجابهم:
أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذريّ:
[1]أحفيتني هنا: أجهدتني.

[2]كذا في ح. و في م: «فذكرت لي شاة» . و في سائر الأصول:
«فذكرت شاة» .

أَنَّ ابن هرمة كان مغرماً بالنبيذ، فمرَّ على جيرانه و هو شديد[1]السُّكر حتى دخل منزله. فلَمَّا كان من الغد دخلوا عليه[2]فغاثبوه على الحال التي رآوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أ ما سمعتم قولي: أسأل الله سكرة قبل موتي # و صياح الصَّبيان يا سكران قال: فنفضوا ثيابهم و خرجوا، و قالوا: ليس يفلح و الله هذا أبدا.

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر و كان ذلك مصداقا لشعر له:
أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزَّبير بن بكار قال: أنشدني عمِّي لابن هرمة: ما أظنُّ الزمان يا أمَّ عمر[3] # تاركاً إن هلكت من يبكيني قال: فكان و الله كذلك؛ لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، حتَّى دفن بالبقيع.

ولد سنة 90 هـ و مدح المنصور و عمره خمسون سنة و عاش بعد ذلك طويلا:

قال يحيى بن عليّ-أراه[4]عن البلاذريّ-: ولد ابن هرمة سنة تسعين، و أنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين و مائة قصيدته التي يقول فيها: إنَّ الغواني قد أعرضن مقلية # لَمَّا رمى هدف الخمسين ميلادي قال: ثم عمّر بعدها مدّة طويلة.

[1]في «مختار الأغاني» لابن منظور (ج 1 ص 92 طبع مصر): «منبتٌ سكرًا» أي منقطع. و في ء، ط، م: «فمر على جيرانه و هو مثبت سكرًا» بالثاء المثناة و هو تصحيف عن «منبت» .

[2]كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. و في جميع الأصول: «إليه»

[3]في ح: «يا أم سعد» .

[4]في م: «رواه عن البلاذريّ» .

55- ذكر أخبار يونس الكاتب

نسب يونس الكاتب و منشؤه و من أخذ عنهم، و هو أوّل من دوّن الغناء:

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز. و قيل: إنّه مولى لعمر بن الزبير. و منشؤه و منزله بالمدينة. و كان أبوه فقيهاً [1]، فأسلمه في الديوان فكان من كتّابه. و أخذ الغناء عن معبد و ابن سريج و ابن محرز و الغريص، و كان أكثر روايته عن معبد؛ و لم يكن في أصحاب معبد أحذق و لا أقوم بما أخذ عنه منه. و له غناء حسن، و صنعة كثيرة، و شعر جيّد. و كتّابه في الأغاني و نسبها إلى من غنّى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه و يرجع إليه. و هو أوّل من دوّن الغناء.

شعر مسعود بن خالد في مدحه:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال/أنشدني مسعود بن خالد المورياتي [2] لنفسه في يونس: يا يونس الكاتب يا يونس # طاب لنا اليوم بك المجلس

إنّ المعنّين إذا ما هم # جاروك أحنى بهم المقبس

تنشر ديباجا و أشباهه # و هم إذا ما نشروا كرسوا [3]

خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنوا و اجتمع عليهم النساء فتغنى ابن عائشة ففرق جمعهم إليه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر إبراهيم بن قدامة الجمحيّ قال: اجتمع فتيان من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب و جماعة ممن يغنّى، فخرجوا إلى واد يقال له دومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم فتغنّوا، و اجتمع إليهم نساء أهل الوادي-قال بعض من كان معهم: فرأيت حولنا مثل مراح الضأن-و أقبل محمد بن عائشة و معه صاحب له؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم حسدهم، فالتفت إلى صاحبه فقال: أما والله لأفرّقنّ هذه الجماعة! فأتى قصرا من قصور العقيق، فعلا سطحه و ألقى رداءه و اتكأ عليه و تغنّى: [1] في «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي: «و كان أبوه مقيما بها» .

[2] كذا في أكثر الأصول، و هو الموافق لما في «تاريخ الطبري» (قسم ثالث ص 370 و 372 طبع أوروبا). و المورياتي (بضم الميم و كسر الراء): نسبة إلى موريات: قرية بخوزستان. و في م: «المرزباتي» و هو تحريف.

[3] كرسوا: أتوا بالكرايس، و هي الثياب الخشنة من القطن.

صوت

هذا مقام مطرد # هدمت منازلها و دورها

رقى [1] عليه عداته # ظلما فعاقبه أميره

-الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى، و الشعر لعبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، و قيل: إله لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم-قال: فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأة منهم إلا جلست تحت القصر الذي هو عليه و تفرق عامة أصحابهم. فقال يونس و أصحابه: هذا عمل ابن عائشة و حسده.

صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة و سبب قوله:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال:

تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مصعب بن الزبير امرأة من بني عبد بن [2] بغيض بن عامر بن لؤي، ففرق مصعب بينهما. فخرج حتى قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال:

/

هذا مقام مطرد # هدمت منازلها و دورها

رقى عليه عداته # كذبا فعاقبه أميره

في أن شربت بجم ما # ء كان حلا لي غديره

فلقد قطعت الخرق [3] بع # د الخرق معتسفا [4] أسيره

حتى أتيت خليفة الرحمن ممهودا سريره

حيته بتحية # في مجلس حضرت [5] صقوره

فكتب عبد الله إلى مصعب: أن اردد عليه امرأته؛ فإني لا أحرم ما أحل الله عز و جل؛ فردّها عليه. هذه رواية عمر بن شبة.

و أخبرني الحسن بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن سحيم بن حفص: أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، و أن المفرق. بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القبايع [6]؛ و ذكر باقي الخبر مثل الأول.

[1] رقى عليه عداته: تقوّلوا عليه ما لم يقل. قال في «القاموس»: و رقى عليه كلاما ترقية: رفع. و في «اللسان» «و نهاية ابن الأثير»:

«... و في حديث استراق السمع: و لكنهم يرقون فيه أي يتزيدون؛ يقال: رقى فلان عليّ الباطل؛ إذا تقوّل ما لم يكن و زاد فيه» .

[2] كذا في أكثر الأصول. و بغيض بن عامر كان شريفا، و هو الذي نقل الحطيئة إلى جواره من جوار الزبرقان. و أدرك بغيض الإسلام و وفد إلى النبي صلى الله عليه و سلم فسماه حبيبا. و في م: «من عبد بغيض» . و في ح: «من بني عبد الغيظ» .

[3] الخرق: القفر.

[4] معتسفا: خابطا الطريق على غير هداية و لا دراية. و في م: «منقطعا أسيره» .

[5] كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «حصرت» بالصاد المهملة.

[6] كان الحارث بن عبد الله أميرا على البصرة، و لقبه أهلها القباع؛ و ذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال: إن قفيزكم لقباع. أي كبير-

ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنيه ثم وصله:
 أخبرني عمي قال حدّثني طلحة بن عبد الله الطلحيّ قال حدّثني أحمد/
 بن الهيثم قال: خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة؛ فبلغ
 الوليد بن يزيد مكانه؛ فلم يشعر يونس إلا برسله قد دخلوا عليه الخان،
 فقالوا له: أجب الأمير- و الوليد إذ ذاك أمير-قال: فنهضت معهم حتى
 أدخلوني على الأمير، لا أدري/من هو، إلا أنه من أحسن الناس وجهًا و أنبلهم،
 فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب و الجوارح؛ فكنا [1]يومنا
 و ليلتنا في أمر عجيب. و غنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنّيته: إن يعش
 مصعب فنحن بخير # قد أتانا من عيشنا ما نرجي

ثم تنبّهت فقطعت الصوت. فقال: ما لك؟ فأخذت أعتذر من غنائي
 بشعر في مصعب. فضحك و قال: إن مصعبا قد مضى و انقطع أثره و لا
 عداوة بيني و بينه، و إنما أريد الغناء، فأمض الصوت؛ فعدت فيه فغنّيته. فلم
 يزل يستعيدني حتى أصبح، فشرب مصطبحا و هو يستعيدني هذا الصوت ما
 يتجاوزته حتى مضت ثلاثة أيام. ثم قلت له: جعلني الله فداء الأمير! أنا رجل
 تاجر خرجت مع تجار و أخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي. فقال لي: أنت تغدو
 غدا؛ و شرب باقي ليلته، و أمر لي بثلاثة آلاف دينار فحملت إليّ، و غدوت
 إلى أصحابي. فلما خرجت من عنده سألت عنه، ف قيل لي: هذا الأمير الوليد
 بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام. فلما استخلف بعث إليّ فأتيته، فلم
 أزل معه حتى قتل.

صوت من المائة المختارة أصواته المعروفة بالزبائب:

أقصدت زينب قلبي بعد ما # ذهب الباطل عني و الغزل

و علا المفرق شيب شامل # واضح في الرأس مني و اشتعل

الشعر لابن رهيمة المدنيّ. و الغناء في اللحن المختار لعمر الواديّ
 ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق.

و فيه ليونس الكاتب لحنان: أحدهما خفيف ثقيل/أول بالبنصر [2] في
 مجرى الوسطى عن إسحاق، و الآخر رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه
 أيضا. و فيه رملان بالوسطى و البنصر: أحدهما لابن المكّي، و الآخر لحكم، و
 قيل: إنه لإسحاق من رواية الهشاميّ. و لحن يونس في هذا الشعر من
 أصواته المعروفة بالزبائب، و الشعر فيها كلها لابن رهيمة في زينب بنت

عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ و هي سبعة: أحدها قد مضى.
و الآخر: -واسع. (راجع «النقائض» ص 607 «و عيون الأخبار» ج 2 ص 17
«و الأغاني» ج 1 ص 110 من هذه الطبعة) .

[1] في «نهاية الأرب» للنويري (ج 4 ص 310 طبع دار الكتب
المصرية) : «فمكتنا» .

[2] في ح: «أول بالخنصر» .

صوت

أقصدت زينب قلبي # و سبت عقلي و لبّي
 تركتني مستهما # أستغيث الله ربّي
 ليس لي ذنب إليها # فتجازيني بذنبي
 و لها عندي ذنوب # في تنائيها و قربي

غناه يونس رملا بالبنصر. و فيه لحكم هزج خفيف بالسبابة في مجرى
 البنصر عن إسحاق.

و منها:

صوت

وجد الفؤاد بزينا # وجدا شديدا متعبا
 أصبحت من وجدّي بها # أدعى سقيما مسهبا [1]
 و جعلت زينب سترة # و أتيت أمرا معجبا

غناه يونس ثقيلًا أوّل مطلقا في مجرى البنصر عن عمرو و إسحاق، و
 هو مما يشكّ فيه من غناء يونس. و لعلية بنت المهديّ فيه ثقيل أوّل آخر لا
 يشكّ فيه أنّه لها، /كنت فيه عن رشأ الخادم- و ذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه من
 الغناء لحنين هما جميعا من الثقيل الأوّل ليونس- و من لا يعلم يزعم أنّ
 الشّعْر لها.

و منها:

صوت

إنّما زينب المنى # و هي الهمّ و الهوى
 ذات دلّ تضني الصّحي [2] # ح و تبري من الجوى
 لا يغرّنك أن دعو # ت فؤادي فما التوى [3]
 و احذري هجرة الحيد # ب إذا ملّ و انزوى

غناه يونس رملا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

و منها:

صوت

إِثْمًا زَيْنَبَ هَمِّي # بِأَبِي تَلَكُ وَ أُمِّي
بِأَبِي زَيْنَبَ لَا أَكُ # نِي وَ لَكُنِّي أَسْمِي

[1]أسهب الرجل (مبنيًا للمجهول) : ذهب عقله، أو تغير لونه من حب أو غيره.

[2]في حـ: «... تصبي الحلیم» .

[3]كذا في م. و في حـ: «إلى التوى» بالتاء المثناة من فوق. و التوى: الهلاك. و في سائر الأصول: «إلى النوى» بالنون.

بأبي زينب من قا # ض قضى عمدا بظلمي
 بأبي من ليس لي في # قلبه قيراط رحم[1]
 غنّاه يونس رملا بالبنصر عن عمرو، و له فيه لحن آخر.
 و منها:

صوت

يا زينب الحسناء يا زينب # يا أكرم الناس إذا تنسب
 تقيك نفسي حادثات الردى # و الأم تفديك معا و الأب
 /هل لك في ودّ امرئ صادق # لا يمدق الودّ و لا يكذب
 لا يبتغي في ودّه محرما # هيهات منك العمل الأريب[2]
 غنّاه يونس ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.
 و منها:

صوت

فليت الذي يلحى على زينب المنى # تعلّقه مما لقيت عشير[3]
 فحسبي له بالعشر ممّا لقيته # و ذلك فيما قد تراه يسير
 غنّاه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشامي.
 هذه سبعة أصوات قد مضت و هي المعروفة بالزيانِب. و من الناس
 من يجعلها ثمانية، و يزيد فيها لحن يونس في: تصابيت أم هاجت لك الشوق
 زينب

و ليس هذا منها؛ و إن كان ليونس لحنه، فإنّ شعره لحجّية بن
 المضرب الكندي، و قد كتب في موضع آخر؛ و إنّما الزيانب في شعر ابن
 رهيمة. و منهم من يعدّها تسعة و يضيف إليها: قولا لزينب لو رأيت # ت
 تشوّقي لك و اشترافي[4]

و هذا اللحن لحكم. و الشعر لمحمد بن أبي العباس السقّاح في زينب
 بنت سليمان بن عليّ، و قد كتب في موضع آخر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

[1]الرحم: (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة.

- [2]المحرم: الحرام. و الأريب: ذو الريب. و في م: «العمل الأعيب» .
- [3]العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر.
- [4]الاشتراف: التطلع.

56- أخبار ابن رهيمة

شبيب بزيب بنت عكرمة فأمر هشام بن عبد الملك بضربه

فتواري و ظهر في أيام الوليد بن يزيد و قال شعرا:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هقان عن إسحاق قال: كان ابن رهيمة يشبب بزيب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و يغني يونس بشعره، فافتضحت بذلك. فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك، فأمر بضربه خمسمائة سوط، و أن يباح دمه إن وجد قد عاد لذكرها، و أن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره. فهرب هو و يونس فلم يقدر عليهما. فلما ولي الوليد بن يزيد ظهرا. و قال ابن رهيمة: لئن كنت أطردتني [1] ظالما # لقد كشف الله ما أُرهب

و لو نلت مئى ما تشتهي # لقل إذا رضيت زيب

و ما شئت فاصنعه بي بعد ذا # فحبى لزيب لا يذهب

و في الأصوات المعروفة بالزيان يقول أبان بن عبد الحميد اللّاحقيّ:
أحبّ [2] من الغناء خفيّ # فه إن فاتني الهزج

و أشنا «ضوء برق» [3] أمث # ل ما أشنا «عفا مزج»

و أبغض «يوم تنأى و # «الزيان» كلّها سمج

/و يعجبي لإبراه # يم و الأوتار تختلج [4]

«أدير مدامة صرفا # كأن صبيها ودج» [5]

يعني أبان لحن إبراهيم. و الشعر لأبان أيضا، و هو:

[1] أطرده: صيره طريدا. و أطرد السلطان فلانا: أمر بطرده أو بإخراجه من البلد.

[2] وردت هذه الأبيات في كتاب «الأوراق» للصولي (المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم 3530 أدب) ضمن قصيدة طويلة مثبتة في ترجمة أبان هذا، و مطلعها: أ أحزنك الألى ردّوا # جمال الحيّ و ادّجوا

[3] يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتا في الغناء.

[4] كذا في كتاب «الأوراق» للصولي. و في الأصول: «تعتلج» بالعين المهملة. و ما أثبتناه أنسب بالمعنى. على أن كلمة «تعتلج» قد وردت في

بيت آخر من هذه القصيدة، و هو: نعم فبنات همّ الصد # ر في الأحشاء
تعتلج

[5]الودج: عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. و المراد
تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذي يسيل من الأخدع عند الذبح.

صوت

أدير[1]مدامة صرفا # كأن صبيها ودج

فظلّ تخاله ملكا # يصرفها ويمتج

الشعر لأبان، و الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا.

و ممّا في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب:

صوت من المائة المختارة

ألا يا لقومي للرقاد المسهد[2] # و للماء ممنوعا من الحائم الصدي

و للحال بعد الحال يركبها الفتى # و للحبّ بعد السلوة المتمرد[3]

/الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛ و ذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنّها[4] للغول بن عبد الله بن صيفي الطائي. و الصحيح أنّها لإسماعيل. و أنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان و مدحه إياه بها ليعلم صحّة ذلك. و الغناء ليونس، و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر. و تمام هذه الأبيات: و للمرء لا عمّن[5] يحبّ بمرعو # و لا لسبيل الرشد يوما بمهتدي

و قد قال أقوام و هم يعدلونه[6] # لقد طال تعذيب الفؤاد المصيّد

[1]نسب المؤلف هذين البيتين في (ج 12 ص 110 طبع بلاق) المطبع بن إياس. و هو خطأ.

[2]في «مختصر الأغاني» لابن واصل الحموي: «المشرد» .

[3]في م: «المتردد» .

[4]كذا في ط، ح، ع. و في سائر الأصول: «أنه للغول» . و التذكير باعتبار أنه شعر.

[5]كذا في م، و في سائر النسخ: «عما» ، و كلاهما صحيح.

[6]في م: «يعدلونني... الفؤاد المعبد» . و في ح: لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند

57-أخبار إسماعيل بن يسار و نسبه

كان منقطعا إلى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان و

مدحه و الخلفاء من ولده:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مصعب بن عبد الله الزبيريّ قال:

كان إسماعيل بن يسار النّسائيّ مولى بني تيم بن مرّة: تيم قريش، و كان منقطعا إلى آل الزبير. فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عروة بن الزبير، و مدحه و مدح الخلفاء من ولده بعده. و عاش عمرا طويلا إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية، و لم يدرك الدولة العبّاسية. و كان طبيبا مليحا مندرا [1]بطالا، مليح الشّعْر، و كان كالمنقطع إلى عروة بن الزبير، و إنّما سمّي إسماعيل بن يسار النّسائيّ [2]، لأنّ أباه كان يصنع طعام العرس و يبيعه، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجمّلين و ممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك.

سبب تلقيبه بالنّسائي:

و أخبرني الأسدّيّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن التّطّاح قال:

إنّما سمّي إسماعيل بن يسار النّسائيّ لأنّه كان يبيع التّجد و الفرش التي تتخذ للعرائس؛ ف قيل له إسماعيل بن يسار النّسائيّ.

و أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن ابن عائشة:

أنّ إسماعيل بن يسار النّسائيّ إنّما لقب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعام العرسات [3]مصلحا أبدا؛ فمن طرقه وجده عنده معدّا.

نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثني الزبير بن بكار قال قال مصعب بن عثمان:

لما خرج عروة بن الزبير إلى الشّام يريد الوليد بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيل بن يسار النّسائيّ، و كان منقطعا إلى آل الزبير، فعادله [4]. فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانّه: انظر كيف ترى المحمل؟ قال: أراه [1]مندرا: يأتي بالنوادر من قول أو فعل. و بطال: كثير الهزل و المزاح؛ يقال: بطل الرجل يبطل بطالة (من باب فرح) إذا هزل.

[2]النسائيّ: نسبة إلى النساء الذي هو من أسماء جموع المرأة. و في «اللسان» : أن سيوبه يقول في النسبة إلى نساء: نسوي ردًا له إلى واحده.

[3]العرسات: جمع عرس و هو طعام الوليمة. و في ح، م: «العrsان» بالنون في آخره. و في سائر الأصول: «العrsيات» .

[4]عادله: ركب معه في المحمل مقابلا له.

معتدلاً. قال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدل الحقّ و الباطل قبل الليلة قطّ؛ فضحك عروة، و كان يستخفّ إسماعيل و يستطيه.

تساب هو و آخر يكنى أبا قيس في اسميهما فغلبه:
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي عن أيّوب بن عباية المخزوميّ:

أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حديلة [1] و كان له جلساء يتحدّثون عنده، ففقدهم أيّاماً، و سأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدّثون إليه طيّب الحديث حلو ظريف قدم عليهم يسمّى محمداً و يكنى أبا قيس.

فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمع الرجل القوم يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له:

أنت إسماعيل؟ قال نعم. قال: رحم الله أبويك فإنّهما سمّياك باسم صادق الوعد و أنت أكذب الناس. فقال له:

إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو من؟ قال: أبو قيس. قال: لا [2]! و لكن لا رحم الله أبويك؛ فإنّهما سمّياك باسم نبيّ و كنيّاك بكنية قرد. / فأفحم الرجل و ضحك القوم، و لم يعد إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل.

استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه و ادّعى نيته نفاقاً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز [3] قال حدّثنا المدائنيّ عن نمير العذريّ قال:

استأذن إسماعيل بن يسار النّسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فحجبه ساعة ثم أذن له، فدخل يبكي. فقال له الغمر: مالك يا أبا فائد تبكي؟ قال: و كيف لا أبكي و أنا على مروانيتي و مروانيتي أبي أحجب عنك! فجعل الغمر يعتذر إليه و هو يبكي؛ فما سكّت حتّى وصله الغمر بجملة لها قدر. و خرج من عنده، فلحقه رجل فقال له: أخبرني و بلك يا إسماعيل، أيّ مروانيتي كانت لك أو لأبيك؟ قال: بغضنا إيّاهم، امرأته [4] طالق إن لم يكن يلعن [5] مروان و آله كلّ يوم مكان التسبيح، و إن لم يكن أبوه حضره

الموت، ف قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: لعن الله مروان، تقرّبا بذلك إلى الله تعالى و إبدالا له من التوحيد و إقامة له مقامه.

شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني مصعب قال:

قال إسماعيل بن يسار التّسائيّ قصيدته التي أوّلها:

[1] كذا في ب، ح. ء، ط. و حديلة محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان. و في سائر الأصول: «جديلة» بالجيم. و جديلة: مكان في طريق خارج البصرة؛ و هذا لا يتفق مع سياق الخبر.

[2] في ح: «قال: و لكن لا رحم... إلخ» بدون «لا» .

[3] كذا في ح، و هو الصواب. (راجع الحاشية 2 ص 277 ج 3 من هذه الطبعة) . و في سائر الأصول: «أحمد بن إسماعيل الخزاز» بزايين.

[4] في ط، ء: «مرته الطلاق» . مرة (على وزن ستة) : لغة في امرأة.

[5] كذا في ط، م. ء. و في سائر الأصول: «إن لم تكن أمه تلعن...

إلخ» .

ما على رسم منزل بالجناب[1] # لو أبان الغداة رجع الجواب
 غيّرته الصّبا و كلّ ملتّ [2] # دائم الودق مكفهّر السّحاب
 /دار هند و هل زماني بهند # عائد بالهوى و صفو الجناب
 كالذي كان و الصفاء مصون # لم تشبه بهجرة و اجتناب
 ذاك منها إذ أنت كالغصن غضّ # و هي رؤد[3] كدمية المحراب
 عادة تستبي العقول بعذب # طيّب الطعم بارد الأنياب
 و أثيث[4] من فوق لون نقيّ # كيباض اللّجين في الزّرياب
 فأقلّ الملام فيها و أقصر # ليجّ قلبي من لوعة و اكتئاب[5]
 صاح أبصرت أو سمعت براع # ردّ في الصّرع ما قرى في العلاب[6]
 [انقضت شرّتي و أقصر جهلي # و استراحت عواذلي من عتابي][7]

و قال فيها يفخر على العرب بالعجم:

ربّ خال متوّج لي و عمّ # ماجد مجتدى كريم النّصاب
 إنّما سمّي الفوارس بالفر # س مضاهاة رفعة الأنساب
 فاتركي الفخريا أمام علينا # و اتركي الجور و انطقي بالصّواب
 و اسألني إن جهلت عتّا و عنكم # كيف كتّا في سالف الأحقاب
 إذ نرّبني بناتنا و تدسّو # ن سفاها بناتكم في التّراب

/فقال رجل من آل كثير بن الصّلت: إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه. يريد: أنّ العجم يرّبون بناتهم لينكحوهنّ، و العرب لا تفعل ذلك. و في هذه الأبيات غناء، نسبه: [1]الجناب (بالفتح) : الفناء و ما قرب من محلة القوم، و قيل: هو موضع في أرض كلب في السّماوة بين العراق و الشام. و الجناب (بالكسر) : موضع بعراض خبير و سلاح و وادي القرى، و قيل: هو من منازل بني مازن. و قال نصر: الجناب: من ديار بني فزارة بين المدينة و فيد. (انظر «معجم البلدان» لياقوت) .

[2]يقال: ألتّ المطر و لت إذا أقام أياما و لم يقلع. و الودق: المطر.

[3]الرؤد: الشابة الحسنة. و الدّمية: الصورة.

[4]شعر أثيث: كثير عظيم. و الزرياب: الذهب، و قيل: ماؤه، معرب زر أي ذهب، و آب أي ماء (خففت الهمزة فأبدلت ياء) . و في ح: «و الزرباب» بواو العطف.

[5] في ء، ط: «من عولتي و اكتئابي» . و العولة و العول: البكاء و الصياح.

[6] كذا في أكثر الأصول. و قرى الماء في الحوض: جمعه. و العلاب: جمع علبة، و هي إناء كالقده الضخم، تتخذ من جلود الإبل أو الخشب يحلب فيها. و في ء، ط و «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي: «الحلاب» بالحاء المهملة. و الحلاب (بالكسر) : الإناء الذي يحلب فيه اللبن.

[7] الزيادة عن «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي، و قد ذكره المؤلف بعد قليل.

صوت

صاح أبصرت أو سمعت براع # ردّ في الصّرع ما قرى في العلاب
انقضت شرّتي و أقصر جهلي # و استراحت عواذلي من عتابي

/الشعر لإسماعيل بن يسار النّسائي. و الغناء لمالك خفيف ثقيل
بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و ذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى
أنّ فيه للغريض خفيف ثقيل بالنصر، و ذكر في نسخته الثانية أنه لابن
سريج. و ذكر الهشامي أنّ لحن ابن سريج رمل بالوسطى، و أنّ لحن
الغريض ثقيل أوّل.

كان شعوبيا شديدا التعصب للعجم:

و حدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب
قال: إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائد، و كان أخواه محمد و إبراهيم
شاعرين أيضا، و هم من سبى فارس. و كان إسماعيل شعوبيا [1] شديدا
التعصب للعجم، و له شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوما في
مجلس فيه أشعب قوله: إذ نرّبني بناتنا و تدسّو # ن سفاها بناتكم في
التراب

فقال له أشعب: صدقت و الله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما
أردتموهنّ له. قال: و ما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفا من العار، و
رّبّتموهنّ لتتكوهنّ. قال: فضحك القوم حتى استعربوا [2]، و خجل
إسماعيل حتّى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد بن يزيد ثم
مدح الوليد فأكرمه:

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة
الغفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسلميّ قال: بينا ابن يسار النّسائيّ مع الوليد
بن يزيد جالس على بركة، إذ أشار الوليد إليّ مولى له يقال له عبد الصمد،
فدفع ابن يسار النّسائيّ في البركة بثيابه؛ فأمر به الوليد فأخرج. فقال ابن
يسار: قل لوالي العهد [3] إن لاقيته # و وليّ العهد أولى بالرّشد

إنّه و الله لو لا أنت لم # ينح منّي سالما عبد الصّمد

[1] الشعوبية: فرقة لا تفضل العرب على العجم و لا ترى لهم فضلا
على غيرهم، و يرون التسوية بين الشعوب.

[2] أي بالغوا في الضحك.

[3] كذا في أكثر النسخ. و في ط، ء: «قل لولي العهد... إلخ» بدون ألف بعد الواو. و على هذه الرواية يكون قد دخله الخزم، و هو زيادة حرف في أوّل الجزء أو حرفين أو حروف من حروف المعاني نحن الواو و بل و إذا. و أكثر ما جاء من الخزم بحروف العطف.

فالخزم بالواو كقول امرئ القيس:

و كأن ثبيرا في أفانين ودقه # كبير أناس في بجاد مزمل

و قد يأتي الخزم في أوّل المصراع الثاني، كما أنشد ابن الأعرابي:

بل بريقا بتّ أرقبه # «بل» لا يرى إلا إذا اعتلما

و ربما اعترض في حشو النصف الثاني بين سبب و وتد، كقول مطر بن أشيم: الفخر أوّله جهل و آخره # حقد «إذا» تذكرت الأقوال و الكلم

إِنَّه قد رام مَنِّي خَطَّة # لم يرمها قبله مَنِّي أحد
فهو مما رام مَنِّي كالذي # يقنص الدَّرَّاج [1] من خيس [2] الأسد

فبعث إليه الوليد بخلعة سنينة وصلة و ترصّاه. و قد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى، و ذكر هذا الشعر له فيه.

استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة فلما سمعها أنشد هو قصيدة من شعره فأعجب بها الطالب:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي [3]: حدّثني مصعب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول: ركب فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار التّسائيّ حتّى أتى به قباء؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أنشدني قولك: ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا # لو أنّهم قبل بينهم ربعوا

فأنشده القصيدة. فأعجب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أ ما جئت إلّا لما أرى؟ قال لا [4].

قال: فاسمع، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ما ضرّ أهلك لو تطوّف عاشق # بفناء بيتك أو ألمّ فسلمّا

فقال: و الله لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت أنك قلتها لما أتيته. و في أبيات من هذا الشعر غناء نسبته:

صوت

يا هند رديّ الوصل أن يتصرّما # وصلي امرأ كلفا بحبّك مغرما

لو تبدلين لنا دلالك مرّة # لم نبغ منك سوى دلالك محرما

منع الزيارة أنّ أهلك كلّهم # أبدوا لزورك غلظة و تجهّما

ما ضرّ أهلك لو تطوّف عاشق # بفناء بيتك أو ألمّ فسلمّا

الشعر لإسماعيل بن يسار التّسائيّ. و الغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لإبراهيم الموصليّ رمل بالبصرة عن حبش.

[1] الدَّرَّاج (بضم الدال و تشديد الراء): طائر أسود باطن الجناحين و ظاهرهما أغبر على خلة القطا إلا أنه ألطف. و جعله الجاحظ من أقسام

الحمّام؛ لأنّه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمّام. و هو من طير العراق كثير النتاج. و في المثل: فلان «يطلب الدّراج من خيس الأسد». . يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده. (انظر كتاب «حياة الحيوان» للدميري ج 1 ص 417 طبع بلاق) .

[2]خيس الأسد: غابته و مكانه.

[3]في م: «... قرأت على أبي قال حدّثني...» .

[4]كذا في جميع الأصول. و ظاهر أن المقام مقام «بلى». فلعل هذا خطأ من النساخ.

سمع زيان السّواق شعره فبكى:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: أنشد رجل زبّان [1] السّواق قول إسماعيل بن يسار: ما ضرّ أهلك لو تطوّف عاشق # بفناء بيتك أو ألمّ فسلما

فبكى زبّان [1]، ثم قال: لا شيء و الله إلا الصّجر و سوء الخلق و ضيق الصدر، و جعل يبكي و يمسح عينيه.

شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافي مع زيان السّواق:

أخبرني محمد بن جعفر الصّيدلانيّ النحويّ صهر المبرّد [2] قال حدّثني طلحة بن عبد الله بن [3] إسحاق الطّليحيّ قال حدّثني الزّبير بن بكار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلبّي قال: أنشدت زبّان [3] السّواق قول إسماعيل بن يسار التّسائيّ:

صوت

إن جملا [4] و إن تبيّنت منها # نكبا عن موّدتي و ازورارا

شرّدت [5] بادكارها التّوم عنيّ # و أطير العزاء منّي فطارا

ما على أهلها و لم تأت [6] سوءا # أن تحيّا تحيّة أو تزارا

يوم أبدوا لي التّجهم فيها # و حموها لجاجة و ضرارا

/فقال زبّان: لا شيء و أبيهم إلا اللّحز [7] و قلّة المعرفة و ضيق العطن [8]. فصاح عليه أبو المعافي و قال: فعلي من ذاك و بلك! أ عليك أو على أبيك أو أمك؟ فقال له زبّان: إنّما أتيت يا أبا المعافي من نفسك، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت و ابنك. فوثب إليه أبو المعافي يرميه بالتراب و يقول له: وبحك يا سفيه! تحسن الدّباثة! و زبّان يسعى هربا منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكيّ و حمّاد، و ذكر الهشاميّ و حبش أنه لابن محرز، و أنّ لحن ابن مسجح ثاني ثقيل.

[1] في حـ: «ريان السّواق» بالراء و الياء المثناة من تحت.

[2] في «إنباه الرواة» للقفطي (ص 56 ج 2 قسم أوّل، عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2579 تاريخ): «محمد بن جعفر الصّيدلاني صهر أبي العباس المبرّد على ابنته».

[3] في ط، م، ء: «أبو إسحاق» . و لم نوفق لتحقيق هذا الاسم في المظانّ: أ هو كنية لطلحة أم أن إسحاق اسم جدّه.

[4] في ح: «إن جملا خلى تبينت...» .

[5] في ط، م، ء: «شرقّت باذكّارها اليوم عيني» . و شرقّت العين: احمّرت، أو امتلأت بالدمع.

[6] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و لم نأت» بالنون.

[7] كذا في ط، ء. و اللّحز (بالتحريك) : الشح و البخل. و في سائر الأصول: «اللحن» النون بدل الزاي، و هو تحريف.

[8] ضيق العطن: كناية عن الجمق و ضيق الصدر.

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر و أنشده فأكرمه:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْبَعِيُّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال: غنِّي الوليد بن يزيد في شعر لإسماعيل بن يسار، وهو: حتّى إذا الصبح بدا ضوؤه # و غارت الجوزاء و المرزوم[1]

خرجت و الوطاء خفيّ كما # ينساب من مكمنه الأرقم[2]

فقال: من يقول هذا؟ قالوا: رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار التَّسائي؛ فكتب في إشخاصه إليه. فلمّا دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده: كلثم أنت الهمّ يا كلثم # و أنتم دائي الذي أكتم

أكاتم الناس هوى شقني # و بعض كتمان الهوى أحزم
/قد لمتني ظلما بلا طنة # و أنت فيما بيننا ألوم
أبدي الذي تخفينه ظاهرا # ارتدّ عنه فيك أو أقدم
/إمّا بيأس منك أو مطمع # يسدى بحسن الودّ أو يلحم
لا تتركيني هكذا ميّتا # لا أمنح الودّ و لا أصرم
أوفي بما قلت و لا تندمي # إنّ الوفيّ القول لا يندم
آية[3] ما جئت على رقبة # بعد الكرى و الحيّ قد نؤموا
أخافت المشي حذار العدا[4] # و الليل داج حالك مظلم
و دون ما حاولت[5] إذ زرتكم # أخوك و الخال معا و العم
و ليس إلّا الله لي صاحب # إليكم و الصارم اللّهزم[6]
حتّى دخلت البيت فاستدرفت # من شفق عينك لي تسجم
ثم انجلى الحزن و روعاته # و غيّب الكاشح و المبرم[7]
فبتّ فيما شئت من نعمة[8] # يمنحنيها[9] نحرها و الفم

[1]المرزوم: من نجوم المطر، و أكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثني، فيقال: المرزومان.

[2]الأرقم: أخبت الحيات، و الأثى «رقشاء» ، بالشين، و لا يقال: «رقماء» بالميم؛ لأنه قد جعل اسما منسلخا عن الوصفة.

[3]في ب، ح: «إيه بما جئت... إلخ» .

[4]في ء، ط، م: «حذار الردى» .

- [5] في حـ: «و دون ما جاوزت» .
- [6] اللهزم: القاطع من السيوف و الأسننة.
- [7] المبرم: الجليس الثقيل.
- [8] النعمة بفتح النون: المسرة و الفرحة و الترفه.
- [9] في ء، ط، م: «جاد بها لي ثغرها و الفم» . -

حتّى إذا الصبح بدا ضوأه # و غارت[1]الجوزاء و المرزم

خرجت و الوطاء خفيّ كما # ينساب من مكمّنه الأرقم

قال: فطرب الوليد حتّى نزل عن فرشه و سريره، و أمر المغيّين فغنّوه الصوت و شرب عليه أقداحا، و أمر لإسماعيل بكسوة و جائزة سنّية، و سرّحه إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت

سمع شيخ قينة تغني بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجابا

به:

الشعر لإسماعيل بن يسار النّسائيّ. و الغناء لابن سريج رمل.

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كناسة قال: اصطحب شيخ و شباب في سفينة من الكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إنّ معنا قينة لنا، و نحن نجلّك و نحبّ أن نسمع[2]غناءها. قال: الله المستعان؛ فأنا أرقى على الأطلال[3]و شأنكم. فغنّت: حتّى إذا الصبح بدا ضوأه # و غارت الجوزاء و المرزم

أقبلت و الوطاء خفيّ كما # ينساب من مكمّنه الأرقم

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، و جعل يخطب بيديه و يقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه و قد كاد يغرق؛ فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إنيّ و الله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو مسلم المستملي عن المدائنيّ قال: مدح إسماعيل بن يسار النّسائيّ رجلا من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أنس، و كان قد اتّصل ببني مروان و أصاب منهم خيرا، و كان إسماعيل صديقا/له؛ فرحل إلى دمشق إليه، فأنشده مديحا له و متّ إليه بالجوار و الصداقة؛ فلم يعطه شيئا. فقال يهجو: لعمرك ما إلى حسن رحلنا # و لا زرنا حسينا يا ابن أنس

(يعني الحسن و الحسين رضي الله تعالى عنهما) .

[1] في ء، ط: «و غابت» و كلتاها بمعنى.

[2] في ء، ط: «تسمع» بتاء الخطاب.

[3] كذا في م. و الأطلال: جمع طلل. و طلل السفينة: شراعها. و في س: «الظلال». و في سائر الأصول: «الأطلال» و كلاهما تحريف.

و لا [1] عبدا لعبدهما [2] فنحطى # بحسن الحظ منهم غير بخس
 /و لكن صبّ جندلة [3] أتينا # مضبّا [4] في مكانه يفسّي
 فلما أن أتينا و قلنا # بحاجتنا تلّون لون ورس [5]
 و أعرض غير منبلج لعرف # و ظلّ مقرطبا [6] ضرسا بضرس [7]
 فقلت لأهله أبه كزاز [8] # و قلت لصاحبي أ تراه يمسي
 فكان الغنم أن قمنا جميعا # مخافة أن نزنّ [9] بقتل نفس

رثاؤه لمحمد بن عروة:

حدّثني عمّي [10] قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد
 الله قال: وفد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك و أخرج معه
 إسماعيل بن يسار النّسائيّ، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن
 الزبير، و كان مطلعا على دوابّ الوليد بن عبد الملك، فسقط من فوق
 السطح بينها، فجعلت ترمحه [11] حتى قطعته، كان جميل الوجه جوادا. فقال
 إسماعيل بن يسار يرثيه: صلى الإله على فتى فارقته # بالشام في جدث
 الطويّ [12] الملحد [13]

بوّأته بيديّ دار إقامة # نائي المحلة عن مزار العوّد

و غيرت أعوله [14] و قد أسلمته # لصفا [15] الأماعر و الصّفيح [16] المسند

[1] ورد بعض هذه الأبيات في كتاب «عيون الأخبار» (ج 3 ص 154
 طبع دار الكتب المصرية) منسوباً إلى الحارث الكنديّ هكذا: فلما أن أتينا و
 قلنا # بحاجتنا تلّون لون ورس

و آض بكفه يحتك ضرسا # يرينا أنه وجع بضرس

فقلت لصاحبي أبه كزاز # و قلت أسرّه أ تراه يمسي

و قمنا هارين معا جميعا # نحاذر أن نزنّ بقتل نفس

[2] كذا في ط، م، ء. و في سائر الأصول: «لعبدهم» .

[3] الجندلة: واحدة الجندل و هي الحجارة.

[4] أضب في المكان: لزمه فلم يفارقه.

[5] الورس: نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه، و نباته مثل
 نبات السمسم.

[6] المقرطب (بكسر الطاء) : الغضبان.

- [7] كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «ضرسا لضرس» .
- [8] الكزاز (كغراب و رمّان) : داء يأخذ من شدّة البرد و تعتري منه رعدة.
- [9] نزن: نتهم.
- [10] في م: «حدّثني الحسن» . و هو الحسن بن محمد عمّ صاحب «الأغاني» .
- [11] ترمحه: تضربه بأرجلها.
- [12] الطويي: المراد به هنا القبر المعرّش بالحجارة و الآجرّ.
- [13] ألد القبر: عمل له لحدا.
- [14] أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.
- [15] الصفا: جمع صفاة و هي الحجر الصلد الضخم لا ينبت. و الأماعز: جمع أمعز، و هو المكان الصلب الكثير الحصى.
- [16] الصفيح و الصفيحة: واحد الصفائح و هي الحجارة العريضة. و المسند: المتراكب بعضه فوق بعض.

متخشعا للدهر ألبس حلّة # في النائبات بحسرة و تجلّد
 أعني ابن عروة إنّه قد هدّني # فقد ابن عروة هدّة لم تقصد
 فإذا ذهبت إلى العزاء أرومه # ليرى المكاشح بالعزاء تجلّدي
 منع التّعزّي أنّي لفراقه # لبس العدوّ عليّ جلد الأربد[1]
 و نأى الصديق فلا صديق أعدّه # لدفاع نائبة الرّمان المفسد
 فلئن تركتّك يا محمد ثاوبا # لبما تروح[2] مع الكرام و تغندي
 / كان الذي يزع العدوّ بدفعه # و يرّد نخوة ذي المراح[3] الأصيد
 فمضى لوجهته و كلّ معمر # يوما سيدركه حمام الموعد

دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير و مدحه فأكرمه:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مصعب بن عبد
 الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لمّا
 أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير، فسلم و وقف موقف المنشد
 و استأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يا ابن يسار! إنّما أنت امرؤ
 زبيريّ، فبأيّ لسان تنشد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأننا من ذلك،
 و قد صفحت عن أعظم جرما و أكثر غناء لأعدائك منّي، و إنّما أنا شاعر
 مضحك. فتبسّم عبد الملك؛ و أوماً إليه الوليد بأن ينشد. فابتدأ فأنشد قوله:
 ألا يا لقومي للرقاد المسهّد # و للماء ممنوعا من الحائم الصّدي

و للحال بعد الحال يركبها الفتى # و للحبّ بعد السلوة المتمرّد
 و للمرء يلحى في التصابي و قبله # صبا بالغواني كلّ قرم ممجّد
 و كيف تناسي القلب سلمى و حبّها # كجمر غضى بين الشراسيف[4] موقد

حتى انتهى إلى قوله:

/

إليك إمام النّاس من بطن يثرب # و نعم أخو ذي الحاجة المتعمّد
 رحلنا لأنّ الجود منك خليفة # و أنّك لم يذمم جنابك مجتدي
 ملكت فزدت النّاس ما لم يزدهم # إمام من المعروف غير المصدّر[5] /
 و قمت[6] فلم تنقض قضاء خليفة # و لكن بما ساروا من الفعل تقتدي

[1]الأربد هنا: الأسد.

- [2] كذا في ء، ط، م. و في سائر النسخ: «على الكرام» .
- [3] المراح: الأشر و النشاط. و الأصيد: الذي يرفع رأسه كبيرا. و منه قيل لملك: أصيد؛ لأنه لا يلتفت يمينا و لا شمالا.
- [4] الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.
- [5] صرّد عطاءه: قلّله، و قيل: أعطاه قليلا قليلا.
- [6] في ء، ط. «و قلت» .

و لَمَّا وُلِيَت الْمَلِكُ ضَارِبَت دُونَهُ # وَ أَسْنَدَتَهُ لَا تَأْتَلِي خَيْرَ مَسْنَدٍ

جَعَلَت هَشَامًا وَ الْوَلِيدَ ذَخِيرَةً # وَ لَيِّنَ لِلْعَهْدِ الْوَثِيقَ الْمَوْكَّدَ

قال: فنظر إليهما عبد الملك متبسّما، و التفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فقطب سليمان و نظر إلى إسماعيل نظر مغضب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وزن الشعر أخرج من البيت الأوّل، و قد قلت بعده: و أمضيت عزما في سليمان راشدا # و من يعتصم بالله مثلك يرشد

فأمر له بألفي درهم صلة، و زاد في عطائه، و فرض له، و قال لولده: أعطوه؛ فأعطوه ثلاثة آلاف درهم.

استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر و رمى به في بركة ماء و نفاه إلى الحجاز:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن التّطّاح عن أبي اليقظان: أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته و هو بالرّصافة جالس على بركة له في قصره، فاستنشده و هو يرى أنه ينشده مديحا له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم: يا ربع رامة [1] بالعلياء من ريم [2] # هل ترجعنّ إذا حيّيت تسليمي

/ ما بال حيّ غدت بزل المطيّ بهم # تخدي لغربتهم سيرا بتقحيم [3]

كأنّني يوم ساروا شارب سلبت # فؤاده قهوة من خمر داروم [4]

حتّى انتهى إلى قوله:

إني و جدّك ما عودي بذي خور # عند الحفاظ و لا حوضي بمهدوم

أصلي كريم و مجدي لا يقاس به # و لي لسان كحدّ السّيف مسموم [5]

أحمي به مجد أقوام ذوي حسب # من كلّ قرم بتاج الملك معموم

ججاج [6] سادة بلج مرازية # جرد عتاق مساميح مطاعيم

[1] رامة: منزل بينه و بين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. و بين رامة و بين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. و قيل: رامة: هضبة أو جبل بني دارم.

[2] رئم (بكسر أوّله و همز ثانيه و سكونه و قيل بالياء غير مهموز) : واد لمزينة قرب المدينة، و قيل: على ثلاثين ميلا من المدينة، و قيل: على

أربعة برد من المدينة أو ثلاثة. (و البريد فرسخان أو أربعة فراسخ، و
الفرسخ: ثلاثة أميال) .

[3]بزل (ككتب و يسكن) : جمع بزول، و البزول: الناقة في تاسع
سنيها و ليس بعده سن تسمى. و خدي الفرس و البعير: أسرع و زجّ
بقوائمه. و التقحيم: طيّ المنازل و عدم النزول بها؛ يقال: قحم المنازل إذا
طواها، و قحمت الإبل راكبيها: جعلتهم يطوون المنازل منزلا منزلا من غير
أن ينزلوا بها.

[4]داروم: قلعة بعد غرّة للقاصد إلى مصر، و الواقف فيها يرى البحر
إلا أن بينها و بين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل
في سنة 584 هـ تنسب إليها الخمر.

[5]الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة، و بذلك يكون في الشعر إقواء.
على أنه يمكن أن يكون أصل الكلام: «إلى لسان...» بدل «و لي لسان...»

[6]جحاجح: جمع جحجح، و الجحجح و الجحجاج: السيد الكريم. و
المرازبة: جمع مرزبان، و هو رئيس الفرس.

من مثل كسرى و سابور الجنود معا # و الهرمزان [1] لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا # و هم أذلوا ملوك الترك و الروم
يمشون في حلق الماضيّ سابعة # مشى الصراغمة الأسد اللّهاميم [2]
هناك إن تسألني تنبي بأنّ لنا # جرثومة [3] قهرت عزّ الجرائم

قال: فغضب هشام و قال له: يا عاضّ بظرف أمّه! أ عليّ تفخر و إياي
تنشد قصيدة تمدح بها نفسك و أعلاج قومك!! غطوه في الماء، فغطوه في
البركة/حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بإخراجه و هو بشرّ و نفاه من وقته،
فأخرج عن الرّصافة منفياً إلى الحجاز. قال: كان مبتلى بالعصيبة للعجم و
الفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

مدح الوليد و الغمر ابني يزيد فأكرماه:

أخبرني عمّي قال/حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطّاح و
حدّثني أبو اليقظان: أنّ إسماعيل بن يسار وفد إلى الوليد بن يزيد، و قد
أسنّ و ضعف، فتويّسل إليه بأخيه الغمر و مدحه بقوله: نأتك سليمان فلهوى
متشاجر # و في نايها للقلب داء مخامر

نأتك و هام القلب، نأياً بذكرها [4] # و لّج كما لّج الخليع المقامر
بواضحة الأقرب [5] خفاقة الحشى # برهرة [6] لا يجتوبها [7] المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد:

إذا عدّد الناس المكارم و العلا # فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر
فما مرّ من يوم على الدهر واحد # على الغمر إلاّ و هو في الناس غامر [8]
تراهم خشوعاً حين يبدو [9] مهابة # كما خشعت يوماً لكسرى الأساور
أغرّ بطاحيّ [10] كأنّ جبينه # إذا ما بدا بدر إذا لاح باهر

[1] الهرمزان: الكبير من ملوك العجم.

[2] حلق: جمع حلقة و هي هنا الدرع. و الماضي: الدروع السهلة اللينة أو
البيضاء. و اللّهاميم: جمع لهميم و هو السابق الجواد من الخيل و الناس.

[3] جرثومة الشيء: أصله.

[4] أي نأتك نأياً و هام القلب بذكرها.

[5] الأقرب: جمع قرب و هي الخاصرة.

[6] البرهرة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة.

[7] في أكثر الأصول: «لا يستويها» . و في م: «لا يحتويها» و كلاهما تحريف. و ما أثبتناه هو تصحيح الشنقيطي في نسخته، و هو الذي يستقيم به المعنى. و اجتواه: كرهه.

[8] في م:

فما مر من يوم من الدهر واحد # من الغمر إلا و هو للناس غامر

[9] كذا في ح، و به صحح الشنقيطي نسخته. و في سائر الأصول: «تبدو» .

[10] البطاحي: نسبة إلى البطاح، و هي التي كان ينزلها قريش البطاح، و هم أشرف قريش و أكرمهم. (انظر الحاشية رقم 3 ص 254 من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

وقى عرضه بالمال فالمال جنة # له و أهان المال و العرض وافر
 و في سيبه للمجتدين عمارة # و في سيفه للذين عزّ و ناصر
 نماه إلى فرعي لؤي بن غالب # أبوه أبو العاصي و حرب و عامر
 و خمسة آباء له قد تتابعوا # خلائف عدل ملكهم متواتر
 بهاليل سباقون في كل غاية # إذا استبقت في المكرمات المعاشر
 هم خير من بين الحجون إلى الصفا # إلى حيث أفضت بالبطاح الحزاور[1]
 و هم جمعوا هذا الأنام على الهدى # و قد فرقت بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم و أخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب قال:

لما مات محمد بن يسار، و كانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام بن عروة، فجلس عنده و حدّثه بمصيبته و وفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه: عيل العزاء و خاني صبري # لما نعى الناعي أبا بكر

و رأيت ربب الدّهر أفردني # منه و أسلم للعدا ظهري
 من طيب الأثواب مقتبل # حلو الشمائل ماجد غمر[2]
 فمضى لوجهته و أدركه # قدر أنيح له من القدر
 و غبرت[3] مالي من تذكّره # إلاّ الأسى و حرارة الصدر
 و جوى يعاودني[4] و قلّ له # منّي الجوى و محاسن الذّكر
 /لما هوت أيدي الرّجال به # في قعر ذات جوانب غير
 و علمت أنّي لن ألاقه # في الناس حتّى ملتقى الحشر
 كادت لفرقته و ما ظلمت # نفسي تموت على شفا القبر
 و لعمر من حبس الهدى له # بالأخشيين[5] صبيحة النّحر
 لو كان نيل الخلد يدركه # بشر بطيب الخيم و النّجر[6]

[1]الحزاور: جمع حزورة، و هي الرابية الصغيرة، و منها الحزورة: سوق مكة و قد دخلت في المسجد لما زيد فيه. و في الحديث: وقف النبيّ صلى الله عليه و سلّم بالحزورة فقال: «يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة و أحبك إليّ، و لو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» .

[2] الغمر: الكريم الواسع الخلق.

[3] غير هنا: مكث و بقي.

[4] كذا في ح. و في سائر الأصول: «يعاورني» بالراء.

[5] الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة و تارة إلى منى، أحدهما أبو قبيس و الآخر قعيقعان. و يقال: بل هما أبو قبيس و الجبل الأحمر المشرف هنالك.

[6] الخيم: الطبيعة و السجية، و قيل: الأصل. و النجر: الأصل.

لغبرت لا تخشى المنون و لا # أودى بنفسك حادث الدهر
 و لنعم مأوى المرملين إذا # قحطوا و أخلف صائب القطر
 كم قلت آونة و قد ذرفت # عيني فماء شئونها يجري
 أئبي و أئبي فتى يكون لنا # شرواك [1] عند تفاقم الأمر
 لدفاع خصم ذي مشاغبة # و لعائل ترب أخي فقر
 و لقد علمت و إن ضمننت جوى # مما أجنّ كواهج الجمر
 ما لامرئ دون المنيّة من # نفق فيحرزه و لا ستر

قال: و كان بحضرة هشام رجل من آل الرّبير، فقال له: أحسنت و أسرفت في القول، فلو قلت هذا في رجل من سادات قريش لكان كثيرا. فزجره هشام و قال: بئس و الله ما واجهت به جليسا؛ فشكره إسماعيل، و جزاه خيرا. فلما انصرف تناول هشام الرجل الرّبيريّ و قال: ما أردت إلى رجل شاعر ملك قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! ما زدت على أن أغرّيته بعرضك و أعراضنا لو لا أئبي/تلافيته. و كان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه [2] شاعرا من طبقة أخيه؛ و له أشعار كثيرة. و لم أجد له خبرا فأذكره، و لكن له أشعار كثيرة يغنى فيها. منها قوله في قصيدة طويلة:

صوت

غشيت الدار بالسند # دوين الشعب من أحد
 عفت بعدي و غيرها # تقادم سالف الأبد

الغناء لحكم الواديّ خفيف ثقيل عن الهشاميّ.

و لإسماعيل بن يسار ابن يقال له إبراهيم، شاعر أيضا، و هو القائل:
 مضى الجهل عنك إلى طيئته # و أبك حلمك من غيبته [3]

و أصبحت تعجب مما رأيت # ت من نقض دهر و من مرّته

و هي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهت الإطالة بذكرها.

انقضت أخباره.

[1] شرواك: مثلك.

[2] كذا في م: و في سائر الأصول: «أخو إسماعيل هذا رثاء شاعرا...»

[3] في ح: «من غيته» و الغية: الضلال و الفساد.

صوت

[1]

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا # و أيسر جرما منك ضجّ بالدم

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة # كحاشية البرد اليماني المنمنم [2]

عروضه من الطويل. الشعر للنابعة الجعديّ. و الغناء للهدليّ في اللحن المختار، و طريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و نذكر هاهنا/سائر ما يغنى به في هذه الأبيات و غيرها من هذه القصيدة و ننسبه إلى صانعه [3]، ثم تأتي بعده بما يتبعه من أخباره. فمنها على الولاة سوى لحن الهدليّ: كليب لعمرى كان أكثر ناصرا # و أيسر جرما منك ضجّ بالدم

ارمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة # كحاشية البرد اليماني المسهم [4]

أيا دار سلمى بالحرورية [5] اسلمي # إلى جانب الصّمان [6] فالمتلّم [7]

أقامت به البردين ثم تذكّرت # منازلها بين الدّخول فجرثم [8]

و مسكنها بين الغروب [9] إلى اللوى # إلى شعب ترعى بهنّ فعيهم [10]

ليالي تصطاد الرجال بفاحم [11] # و أبيض كالإغريض لم يتلّم

في البيت الأوّل و الثاني لابن سريح ثقيل أوّل آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق [12] و يونس.

و فيهما لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و للإغريض في الثالث و الرابع و الأوّل و الثاني ثقيل أوّل بالسّابة في مجرى الوسطى. و لإسحاق في الثالث و الأوّل ثقيل أوّل بالوسطى [13]، ذكر ذلك أبو العبيس [1] في م: «صوت من المائة المختارة» .

[2] برد منمنم: مرقوم موشي. و في م في هذا الموضع: «المسهم» كما في سائر الأصول فيما يأتي.

[3] في م: «إلى صاحبه» .

[4] البرد المسهم: المخطط.

[5] قال ياقوت: الحرورية منسوب في قول النابعة الجعدي حيث قال، ثم ذكر البيتين: أيا دار سلمى، و الذي بعده. و ربما كان منسوبا إلى حروراء،

و هي رملة و عثة بالدهناء، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب، فنسبوا إليه.

[6]الصمان: بلد لبني تميم أرضه صلبة صعبة الموطئ.

[7]المتثلّم (رواه أهل المدينة بفتح اللام و هو الذي ضبطه به ياقوت، و رواه غيرهم من أهل الحجاز بالكسر) : موضع بأوّل أرض الصمان.

[8]جرثم: ماء من مياه بني أسد تجاه الجواء، كما قال البكري في «معجم ما استعجم» ، و استشهد بقول النابغة الجعدي و ذكر البيت هكذا: أقامت به البردين ثم تذكرت # منازلهم بين الجواء و جرثم

[9]الغروب: موضع لم يعينه ياقوت و قال: ذكره صاحب «اللسان» .

[10]عيهم: موضع على طريق اليمامة إلى نجد.

[11]الفاحم: الشعر الأسود الحسن. و الإغريض: الطلع حين ينشق عنه كافوره. يريد ذلك وجهها.

[12]هذه الكلمة ساقطة في ب.

[13]في م: «بالبنصر، و لإبراهيم في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل بالوسطى ذكر ذلك أبو العنيس... إلخ» .

و الهشاميّ. و للغريص في الرابع ثم الأوّل خفيف ثقيل بالوسطى في رواية/عمرو بن بانه. و لمعبد فيهما[1] و فيّ الخامس و السادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكيّ. و لابن سريح في الخامس و السادس ثقيل أوّل بالبنصر من رواية عليّ[2] بن يحيى المنجم، و ذكر غيره أنّه للغريص. و لإبراهيم فيه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ، و ذكر حبش أنّه لمعبد. و لابن محرز في الأوّل و الثاني و الثالث و الرابع هزج، ذكر ذلك أبو العيس[3]، و ذكر قمرّيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشكّ فيه. و للدّلال في الخامس و السادس ثاني ثقيل عن الهشاميّ، و ذكر أبو العيس أنّه للهدليّ. و لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رمل. و لإسحاق في الثالث و الرابع أيضا ما خوريّ، و لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى فيهما، و قيل: إنّ لحنه الذي ذكرنا متقدّما، و إنه ليس في هذا الشعر غيره. و ذكر حبش أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها: «كليب لعمرّي» خفيف رمل بالوسطى، و للهدليّ خفيف ثقيل بالبنصر، و للدّلال رمل؛ فذلك ثمانية عشر صوتا. و أخبرني محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعني الأوّل و الثاني) خفيفا[4] بالوسطى.

انتهى الجزء الرابع من كتاب الأغاني و يليه الجزء الخامس و أوّله ذكر النابغة الجعديّ و نسبه و أخباره [1] كذا في م. و في سائر النسخ: «فيها» .
[2] كذا في م. و في سائر النسخ: «علي بن أبي يحيى المنجم» . و هو تحريف.

[3] في م: «أبو العنيس» انظر الحاشية رقم 4 ص 96 من الجزء الأوّل من هذه الطبعة.

[4] في م: «خفيف ثقيل بالوسطى» .

فهرس موضوعات الجزء الرابع

الموضوع الصفحة

ذكر نسب أبي العتاهية و أخباره 261

أخبار فريدة 337

ذكر أمية بن أبي الصلت و نسبه و خبره 342

أخبار حسان بن ثابت و نسبه 352

ذكر الخبر عن غزاة بدر 376

نسب علس ذي جدن و أخباره 405

أخبار طويس و نسبه 407

ذكر الأحوص و أخباره و نسبه 411

ذكر الدلال و قصته 441

ذكر طريق و أخباره و نسبه 463

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد و نسبه 481

ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية 490

ذكر حميد بن ثور و نسبه و أخباره 500

أخبار فليح بن أبي العوراء 502

ذكر ابن هرمة و أخباره و نسبه 508

ذكر أخبار يونس الكاتب 529

أخبار ابن رهيمة 534

أخبار إسماعيل بن يسار و نسبه 536

فهرس موضوعات الجزء الرابع 553